



بَهْجَةُ الْمَجَالِسِ ، وَأَنْسُ الْمَجَالِسِ

وشحذ الذاهن والهاجس

تأليف

الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبي

٣٦٨ - ٤٦٣ هـ

المجلد الاول
من القسم الاول

تحقيق

محمد مرسي البخولي

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بَهْجَةُ الْمَجَالِسِ، وَأَنْبَسُ الْمَجَالِسِ
وَشُعْذُ الْذَاهِبِ وَالْهَاصِبِ

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلميّة
بيروت - لبنان

يطلب من .

دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان / صندوق بريد ١١/٩٤٢٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

حينما قدّمت هذا الكتاب إلى جمهرة القراء ، كان كل ما وقر في ذهني منه أنه كتاب أدب كبير ، يتضمن الكثير من الكلمات الحكيمة والشعر الفاضل الذي يحمل كلاهما التجربة والعبرة ، وأنه من تأليف حافظ المغرب أبي عمر بن عبد البر القرطبي ، صاحب كتابي « التمهيد لما في الموطأ من الكتب والأسانيد » ، « والإستيعاب في طبقات الأصحاب » (أي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، وكلاهما من الكتب الشهيرة المعتبرة ، وكتابه هذا في الأدب لن يقل عنهما قيمة واعتباراً . بالقطع .

هذا ولقد ذكرت في مقدمتي للكتاب أنه يحوي قدراً طيباً من النصوص الأندلسية ، كما أنه يحوي جملة وافرة من شعر عدد من الشعراء ينكفي لإخراج ديوان لكل منهم ، وهذا كل ما كنت قد قدرته لقيمة الكتاب وقتئذ .

والواقع أنني فوجئت بعد صدوره أنني لم أقدر الكتاب حق قدره ، وذلك لأن جمهرة الباحثين والعلماء قد رحبوا بالكتاب ، وانبروا للاستفادة منه ، والإعتداد به مرجعاً من المراجع المهمة في الشعر العربي ، فكان أن استخرجوا منه دواوين لبعض الشعراء ، مثل ديوان شعر محمود الوراق ،

ب

و ديوان منصور الفقيه ، و روجع عليه ديوان شعر أبي العتاهية الذي صنعه في الأصل ابن عبد البر وسماه « الإتهبال بما في شعر أبي العتاهية من الحكم والأمثال » ، ومن الطريف أن يكون كل هؤلاء الشعراء من الشعراء المشاركة الذين وجدوا من عناية عالم سحيق الدار منهم ما لم يجدوه من علماء بخلادهم في جمع شعرهم والحفاظ عايه وندوينه .

على أن هناك ملاحظة تلاحظ على ما جمعه ابن عبد البر من هذا الشعر ، وهي أنه كله من الشعر العفيف ، الذي يمتلىء بالمثل الصالح والحكمة النافعة والقول الشريف ، ولا يمكنك مهما حاولت أن تعثر فيه على لفظ فاضح أو قول سفياف ، وذلك هو طابع ابن عبد البر في اختياراته ، وإذن فإنه يمكن أن يكون قد ضاع هؤلاء الشعراء الذين جمع شعرهم شعر كثير مما لم يقع تحت شرطه ، وهو مما يعد من ناحية الأدب ثروة فنية وإنسانية ، ولكنها لم تكن كذلك في نظر ذلك المحدث الجليل حافظ المغرب أبي عمر بن عبد البر ، وحسب الأدب أن يكون الرجل قد احتفظ له بقدر عظيم من شعر هؤلاء لولاه هو لضاع ولعفى عليه الزمن .

ثمة فائدة أخرى حققها الكتاب للباحثين ، وهي احتفاظه بشعر عدد من الشعراء المقلين في الجاهلية والإسلام وفي المشرق والمغرب ، وهذا الشعر قد استفاد به جمهرة الأساتذة الذين تصدوا لجمع شعر الشعراء ممن ليس لهم دواوين ، وقد كثرت هذه الظاهرة وبخاصة لدى الإخوة العراقيين ، وهي ظاهرة طيبة تجمع الشعر المتفرق المتناثر في بطون الكتب لشاعر من الشعراء ثم تخرجه كله في ديوان تسميه شعر فلان ، ولا شك أن الشعر المجموع في صعيد واحد يؤدي خدمة كبيرة للباحث في دراسة الشاعر أو تخريج أبياته .

ولقد أدى ابن عبد البر خدمة جليلة لتلك الأعمال باحتفاظه بأشعار

ج

ربما كان هو الوحيد الذي احتفظ بها ، ولهذا فقد استفاد منه معظم هؤلاء الباحثين ، وقلما تجد شعراً مجموعاً إلا ووجدت في مراجعته كتاب ابن عبد البر هذا .

أما الشعر الأندلسي في الكتاب فقد جمعه كله الدكتور إحسان عباس في كتابه عصر سيادة قرطبة .

وأخيراً فلقد كنت كتبت مقدمتي للطبعة الأولى للكتاب مستحدثاً فيه ترجمة لمؤلفه فيها الكثير من الاستنتاجات حين لم تسعفني المصادر بترجمة وافية لحياته .

ويبدو أن ما ذكرته من استنتاجات قد أدى بأحد الإخوة الباحثين إلى تتبع هذه الاستنتاجات وتبيين مدى ما فيها من دقة وصحة ، وذلك في رسالة أعدها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة بعنوان « الحافظ ابن عبد البر مؤرخاً » وما زالت هذه الرسالة قيد العمل وهي بلا شك قد تضيف إلى الترجمة جديداً .

وما زالت الاستفادة من الكتاب مستمرة هنا وهناك ، وأنا أعتقد أن ذلك نتيجة لما بذله فيه مؤلفه من جهد ، وما عسى أن يكون قد صاحب فيه محققه من توفيق .

ونحن نسأل أن يظل الكتاب نبأ ثراً للإفادة ، وأن يوفقنا الله لخدمة تراث العربية والإسلام بمنه وفضله ، فهو سبحانه أجل مأمول وأكرم مسئول .

وكتب

د. محمد مرسي الحولي

القاهرة في ٧ / ٢ / ١٩٨١

وكيل معهد المخطوطات العربية

بسم الله الرحمن الرحيم
 وبعد فإن أول ما ابتدئ به كتابه وأقبح به خلقي
 هو الله على خزيل أنسه وشكو بلائه فيلزم
 على خاتمة أسائه وعقاب رسله صلات الله عليه وسلم
 وسلامه عليهم في السالين ومركاته والمجدفة التي هيأنا
 له سلامه ونفينا على جميع الأنام وجعلنا من أمة
 محمدية عليه الصلاة والسلام وبصدد فاما أولها
 على يد الطالبه ورغب فيه الراغب وصرف إلى الجاهل
 الدافع هذه وأكد فيه عزيمته بعد الوقوف على مساق
 السنين والكتاب مطالعة فنون الآداب وما اشتملت
 عليه وجوه العوالم من أنواع الحكم التي تجبي النفس
 والقلب وتشجذ الذهن والقلب ونعت على التكاثر
 وتنبى عن الدمايا والمخارم ولاشئ أنظر لذلك كله
 وأجمع لفقرته وأهدا إلى عبونه وأعقل لشارده مواسف
 لبادره من تفهيد الأمثال السائرة والأبيات السائرة
 والفصل الشريف والأخبار الطريفة من حكم الحكماء
 وكلام البلغاء المتفلا من أئمة السلف مرسل إلى الخلف
 الذين استلوا في أفعالهم وأقوالهم أدب التنزيل وسأ
 سنن الرسل وفوائد العرب وأمثالها وأحوالها وقا
 ومبادئها وفصولها وما حوروه من حكم السعد وسائر الأمم
 في تفهيد أخبارهم وحفظ مذاهيم ما يمشى على

فاسبها من قدام الأبريق . مثل السيل جري واستمسك
 فلم تزل في صياح الست نأخذ . والليل يأخذنا حقها الأعد
 واستشرق من الأثنين أضحة . والبيعي معدوئها المبالغ
 وفي الثلاثة أعلنا المني إلى . صباء ملقارعتها بالزنج بيد
 والأربعة كسنا جد شربة . والحسن يفضك ونحافاتها الز
 ثم الحنين وصلناه بليلىته . قصاوتنا لنا بالجمعة العدد
 وحسن حوله الأشجار عذقة . وقجوانه الألبار تغرد
 لا نخط بسايقنا لفرقة . ولا نريد علينا حكمه أحد

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
 آله وصحبه وسلم وكان الفرج من نفع هذه

النسخة يوم الاثنين المبارك الموافق

عاشور شهر شوال سنة ١٣١٣ هـ

يد الفقير إلى الله تعالى

أحمد إبراهيم غفر الله

له ولوالديه

والسليم

أجيب

٢

على ذمة الكتفان الخديوي المصدي

فيهم غيره **قَالَ** ابن الغضنفر :

وجيران صدوق بزاو ربيهم على قرب من جبال الجاهل
كان جوارحه الطين فوالهم طين الجاهل النجاسة من قعر

وَقَالَ الحليل بن الخيصر :

كأن كيب شيت ففكر الموت لا رذل غنة ولا غوث
يشقني حبيب وجهته زائل الغنى وأبوس البذيل
اسمع فقد سمعت الضوضان ثم تبادر منه والفتوك
كل كلمة شيت وعين البصير أكرهها حالة الموت

وَقَالَ أحمد :

إذا ما مضت الحامض حكمة فلم يبق إلا الزلل
فقط كل ذي عقل على يد يغتله ولا يظلم الحسنى على الظلم

كَاف

العَمَل

قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا وخبروا بالعلم والعمل
ولا يحفظ على الوضوء إلا من **وَقَالَ** عليه السلام العمل
شأن المؤمن **قَالَ** أبو ذر قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعض العمل القليل وجهته الناصر عليه **قَالَ** طاب ثابته
المؤمن **قَالَ** أبو الدرداء اعملوا ما شئتم ان تعملوا فانه
لا يجرم الله حتى تقع **قَالَ** الناصر محمد بن أحمد **وَرَفَعَتْ**



[illegible]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

هذا الكتاب موسوعة أدبية لعالم أندلسي كبير ، اشتهر في تاريخ الأدب الأندلسي كما اشتهر بين معاصريه : بالفقيه الحافظ المحدث ، ولكنه في الواقع لم يكن كذلك لحسب ، بل كان إلى جانب ذلك رجلاً موسوعياً الثقافة ، وافر الاطلاع ، وهب حياته الطويلة للعلم وأخلص له ، ولم يفرق في إخلاصه هذا بين نوع وآخر من العلوم ، فهو كما وعى حديث الرسول الكريم واستوعب أصول الفقه ومسائله ، وألف فيهما من المؤلفات ما تكاد نقطع عند قراءته بأنه لا يحسن غيرها ، كذلك فعل بأنواع أخرى من العلوم ، كالأنساب والسير والتراجم والقراءات ، حتى الجغرافيا له فيها جميعاً مؤلفات قيمة ، يُعَدُّ ما طبع منها مراجع ممتازة في أيدي الباحثين حتى اليوم .

وأخيراً فإن الأدب من بين هذه المعارف يحتل عنده مكانة بارزة ، وينال من جهده واهتمامه قدراً كبيراً ، كيف لا وهو في رأيه يلي في المرتبة كتاب الله وسنة رسوله ، ومعرفة آدابهما . لهذا نراه يقدم لنا كتابه هذا الذي أفرغ فيه خلاصة قراءاته وملاحظاته في ميدان الأدب ، أو كما يقول هو : « وجمعت فيه ما انتهى إليه حفظي ورعايتي ، وضمته روايتي وعنايتي » .

والحق أن ما انتهى إليه حفظ المصنف ليس شيئاً قليلاً ، فقد عاش أبو عمر عمراً مديداً قضاه كله في صحبة العلم ، والعيش في رحابه ، قارئاً وسامعاً ، معلماً ومؤلفاً ، ولهذا ليس غريباً أن يودع في كتابه نتيجة لهذا كل مختار مقتقى من مآثور الأدب نظاماً ونثراً ، مما كان سائد الطراز للمذاكرة في مجالس العلماء في عصره . من إنتاج المشرقيين والأندلسيين على السواء ، فحفظ لنا بما جمعه بين دفتي كتابه تراثاً قيماً ، ضاعت الآن معظم مصادره الأصلية ، وكاد أن

يلدثر ويسحب عليه الزمن ذيل النسيان ، لولا أن ضم هو شمله ، وجمع شتاته ، وقدمه على مائدة الفكر زاداً شهيالمن يأتى بعده من الأجيال .

والحقيقة أن هذا المصنف يحوى من المميزات الهامة ما سوف نتكلم عنه بالتفصيل فيما بعد ، ولكننى قبل هذا أستطيع القارئ عذراً فى أن أسجل فى هذه المجالة كلمة أرجع فيها الفضل لأهله .

ذلك أننى كنت شديد الاهتمام بالعمل فى هذا الكتاب وإخراجه إلى النور منذ فترة طويلة وذلك لعدة أسباب ، أهمها : مكانة المؤلف الكبيرة التى كان يتمتع بها بين علماء عصره ، والتى ما زالت تتمتع بها مؤلفاته بين جمهور العلماء والدارسين حتى اليوم .

ثانياً : حاجة الباحثين إلى كثير من مواد هذا الكتاب^(١) ، واضطرابهم إلى الرجوع إلى نسخته المخطوطة فى دار الكتب ، للاستعانة بها فيما يقومون به من دراسة أو تحقيق مع ما نعلمه جميعاً من صعوبة الرجوع إلى المخطوطات حتى على المتخصصين ، لتشتت موادها وعدم وجود الفهارس التى تساعد الباحث فى العثور على بغيته ، لهذا فقد قررت البدء فى تحقيقه ثم العمل على نشره .

هذا وحين أبدت تلك الرغبة لعدد من الأصدقاء المشتغلين فى هذا الحقل ، أظهروا جميعاً من التشجيع ما حفزنى على المضى فى تحقيقها .

غير أننى مع ذلك أشفقت على نفسى من أمرين :

الأول : ضخامة الكتاب ووفرة موادها وتنوعها ، وصعوبة الحصول على المراجع الكثيرة اللازمة لتخرج أبياته والتعريف بما ورد فيه من أعلام ، حتى يرتفع التحقيق إلى مستوى مصنفه الكبير ، وتقديم كتابه فى الصورة التى تناسب ومكانته .

(١) انظر مثلا التحقيق فى كتاب : جذوة المقتبس للحميدى ، تصحيح محمد بن زاويت الطنجي . وانظر كذلك كتاب : تاريخ الأدب الأندلسى ، عصر سيادة قرطبة ، تأليف الدكتور إحسان عباس ، فقد اعتمد كلاهما على المخطوطة فى النجدة والدراسة .

الثانى : صعوبة نشره نظراً لهذه الضخامة وعدم ترحيب دور النشر بالكتب المطولة عامة .
لكننى بالنسبة للأمر الأول، إزاء حث الأصدقاء ورغبتهم المخلصة فى المعاونة ثم ما وجدته
فى متناول يدى بحسب عملى فى عهد المخطوطات من المراجع الممتازة ما بين مطبوعة ومخطوطة
فررت أن أمضى فى تحقيق الكتاب ، تاركاً أمر نشره إلى الظروف المناسبة .

والحق أن هذه الظروف قد أنت بأسرع مما كنت أنوقع ، إذ لم تسكد إدارة التراث
القديم بوزارة الثقافة والإرشاد القومى ، تعلم بأمر عملى فى تحقيق هذا الكتاب حتى أبدى
المشرفون عليها استعدادهم لنشره فأسدوا إلى الكتاب يداً من الجميل لا تنسى .

ثم كانت من حسن حظى خاصة أن وكلت الإدارة أمر مراجعته إلى الأستاذ الدكتور
عبد القادر القط ، فقام على الأمر خير قيام ؛ وبذل من الجهد فى معاونتى فى تقويم النص وضبط
ما يحفل به الكتاب من شعر ، ثم ما كان ينير به من وضع التعليقات والشروح المناسبة ،
ما أذكره له بكل تقدير وإجلال .

فإليه ، وإلى الأصدقاء الأساتذة محمد رشاد عبد المطلب وإبراهيم شيوخ ، وسعيد
إسماعيل عبده أتقدم بخالص الشكر ، وجميل الثناء .

والله أسأل أن يحزينا بقدر ما بذلنا من جهد ، وأن يجعل هذا العمل لوجهه خالصاً إنه قريب

محبوب .

المحقق

مقدمة

ابن عبد البر القرطبي (١)

٣٦٨ - ٤٦٣ هـ

٩٧٨ - ١٠٧١ م

ترد ترجمة ابن عبد البر في عدد وافر من الكتب ، ولسكنها في الحقيقة ترجمة واحدة مكررة في هذه الكتب كلها ، فما تجده هنا تجده معاداً بأسلوب آخر هناك ، فإذا حذفنا من هذه الترجمات ما ذكره المترجمون له من كتبه ، وما أوردوه من بعض شعره ، لم تبقى لنا بعد هذا إلا سطور قليلة ، تتضمن قليلاً من المعلومات التي يمكن أن نعرفها عن حياة الرجل .

والواقع أن ذلك لا يعد غريباً بالنسبة إلى حياة المؤلف ، فقد كانت في الحقيقة حياة علمية هادئة ، لم بتورط صاحبها في مشاكل السياسة ، ولم تسكن له أبحاث في الفلسفة وهما بالذات الجانبان اللذان اهتم بهما مؤرخو الأندلس ، وأفردوا لأصحابهما ، وتفاصيل حياتهم الصفحات الطوال .

ولكن هذا الأمر — وإن لم يكن غريباً كما قلنا — يصعب المهمة التي نقوم بها من تقديم ترجمة وافية لحياة المصنف وأعماله ، ولهذا فسوف نحاول دراسة العصر الذي عاش فيه المؤلف وخاصة ما يتصل منه بحياته ونقدم من كل ذلك ترجمة أوفى — قدر الاستطاعة — مما قدمه لنا الأسلاف عنه ، مستوحين — في نفس الوقت — ما قدموه إلينا من نصوص ، وما حلفوه لنا من أخبار .

(١) ترجم له في : جذوة المقتبس ٣٤٤ ، بغية المتأملين ٤٧٤ ، الصلاة ٦٤٠ / ١ - ٦٤٢ بروكلمان ماحق ٦٢٨ / ١ الديباج المذهب ٣٥٧ ، المغرب ٤٠٧ / ٢ ، ٤٠٨ ، وفيات الأعيان ٦٤ / ٦ ، مطلع الأنفس ٦١ ، شذرات الذهب ٣ / ٣١٨ ، تذكرة الحفاظ ١٤٣ / ٢ ، جبهة الأسباب ٢٨٥ ، تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ٣ / ٦٦ ، إلى جانب بعض الكتب الفرعية الأخرى .

المؤلف : مولده ، ونشأته :

في الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ٣٦٨ هـ وعلى وجه التحديد ، وقت صلاة الجمعة والإمام يخطب على المنبر ، ولد أبو عمر لأب كان فقيهاً من فقهاء قرطبة ، ولم يقدر لذلك الشيخ أن تطول به الحياة حتى يرى ولده فتى رائعاً أو شاباً مكتملاً ، إذ مات في عام ٣٨٠ هـ وابنه لم يعتمد الثانية عشرة من عمره .

وقد نشأ أبو عمر في قرطبة ، وإن كنا لا نعلم شيئاً عن كفله بعد وفاة والده ، كما لا نعلم أيضاً إن كان قد ترك له ذلك الوالد شيئاً من حطام الدنيا ، ولكننا نعلم يقيناً أنه تلقى تعليماً ممتازاً على أيدي جلة من علماء عصره ، وبرز وتفوق ، واستوعب كثيراً من علوم الفقه والحديث والتاريخ والأدب وغيرها ، في بلده قرطبة ، أعظم المدن الأندلسية في ذلك الوقت وأحفلها بالمكتبات والعلماء .

وحينما بلغ أبو عمر الثلاثين من عمره أو نحوها ، كان المفروض أن يحتل مكانة أييه : فقيهاً من فقهاء قرطبة وشيخاً من شيوخها ، ولكن حدث فجأة ما حرمه من هذه المكانة المشوذة والأمل المرتقب . إذ في تلك الفترة عينها — أواخر عام ٣٩٩ هـ — حدث ما يسمى في تاريخ قرطبة بالفتنة البربرية ، والتي كانت حوادثها من القسوة والهمجية بحيث دفعت منه كما دفعت غيره من العلماء وجهرة الناس إلى الرحيل العاجل عن المدينة .

الفتنة البربرية :

يشير المؤرخون إشارة موجزة في ترجمة ابن عبد البر ، إلى أن الفتنة هي السبب الذي دفعه إلى الهجرة من قرطبة ، ثم لا يزيدون على كلمة « الفتنة » شيئاً من تفصيل وإيضاح ، ولكننا نرى من تمام البحث أن نتكلم بشيء من التفصيل عن هذه الفتنة وآثارها ، حتى تكتمل أمامنا صورة واضحة المعالم للأحداث التي مرت بالرجل ، ونالت منه ومن أقرب المقربين إليه .

أما حوادث هذه الفتنة^(١) ، فقد بدأت عندما أراد محمد بن هشام بن عبد الجبار الأموي الملقب بالمهدي^(٢) ، أن يتخلص من الدولة العامية ، وكان العامريون قد تولوا زمام السلطة الفعلية علوأل أيام الخليفة المستضعف هشام المؤيد ، وفعلا نجح المهدي نجاحاً مؤقتاً ، وقتل عبد الرحمن بن أبي عمر الملقب بشنجلول ، والذي ادعى أنه ولي عهد الخليفة هشام المؤيد ، ثم تسلم المهدي السلطة ، ولكنه لم يكد يستقر فيها حتى نازعه أموي آخر هو سليمان المستعين^(٣) الذي تزعم البربر ، وقصد أن ينزع الخلافة من المهدي ، واجتمع البربر مع سليمان لمحاربة قرطبة ونزلوا بسفح الجبل بها وبشر فيها في (١١ ربيع الأول سنة ٤٠٠ هـ) وعلى الرغم من خروج أهل قرطبة عن بكرة أبيهم للقتال ، واستبسأهم في الذود عنها ، إلا أنها سقطت في أيدي البربر ، الذين أجروا فيها على الفور مذبحة رهيبية ، راح ضحيتها الآلاف من الضحايا الأبرياء .

لكن المهدي أبي أن يستسلم لهذه النتيجة ، فهرب إلى طليطلة وجمع جموعاً من الإفرنجية وعساكر الثغور ، وعاد إلى مهاجمة قرطبة ، وفعلا تمكن من الاستيلاء عليها بعد شذائد وأهوال ، إلا أنه للمرة الثانية يعثر به حفظه ، فيختاف عليه جنده ، ثم يتخلصون منه بالقتل ، ويصبح الجو خالياً لسليمان المستعين ، فيدخل المدينة دخول الظافر المنتصر .

إلى هنا ويمكن أن تستقر الأحوال وتهدأ الأمور ، فقد تم إسبايان تحقيق أطماعه شخصيا بتولى الخلافة ، ثم تحقيق آمال الكثيرين ممن كانوا يهوون عودة الأسرة الأموية إلى الحكم .

لكن سليمان في الحقيقة لم تسكن فيه صفة واحدة من صفات الكفاءة التي كان يتمتع بها معظم الخلفاء الأمويين ، فاكتفى بتحقيق ملذاته هو . ثم ترك لجنده من البربر أن يفعلوا بالمدينة ما يحلو لهم من نهب وسلب واعتداء على الحرمات بشكل لم يسبق له مثيل .

وقد استمر هذا الوضع الشاذ سبع سنوات ، يصفها مؤرخ الأندلس ابن حبان^(٤) ، بأنها :

(١) أنقل هنا بصرف عن كتابه : تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) للدكتور إحسان عباس ،

(٢) ترجمته في : جذوة المقتبس ١٨ ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ٤٠ ، البيان المغرب ٣/ ٥٠ .

(٣) هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، ترجمته في جذوة المقتبس ١٩ ، الذخيرة

٢٤/١/١ .

(٤) هو حبان من خلف بن حسين بن حبان الأندلسي ، صاحب كتاب « المقتبس في تاريخ الأندلس »

ترجمته في جذوة المقتبس ١٨٨ ، وفيات الأعيان ١/ ١٦٨ .

كانت كلها شداً نكدات ، صعباً مشثومات ، كرميات المبدأ والفتاحة ، قبيحة المنهى والخاتمة لم يعدم فيها حيف ، ولا فورق خوف ، ولا تم سرور ، ولا فقد محذور ، مع تغير السيرة وخرق الهيبة ، واشتعال الفتنة واعتلاء المعصية ، وطعن الأمن وحلول الخافة^(١) .

ومن الطبيعي أن يعيش الناس هذه السنوات في هلع دائم ورعب متصل ، فقد كان البربر خلالها يترصدون الحرم والدور بالهتك والسلب ، ولقد بلغ من إشفاق الناس يومئذ أنهم استفتوا شيوخ المالكية في تعجيل صلاة العتمة قبل وقتها خوفاً من القتل ، إذ كان متلصصة البربر يقفون لهم في الظلام في طرق المسجد فرجاً آذوهم إبداء شديداً^(٢) .

وقد قضت هذه الفتنة على كثير من العلماء والأدباء بالموت والتشريد ويكفي أن نلقى نظرة على كتاب العلة لابن بشكوال حتى نجد فيه الكثير ممن ترجم لهم من العلماء : إما قتلوا في الفتنة أو آثروا الهجرة إلى المدن الأندلسية الأخرى .

ولقد كان من بين هؤلاء المهاجرين ، أبو عمر بن عبد البر ، الذي اضطر تحت هول مارآه من حوادث إلى ترك بلده الحبيبة ومرجع صباه ، خصوصاً وقد أثر في نفسه قتل أستاذه الكبير وصديقه العظيم : أبي الوليد بن الفرضي مظلوماً في بيته بيد البربر الذين لم يرعوا للرجل علمه ومكانته ، أو يرحموا فيه ضعفه وشيخوخته^(٣) .

تجوله في بلاد الأندلس :

خرج أبو عمر من قرطبة مهاجراً — أو على الأصح — هارباً إلى غيرها من بلاد الأندلس ويبدو أنه في خروجه ذاك لم يكن يقصد بلدة بعينها ، إذ لم تترك له الحوادث الرهيبة التي خلفها وراءه فرصة للتفكير أو الاختيار .

(١) اللخيرة ١/١ ، ٢٥ .

(٢) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٦٧/٣ .

(٣) انظر قصة استشهاد هذا العالم في جذوة المنبس : ٢٣٨ ، بغية المايس ٣٢١ ، وفيات الأعيان

هذا إلى جانب أن بلاد الأندلس نفسها — بعد انقراط عقد الخلافة الأموية ، وزوال أسرة المنصور بن أبي عامر ، كانت قد فقدت وحدتها ، وأخذت تفور بالفتنة والقتال وقد أخذ كل وال يستقل بما تحت يده من ولايات ، ويحارب جيرانه من حكام الولايات الأخرى إما طمعاً فيما تحت أيديهم ، أو دَرءاً لأطماع غيره فيه ، فلم يكن هناك — والحالة هذه — مكان يمكن أن يابجا إليه هو أفضل من غيره .

وأخذ أبو عمر في هذه الفترة يحول في بلاد غرب الأندلس ؛ مستغلاً جولاته الاضطرابية هذه في الاستماع إلى علماء هذه البلاد والأخذ عنهم ، ومن بينهم خاصة من أنبعت له فرصة الذهاب إلى المشرق والتلقي عن أسانذته ، وقد اتى من هؤلاء كثيرين بذكرهم الحميدي في ترجمته في جذوة المقتبس .

وعلى الرغم من أن هذه الفترة من حياته ، والتي تعتقد أنها كانت قريبة من عشر سنوات — كانت فترة غنية حقاً بما أخذه عن هؤلاء العلماء ، إلا أنها كانت من جهة أخرى كافية لحياة التجول وعدم الاستقرار التي يحياها ، ومن هنا أخذ أبو عمر يتطلع من حوله إلى الدويلات السكثيرة التي ملأت رقعة الأندلس ، فلم يرد دولة هي أحق بالاستقرار وكفالة حياة هادئة لمن يريد خيراً من دانية التي تقع في أقصى شرق الأندلس ، والتي يحكمها أمير حازم شجاع ، يحترم العلم ويقرب العلماء ، هو الأمير مجاهد العامري .

صاحب دانية : مجاهد العامري ^(١) :

كان أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامري مولى رومياً من موالى عبد الرحمن الناصر ابن المنصور محمد بن أبي عامر ، ولكنه كان متحلياً بالعلم والشجاعة والإقدام ، وحين انتهى أمر الدولة العامرية ودبت الفرقة وعوامل الانحلال في جسم الدولة ، وسارع كل حاكم إلى تقطيع

(١) اعتمادنا فيها كتبناه هنا عنه ، على : جذوة المقتبس ٣٣١ ، بغية المنتس ٢٥٧ ، البيان المغرب ١٥٥/٣ ، مقدمة التحقيق لكتاب الحكم لابن سبويه .

أوصالها والاستقلال بأجزائها ، ذهب مجاهد بجمع من موالى العامريين إلى شرق الأندلس ، فاستولى على دانية وما والاها من جزائر : ميورقة ومنورقة ويابسة عام ٤٠٦ هـ أو ٤٠٧ هـ .
و حين استقرت به الحال في الدولة الجديدة ، تطلع به طموحه إلى جزيرة سر دانية القريبة منه ، وسرعان ما هاجمها وضمها إلى ملكه ثم جعلها قسبة بلاده ، ولكن ملوك ألمانيا وإيطاليا خشوا خطورة هذا المغامر الجريء الذي أصبح على مرمى حجر من قلب بلادهم فوجهوا إليه الجيوش والأساطيل نكيله الضربات الساحقة في وحشية وعنف حتى أفلقته من يده في موقعة بالغة الضراوة ، عاكست فيها الرياح أسطوله ودفعته دفعا إلى أيدي أعدائه فنجاه هو من القتل بشق النفس ، على حين أسر أولاده وبعض نسائه ولم يستطع افتدائهم إلا بعد فترة طويلة من الزمن .

بعد هذه المغامرة الفاشلة لم يفكر مجاهد مرة أخرى في الغزو ، بل اتجه بسكنته إلى إمارته يصلح من أمورها ويعنى بشئونها ، حتى أصبحت تتمتع بقسط وافر من الأمن والرخاء والاستقرار دام نحواً من ثلاثين عاماً ، حتى وقت وفاته سنة ٤٣٦ هـ .

ولعل أهم ما كان يمتاز به مجاهد إلى جانب كفاءته الإدارية وشجاعته ، هو حبه الشديد للعلم والعلماء ، ويدكر المؤرخون عنه أنه كان ذا دراية بعلوم العربية ، وتصرف في علوم القرآن : قراءته ومعانيه وغريبه ، عنى بطلب ذلك من صباه إلى اكتماله وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من نظرائه ، وأتت إليه العلماء من كل صقع ، فاجتمع لديه جملة من مشيختهم ومشهور طبقاتهم ، فكان وزيره والمتصرف في دولته أبو العباس أحمد بن رشيق الكاتب^(١) إلى جانب بعض أمثال العلماء كأبي عمرو الداني^(٢) وابن سيده^(٣) وكان له من المصنفين عدة يقومون على التصنيف في علوم القرآن خاصة ويشاركون في فنون أخرى من العلم ، يجمعون بها ملكه وبشرفون دولته ، حتى اشتهرت دانيّة آنذاك بأن أهلها أقرأ الناس للقرآن ، وأكثرهم معرفة بعلومه .^(٤)

(١) الفهرست ترجمته في : جذوة المقتبس ١١٤ ، بغية الملتبس ١٦٦ ، وليس هو بالطبع أبا الحسن بن رشيق الفيرواني صاحب العمدة .

(٢) عثمان بن سعيد بن عمر الداني ، عالم القراءات الكبير ؛ ترجمته في نفح الطيب ٣٨٦/١ ، معجم الأدباء ٣٦/٥ .

(٣) طي بن إسماعيل بن سيده ، صاحب المختصر والمحكم ، ترجمته في بغية الملتبس ٤٠٥ ، وفيات الأعيان ٣٤٢/٦ .

(٤) معجم البلدان لياقوت ، ط بيروت ، مادة دانية .

لهذا ليس غريباً أن تصادف دانية ، من بين دول الأندلس جميعاً . هوى قويا من نفس أبي عمر بن عبد البر ، فيذهب إليها ويلقى بها عصا الترحال ، وقد وجد أخيراً المكان الذي حلم به مستقراً وملاذاً .

ابن عبد البر في دانية :

تعد الفترة التي قضاها أبو عمر في دانية من أخصب فترات حياته إنتاجاً ، ففيها ألف معظم كتبه المطولة التي اشتهر بها ، وتدلنا رسالة ابن حزم التي كتبها^(١) في فضل الأندلس وذكر رجالها ، وهي رسالة كتبت نحو سنة ٤١٢ هـ . على ما كان يتمتع به أبو عمر في ذلك الوقت من شهرة وما تحتله كتبه من مكانة ، فيقول : « ومنها كتاب التمهيد لصاحبنا أبي عمر يوسف ابن عبد البر ، وهو الآن بعد في الحياة لم يبلغ سن الشيخوخة ، وهو كتاب لا أعلم في فقه الحديث مثله أصلاً فكيف أحسن منه ، ومنها كتاب الاستذكار وهو اختصار التمهيد المذكور ، ولصاحبنا أبي عمر بن عبد البر المذكور كتب لامثيل لها منها : كتابه المسمى الكافي في الفقه على مذهب مالك وأصحابه ، خمسة عشر جزءاً ، وكتابه في الصحابة ، والاكتفا ، ثم بهجة المجالس ، وجامع بيان العلم .. » .

وليست هذه بالطبع كل مؤلفات أبي عمر ، ولكنها تكاد تكون أهمها كلها . وهي كما قلنا التي قامت عليها أساساً شهرة أبي عمر في كل أرجاء الأندلس . وجعلت طلبه العلم يهرعون إلى دانية للتلقى عن الحافظ الكبير والسامع عليه ، حتى كان سنده مما يتفاخر به بينهم .

ويمكننا أن نقول إن أبا عمر أحس بالسعادة الحقة في دانية . وبادل أهلها حبا بحب . حتى إن الظروف حينما دعت به بعد ذلك إلى الرحيل عنها — كما سنبين فيما بعد أبي بعد انتهاء هذه الظروف إلا أن يقضى شيخوخته يتردد بين دانية وما جاورها من المدن القريبة منها وحتى إنه تحقيقاً لهوى أهل دانية وحب أهلها لعلوم القرآن . ألف في القراءات أربع كتب لا بأس من من ذكرها وهي :

(١) انظر هذه الرسالة في نفح الطيب ٧٦٧/٢ ، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) للدكتور إحسان عباس ٢٩١ .

١ — البيان عن تلاوة القرآن .

٢ — الاكتفاء في القراءة .

٣ — الإنصاف فيما في بسم الله من الخلاف .

٤ — التجريد ، والمدخل إلى علم القراءات بالتجويد .

توليه القضاء في الأشبونة وشنترين :

يذكر المؤرخون أن أبا عمر تولى قضاء الأشبونة وشنترين لفترة من الوقت في عهد المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس^(١) . ولما كانت هذه البلاد في غرب الأندلس . فهو لابد إذاً قد فارق شرق الأندلس . أو بتعبير أدق فارق دانية . وهي كما قلنا مهد شهرته ومركز أمانه وراحته . فكيف فارقها وهي على حد قول ابن سعيد : « الأفق الداني الذي ظهر فيه علمه . وعند ملوكه خفق علمه^(٢) » .

الحق أن المؤرخين لم يذكروا شيئاً عن السبب في ذلك ، ولكن يمكننا أن نقول — بناء على تطورات الأحداث في دانية نفسها — إن أبا عمر ترك دانية مضطراً ، ولعل السبب في ذلك يرجع في المرتبة الأولى إلى وفاة مؤسس دانية وراعيها الأمير مجاهد العامري في عام ٤٣٦ هـ ، وعلى الرغم من أن ابنه إقبال الدولة علي بن مجاهد^(٣) ، كانت له نفس ميول أبيه العلمية نحو تكريم العلماء والحدب عليهم ، إلا أننا نكاد نلمح في بعض تصرفاته ما يشير إلى أنه لم تكن له شخصية والده القوية ولا سعة صدره ، فقد غضب مثلاً على ابن سيده . العالم اللغوي الضير ، واضطر هذا إلى الهرب والاختفاء ، ولم يتمكن من الظهور في دانية إلا بعد أن عفا عنه إقبال الدولة ، بعد أن استعطفه ابن سيده بقصيدة مؤثرة .

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن سلمة النجيب الأندلسي ، الملك المظفر أبو بكر بن الأفطس ، تولى سنة ٤٣٧ هـ وكان من أعظم ملوك الطوائف ، عالماً بالأدب . انظر ترجمته في البيان المغرب ٣/ ٢٢٠ ، الوافي بالوفيات ٣/ ٣٢٣ .

(٢) المغرب ٢/ ٤٠٧ .

(٣) ترجمته في البيان المغرب ٣/ ١٥٧ ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ٧٤

ولكن هذا الأمر في الواقع مجرد فرض ، فنحن لا نعرف حادثة واحدة وقعت بين أبي عمر وبين إقبال الدولة تدل على قطيعة أو جفاء ، ولسكننا لحسب نحاول استنتاج الأسباب التي دفعت أبا عمر إلى ترك مستقره في أقصى شرق الأندلس والهجرة إلى أقصى غربها ، وربما أمكننا القول بأن الحالة القلقة لدول ملوك الطوائف في الأندلس عموماً كانت تعكس ظلالها على نفوس الأدباء والعلماء ، فتجعلهم دائماً يبحثون عن المسكن الأكثر استقراراً والأشد طمأنينة ، وبالنسبة لأبي عمر خاصة فإن التجربة المريرة التي عاشها في قرطبة أثناء الفتنة البربرية تجعله أكثر حساسية من غيره في هذا الصدد .

لهذا لا نستبعد أن يكون قد قدر في نفسه أن دانية يحكمها حدث صغير تحيط به الأعداء من كل جانب ^(١) على حين يقوم في بطليوس دولة في طور التسكوين تتولى أمرها حاكم يتصف بالحزم والشجاعة ، فاحتمالات المستقبل بالنسبة لها أكبر وأفضل ، ولهذا فهو يقرر الهجرة إليها .

ويبدو أن أبا عمر قد استقبل في بطليوس استقبالاً كريماً ، وعرف له المظفر مكانته وفضله فولاه قضاء الأشبونة وشنترين وهما من أكبر مدن الأندلس ، ولسكننا لا نعرف بدء تاريخ توليه هذا المنصب ، ولا المدة التي قضاها فيه ، وإن كنا نرجح — بناء على ما كانت تتميز به طبيعة أبي عمر من هدوء وحب للاستقرار — أنه قضى فيه زمناً طويلاً ، استمر حتى وفاة المظفر سنة ٤٦٠ هـ .

أما الأعوام القليلة الباقية من عمره ، فقد قضاها متنقلاً في بلاد شرق الأندلس التي أحبها طول حياته ، فكان يتردد بين دانية وبلنسية وشاطبة ، وهذه الأخيرة مات فيها عام ٤٦٣ هـ ^(٢) بالغا من العمر خمسة وتسعين عاماً وخمسة أيام .

(١) سقطت دانية سنة ٤٦٨ هـ في يد المقتدر بن هود ، واضطر على بن مجاهد إلى الرحيل عنها إلى سرقسطة وأقام بها إلى أن توفي سنة ٤٧٤ هـ .

(٢) ذكر الحميدى في الجذوة وتابعه صاحب البقية ، أن ابن عبد البر توفي سنة ٤٦٠ هـ ، وليس هذا صحيحاً فقد ورد في كل المراجع الأخرى سنة وفاته التي ذكرناها بالتحديد ، ولعل خطأ الحميدى راجع إلى أنه كان في بغداد آنذاك ، وهو نفسه لا يورد كلامه بصيغة اليقين ، إذ يقول : بلغت وفاته سنة ٤٦٠ ، أقول : ثم إن المخطيب البغدادي الذي توفي هو وأبو عمر في سنة واحدة ، توفي سنة ٤٦٣ هـ بلا خلاف .

ومن المصادفات الغريبة أن يموت في نفس العام الخطيب البغدادي ، المؤرخ والمحدث المشهور وكان يعرف بحافظ المشرق ، فيقول الناس : مات حافظ المشرق والمغرب في سنة واحدة .

شخصيته وأخلاقه :

لعل أهم ما كان يمتاز به أبو عمر — رحمه الله — هو الدأب في طلب العلم والانقطاع إليه ، وصرف النظر عما عدا ذلك من أمور الدنيا ومغرياتها ، وحسبه منها أن تترك له مسكناً آمناً وملاً مستقراً ، يفرغ فيه إلى التقييد والتأليف ، أو يلتقى فيه بتلاميذه وراغبى علمه فإن توفر له ذلك فهو قادر على إعطاء الناس من جهده الدائب وعمله النشيط ، مالا يرجو عليه إلا ثواب الله وحن مكافأته ، وهو في هذه الناحية يكاد يرتفع إلى مرتبة الأنبياء الذين عناهم الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : « علماء أمتي كآلبياء بنى إسرائيل » .

وبذكر المؤرخون أنه كان : ديناً صيتاً حجة ثبناً ، ولعل ذلك من صفات يؤدي إلى صفات أخرى أهمها : طيبة القلب ، وتجرى الصدق ، وطهارة اليد والضمير ، وهى فى مجموعها الصفات التى تغلب على من يشتغلون بحديث الرسول الكريم ، وإيس أحق من أبى عمر بالاتصاف بها فقد كان شيخ حفاظ الحديث ومن أعظم من أنجبته الأندلس من رجالها فيه .

ولكن إذا كانت هذه الصفات فى مضمونها تحمل كثيراً من معنى المسألة والمواذعة ، فإنها فى الحقيقة لاتعنى التفريط فى الكرامة ، أو الاستهانة بقدر العلم .

وهذا ما كان يؤمن به أبو عمر ، ويحرص عليه طول حياته ، إذ كان مع ما يمتاز به من دماثة فى الخلق ، من أشد الناس حفاظاً على كرامته ، ومعرفة بقدر العلم ومكافأته .

أما احترام العلم فى مفهومه ، فقد كان يعنى أن يجعل الجهد فيه خالصاً لله ، موجهاً إلى التماس مرضاته .

وثمة حادثة تبين حرصه الشديد على التمسك بهذا المفهوم ، فالعروف أنه قضى مدة طويلة

في دانية ، في رعاية أميرها مجاهد العامري وكان مما يؤثر عن مجاهد أنه كان يميل كثيراً إلى ذكر اسمه في مقدمات مؤلفات العلماء باعتباره المشجع على تأليفها ، الحاث على إخراجها ، ولقد ذكره ابن سيده في مقدمة كتابيه « المحكم » و « المختص » ، ولا شك أن غيره ممن كانوا يظفرون بإكرام الأمير ورعايته فعل ذلك أيضاً . وتدل قصة ذكرها ابن حزم في رسالته التي أشرنا إليها قبل « في فضل علماء الأندلس » على مبالغ الحرص الشديد لدى مجاهد في هذه الناحية ، يقول ابن حزم : « وها هنا قصة لا ينبغي أن تخلو رسالتنا عنها وهي : أن أبا الوليد عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضي ، حدثني أن أبا الجيش مجاهداً العامري ، صاحب الجزائر ودانية ، وجه إلى أبي غالب ^(١) — أيام غابته على مرسية — وأبو غالب ساكن بها ، ألف دينار أندلسية على أن يزيد في ترجمة الكتاب المذكور » مما ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهداً « فرد الدنانير ، وأبى من ذلك . ولم يفتح في ذلك باباً ألبته ، وقال : « والله لو بذل لي الدنيا على ذلك ما فعلت ، ولا استجزت الكذب ، لأنني لم أجمعه له خاصة بل لكل طالب عامة » .

وكذلك كان أبو عمر ، إذا لم تر له ، والثابت أنه ألف معظم كتبه ، والمهمة منها بصفة خاصة في دانية . كتاباً واحداً يرد فيها ذكر مجاهد أو الإشارة إليه .

قد تكون هناك بعض الكتب والرسائل الصغيرة مما لم يصل إلينا من مؤلفات ابن عبد البر قد جاء فيها ذكر ذلك الأمير ، ولكننا لا نعتقد أن هذا — إن كان قد وقع — مما يمكن أن يقنع به مجاهد . أو حتى يشرف به . باعتباره عملاً كبيراً أشار بتنفيذه . والغالب أن هذا كان مبدأ أبي عمر فما لم يفعله في الكبيرة لم يفعله في الصغيرة . وبين أيدينا ثلاثة من كتبه الصغيرة التي طبعت وهي : القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ، والإنباه على قبائل الرواة ، والانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء . ليس فيها ذكر أحد . وكذلك كتبه الكبيرة كالتمهيد والاستيعاب وبهجة المجالس لا نرى فيها إلا ذكر الله وحده ، والتقرب بها إلى مرضاته .

(١) هو تمام بن غالب المعروف بابن التيان ، أبو غالب المرسى ، ترجمته في الجذوة ١٧٢ النية ٢٣٦ ، أما هذا الكتاب المذكور في الحرف فهو كتابه « المواعظ » في اللغة .

وكما وقر أبو عمر العلم ، وترفع به عن أن يكون مقصوداً به غير وجه الله ، كذلك وقره العلم وكرمه ، ورفع من شأنه بين العامة والخاصة ، فكان مهابة حتى بين أيدى الطغاة والجبابرة .

ولقد حدث أن وصل ابن لأبي عمر وهو المعروف بأبي محمد بن عبد البر^(١) إلى مرتبة الوزارة في إشبيلية لدى ملكها المعتضد بن عباد^(٢) ، وكان المعتضد ممن عرفوا بالسطوة والتجبر حتى يقال إنه جعل في حديقة قصره أعمدة على هيئة الأشجار طلعها رموس أعدائه وأوراقها آذانهم ، وقد حدث أن غضب المعتضد على كاتبه ووزيره أبي محمد بن عبد البر ، وأمر بإلقائه في غياهب سجنه .

ويذكر ابن الأبار هذه الحادثة ثم يقول : « سمعت بعض شيوخى يحكى أن أباه الإمام أبا عمر بن عبد البر سار في أمره من مستقره بشرق الأندلس ، وهو حينئذ يتردد بين بلنسية وشاطبة فلأول دخوله على عباد نادى رافعاً صوته : ابني يا معتضد ، ابني يا معتضد . فشفعه فيه وانصرفا عنه محفوفين بالإكرام ، ومكتوفين بالاحترام »^(٣) .

ولا شك أن ذلك المعفو السريع ، ما كان لينزع من بين فكي المعتضد ، لولا هيبة العلم ووقار الورع ، قد أجبرا الطاغية على الرضوخ لهما ، والاستسلام العاجل لأمرها .

شيوخه :

امتازت ثقافة أبي عمر بالأصالة والعمق وكثرة تنوعها ووفرة مصادرها ، ويبدو هذا واضحاً في مؤلفاته العديدة التي تمتاز من حيث موضوعاتها بالإحاطة والشمول ، كما تمتاز من حيث المادة بالوفرة والدسامة ، حتى لنحس عند قراءتها بأن المؤلف يستمد ما يذكره فيها من معين لا يلضب من رواياته وسماعاته ، وبأنه لا يتكلف جهداً كبيراً في الإحاطة بموضوعه ، وطرق جوانبه المتعددة في سهولة ويسر .

(١) ترجمته في الجندوة ٢٤٩ .

(٢) ترجمته في البيان المغرب ٣/٢٠٤ ، وفيات الأعيان ٢/٢٨ ، شذرات الذهب ١/٣١٦ ، جذوة المقتبس ٢٧٧ .

(٣) إعتاب الكتائب لابن الأبار ٢٢١ .

والواقع أن ذلك لم يتأت لأبي عمر إلا نتيجة لجهده المتواصل في التلقى عن العلماء والدأب الذي لا يسكل في القراءة والاطلاع .

وثمة ناحية معروفة شهيرة في حياة ابن عبد البر ، وهي أنه لم يرحل إلى المشرق في طلب العلم كمادة العلماء الأندلسيين ، مع أن هذه الرحلة كانت مما يرفع من شأن العالم بين أقرانه ويجعل له بينهم منزلة خاصة ، والواقع أننا لا نعرف أية ظروف حالت بينه وبين ذلك ، وإن كان يمكننا أن نؤكد أنها ظروف خارجة عن إرادته ، إذ أن الرجل عاش طول حياته بعد ذلك يعوض ما اعتبره نقصاً فيه ، وذلك بالحرص على مقابلة من زحل إلى المشرق من العلماء ، والتلقى عنهم ما استمعوا إليه من علم ، وتلك ظاهرة واضحة تمام الوضوح ، تكفي النظرة العاجلة إلى كتاب جذوة المقتبس للحميدى ، لإثبات صحتها ، فقد ذكر الحميدى عدداً كبيراً من تراجم العلماء الذين رحلوا إلى المشرق ، والعجيب أنه لا تكاد تخلو ترجمة منها عن ذكر : أن أبا عمر استمع على صاحبها ، وقرأ عليه كتاب كذا وكذا من المؤلفات الشرقية .

وهكذا فإن ما اعتبره أبو عمر نقصاً وشراً بالنسبة إليه ، كان في الحقيقة خيراً وبركة ، إذ أنه حرص على تقييد ماتلقاه وإثباته في مؤلفاته ، ربما أكثر من حرص هؤلاء العلماء أنفسهم على تقييده وإثباته .

وعلى أية حال ، فأمامنا الآن جملة وافرة من شيوخ أبي عمر ، يمكن أن نقسمهم إلى قسمين :

١ — الشيوخ الذين تلقى عنهم في نشأته ، ولازمهم ملازمة طويلة ، وكان لهم أثر في تحديد اتجاهه العلمي في المستقبل .

٢ — الشيوخ الذين تلقى عنهم لفترة من الوقت ، وكانت تتوفر فيهم خاصية صفة الرحيل إلى المشرق .

أما القسم الأول من العلماء ، فمنهم :

١ — عبد الله بن محمد يوسف ، المعروف بابن الفرضي ، أبو الوليد القاضي ، صاحب تاريخ

العلماء والرواة بالأندلس ، كان حافظاً متقناً ، عالماً ذا حظ وافر من الأدب ، له رحلة طويلة في بلاد المشرق في طلب العلم ، وقد سمع على جلة من المشايخ بمصر وإفريقية ومكة .

قرأ عليه أبو عمر : كتابه في التاريخ ، وكتابه المؤلف والمختلف في أسماء الرجال ، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه ، وكتاب المنبه لذوى الفطن على غوائل الفن لأبي الحسن القابسي^(١) .

٣ — أحمد بن محمد بن عبد الله المقرئ الطائفي ، أبو عمر ، محدث منسوب إلى بلده ، كان إماماً في القراءات ، وثقة في الرواية . رحل إلى المشرق رحلة طويلة ، وسمع على عدد وافر من العلماء بالأندلس والمشرق ، شيخ أبي عمر في القراءات والحديث^(٢) .

٣ — أحمد بن عبد الملك بن هاشم ، أبو عمر ، المعروف بابن المكوي الإشبيلي ، كان فقيهاً معظماً ، ومفتياً مقدماً على جميع من إليه الفتوى بقرطبة ، جمع هو وأبو مروان المعيطي الفقيه كتاباً ضخماً في أقاويل مالك رحمه الله ، لازمه أبو عمر مدة طويلة وكتب بين يديه^(٣) .

٤ — عبد الوارث بن سفيان بن جبرون ، من تلاميذ قاسم بن أصبغ البلياني^(٤) ومن أشهر أهل قرطبة بصحبته حتى يقال إنه قلما فاتته شيء مما قرئ عليه .

لازمه أبو عمر مدة طويلة ، وقرأ عليه : مصنف قاسم بن أصبغ في السنن ، ومصنف وكيع ابن الجراح ، وكتابه المعارف وشرح غريب الحديث لابن قتيبة^(٥) .

٥ — سعيد بن نصر ، أبو عثمان ، محدث فاضل أديب ، كان من أهل الدين والورع والفضل معرباً فصيحاً ، قرأ عليه أبو عمر كتاب المجتبى لقاسم بن أصبغ^(٦) .

(١) الجذوة ٢٠٧ .

(٢) المصدر نفسه : ١٠٦ .

(٣) المصدر نفسه ١٢٣ .

(٤) إمام من أئمة الحديث ، حافظ مسكّن ، مصنف ،

وكان من الثقة والعلم بحيث اشتهر أمره وعلا ذكره وقد روى عنه جماعة من أكابر علماء بلده ، توفي سنة ٣٤٠ هـ الجذوة ٣١٢ .

(٥) الجذوة ٢٧٦ .

(٦) المصدر نفسه : ٢١٨ .

٦ — أحمد بن فتح بن عبد الله التاجر ، رحل إلى مصر وإفريقية وسمع على جلة من علمائها ، قرأ عليه أبو عمر كتاب الدار ومقتل عثمان لعمر بن شبة النميري في سبعة أجزاء^(١) .

٧ — أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي البزاز ، كان ثقة فاضلا ، اختص بالقاضي منذر بن سعيد البلوطي وسمع منه تواليفه كلها .

سمع منه أبو عمر كتب أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ومنها : صريح السنة وفضائل الجهاد ورسائله إلى أهل طبرستان المعروفة بالتبصير^(٢) .

٨ — يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث ، أبو الوليد ، قاضي الجماعة بقرطبة ، يعرف بابن الصفار ، من أعيان أهل العلم ، كان زاهداً فاضلاً يميل إلى التحقيق والتصوف ، وله فيه مصنفات . قرأ عليه أبو عمر كتبه : المنقطعين إلى الله عز وجل ، كتاب التهجدين ، كتاب النسيب والتقريب ، وسمع منه كذلك أشعاره في الرقائق والزهد^(٣) .

٩ — أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد ، المعروف بابن الجسور ، محدث مكثّر مؤرخ ، قرأ عليه التاريخ المعروف بذيّل المذيل لأبي جعفر بن جرير الطبري^(٤) .

١٠ — خلف بن قاسم بن سهل ويقال ابن سهلون ، المعروف بابن الدباغ ، كان محدثاً مكثراً حافظاً ، رحل إلى مصر ومكة والشام ، وسمع عدداً من علماء هذه البلاد لا يحصون كثرة ، ويقول الحميدى : سمع عنه شيخنا أبو عمر الحافظ فأكثر ، وكان لا يقدم عليه من شيوخه أحداً ، وذكره لنا فقال : أما خلف بن القاسم بن سهل الحافظ فشيخ لنا وشيخ لشيخنا أبي الوليد بن الفرضي وغيره ، كتب بالشرق عن نحو ثلاثمائة رجل ، وكان من أعلم الناس برجال الحديث وأكتبهم له^(٥) .

هؤلاء هم من نستطيع أن نقول : إنهم شيوخ ابن عبد البر الذين تلقى عنهم في مطلع حياته ،

(١) الجذوة ١٣٢ .

(٢) المصدر نفسه : ١٣٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٩٢ .

(٤) المصدر نفسه : ٩٩ .

(٥) المصدر نفسه : ١٩٥ .

ولازمهم مدة طويلة حتى تأثر بهم في منهج تفكيرهم ، واكتسب منهم ثقافته العلمية ، والملاحظ أنهم جميعاً من رجال الحديث والفقه والتاريخ والقراءات ، وهى العلوم التى قامت عليها أساساً مؤلفات ابن عبد البر . وعليها انبنت شهرته .

وبالإضافة إلى هؤلاء هناك رجال القسم الثانى الذى أشرنا إليه من قبل ممن تلقى عنهم أبو عمر وهم فى الحقيقة لا يقلون أهمية عن ذكرنا فى مسدى استفادته منهم ، ونخص منهم بالذكر :

١ — أحمد بن قاسم بن عيسى ، أبو العباس المقرئ الأتليشى . له رحلة إلى بغداد وغيرها . ويقول أبو عمر عنه : إنه سمع من أبي القاسم عبد الله بن محمد بن حبابة حديث على بن الجعد وسمعناه منه . وكتبت عنه منشوراً كثيراً ، وكتب عنى رحمه الله^(١) .

٢ — إسماعيل بن عبد الرحمن ، أبو القرشى العامرى ، ولد فى مصر ، وسمع جماعة من أكابر علمائها ، ثم قدم الأندلس فسكن إشبيلية سنين كثيرة قبل موت المنصور بن أبى عامر . قال أبو عمر : حدثنا إسماعيل بن عبد الرحمن بكتاب أبى إسحاق بن شعبان فى مختصر ما ليس فى مختصر ابن عبد الحكم ، وبكتابه فى الأشربة ، وبكتابه فى النساء عن أبى إسحاق سمعاً عنه^(٢) .

٣ — سلمة بن سعيد الأستجى ، محدث له رحلة ، سمع منه أبو عمر كتاب : التأمين خلف الإمام ، وشرح قصيدة ابن أبى داود ، عن أبى بكر الأجرى من علماء مكة وهما من تأليفه^(٣) .

٤ — عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الجهنى البزاز ، سمع بالأندلس ، ورجل ، فسمع بالحجاز ومصر والشام جماعة . سمع منه أبو عمر مصنف أبى عبد الرحمن بن شعيب النسائى^(٤) .

(٢) المصدر نفسه ١٥٣ .

(٤) المصدر نفسه ٢٣٤ .

(١) الجذوة : ١٣٣ .

(٣) المصدر نفسه ٢١٩ .

٥ — عبدالله بن محمد بن عبد المؤمن ، رحل إلى العراق وغيرها وسمع كثيراً من مشهورى العلماء بالمشرق ، روى عنه أبو عمر كثيراً^(١) .

٦ — عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمداني الوهراني ، محدث ثقة ، رحل إلى العراق وغيرها^(٢) .

٧ — عبد الرحمن بن مروان القنـّـازى أبوالمطـّـرف ، له رحلة إلى المشرق سمع فيها من بعض أصحاب البغوى ، روى عنه أبو عمر^(٣) .

٨ — عبدالرحمن بن يحيى بن محمد ، أبوزيد العطار ، رحل إلى المشرق ، وسمع منه أبو عمر جامع ابن وهب^(٤) .

٩ — عبد العزيز بن أحمد النحوى ، أبو الأصبغ ، ويعرف بالأخفش ، قرأ عليه أبو عمر كتباً في النحو والأدب ، له رحلة إلى المشرق^(٥) .

١٠ — على بن إبراهيم بن حمويه الشيرازى ، أبو الحسن ، قدم الأندلس ، وحدث بها ، وروى عنه أبو عمر^(٦) .

هؤلاء قليل من كثير ممن قرأ عليهم أبو عمر وروى عنهم ، والواقع أن حصر الشيوخ الذين قرأ عليهم المصنف مما لا يتيسر بسهولة ويسر ، إذ هو كما يقول الحميدى : قديم السماع كثير الشيوخ ، ولعل فيمن ذكرناه منهم دليلاً كافياً على اجتهد أبى عمر ودأبه في طلب العلم وعلى أنه من ناحية أخرى لم يستحق لقب حافظ الأندلس وغيره من ألقاب التشريف التى خلعها عليه المؤرخون عبثاً ، إذ أننا فى الحقيقة لا نرى مثله فى الحرص على العلم والاستكثار منه ، فى كل من ترجم لهم الحميدى من العلماء سوى واحداً آخر هو ابن حزم الذى يفخر هو نفسه بأنه عاصر واحداً من الأئمة المجتهدين هو أبو عمر بن عبد البر^(٧) .

(٢) المصدر نفسه ٢٥٦ .

(٤) المصدر نفسه ٢٦١ .

(٦) المصدر نفسه ٢٩٤ .

(١) الجنوة : ٢٣٥ .

(٣) المصدر نفسه ٢٦٠ .

(٥) المصدر نفسه ٢٦٩ .

(٧) انظر جوامع السيرة لابن حزم ، تحقيق الدكتورين إحسان عباس وناصر الدين الأشدى ص ٣٣٥ .

مؤلفاته :

يقول ابن خلكان : « كان أبو عمر — رحمه الله — موفقاً في التأليف معاناً عليه ، وقد نفع الله بكتبه »^(١) والواقع أن هذا صحيح تماماً ، فقد ترك لأبو عمر مكتبة قيمة من مؤلفاته ، تشمل علوم الفقه والحديث والتاريخ والسير والأنساب والأدب وغيرها .

وهذه المؤلفات بعضها موسوعات ذات أجزاء كثيرة ، وبعضها رسائل صغيرة يمكننا أن نورد لها ثبتاً فيما يلي :

١ — التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، موسوعة في فقه الحديث ، تقع في عشرين مجلداً ، أو سبعين جزءاً كما يقول الحميدى . ويصف ابن حزم هذا الكتاب بقوله : « التمهيد لصاحبنا أبي عمر ، لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلاً ، فكيف أحسن منه » ويذكره أبو عمر نفسه بهذه الأبيات :

سمير فؤادى من ثلاثين حجة وساقل ذهنى والمفرج عن همى
بسطات لهم فيه من كلام نبيهم لما فى معانيه من الفقه والعلم
وفيه من الأداب ما يهتدى به إلى البر والتقوى ونهى عن الظلم^(٢)

ولا يزال هذا الكتاب ينتظر الطبع ، وتوجد أجزاءه المخطوطة في معهد المخطوطات ، ودار الكتب المصرية .

٢ — الاستيعاب في طبقات الأصحاب ، صنفه في أسماء المذكورين في الروايات والسير والمصنفات من الصحابة رضى الله عنهم ، والتعريف بهم وتلخيص أحوالهم ومنازلهم وعيون أخبارهم ، في اثني عشر مجلداً ، وقد طبع في حيدر أباد الدكن في مجلدين سنة ١٣١٩ هـ وطبع مؤخراً مرتباً على حروف المعجم بتحقيق الأستاذ على البجاوى .

(١) وفيات الأعيان ٦/٦٠ .

(٢) انظر رسالة ابن حزم في فضائل الأندلس ، وانظر وفيات الأعيان بالرقم السابق .

٣ — جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغى فى روايته وحمله . وهو فى الآداب الشرعية والتاريخ ، ويشتمل فى تضاعيفه على ثمانية وثمانين ومائتى ترجمة لبعض الشعراء والأدباء والفقهاء ، طبع مرتين ، الأولى مجرداً عن الإسناد باسم « مختصر جامع بيان العلم » فى جزء واحد اختصره أحمد بن عمر الحصانى البهرونى الأزهرى بالقاهرة سنة ١٣٢٠ هـ والثانية فى جزئين فى (المطبعة المنيرية) سنة ١٣٤٦ هـ بالقاهرة .

٤ — الإنصاف فيما فى بسم الله من الخلاف ، طبع بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ^(١) .

٥ — الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء : مالك والشافعى وأبى حنيفة رضى الله عنهم وذكر عيون من أخبارهم وأخبار أصحابهم ، طبع بمطبعة القدس سنة ١٣٥٠ هـ بالقاهرة .

٦ — الإنباه على قبائل الرواة ، نشره القدسى سنة ١٣٥٠ هـ بالقاهرة .

٧ -- القصد والأمم فى التعريف بأصول العرب والمعجم ، رسالة صغيرة فى الأنساب ، طبعها حسام القدسى سنة ١٣٥٠ هـ مع الكتاب السابق ، وقد لقيت هذه الرسالة عناية من المستشرقين ، ودرسها كراتشكوفسكى فى كتابه تاريخ الأدب الجغرافى عند العرب دراسة ممتازة ونقل عن نولده أنه يعتقد أن هذه الرسالة ذيل لكتاب كبير فى الأنساب^(٢) .

٨ — الدرر فى اختصار المغازى والسير ، وهو مختصر السيرة النبوية لابن هشام ، ويوجد مخطوطاً فى دار الكتب وهو تحت الطبع بتحقيق الدكتور شوقى ضيف .

٩ — أخبار أئمة الأمصار سبعة أجزاء ، ذكره الحميدى فى الجذوة ، والضبى فى البقية .

١٠ — السكافى فى الفقه على مذهب أهل المدينة ستة عشر جزءاً ، ذكره الحميدى وابن خبير الإشبيلى والضبى ، ويوجد مخطوطاً فى الفاتيكان والمدينة .

١١ — اختلاف أصحاب مالك بن أنس ، واختلاف رواياتهم عنه ، أربعة وعشرون جزءاً ذكره الحميدى والضبى .

١٢ — الاستذكار فى شرح مذاهب علماء الأمصار . توجد منه أجزاء مخطوطة فى دار الكتب المصرية .

(١) ذكر هذا الكتاب فى بروكلمان باسم : الإنصاف فيما بين العلماء من الاختلاف ، وهو بهذا الاسم أيضاً فى كشف الظنون .

(٢) تاريخ الأدب الجغرافى العربى ترجمة صلاح الدين عثمان هادى ٢٧٣/١

- ١٣ — رسالة أدب المجالسة وخوض اللسان . مخطوطة في دار الكتب .
- ١٤ — شرح زهديات أبي العتاهية ، توجد مخطوطة منه بمكتبة عارف حكمت بالمدينة ،
منها نسخة في معهد المخطوطات .
- ١٥ — نزهة المستمعين ، وروضة الخائفين ، مخطوطة في الفانيكان .
- ١٦ — الشواهد في إثبات خبر الواحد ، ذكره الحميدى والضبي .
- ١٧ — التقصى لما في الموطأ من حديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أجزاء . ذكره
الحميدى والضبي .
- ١٨ — العقل والعقلاء ، وما جاء في أوصافهم عن الحكماء والعلماء . جزء واحد ذكره
الحميدى والضبي وابن فرحون .
- ١٩ — أسماء المعروفين بالسكنى ، سبعة أجزاء .
- ٢٠ — البستان في الأخدان .
- ٢١ — الأجوبة الموعبة في الأسئلة المستغربة . ذكره صاحب كشف الظنون .
- ٢٢ — اختصار التحرير ، واختصار التمييز لمسلم .
- ٢٣ — الإشراف في الفرائض . ذكره صاحب كشف الظنون .
- ٢٤ — اختصار تاريخ أحمد بن سعيد^(١) ذكره الحميدى والضبي .
- ٢٥ — الاكتفا في قراءة نافع وأبي عمرو بن العلاء والحجة لكل منهما . ذكره
الحميدى والضبي .

(١) هو أحمد بن سعيد بن حزم الصوفي المنتجيل ، أبو عمر ، ألف في تاريخ الرجال كتاباً كبيراً جمع فيه
كل ما أمكنه من أقوال الناس في أهل العدالة والتجريح ، هو هذا الذي اختصره أبو عمر . الجذوة ١١٧ .

٢٦ — جمهرة الأنساب ذكره ابن فرحون ، وابن خلكان .

٢٧ — التجريد ، والمدخل إلى علم القراءات بالتجويد ، ذكره الحميدى والضبى .

٢٨ — البيان عن تلاوة القرآن ، ذكره الحميدى والضبى .

٢٩ — فهرست شيوخه .

٣٠ — وأخيراً : بهجة المجالس . وأنس المجالس ، هذا الكتاب الذى بين أيديها اليوم .

بهجة المجالس وأنس المجالس^(١) :

هذا الكتاب يأبى به أبو عمر ألا أن يثبت أنه لم يأل جهداً فى خدمة العلم وتقييده والحفاظ عليه ، فمن بين مهامه الكبيرة ومشاغله المتعددة فى علوم الحديث ورجاله وأنسابهم ، وما يتعلق بذلك من الجرح والتعديل ، ثم الفقه ومسائله وتفريعاته وما يتعلق به من أحكام ، والتدريس للطلبة وما يستلزمه من وقت وجهد ، يجد أبو عمر فسحة من الوقت ليسجل فيها خلاصة قراءاته فى الأدب ، مجموعة ليست فى كتيب صغير ، بل فى مجلدين كبيرين ، فيثبت بذلك أنه على حد قول ابن سعيد : فى حلبة الأدب فارس ، وكفاك دليلاً كتابه بهجة المجالس^(٢) .

والواقع أننا يمكن أن نعتبر هذا الكتاب مثلاً من الأمثلة التى ضربها لنا العلماء المسلمون فى استغلال كل طاقاتهم الممكنة فى خدمة العلم ، واعتبار أنفسهم جنوداً فى ميدانه ، يجب عليهم أن يقدموا كل ما فى جعبتهم منه للأجيال القادمة تأدية منهم لحق الأمانة نحو الحفاظ عليه وتنميته .

ولقد كان أبو عمر من رجال الحديث والفقه ، ولكنه على ما يبدو وجد لديه ذخيرة كبيرة من نماذج الأدب الثمينة التى قرأها أو سمعها على شيوخه ممن جابوا أقطار الأرض فى طلبها فرأى أن يسجل من هذا كله أشرفه وأطرفه هدية خالصة من جهده لجيله ، ولن يأتى بعده من أجيال العربية .

(١) طبعت مقتطفات منه مع كتاب الأدب الكبير لابن المقفع فى كتاب بعنوان جواهر الحكماء الحقى بالجلد الخامس من مجلة المحيط سنة ١٩٠٧ بالقاهرة .

(٢) العرب ٤٠٨/٢ .

ولقد رسم أبو عمر غاية من كتابه ومنهجه فيه . أما من حيث الغاية فيمكننا أن نقول إنه قصد فيه إلى ثلاثة أشياء :

أولاً : أن معرفة الأدب في حد ذاتها قريبة إلى الله ، وهي أولى ما يجب أن يعنى به الطالب بمسد الوقوف على معانى السنة والكتاب . فهي : « تبعث على المكارم وتنهى عن الدنيا والمحارم » .

ثانياً : أن في جمع « نواذر العرب وأمثالها وأجوبتها ومقاطعها . ومهادنها وفصولها ما يبعث على امتثال طرقهم واحتذائها » .

ثالثاً : « أنها زين لمن حفظها في مجالسه . وأنس لجالسه . وشجع لذهنه وهاجسه »^(١) .

ويمكننا أن نضيف إلى ما ذكره أبو عمر ، أن كتابه هذا والكتب الأدبية الأخبارية الكثيرة التي على شاكلته قصد بها المؤلفون العرب إلى هدف سام آخر . وهو تربية الملكة العربية ، وتحبيب اللغة إلى الدارسين وترجية أوقات فراغهم بالمفيد المجدى من لغة العرب وأساليبهم وأخبارهم وسمرهم وحكمهم وأمثالهم والمختار من أشعارهم .

ونعود مرة ثانية إلى الكتاب فنقول : أما من حيث منهج الكتاب فإنه بسيط لا تعقيد فيه إذ أن المصنف قسم كتابه إلى عدد من الأبواب بلغ مائة واثنين وثلاثين باباً ، كل منها يضم معنى من معانى الدين أو الدنيا ، ثم هو يفتح الباب بآية من القرآن إن تيسر ، ثم بحديث من أحاديث الرسول إن تيسر كذلك ، ثم يورد من أشعار العرب وحكمها ، أو ما أثر عن غيرهم من العجم والروم من كل ما قيل في هذا المعنى أو اتصل به .

والواقع أنه بذلك يتبع إلى حد كبير منهج ابن فتيبة في عيون الأخبار ، أو ابن عبد ربه في العقد الفريد ، ولكنه يزيد عليهما أنه يذكر في الباب الواحد منه المعنى وضده : « ليسكون أبلغ

(١) انظر مقدمة المؤلف فيما يلي بعد

وأشفي وأمتع^(١) » وهو من هذه الناحية يسكاد يشبه كتاب المحاسن والأضداد المنسوب إلى الجاحظ .

ونأتى إلى مادة الكتاب فنقول : إن أبا عمر استقاه من عدد ضخم من المصادر ، بعضها معروف تماماً والآخر فقد ولا نعرف عنه شيئاً . أما تلك المعروفة فهي تشمل : كتب ابن قتيبة وخاصة عيون الأخبار والمعارف والشعر والشعراء . وكتب الجاحظ : البيان والتبيين والحيوان ، وكتاب أبي حيان التوحيدى فى الصداقة والصديق ، وحماسة أبي تمام ودواوين معظم الشعراء المشهورين وغير المشهورين مما وجد منها فى عصره ، ثم الموسوعتين الكبيرتين تفسير الطبرى وتاريخه ، وهذه المصادر واضحة تمام الوضوح بحيث تحتاج إلى أبسر الجهد لمعرفة مواضعها فى الكتاب .

ومن الملاحظ أن مادة الكتاب فى معظمها مادة مشرقية ، ولكن الكتاب إلى جانب ذلك يمتاز بعدد من المزايا الهامة ، نستطيع أن نورد بعضها فيما يلى :

١ — أنه أورد قدراً ممتازاً من شعر الشعراء الأندلسيين ، كيجي بن حكم الفزال ، ويوسف بن هارون السكندى الرمادى ، وأبى القاسم محمد بن نصير الكاتب ، وابن عبد ربه وغيرهم ، لا يوجد فى أية مصادر أخرى .

٢ — أنه حفظ لنا مادة مشرقية فقدت مصادرهما فى المشرق نفسه . ولم تصل إلينا إلا عن طريقه ، ومن أهم ذلك : شعر منصور الفقيه الأديب المصرى الوطن^(٢) . الذى كان شعره مشهوراً فى الأندلس فى ذلك الحين ، وقد أورد له الكتاب كمية وافرة من شعره نصلح أن تكون له ديواناً ، أو على الأقل تعطى فكرة كاملة وصحيحة عن شعره يمكن على ضوءها دراسته . وهذا القول يمكن أن ينطبق أيضاً على ما أورده فى الكتاب للشاعر البغدادى محمود الوراق .

(١) انظر مقدمة المؤلف .

(٢) سوف ترد ترجمته ومن بعده فى أماكنها من الكتاب .

ثم هناك أشعار لأبي العتاهية ذكرها ابن عبد البر هنا ولم ترد في الديوان المطبوع ، وأشعار لم تنشر من قبل لأبي بكر العرزمي وكشاجم والناشيء الأكبر وخالد بن يزيد السكاتب وسعيد ابن حميد ، وسهل الوراق ، وأبي الفرج البغفاء ، والحسن البصري وغيرهم .

٣ - أن الكتاب هام ومفيد لدراسة تطور الأدب الأندلسي في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، ومعرفة السكتب وألوان الثقافة الشرقية التي وصلت إلى الأندلس حينذاك .

ومن الملاحظ أن الأدب الأندلسي في هذه الفترة كانت تغلب عليه ظاهرتان واختتان :

الأولى : غلبة الثقافة الشرقية عليه والثانية : طابع الزهد والتصوف الفاشيين فيه وكلاهما واضح تمام الوضوح في كتابنا هذا . وقد درس الباحثون هاتين الظاهرتين بكثير من العناية^(١) ويمكن أن يقدم كتابنا في هذا الصدد معلومات أوفى تزيد الدراسات جلاء ووضوحاً .

على أننا يجب أن نشير إلى بعض الملاحظات الهامة بالنسبة لعمل المصنف في الكتاب إذ المعروف أن كتب المختارات الأدبية ومن بينها كتابنا هذا تسير على نسق واحد من حيث اختيار مآثور الحكم والأشعار ويمتاز كل منها بأنه تبدو فيه شخصية المؤلف وميوله الأدبية من اختياراته ، ومن بعض الآراء التي يعقب فيها على بعض الأخبار .

ويمكننا أن نقول : إن شخصية ابن عبد البر تبدو واضحة فيما يلي :

أولاً : ميله الشديد إلى العبارات المهذبة ، والألفاظ التي لا تجرح الحياء ، ونادراً ما تجد في كتابه هذا حكاية فاحشة ، أو لفظاً ساقطاً .

ثانياً : حرصه على استقصاء المعنى وإيراد عدد وافر مما قيل فيه نظماً ونثراً ، مع تكة الشواهد التي وردت في الكتب الأخرى إن كانت لها مناسبة بالمعنى ، إما بإيراد بعض الأبيات قبلها أو بعدها ، وقد أشرنا في تعليقاتنا في الهوامش على أمثلة من هذا .

(١) انظر كتابه تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة لوطبة) للدكتور إحسان عباس .

ثالثاً : نقده لبعض الأخبار التي وردت في الكتب وشهرت بين الناس ، كفقده لما روي عن مجيء وفد ملك الروم إلى معاوية وفيه رجلان أحدهما طويل والآخر أيد ، فندب لخالتهما قيس بن سعد الأنصاري ، ومحمد بن الحنفية ، أما قيس وكان طويلاً بين الرجال فإنه خلع سراويله في مجلس معاوية وألقى بها إلى الرومي فلما لبسها لم تبلع ثنودته ، وأما ابن الحنفية فإنه عرض على الرومي إما أن يقعد هو ويقيم الرومي أو يقعد الرومي ويقيم هو ، فلما قعد محمد لم يستطع أن يقيم الرومي ... إلى آخر ما ورد في هذه القصة ، ويعقب عليها ابن عبد البر بأنها في رأيه منكورة وليست بصحيحة ولا لها أصل لأنها تخالف أخلاق قيس ومحمد ، وليس فيها كبير فائدة لمنزلتهما .

وكنفقده لما ورد في كتاب الجان للجاحظ عن الغيلان وظهورها لبني آدم وزواج بعضهم منها فهو يقول عن ذلك : إنها من دعايات عمرو بن بحر ومجونه . إلى غير ذلك مما تراه مغرقاً في مواضع مختلفة من الكتاب .

إلا أننا مع تقديرنا لهذه النقذات الصائبة ، نلاحظ أنه يورد كثيراً من الأخبار الأسطورية التي لا يقبلها عقل في كتابه ، وغالباً ما يكون ذلك في القصص التاريخية المتداولة ، ومثال ذلك ما أورده من قصة اليهودي الذي كان كلما فتح المصحف (كذا) وقرأ فيه : « بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار ... الخ » يدعو الله ويقول : رب أرني من جعلت خراب بني إسرائيل على يديه ، حتى أوحى الله إليه بأوصاف يختصر الموجود بأرض بابل فذهب إليه ... الخ . فأى مصحف هذا الذي كان موجوداً على عهد مختصر . ؟ .

ومثل ذلك مما لا يقبله العقل من أخبار المعمرين الذين عاش بعضهم ثلاثمائة سنة وبعضهم أكثر .

ولكن على أية حال نرى أن ما أورده أبو عمر في كتابه من مثل هذه الأخبار المنقولة عن الكتب الأدبية ، لا يمد شيئاً بالنسبة لما ورد في الكتب الأخرى من أمثالها ، وحسبنا أن نقرأ صفحات مما ورد في كتب ابن قتيبة والجاحظ والمبرد والطبري لنرى أي قصص يملأ بطون هذه الكتب ، وبخاصة في ما ورد من القصص والنقول الأسطورية الموهلة في القدم .

المخطوطات ومنهج التحقيق :

كانت النسخ التي عثرت عليها للكتاب أولاً نسختين :

الأولى : نسخة دار الكتب ، وهي ملفقة من نسختين :

(أ) القسم الأول : يحتوي على الجزئين الأول والثاني ، بدار الكتب رقم ١٣٦٦ أدب مصورة معهد المخطوطات رقم ٩٨ ، وهذه النسخة كتبت سنة ١٣١٣ هـ ، نقلا عن نسخة محفوظة أيضاً في دار الكتب تحت رقم ٣٤٢ أدب ، وهذه الأخيرة كتبت سنة ٩١٥ هـ بخط مغربي حسن إلا أنها أصبحت في حالة شديدة من التلف والتآكل ، مما جعل المشرفون على المخطوطات ينسخونها في النسخة الأولى ، ولكن بعد فوات الأوان إذ أن الناسخ لم يستطع بالطبع نقل ما ناف منها نازك مكانه خالياً ، وبقي هذا القسم حتى الآن على الرغم من إعادة نسخه مرة ثانية في مخطوطة أخرى محفوظة برقم ١٩٦٣ أدب ، لا يمكن الاعتماد عليه في نشر الكتاب وإن أمكن اعتبار الموجود منه مرجعاً لقراءة ما تعسر قراءته في النسخ الأخرى .

(ب) القسم الثاني : ويحتوي على الجزئين الثالث والرابع من الكتاب في مجلد واحد وهذا القسم من نسخة أخرى كتبت سنة ٦٧٧ هـ ، بخط نسخ جيد واضح مضبوط بالشكل ويقع كاملاً في مائة وخمس وثمانين ورقة ، ويمد بالمقارنة إلى النسخ الأخرى ، أدق وأكمل نسخ الكتاب وإن عابه اضطراب بعض الصفحات في أوله ووضع بعضها مكان بعض ، وهو عيب طفيف أمكن علاجه بالمقارنة بالنسخ الأخرى .

النسخة الثانية : وهي نسخة مراد ملا باسنابول رقم ١٤٨٧ ، مصورة معهد المخطوطات رقم ١٠٠ أدب وهذه النسخة نسخة خزائية قيمة ، كتبت سنة ٧٩٣ هـ برسم خزانة الملك أبي العباس علي بن رسول الفسائي ملك اليمن ، وهي أربعة أجزاء في مجلد يبلغ عدد صفحاته ٢٦٥ صحيفة وتعتبر هذه كاملة تماماً ولا يعيبها إلا أن الناسخ تصرف في بعض الألفاظ والجل التي عسرت عليه قراءتها في النص بألفاظ وجهل من عنده .

النسخة الثالثة : نسخة رواق المغاربة بالجامع الأزهر . وهذه عثرتنا عليها أخيراً ولم نتمكن

من الاطلاع عليها إلا بعد جهد شديد ، وهى نسخة مغربية قيمة . كتبت سنة ١١٥٨ هـ ١٩٠٤ ،
بجد واحد يقع فى حوالى أربعائة ورقة . وقد أمكننا بالعثور عليها تصحيح أخطاء كثيرة فى
القسم الأول من الكتاب ، كما عثرنا بها على باب كامل كان ساقطاً من نسخة دار الكتب
ومراد ملا فأثبتناه ، ولكننا لم نكد نجد بالنسبة للقسم الثانى فارقاً بينها وبين نسخة دار الكتب
القيمة ، بل على العكس فإن هذه النسخة الأخيرة أكل من نسخة رواق المغاربة فذهبها أبواب
كثيرة من الأبواب الأخيرة ليست فى النسخة الثانية ، مما يرجح أن الناسخ انقصه بعضها
ربما لطول الكتاب وصخامة العمل .

وعلى هذا قررنا أن أنسب الطرق لتحقيق الكتاب ، هو العمل بطريقة النص المختار
رغبة منا فى أن يظهر الكتاب فى أنصى درجة ممكنة من الكمال ، ولهذا فنيا يتماق بالقسم
الأول فقد اعتمدنا فيه على ما يلى :

أولاً : نسخة رواق المغاربة لأنها فى هذا القسم أتم وأكل النسخ ، فضلاً عن صحة نكلتها
وأمانة نقلها .

ثانياً : نسخة مراد ملا ، التى ذكرنا من قبل أنها كاملة وليس ثمة ما يؤخذ عاها إلا نصرف
الناسخ فى بعض كلمات النص .

ثالثاً : نسخة دار الكتب الناقصة «ب» للاستئناس والمقارنة .

وفىما يتعلق بالقسم الثانى اعتمدنا على ما يلى :

أولاً : نسخة دار الكتب القيمة «أ» بعد أن رتبنا ما حدث فى أوراقها الأولى من خلط
وتشويش ، وقد اعتمدنا عليها بعد ذلك لتمامها ودقتها ووضوح كلماتها وضبطها بالشكل فضلاً
عن أنها أقدم النسخ الموجودة للكتاب .

ثانياً : نسخة رواق المغاربة .

ثالثاً : نسخة مراد ملا .

وقد رمزنا إلى نسخة رواق المغاربة في الهوامش بالحرف (م) وإلى نسخة مراد ملا بالحرف (أ) وإلى نسخة دار الكتب بالحرف (ب) .

وأما فيما يتعلق بعملنا في تحقيق النص ، فقد حرصنا على ما يلي :

١ - معارضة الأصول بعضها ببعض وإثبات الخلافات .

٢ - ضبط الآيات القرآنية بالشكل وتخريجها .

٣ - كان المصنف يذكر في أول كل باب بعد إيراد الآيات القرآنية بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذه لم نأل جهداً في تصحيح نصها وضبطها ، ولكننا رأينا أن تخريجها من كتب الحديث سيخرج بالكتاب عن طبيعته الأدبية التي قصد إليها المؤلف وتثقل بهما هو خارج عن موضوعه ، ولهذا فلم نخرج من الأحاديث إلا تلك التي تحتاج إلى شرح أو بيان أو التي لم تذكر بتمامها ، فشرحنا الغامض وأكملنا الناقص من كتب الأحاديث المختلفة .

٤ - ضبط الأعلام الواردة في النص والتعريف بها ، وخاصة إذا ورد اسم العلم بكنيته أو شهرته فحسب .

٥ - ضبط الأبيات بالشكل الكامل ، مع بذلنا غاية الجهد في تخريجها من شتى كتب الأدب ودواوين الشعراء ، مع إثبات الروايات المختلفة إن وجدت .

٦ - ومن جهة الأخبار ، فقد قابلناها على مثيلاتها في الكتب الأدبية والتاريخية المختلفة ولم نحرص على ذكر المرجع في الأخبار الجزئية إلا حين تختلف الرواية للخبر اختلافاً بيناً ، أو يكون ثمة خطأ .

٧ - قننا بعمل فهارس مفصلة للأعلام والأماكن والأبواب ليسهل على القارئ الرجوع إلى المادة التي يود الاطلاع عليها .

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت فيما أقدمت عليه من تحقيق هذا الكتاب فإن لم أكن فحسبي أني قد بذلت غاية الوسع وما قصرت .

والله أسأل أن ينفع به ، كما نفع بصاحبه من قبل ، إنه سميع مجيب .

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم^(١).

أما بعد : فإن أولى^(٢) ما ابتدئ^(٣) به كتاب ، وافتتح به خطاب ، حمد الله على جزيل آلائه ، وشكره لجليل^(٤) بلائه ، ثم الصلاة على خاتم أنبيائه وعافيه رسله ، صلوات الله عليهم أجمعين ، وسلام عليهم في العالمين وبركاته . والحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وفضّنا على جميع الأنام ، وجعلنا من أمة محمد نبيه عليه الصلاة والسلام^(٥).

وبعد : فإن أولى ما عني به الطالب ، ورغب فيه الراغب ، وصرف إليه العاقل همه ، وأكد فيه عزمه ، بعد الوقوف على معاني السنن والكتاب ، مطالعة فنون الآداب ، وما اشتملت عليه وجوه الصواب ، من أنواع الحكم التي تحيي النفس والقلب ، وتشحذ الذهن واللّب ، وتبعث على المبكارم ، وتنهى عن الدنايا والمحارم ، ولا شيء أنظم لشمل^(٦) ذلك كله ، وأجمع لفنونه ، وأهدى إلى عيونه ، وأعقل لشارده ، وأثقف لنادره ؛ من تقييد الأمثال السائرة ، والآيات النادرة ، والفصول الشريفة ، والأخبار الظريفة ، من حكم الحكماء ، وكلام البلاء^(٧) العقلاء : من أئمة

(١) ب : بوبه العون بدلا من هذه الجملة .

(٢) ب : أول .

(٣) ساقط من ب .

(٤) ب : أفتتح .

(٥) ب : ساقط من م .

(٦) ب : فالحمد .

(٧) أ : الألباء .

(٨) ب : ساقط من ب .

السَّاف ، وصالحى الخلف ، الذين امتثلوا فى أفعالهم وأقوالهم ، آداب^(١) التنزيل ، ومعانى سنن الرسول ، ونوادى العرب وأمثالها ، وأجوبتها ومقاطعها ، ومبادئها وفصولها ، وما حَوَّه من حكم العجم ، وسائر الأمم ، فى تقييد أخبارهم ، وحفظ مذاهبهم ، ما يبعث على امتثال طرقهم^(٢) واحتذائها ، واتباع آثارهم واقْتِفَائِهَا .

وقد جمعتُ فى كتابى هذا من الأمثال السائرة ، والآيات النادرة ، والحكم البالغة ، والحكايات الممتعة فى فنون كثيرة وأنواع جمة ، من معانى الدين والدنيا ، ما انتهى إليه حفظى ورعايتى ، وضمته روايتى وعنايتى ، ليكون لمن حفظه ووعاه ، وأتقنه وأحصاه زيناً فى مجالسه ، وأنساً لمجالسه ، وشحذاً لذهنه وهاجسه ، فلا يمرّ به معنى فى الأغلب^(٣) مما يذكر به ، إلا أورد فيه بيتاً نادراً ، أو مثلاً سائراً ، أو حكاية مستطرفة ، أو حكمة مُستَحْسنة ، يحسنُ موقع ذلك فى الأسماع ، ويخفف على النفس والطباع ، ويكون لقارئه أنساً فى الخلاء ، كما هو زين له فى الملاء ، وصاحباً فى الاغتراب ، كما هو حلى بين الأصحاب .

وجمعتُ فى الباب به منه المعنى وضدّه لمن أراد متابعة جلسه فيما يُورده فى مجلسه ، ولمن أراد معارضة بضدّه فى ذلك المعنى بعينه ، ليكون أبلغ وأشفي وأمتع .

وقد قرّبه ، وبوّّبه ليسهل حفظه ، وتقرب مطالعته ، وافتتحت أكثر أبوابه بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم تبركاً بتذكّره ، وتيمناً بآثاره .

(٢) ١ : طرقهم .

(١) ب : أدب .

(٣) ب : لا غلب .

وإلى الله أبتهل في حسن المون^(١) و^(٢) التأييد لما يحب ، والتسديد ، وهو حسبي
 بونعم الوكيل .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما أهدى المرء المسلم لأخيه هديةً
 أفضل من كلمة واحدة ، يزيد الله بها هدى ، ويصرفه بها عن ردى » .

ويروى عن عيسى الخياط ، عن الشعبي ، قال : لو أن رجلاً سافر من أقصى
 الشام إلى أقصى اليمن لبسمك كلمة ينتفع بها فيما يستقبل من عمره ، ما رأيت أن
 سفره قد ضاع^(٣) .

قال محمد بن سلام الجحى ، عن ابن جعدة^(٤) ، قال : ما أبرم عمر بن الخطاب
 أمراً قط إلا تثل فيه بيت شعر .

وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنه^(٥) : كفاك من
 علم الأدب أن تروى الشاهد والمثل .

وقال أبو الزناد : ما رأيت أحداً أروى للشعر من غروة بن الزبير . فقيل^(٦) له :
 ما أرواك للشعر ! قال : وما روايتي من رواية عائشة له ، ما كان ينزل بها شيء إلا
 أنشدت فيه شعراً .

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : العلم أكثر من أن يحصى ،
 نغذوا أرواحه ، ودعوا ظروفه .

(١) ب : العوالب .

(٢) ساقط من ب .

(٣) ١ : جعوفة والمصحيح ما أبتناه ، فهو يزيد بن عياض بن جعدة اللخمي ، أبو الحكم المدني نزل
 البصرة ، محدث ثقة ، ترجمته في تهذيب التهذيب ٣٥٢/١١ .

(٤) ساقط من ب .

(٥) ب : وقيل .

ولقد أحسن القائل ، وقيل إنه منصور الفقيه^(١) :

قَالُوا: خذ الْعَيْنَ مِنْ كُلِّ فَقَلْتُ لَهُمْ: فِي الْعَيْنِ فَضْلٌ، وَلَكِنْ نَظَرُ الْعَيْنِ
حَرْفَانِ فِي أَلْفِ طُومَارٍ مُسَوَّدَةٍ وَرُبَّمَا لَمْ تَجِدْ فِي الْأَلْفِ حَرْفَيْنِ^(٢)

وروى عن مُخَلَّد بن يزيد ، عن جابر بن معدان قال : كلَّ حكمة لم ينزل فيها
كتاب ، ولم يُبعث بها نبيٌّ ، ذخرها الله حتى تنطق بها ألسنُ الشعراء .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنْ الشَّعْرِ حِكْمَةً » .

روى ابن نعيم ، عن الحسن بن صالح ، عن سمالك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،
قال : خذ الحكمة ممن سمعتها ، فإنَّ الرجل قد يتكلم بالحكمة وليس بحكيم ، كما أن
الرمية قد تجيء من غير رام^(٣) .

(١) منصور بن إسماعيل التميمي ، فقيه شافعي صريخ ، أغلب شعره في الحكم والأمثال ، توفي بمصر
سنة ٣٠٦ هـ ، ترجمته في وفيات الأعيان ٢/٩٢٥ ، شذرات الذهب ٢/٩٢٩ مجمع الأدباء ٢/١٨٥ - ١٨٩

(٢) جامع بيان العلم ١/١٠٦ ، التمثيل والمحاضرة ١٦٠ .

(٣) سافطة من ب .

بَابُ آدَبِ الْمَجَالِسَةِ ، وَحَقِّ^(١) الْجُلُوسِ الصَّالِحِ^(٢)

أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ يُونُسَ ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ^(٣) ، وَخَلْفُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ أَحْمَدَ ، وَسَعِيدُ بْنُ سَيِّدٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَكَمٍ ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ^(٤) مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ ، وَاللَّفْظُ لِسَعِيدِ بْنِ سَيِّدٍ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَرَ بْنِ كَبَّانَةَ ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْعَتِيبِيِّ ، عَنْ أَبِي الْمُصْعَبِ^(٥) الزَّهْرِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ ، وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سُفْيَانَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ حَمَّادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ : حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ كِلَاهُمَا عَنْ سَهِيلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ :

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ قَامَ مِنْ مَجْلَسِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ » .

وَرَوَاهُ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ سَهِيلٍ ، بِإِسْنَادِهِ : مِثْلُهُ .

وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ نَصْرٍ ، وَعَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سُفْيَانَ ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَأَحْمَدُ بْنُ قَاسِمٍ قَالُوا : حَدَّثَنَا قَاسِمٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ وَضَّاحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى الْقَطَّانُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ ، عَنْ سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ :

(١) نى ب : وحسن .

(٢) ساقطة من ب .

(٣) ساقطة من ب .

(٤) نى ب : المصعب وهو تحريف واضح .

« إذا أتى أحدكم المجلس فليُسلِّم ، وإذا قام فليُسلِّم ، فليست الأولى بأحقَّ (١) من الأخرى » .

وحدثنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن ، قال : حدثنا أبو بكر محمد بن بكر بن داسة قال : حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث ، قال : حدثنا عبد الله بن مسامة القعنبى (٢) ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبي المولى (٣) عن عبد الرحمن (٤) بن أبي عمرة الأنصارى عن أبي سعيد الخدرى (٥) ، قال : سمعت (٥) رسول الله عليه وسلم ، يقول : « لا يُقيمَنَّ أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه » .

قال : وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه ، من غير أن يُقيمه لم يجلس فيه . ومن حديث أبي بكر (٦) عن النبي صلى الله عليه وسلم : « المجالسُ بالأمانة ، وإنما يتجالسُ الرجلان بأمانة الله — عز وجل — فإذا تفرقا فليست كلٌّ منهما حديث صاحبه » . وقال أبو البختري (٧) : كانوا يكرهون أن يقوم الرجل للرجل من مجلسه ، ولكن ليوسع له .

(١) في ب : أحق .
(٢) في ب : القعنبى ، وهو خطأ ، فهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبى ، ثقة ، من أهل المدينة سكن البصرة ، يروى عن أبي سعيد ، ومالك من أس ، وسليمان بن بلال ، ومات بالبصرة سنة ٢٢١ هـ .
اللباب في تهذيب الأساب ٢/ ٢٧٥ .

(٣) ساقط في أ .
(٤) ساقط من ب .

(٥) في ب : قال .

(٦) أبو بكر : نفع بن الحارث بن كلدة الثقفى ، صحابى مشهور ، من أهل الطائف ، ولما قيل له أبو بكره لأنه نكح بكرة من حصن الطائف إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، توفى بالبصرة سنة ٥٢ هـ . الإصابة الترجمة ٨٢٩ ، تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٦٩ .

(٧) سعيد بن فيروز الطائى بالولاء ، من فقهاء الكوفة . ثقة فى الحديث ، خرج مع ابن الأشعث على الحجاج ، اغتيل سنة ٨٦ هـ . شذرات الذهب ١/ ٩٢ ، تهذيب التهذيب ٤/ ٢٢ .

ومن حديث سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا يُوسَّعُ في المجالسِ إِلَّا لثلاثةٍ : لذي علمٍ لعلمه ، ولذي سنٍ لسنه ، أو لذي سلطانٍ لسلطانه » .

ومن حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « المجالسُ بالآمانةِ إِلَّا ثلاثةٌ : مجلسٌ سُفِكَ فيه دمٌ حرامٌ ، ومجلسٌ اسْتَحِلَّ فيه فرجٌ حرامٌ ^(١) ، ومجلسٌ اسْتَحِلَّ فيه مالٌ حرامٌ بغيرِ حقِّه » .

^(٢) ومن حديث عمر بن عبد العزيز ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لكلُّ شيءٍ شَرَفٌ ، وإنَّ شَرَفَ المجالسِ ، ما اسْتُقْبِلَ به القِبْلَةُ » ^(٣) .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« إذا جلس إليك رجلٌ ، فلا تقومَنَّ حتى تستأذنه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا قام الرجلُ من مجلسه ، فهو أحقُّ به حتى ينصرفَ إليه ، ما لم يودَّعْ ^(٤) جُلَسَاءَهُ بِالسَّلَامِ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يَفَرِّقُ واحدٌ منكم بين اثنين مُتَجَالِسَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَأَوْسِعُوا » .

وقال ^(٥) أنسُ بن مالكٍ : ما أَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُكْبَتَيْهِ

(١) ب : ومجلس استحل فيه قوم حراما . (٢) ساقط من م .

(٣) ساقط من ب .

ولا قَدَمَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ قَطُّ ، وَلَا تَنَاوُلُ أَحَدٌ يَدَهُ فَتَرَكَهَا حَتَّى يَكُونَ هُوَ
الَّذِي يَدْعُهَا .

وقال ابن شهاب : كَانَ رَجُلٌ يَجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَ
لَا يَزَالُ يَتَنَاوَلُ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّيْءَ ، وَكَانَ ذَلِكَ آذَى.
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« إِذَا نَزَعَ أَحَدُكُمْ عَنْ أَخِيهِ شَيْئًا فَلْيُرِهِ إِيَّاهُ » .

وحدث الحسن البصري : أَنَّ رَجُلًا تَنَاوَلُ عَنْ رَأْسِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ شَيْئًا
فَتَرَكَهُ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ تَنَاوَلُ الثَّالِثَةَ ، فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ ، فَقَالَ : أَرِنِي مَا أَخَذْتَ ؟ وَإِذَا هُوَ
لَمْ يَأْخُذْ شَيْئًا ۖ فَقَالَ : انْظُرُوا إِلَى هَذَا ، قَدْ صَنَعَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَاتٍ يُرِيئِي أَنَّهُ يَأْخُذُ
مِنْ رَأْسِي شَيْئًا وَلَا يَأْخُذُهُ ، فَإِذَا أَخَذَ أَحَدُكُمْ مِنْ رَأْسِ أَخِيهِ شَيْئًا فَلْيُرِهِ إِيَّاهُ .

قال الحسن : ^(١) نَهَاهُمْ أَهْلُ الْإِيمَانِ عَنْ الْمَلَقِ .

وقال الحسن ^(١) : لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا أَخَذَ مِنْ رَأْسِي شَيْئًا ، قُلْتُ : حَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ
السُّوءَ .

وكان محمد بن سيرين : إِذَا أَخَذَ أَحَدٌ مِنْ لَحْيَتِهِ أَوْ رَأْسِهِ شَيْئًا ، قَالَ : لَا عَدَمِيَّةَ
نَافِعًا .

وروى عن عمر بن الخطاب أَنَّهُ قَالَ : إِذَا أَخَذَ أَحَدٌ عَنْكَ شَيْئًا ، فَقُلْ : أَخَذْتَ
بِيَدِكَ خَيْرًا .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال لأبي أيوب الأنصاري - وقد نزع عنه أذني - : « نزع الله عنك ما تكره يا أبا أيوب » .

قال عمر بن الخطاب : فحسب^(١) المرء من العي^(٢) أن يؤذى جليسه بما لا يعنيه . وأن يحد على الناس فيما تأتيه^(٣) ،^(٤) وأن يظهر له من الناس ما يخفى عليه من نفسه .

وعن عمر رضى الله عنه قال : إن مما يُصنّى وداد أخيك ، أن تبدأه بالسلام إذا لقيته ، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه ، وأن توسّع له في المجلس^(٥) .

قال أبو أيوب الأنصاري : من أراد أن يكثر علمه ، فليجالس غير عشيرته .

روى سفيان بن عُيينة ، عن مالك بن معن ، قال : قال عيسى صلى الله عليه وسلم : جالسوا من تذكركم بالله رؤيته ، ويزيد في علمكم منطقتهم ، ويرغبكم في الآخرة صمله .

قال المدائني : أوصى يحيى بن خالد ابنه ، فقال : يا بني إذا حدثتك جليستك حديثاً ، فأقبل عليه وأصغ إليه ، ولا تقل قد سمعته^(٥) وإن كنت أحفظ له ، وكأنك لم تسمعه إلا منه ، فإن ذلك يكسبك المحبة والميل إليك .

وعن عبد الملك بن حمير ، قال : قال سعيد بن العاص^(٦) : لجليسى على ثلاث خصال : إذا دنا رحبت به ، وإذا جلس وسعت له ، وإذا حدث أقبلت عليه .

(١) و ب : حسب . (٢) في ب ، م : العنى . وإلى هنا : الجلي

(٣) و عيون الأخبار : أن يعيب على الناس ما تأتي .

(٤) ساقط من ب .

(٥) ب : العاصي .

(٥) ب : سمعته .

وذكر ابن مقسم^(١) ، قال : سمعت المبرّد يقول : الاستماع بالعين ، فإذا رأيت عين من تحدّثه ناظرة إليك فاعلم أنه يُحسّن الاستماع . وقد رُوينا هذا القول عن سهل بن عبادة .

ومن حديث جابر عن النبي عليه السلام ، أنّه قال : « من كان له أخ في الله فأكرمه فإنما يكرم الله » .

ورُوينا عن ثعلب النحوى ، أنّه قام لصديق قصده^(٢) ، وأنشد :
 لَتَنْقُتُ مَا فِي ذَاكَ مِنْهَا غَضَاصَةً عَلَى وَائِي لِلْكَرَامِ مُذَالٍ
 عَلَى أَنَّهَا مِنِّي لَغَيْرِكَ هُجْنَةٌ^(٣) وَلَكِنِّهَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَجْمُلُ
 ولنيره في هذا المعنى :

إِذَا مَا تَبَدَّيْ لَنَا طَالِعًا حَلَلْنَا الْحَبَا^(٤) وَابْتَدَرْنَا الْقِيَامَا
 فَلَا تُنْكِرُنَّ قِيَامِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْكَرِيمَ يُجِلُّ الْكَرَامَا^(٥)
 ورُوينا من حديث عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنّه قال : « أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ » .

قال ابن وهب^(٦) : سمعت مالكا يقول : إذا كان الرجل عند رجل جالسا ،

(١) هو محمد بن الحسن بن يعقوب المعروف بابن مقسم العطار ، عالم بالمرية والقراءات ، من أهل بغداد ، توفي سنة ٣٥٤ هـ ، ترجمته في تاريخ بغداد ٢/٢٠١ معجم الأدباء ٦/١٩٦ .

(٢) ب : لتصر بن قصره .

(٣) الهجّة : العيب .

(٤) الحبا : الثوب المشتمل به ، وحللنا الحبا : كناية عن الخروج عن حدود الأتزم والوقار .

(٥) المحاسن والمساوى للبيهقي ١/١١٢ ، من غير نسبة .

(٦) هو عبد الله بن وهب بن مسلم الفهرى المصرى ، فقيه من أصحاب الإمام مالك ، كان حافظا ثقة مجتهدا ،

مات سنة ١٩٧ هـ . تهذيب التهذيب ٦/٧١ ، الوفيات ١/٢٤٩ .

بجاءه^(١) طالب حاجة ، فسكت عن عونه فقد أعان عليه^(٢) .

قال عمرو بن العاص : لا أمل جليسى ما فهم عني ، وإنما الملال لدناءة الرجال .

قال الشعبي في قوم ذكركم : ما رأيت مثلهم أشد تنابذاً^(٣) في مجلس ، ولا أحسن فهماً من محدث .

روى الأصمعي عن العلاء بن جرير عن أبيه ، قال : قال الأحنف بن قيس : لو جلس إلى مائة لأحببت أن أتمس رضى كل واحد منهم .

وقال عبد الله بن عباس : أعز الناس على جليسى الذى يتخطى الناس إلى ، أما والله إن الثأب يقع عليه^(٤) فيشق على .

قال كشاجم^(٥) .

وجليس لي أخى ثقة كان حديثه خبره

يسر ذلك حسن ظاهره وتحمد منه مختصره

ويستر عيب صاحبه ويستتر أنه ستره

وقال آخر^(٥) :

جليس لي له أدب رعاية مثله تجب

(٢) ساقط من ب .

(١) ا ، ب : جاء .

(٣) معنى التنازها تحيز كل فريق لرأيه ، ودفاعه عنه بما يملك من حجة ودليل وانظر العبارة في البيان ٣٧/٢ .

(٤) محمود بن الحسين المعروف بكشاجم ، شاعر متفنن ، من شعراء سيف الدولة . ولقبه هذا منحوت من علوم كان ينقذها : الكاف للكتابة ، والشين للشعر ، والألف للانشاء ، والجيم للجدل ، والميم للمنطق ، وقيل ، عبر ذلك . توفي كشاجم سنة ٣٦٠ هـ ، انظر في ترجمته : شذرات الذهب ٣/٣٧ ، الأعلام ٨/٤٣ ، وانظر الأبيات في نهاية الأرب ٤/١٢٦ .

(٥) ساقط من ب .

لو انتقدت خلافة^(١) لبهرج^(٢) عندها الذهب^(٣)

وعن ابن عباس ، أنه قال : إني لأكره أن يطل الرجل بساقي ثلاثاً فلا يرى عليه أثرى .

وعنه أيضاً^(٤) رضى الله عنه ، أنه سئل : من أكرم الناس عليك ؟ قال : جليسى حتى يفارقنى .

قال معاوية لعرابة الأوسى : بأى شىء استحققت أن يقول فيك الشماخ^(٥) :

رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

فقال عرابة : سماع هذا من غيرى أولى بك وبى يا أمير المؤمنين ، فقال : عزمك عليك لتخبرنى . فقال : يا كرامى جليسى ، ومحاماتى على^(٦) صديقى .

فقال معاوية : لقد استحققت^(٧) .

قال على بن الحسين : ما جلس إلى أحد قط ، إلا عرفت له فضله حتى يقوم .

قال أبو عباد^(٨) : ما جلس رجل بين يدي ، إلا مثل لى أنى جالس بين يديه .

(١) ب : ليمرح . والبهرج : الباطل أو الردى .

(٢) البيتان للقاضى أبى حنيفة النعمان بن حيون المغربى ، انظر وفيات الأعيان ٥/٥٠ .

(٣) ب : وعن ابن عباس .

(٤) هو الشماخ بن ضرار النطفانى . شاعر مجيد مخضرم من طبقة ليلى والناخبة ، توفى سنة ٧٧ هـ ، وكان الشماخ قد التقى بهراة وهو يشوق أبيرة عليها زبيب وأدم قد أقبل بها من الطائف ، فاستطعمه شيئاً منها ، فقال له : خذ برأس القطار ، فقال الشماخ : أتهزأ بى ؟ فقال : خذ عانك الله برأس القطار فهو لك فأخذ الإبل وما عليها ، وقال بيتيه الخالدين . انظر أنساب الأشراف ٢٧٧/١ ، ديوانه ٩٦ ، الشعر والشعراء ٢٧٨ ، وفيات الأعيان ١١٦/٥ .

(٥) ب : استحققت .

(٦) ب : عن

(٧) أبو عباد : عيسى بن عبد الرحمن بن فروة ، ويقال ابن سبرة الأنصارى ، أبو عباد الزرقى المدنى .

انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ٢١٨/٨ .

روى عن عبدالله بن يزيد ، وقد روى ذلك لأبي حازم ، أنه قال : وطن نفسك على ^(١) المجلس السوء ، فإنه لا يكاد يخطئك . وقد روى ذلك عن الأحنف ، والله أعلم قال بعض الحكماء : رجلان ظالمان يأخذان غير حقهما ، رجل وسّع له في مجلس ضيق فترّبّع وتفتّح ^(٢) ، ورجل أهدى إليه نصيحة فجعلها ذنباً .

وقال مسعر بن كدام : رحم الله من أهدى إلى عيوبى في ستر بينى وبينه ، فإن النصيحة في الملاء تقريع .

^(٣) قال الأحنف : لأن أدعى من بعد أحب إلى من أن أقصى عن قرب . وعن الأحنف أيضاً أنه قال : ما جلست مجلساً قط ، أخاف أن أقام منه لغيري ^(٤) وقال البعيث بن حريث ^(٥) :

وإن مكاني في الندى ومجلسي له الموضع الأقصى إذا لم أقرب ^(٥)
ولست وإن قربت يوماً بياض خلاقي ولا ديني ابتغاء التجبب
ويعتده قوم كثير تجارة ^(٦) ويمنّمني من ذاك ديني ومنصبي

جلس رجل ^(٧) إلى الحسن بن علي رضي الله عنه ، فقال : جلست إلينا على حين قيام ، أفتأذن ؟

(١) ب : عن . (٢) ب : والتفتّح . (٣) زيادة في ب .

(٤) ب : المفيت بن حريب ، وهو تحريف ، انظر ترجمته في المؤلفات والمختلّف ٥٦ ، وانظر الأبيات في عيون الأخبار ٢٧٦/٣ ، حاشية أبي تمام ١٤٨/١ ، ١٤٩ ، العقد الفريد ٧٩/١ .

(٥) في ١ : وإن مكاني في الزاء... الخ ، وفي عيون الأخبار : فإن سيري في البلاد ومثلي لما منزل الأقصى... الخ وفي العقد : هو لنزل .

(٦) في العقد : وقد عده قوم تجارة رابع . (٧) ب : رجال .

كان يقال : إِيَّاكَ وَكُلُّ جَلِيسٍ لَا تَصِيبُ مِنْهُ خَيْرًا .
 وعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، أَنَّهُ قَالَ : إِيَّاكَ وَكُلُّ جَلِيسٍ لَا يَفِيدُكَ عِلْمًا .
 (١) كان يقال : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَعْظُمَ حِلْمُهُ ، وَيَنْفَعُهُ عِلْمُهُ (١) ، فَلْيُقِلِّ مَنْ مَجَالَسَتْهُ
 مِنْ كَانَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ .

وقال الحسن البصري : انتقوا الإخوان ، والأصحاب ، والمجالس .
 وروى هشام بن عروة ، عن محمد بن المنكدر ، قال : كان يقال : خياركم أليينكم
 مناكب في الصلاة ، وركناً في المجالس ، الموطئون أكنافاً ، الذين يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ .
 تباعد كعب الأخبار يوماً في مجلس عمر بن الخطاب ، فأنكر ذلك عليه ، فقال :
 يا أمير المؤمنين ! إِنَّ فِي حِكْمَةِ لُقْمَانَ وَوَصِيَّتِهِ لَابْنِهِ : إِذَا جَلَسْتَ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ
 فَلْيَكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَقْعُدُ رَجُلٍ ، فَلَعَلَّهُ يَأْتِيهِ مَنْ هُوَ آثَرُ عِنْدَهُ مِنْكَ فَيَنْحِيكَ فَيَكُونُ
 نَقْصًا عَلَيْكَ .

وكان يقال : الجليسُ الصالحُ خيرٌ من الوحدة ، والوحدةُ خيرٌ من الجليسِ الشؤم .
 (٢) وعن جعفر بن سليمان الضَّبَّعيّ ، قال : رأيتُ مع مالك بن دينار كلباً ، فقلت له :
 ما هذا ؟ قال : هذا خيرٌ من الجليسِ السوء (٢) .

قال زيَادٌ : إِنَّهُ لَيُعْجِبُنِي مِنَ الرِّجَالِ مَنْ إِذَا أَتَى مَجْلِسًا أَنْ يَعْرِفَ أَيْنَ يَكُونُ
 مَجْلَسُهُ ، وَإِنِّي لَأَتِي الْمَجْلِسَ ، فَأَدْعُو مَالِي مَخَافَةَ أَنْ أُدْفَعَ عَمَّا لَيْسَ لِي .
 وكان الأحنفُ إِذَا أَتَاهُ رَجُلٌ أَوْسَعُ لَهُ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ سَمَةٌ أَرَاهُ كَأَنَّهُ
 يُوسِعُ لَهُ .

طرح أبو قلابَةَ^(١) لجلس له وسادة ، فردّها فقال له : أما سمعت الحديث :
« لا تردنّ على أخيك كرامته » .

قال ابن شبرمة^(٢) لابنه : يا بني ! إياك وطول المجالسة ، فإنّ الأسدَ إنما يجترئُ
عليها من أدام النظر إليها .

وهذا عندي مأخوذٌ من قول أردشير^(٣) لابنه : يا بني لا تمكّن الناس من نفسك
فإن أجراً الناس على السّباع ، أكثرهم لها مُعَاينة . ومن هذا — والله أعلم — أخذ
ابن المعتزّ قوله^(٤) :

رَأَيْتَ حَيَاةَ الْمَرْءِ تُرَخِّصُ قَدْرَهُ فَإِنْ مَاتَ أَغْلَتْهُ الْمَنَآيَا الطَّوَائِمُ
كَمَا يُخْلِقُ الثَّوْبَ الْجَدِيدَ ابْتِدَالَهُ : كَذَا تُخْلِقُ الْمَرْءَ الْعُمُونَ اللَّوَامِيحُ
^(٥) ومن سوء الأدب في المجالسة : أن تقطع على جلسيك حديثه ، أو تبدّره إلى
تمام ما ابتدأ به منه خبراً كان أو شعراً ، ثمّ تُمِثُّ له البيتَ الذي بدأ به ، تريه أنك
أحفظُ له منه . فهذا غايةٌ في سوء المجالسة ، بل يجب أن تصنّى إليه كأنك لم تسمعه
قط إلاّ منه^(٥) .

قيل لداوود الطائي^(٦) : لم تركتَ مجالسةَ الناس ؟ قال : ما بقيَ إلاّ كبيرٌ يتحفّظُ
عليك ، أو صغيرٌ لا يُوقِرُكَ .

(١) هو : عبد الله بن يزيد بن عمرو، أبو قلابة الجرمي ، عالم بالقضاء والأحكام ، من أهل البصرة، توفى
سنة ١٠٤ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٢٢٤/٥ ، شذرات الذهب ١٢٦/١ .

(٢) ابن شبرمة : عبدالله بن شبرمة الضبي ، تولى قضاء السواد لأبي جعفر المنصور، وكان عفيفاً صارماً .
عاقلاً جواداً ، ثقة قليل الحديث ، توفى سنة ١٤٤ هـ . انظر شذرات الذهب ٢١٥/١ ، تهذيب التهذيب ٢٥٠/٥ .
(٣) ب : الأشر .

(٤) ورد البيت الثاني فقط في الديوان ٢٩ ، وفيه : فابذل كما ، وانظرها معاً في النشيل والمخاضرة ١٦٧ .
(٥) ساقطة من ب .

(٦) أبو سليمان بن نصير الطائي الكوفي ، من أكابر الزهاد ، وخيار التابعين ، توفى سنة ١٦٥ هـ ،
انظر تاريخ بغداد ٣٤٧/٨ ، وفيات الأعيان ١٧٧/١ .

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى : لا تجالس عدوك ، فإنه يحفظ عليك سقطاتك
ومماريك في صوابك .

قالت الخنساء :

إِنَّ الْجَلِيسَ يَقُولُ الْقَوْلَ تَحْسِبُهُ خَيْرًا وَهَيْهَاتَ فَاَنْظُرْ مَا بِهِ ^(١) التَّمَسَا
كان يقال : رأس التواضع ، الرضا بالذنون من المجلس . وهذا يروى عن
ابن مسعود أنه قال : إن من التواضع أن ترضى بالذنون من المجلس ، وأن تبدأ
بالسلام من لقيت .

قال إبراهيم النخعي : إن الرجل ليجلس مع القوم فيتكلم بالكلام ، يريد الله
به ، فتصيبه الرحمة فتعم من حوله ، ^(٢) وإن الرجل يجلس مع القوم فيتكلم بالكلام
يسخط الله به ، فتصيبه السخطة فتعم من حوله ^(٣) .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً في مجلسه ، فرفع رأسه إلى
السماء ثم طأطأه ^(٤) ثم رفعه فسئل عن ذلك ، فقال : « هؤلاء قوم كانوا يذكرون
الله فأنزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحققهم الملائكة كالأقبة ، فلما دنت
منهم تكلم رجل منهم ^(٥) يباطل فرفعت عنهم ، ثم تلا : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئذٍ
يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ ^(٦) » .

وفي حديث أبي هريرة عن النبي عليه السلام ^(٧) ، أنه قال : « ما جلس قومٌ

(١) في ب : ماله ، ولم أعثر عليه في الديوان . (٢) ساقطة من ب .

(٣) في ب طأطأ . (٤) سورة الجاثية الآية : ٢٧ . (٥) ساقطة من ب .

يجلسوا يقرءون فيه القرآن ، ويذكرون الشئنين ، ويتعلمون العلم ويتدارسونه بينهم ،
إلا حفت بهم الملائكة ، ونزلت عليهم السكينة ، وغشبتهم الرحمة ، وذكرهم الله
فيمن عنده . فقيل له : يا رسول الله ! الرجل يجلس إليهم وليس منهم ، ولا شأنه
بشأنهم ، أناخذ الرحمة معهم ؟ قال : نعم ، هم القوم لا يشقى جلسهم .

أنشد أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، ويقال إنها له :

إِنْ صَحِبْنَا الْمُلُوكَ تَاهُوا وَعَقُّوا وَاسْتَخَفُّوا كِبَرًا بِحَقِّ الْجُلُوسِ
أَوْ صَحِبْنَا التَّجَارَ صِرْنَا إِلَى الْبُؤْسِ سِ وَعُدْنَا إِلَى عِدَادِ الْفُلُوسِ
فَلَزِمْنَا الْبُيُوتَ نَسْتَخْرِجُ الْعِدَّ مَ وَنَمْلًا بِهِ بَطُونُ الطُّرُوسِ^(١)

كان يقال : ذؤو المروءة والدين ، إذا أحرزوا القوتَ لزمو البيوت . أنشد أبو
عبدالله بن الأعرابي — صاحب الغريب^(٢) — :

لَنَا جُلُوسًا مَا نَمْلُ حَدِيثَهُمْ أَلْبَاءُ مَأْمُونُونَ غِيَا وَمَشَدَا
يُفِيدُونَنَا^(٣) مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَاضِي وَعَقْلًا وَتَأْدِيًا وَرَأْيًا مُسَدَّدَا
بِلَا فِتْنَةٍ تُخْشَى وَلَا سُوءِ عِشْرَةٍ وَلَا نَتَقِي مِنْهُمْ لِسَانًا وَلَا يَدَا
فَإِنْ قُلْتَ أَمَوْتُ فَلَسْتُ بِكَاذِبٍ وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاؤُ فَلَسْتُ مُفَنَّدَا^(٤)

ولهذا الشعر خبر لابن الأعرابي مع أحمد بن محمد بن شجاع ، ذكرناه مع

(١) يروى : تاهوا علينا ، ولزمنا البيوت نستكثر . وانظر الأبيات في جلع البيان العلم ٢٠٣/٢ .

(٢) محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ، أبو عبد الله ، راوية علامة باللغة من أهل الكوفة ، لم ير أحد
في علم الشعر أغزر منه ، مات سنة ٢٣١ هـ . انظر معجم الأدباء ١٨/١٨٩ ، وفيات الأعيان ١/٤٩٢ ،
تاريخ بغداد ٥/٢٨٧ .

(٣) يروى : يبرولنا . (٤) جامع بيان العلم ٢/٢٠٢ ، معجم الأدباء ١٨/١٩٥ .

مع الآيات في آخر كتاب « بيان العلم وفضله » . ولمحمد بن بشير في هذا المعنى من قصيد له :

فصرتُ في البيتِ سُرُوراً تُحَدِّثُنِي عَنْ عِلْمٍ مَا غَابَ عَنِّي فِي الْوَرَى الْكُتُبُ
فَرَدّاً تُخَبِّرُنِي آوَاتِي وَتَنْطِقُ^(١) لِي فَلَيْسَ لِي فِي أَنْاسٍ غَيْرِهِمْ أَرْبُ
لِلَّهِ مِنْ جُلَسَاءٍ لَا جَلِيسُهُمْ وَلَا خَلِيطُهُمْ لِلْسُّوءِ مُرْتَقِبُ
لَا بَادِرَاتُ الْأَذَى يَخْشَى رَفِيقُهُمْ وَلَا يُبْلِقِيهِ مِنْهُمْ مَنْطِقُ ذَرِبُ^(٢)
أَبْقُوا لَنَا حِكْمًا تَبْقَى مَنَافِعُهَا أُخْرَى اللَّيَالِي عَلَى الْأَيَّامِ وَانْشَعَبُوا^(٣)
إِنْ شِئْتَ مِنْ مُحْكِمِ الْآثَارِ يَرْفَعُهَا إِلَى النَّبِيِّ ثَقَاتٌ خَيْرَةٌ تُجِبُ
أَوْ شِئْتَ مِنْ عَرَبٍ عِلْمًا بِأَوَّلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تُنَبِّئُنِي بِهَا الْعَرَبُ
أَوْ شِئْتَ مِنْ سِيرِ الْأَمْلَاقِ مِنْ عَجْمِ تُنَبِّئُنِي وَتُخْبِرُ كَيْفَ الرَّأْيِ وَالْأَدَبُ
حَتَّى كَأَنِّي قَدْ شَاهَدْتُ عَصْرَهُمْ وَقَدْ مَضَتْ ذُنُوبُهُمْ مِنْ دَهْرِنَا حَقَبُ
مَا مَاتَ قَوْمٌ إِذَا أَبْقَوْا لَنَا أَدَبًا وَعِلْمَ دِينٍ وَلَا بَأَنُوا وَلَا ذَهَبُوا^(٤)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفارة ما يكون في المجلس من اللَّغَطِ^(٥) أن تقول : سبحانك اللهم وبحمدك ، لا إله إلا أنت ، أستغفرُكَ وأتوبُ إليك » .

وفي حديث آخر :

(١) ا : وتنظر .

(٢) البادرة : ما يصدر عن الحدة في الغضب من قول أو فعل ، والذرب : حدة اللسان وسلطته .

(٣) ب : والشعب ، وانشعب : تفرق وتبدد .

(٤) انظر الآيات في جامع بيان العلم ٢/٢٠٣ . (٥) اللغط : الجلبة والصياح .

« كفارة ما يكون في المجلس ألا تقوم حتى تقول : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، يارب تب عليّ واغفر لي ، فإن كان مجلس لغوي^(١) كان كفارته ، وإن كان مجلس ذكر كان كالطابع عليه . »

وقال حسان بن عطية : ما من قوم كانوا في مجلس لغوي يفتنونه بالاستغفار إلا كتبت لهم مجلسهم ذلك استغفاراً^(٢) كله .

وروى عن جماعة من أهل العلم بتأويل القرآن ، في قول الله عز وجل : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾^(٣) ، منهم^(٤) مجاهد وأبو الأحوص وعطاء ويحيى بن جعدة قالوا : حين تقوم من كل مجلس تقول فيه : سبحانك اللهم وبحمدك ، أستغفرك وأتوب إليك ، قالوا : ومن قالها غفر له ما كان منه^(٥) في المجلس .

وقال عطاء : إن كنت أحسنت ازددت إحساناً ، وإن كان غبر ذلك ، كان كفارة .

ومنهم من قال : تقول حين تقوم : سبحان الله وبحمده من كل مكان ومن كل مجلس .

(٢) في ١ : استغفار .

(٤) في ب زعم .

(١) « لفظه » في ب .

(٣) سورة الطور آية : ٤٨ .

(٥) ساقط من ب .

بَابُ حَمْدِ اللِّسَانِ وَفَضْلِ الْبَيَانِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَّغَتْ يَكْتُبُ اللَّهُ ^(١) لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَلْقَاهُ ... ^(٢) » الحديث .

قال مُعَاذٌ : قلت يا رسول الله ! أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟

قال : « لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ » .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ صَدَقَةُ اللِّسَانِ ، تَدْفَعُ بِهَا الْكَرِيهَةَ ، وَتُحَقِّقُ بِهَا الدَّمَ » .

وقال عليه السلام : « أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةٌ حَقٌّ عِنْدَ ذِي سُلْطَانٍ جَائِرٍ » .

قال أَبُو عَيْنَةَ الْخَوْلَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : رُبَّ كَلِمَةٍ خَيْرٌ مِنْ إِعْطَاءِ الْمَالِ . وقال أَبَانُ بْنُ سَائِمٍ : كَلِمَةُ حِكْمَةٍ لَكَ مِنْ أَخِيكَ ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ مَالٍ يُعْطِيكَ ؟ لِأَنَّ الْمَالَ يُطْفِئُكَ ، وَالكَلِمَةُ تَهْدِيكَ .

فَالُوا : خَيْرَ الْكَلَامِ مَا دَلَّ عَلَى هَدًى ، أَوْ نَهَى عَنْ رَدًى .

ذَكَرَ عِنْدَ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ : الصَّمْتُ وَالْكَلَامُ ، فَقَالَ قَوْمٌ : الصَّمْتُ أَفْضَلُ ^(٣) فَقَالَ الْأَحْنَفُ : الْكَلَامُ أَفْضَلُ ^(٣) لِأَنَّ الصَّمْتَ لَا يَعْدُو صَاحِبَهُ ، وَالْكَلَامُ يَنْتَفِعُ بِهِ مِنْ سَمْعِهِ ، وَمَذَاكَرَةُ الرِّجَالِ تَلْقِيحٌ لِعَقُولِهِمَا .

(١) ساقط من أ .

(٢) سترد بقية الحديث في باب تال ص ٧٩ ، وقد أخرج ابن ماجة نحوه مطولاً في سننه ص ١٣١٣ حديث

٢٩٦٩ - ٢ .

(٣) ساقط من ب .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رحم الله عبداً تكلم بخير فغني ، أو سكت فسلم » .

قال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : رأيتُ ابنَ عَبَّاسٍ رضى الله عنه فى الكعبة آخذاً بلسانه وهو يقول : يا لسانُ قل خيراً تنعم ، أو اسكت تسلم .

وقالوا : السكوت سلامة ، والكلام بالخير غنية ، ومن غم أفضل ممن سلم .

قال أعرابى : من فضل اللسان ، أن الله عز وجل أنطقه بتوحيده من بين سائر الجوارح .

وقال عبدُ الملك بن مروان : الصمت نومٌ والنطق يقظة .

قال خالد بن صفوان : ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة مُمَثَّلَةٌ ، أو بهيمة مرسلَّة^(١) ، أو ضالَّةٌ مهملَةٌ .

كان يقال : الألسنُ خدَمُ القرائح .

قال ربيعةُ الرأى^(٢) : الساكيت بين النائم والأخرس .

قالوا : إنما المرء بأصغريه : لسانه وقلبه .

كان يقال : اللسانُ ثُرجانُ الفؤاد ، واللسانُ حيَّةُ الفم .

كان يقال : يجد البليغُ من ألم السكوت ما يجد العيى من ألم الكلام .

وقالوا : المرء مخبوءٌ تحت لسانه .

(١) فى ب : منملة .

(٢) هو أبو عثمان ربيعة بن فروخ ، من موالى التميميين ، كان من أجود الناس رأياً وعلماً ومنطقاً ولهذا لقب ربيعة الرأى ، ترجمته فى تهذيب التهذيب ٢٥٨/٣ ، الوفيات ١٨٣/١ ، تاريخ بغداد ٤٢٠/٨ .

وقال حسان بن ثابت :

لِسَانِي وَسَيْفِي صَارِمَانِ كِلَاهُمَا وَيَبْلُغُ مَا لَا يَبْلُغُ السَّيْفُ مِذْوَدِي^(١)

وقال جرير :

وَلَيْسَ لِسِيْفِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ وَلَا السَّيْفُ أَشْوَى وَقْعَةً مِنْ لِسَانِيَا^(٢)

وقال الخليل بن أحمد :

أَيُّ شَيْءٍ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى ذِي السَّرْوِ أَهْيَى مِنَ اللِّسَانِ الْبَهِيِّ^(٣)

قال ابن سيرين : لا شيء أزين على الرجل من الفماحة والبيان ، ولا شيء أزين

على المرأة من الشحم .

قال الشاعر :

وَكَاثِنٌ تَرَى مِنْ سَاكِتٍ^(٤) لَكَ مُعْجَبٌ زِيَادَتُهُ أَوْ تَقْصُصُهُ فِي التَّكَلُّمِ

لِسَانُ الْفَقِي نَصْفٌ ، وَنَصْفُ فُؤَادِهِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدِّمِ^(٥)

(١) المذود : اللسان ، وانظر البيت في ديوانه ١٢٧ .

(٢) وردت الشطرة الأولى في ب : لِسَانِي وَسَيْفِي صَارِمَانِ كِلَاهُمَا أَهْيَا ، وأحسب أنه تكرير من النسخ

لفطرة البيت السابق ، وما هنا موافق لرواية الديوان ٦٠٦ .

(٣) السرو : المروعة في شرف ، وانظر البيت مع أبيات أخرى ستزد بعد في عيون الأخبار ١/ ١٠٠ ،

جمع بيان العلم ١٦٨/٢ .

(٤) في ١ : صامت .

(٥) نسب الجاحظ البيتين في البيان ١/ ١٨١ إلى الأعور الشني ، ونسبني هامس التحقيق أنهما لزهير فخرمطلقة ، ولكنني لم أعثر على البيتين وأخ لهما ثالث سيرد بعد ، بين أبيات معاقبة زهير في شرح ديوانه للشعبي ط طر الكتب ١٩٤٤ وفيه أصبح روايات المعقولة . نعم وجدتهما منسويين له في جمهرة أعلام العرب ٥١ ، وفي المجلات ط مطبعة الموسوعات سنة ١٣١٩ هـ ، وفي ذلك الأخير علق الأستاذ الشنقيطي على البيتين بأنهما ليسا لزهير بل للخطمي جد جرير ، وفي حواشي البحري ورد البيتان مرتين نسبتهما في الأولى س ٢٠٥ إلى عبد الله بن معاوية الجهمي مع ورود الشطر الأول هكذا : وكائن فقي من معجب لك حسنه ، ونسبهما في الثانية س ٢٦٧ إلى زهير ، وفي فصل المقال ٨٢ ، زيد في نسبتهما بن الهيثم بن الأسود النخعي ، وبين الأعور الشني .

قال أبو العتاهية^(١) :

وللناسِ خوضٌ في الكلامِ والسننِ وأقربُها من كلِّ خيرٍ صدوقها^(٢)

وروى ابنُ صمر قال : قدم رجلان من المشرق فخطبا ، فعجب الناس لبيانهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحرا » . فتأولت طائفة هذا على الذم لأن السحر مذموم ، وذهب الأكثر^(٣) من أهل العلم ، وجماعة من أهل الأدب إلى أنه على المدح لأن الله تعالى مدح البيان وأضافه إلى القرآن ، وقد أوضحنا هذا في كتاب التمهيد ، والحمد لله .

وقد قال عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، لرجل سأله حاجة فأحسن المسألة ، فأعجبه قوله وقال : هذا — والله — السحرُ الحلال .

وقال علي بن العباس الرومي :

وَحَدِيثُهَا السِّحْرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ^(٤)
في آيات قد ذكرتها في موضعها من هذا الكتاب .

وقال الحسن : الرجال ثلاثة ، رجل بنفسه ، ورجل بلسانه ، ورجل بعاله .

وكان يقال : في اللسان عشر خصال : أداة يظهرُها البيان ، وشاهدٌ يخبر عن الضمير ، وحاكمٌ يفصل به القضاء ، وناطقٌ يردّ به الجواب ، وشافعٌ تقضى به الحاجات ، وواصفٌ تعرف به الأشياء ، وواعظٌ ينهى به عن القبيح ، ومُزِّنٌ تسكنُ

(٢) ساقط من ب .

(١) ديوانه ١٢٢ .

(٣) ب : الأكثرون .

(٤) التحرز : المتوفى والتمسنى ، وانظر البيت في ديوانه ٤٠٩ ، الأملاني ٨٤/١ ، نهاية الأرب ٧١/٢ .

به الأحزان ، وملاطف تذهب به الضغينة ، ومونق يلهي الأنعام .

ونظر معاوية إلى ابن عباس رضى الله عنهما ، فأتبعه بصره ثم قال متمثلاً :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ مُصِيبٌ وَلَمْ يَثْنِ اللِّسَانَ^(١) عَلَى هُجْرٍ
يُصَرِّفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا انْتَحَى وَيَنْظُرُ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ^(٢)

ولحسان بن ثابت في ابن عباس :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ بِمَنْطَلَقَاتٍ لَا تَرَى يَتْنَهَا فَصْلًا
شَفَى وَكَفَى مَا فِي النُّفُوسِ فَلَمْ يَدْعُ لِنَدَى إِرْبَةٍ فِي الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلًا^(٣)

في أبيات قد ذكرت في باب ابن عباس من كتاب « الصحابة » .

كان يقال : الجمال في اللسان .

قيل لأعرابي : ما الجمال ؟ قال : طولُ الجسم ، وضخمُ الهامة ، ورُحْبُ الشَّدْقِ ،
وبُعْدُ الصَّوْتِ .

قال حبيب :

لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْفُؤَادِ^(٤)

(١) ١ : الرجال

(٢) في العقد ٢/٢٧٠ : « ولم يقف ... لعبي » مكان لقائل مصيب ، وانظر عيون الأخبار ١/١٧٠ ،
معجم الأدباء ٦/١٨٨ . والهجر : التبجح من الكلام .

(٣) ديوانه ٧٤ ، العقد الفريد ٢/٦٦٧ ، عيون الأخبار ١/١٧٠ ، معجم الأدباء ٦/١٨٦ ، وفيها :
ملتقطات . والملتقطات : المتخيرات .

(٤) عجزيت لحبيب بن أوسى الطائي أبي تمام وصدره : ومما كانت الحكماء قالت : ديوانه ٨٠ .

وقال آخر:

وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الْإِبْرَمُ^(١)

^(٢) قال امرؤ القيس ^(٣):

وَجُرْحُ اللِّسَانِ كَجُرْحِ الْيَدِ^(٤)

قال ابن أبي حازم:

أَوْجَعُ مِنْ وَقْعَةِ السِّنَانِ لِذِي الْحِجَا وَخَزَةُ اللِّسَانِ^(٥)

(١) عجزيت للأخطل ، صدره : حتى أقرأ وهم مني على مضض * ديوانه ١/١٠٥ ، البيان ١/١٥٨ ، ١٧٠ ، القد ٢/٤٤٥ .

(٢) عجزيت وصدره : ولو عن شاغيه جاءني * والتا : الحديث المنتقم ، وانظر ديوانه ١٨٥ العقد الفريد . ٤٤٥/٢ .

(٣) ساقط من ب .

(٤) عيون الأخبار ٣/١٨٤ وفيه : وخزة السنان .

باب ذمّ^(١) العيّ وحشو الكلام

قال أبو هريرة : لا خيرَ في فضول الكلام .

وقال عطاء : كانوا يكرهون فضول الكلام .

وقال : بترك الفضول تكملُ المقول .

^(٢) وقال : فضول الكلام ما ليس في دين ولا دُنْيَا مباحاً^(٣)

وقال : الصمتُ صيانةُ اللسان ، وسترُ العيِّ .

وقالوا : العيُّ الناطقُ أعْيَا من العيِّ الساكت .

وقالوا : أحسنُ الكلام ما كان قليلاً يُغنيك عن كثيره ، وما ظهر معناه في لفظه .

وروى^(١) عن عبد الله بن عمر ، أنّه قيل له : لو دعوت لنا بدعوات . فقال :

اللهم اهدنا وصافنا وارزقنا . فقال له رجلٌ . لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن ؛ فقال : أعودُ

بالله من الإسهاب .

وقال شقّي بن مائع^(٢) : ^(٤) من كثر كلامه كثر خطاياه .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من كثر كلامه كثر سقطه .

قال يعقوب عليه السلام لبنيه : يا بنيّ إذا دخلتم على السلطان فأقلّوا الكلام .

قال ابن هُبَيْرَة : ما من شيء إلا وهو محتاجٌ إلى فضوله يوماً ، إلا فضولُ الكلام .

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من م .

(٣) ١ : سبعمي بن نافع ، ب : شقّي بن مائع . والصحيح ما أثبتناه ، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب .

٣٦٠/٤ .

(٤) من هنا وتنقسم نسخة ب قصصاً كبيراً ، إذ سقط منها بنية هذا الباب ، وأربعة أبواب أخرى تالية .

قال الحسن : رحم الله عبداً أوجز في كلامه ، واقتصر على فصاحته ، فإن الله يكره كثرة الكلام .

وكان يقال : أفضل الكلام ما قلّت ألفاظه وكثرت معانيه ، أخذ هذا المعنى أحمد بن إسماعيل الكاتب^(١) فقال :

خَيْرُ الْكَلَامِ قَلِيلٌ عَلَى كَثِيرٍ دَلِيلٌ
وَالْعِيَّ مَعْنَى قَصِيرٌ يَحْوِيهِ لَفْظٌ طَوِيلٌ

وقال أبو العتاهية^(٢) :

الصَّمْتُ أَلْبَقُ بِالْفَتَى مِنْ مَنْطِقٍ فِي غَيْرِ حِينِهِ
لَا خَيْرَ فِي حَشْوِ الْكَلَامِ إِذَا اهْتَدَيْتَ إِلَى عَيْوَنِهِ

وقال منصور الفقيه :

تَعَمَّدُ لِحَذَفِ فُضُولِ الْكَلَامِ إِذَا مَا نَأَيْتَ وَعِنْدَ التَّدَانِي
وَلَا تُكْثِرَنَّ فَخَيْرُ الْكَلَامِ أَلْ قَلِيلِ الْحُرُوفِ الْكَثِيرِ الْمَعَانِي

قال بعض قضاة عمر بن عبد العزيز — رحمه الله — وقد عزله : لم عزلتني ؟

قال : بلغني أن كلامك مع الخصبين أكثر من كلام الخصبين .

(١) هو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخصب المعروف بنطاحة ، كان كاتب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر والي خراسان ، وكان بليغا مترسلا شاعراً أديباً ، قتل سنة ٢٩٠ هـ . انظر معجم الأدباء ٢٢٩/٢ الفهرست ١٨٠ ، وانظر البيهقي في معجم الأدباء ٢٢٨/٢ .

(٢) ديوانه ٢٨٢ ، البيان ٢٢٤/١ ، لباب الآداب ٢٧٧ ، وفي حساسة البحري ٣٦٤ ، أورد بيتين قريبين من هذين ، والثاني قبل الأول وهما :

لأنك تكثرن حشو الكلام
والصمت أحسن بالمتى
م إذا اهتديت إلى عيونه
من منطلق في غير حينه

وتسبها لصالح بن عبد الفاروس .

تكلّم ربيعة الرأى يوماً فأكثر الكلام ، فأعجبته نفسه ، وإلى جنبه أعرابي
فقال له : يا أعرابي ! ما تعدّون البلاغة فقال : قلة الكلام . قال : ما تعدّون العي
فيكم ؟ فقال : ما كنت فيه منذ اليوم .

وأنشد الخشني^(١) — رحمه الله — :

وما العيُّ إلّا منطقٌ مُتّابِعٌ سِوَايَ عَلَيْهِ حَقُّ أَمْرِ وَبَاطِلُهُ^(٢)

قالت العرب : لا يجترى على الكلام إلا فائق أو مائق .

قال النمر بن تُوَيْبٍ^(٣) :

أَعِذْنِي رَبِّ مِنْ حَضَرٍ وَعِيٍّ وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالِجَهَا عِلَاجًا
وَمِنْ حَاجَاتٍ نَفْسِي فَأَعْصِمَنِي فَإِنَّ لِمُضْمَرَاتِ النَّفْسِ حَاجًا^(٤)
وقال آخر :

عَجِبْتُ لِإِذْلَالِ الْعِيِّ بِنَفْسِهِ وَصَمْتُ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْحَقِّ أَعْلَمًا
وَفِي الصَّمْتِ سِتْرٌ لِلْعِيِّ وَإِنَّمَا صَحِيفَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَ^(٥)

(١) الخشني : محمد بن عبد السلام بن ثعلبة القرظي ، رحل إلى المشرق ومكث فيه طويلاً متجولاً في طلب الحديث ، وكان ثقة كبير الشأن ، انظر بقية الوعاة ٦٧ ، جذوة المقتبس ٦٣ .

(٢) البيت لعبد الله بن بكر المزني ، لباب الآداب ٢٧٥ .

(٣) شاعر محضرم ، يسمى السكيس لحسن شعره ، انظر ترجمته في الشعر الشعراء ١٠٥ ، الباب ٣/٣٣٨ .

(٤) عيون الأخبار ١/١٠٩ ، البيان ١/١٨ .

(٥) نسب البيتان في البيان ١/٢٢٦ ، مجموعة البعاني ١٦٩ إلى حذيفة الخطمي جد جريز ، وفي العقد الفريد ٢/٢٦٦ إلى الحسن بن جعفر ونسباً في حماسة البحري ٣٦٧ إلى مالك بن سلمة العبسي ، وورد في عيون الأخبار ١/١٧٥ ، معجم الأدباء ١/٩٠ بغير نسبة ، وفيها لإزراء العي بدلاً من إذلال .

قال بعض الحكماء : ليس شيء [إلا^(١)] إذا ثنيتَه قَصُرَ إلاّ الكلام ، فإنك كلما ثنيتَه طال .

قالوا : أعيا الميَّ بلاغةً بميَّ ، وأقبحُ اللَّحْنِ لحنٌ يُعراب .

كان مالك بن أنس يعيب كثرة الكلام ويذمّه ويقول : كثرةُ الكلام لا توجد إلاّ في النساء والضعفاء .

ذمّ أعرابيٌّ رجلاً ، فقال : هو من يتامى المجالس ، أعيا ما يكون عند جلسائه ، أبلغ ما يكون عند نفسه .

باب في اجتناب اللحن ، وتعلم الإعراب وذم الغريب في الخطاب

كتب عمر إلى أبا موسى : أمّا بعد ، فتفقهوا في السنّة ، وتعلّموا العربية
وروى عنه رحمه الله أنه قال : رحم الله امرأً أصلح من لسانه .
وقال علي بن محمد الملوّي^(١) :

رَأَيْتُ لِسَانَ الْمَرْءِ رَائِدَ عَقْلِهِ وَعُنْوَانَهُ فَاَنْظُرْ بِمَاذَا تُعْنُونُ
وَلَا تَعُدْ إِصْلَاحَ اللِّسَانِ فَإِنَّهُ يُخَبِّرُ عَمَّا عِنْدَهُ وَيَبَيِّنُ
وَيُعْجِبُنِي زِيُّ الْفَقَى وَجَمَالُهُ فَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنِي سَاعَةً يُلْحَنُ

كان عبد الله بن عمر يضرب ولده على اللحن .

قال شعبة : مثل الذي يتعلّم الحديث ، ولا يتعلم النحو مثل البرنس لا رأس له .
قال المأمون لأحد أولاده — وقد سمع منه خطأ — : ما على أحدكم أن يتعلم العربية
فيقيم بها أودّه ، ويزين بها مشهده ، ويفلّ بها حُجج خصمه بمسكتات حُكمه ،
ويعلمك مجلس سلطانه بظاهر بيانه . أَوْ يَسُرُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ لِسَانُهُ كَلِسَانِ عَبْدِهِ
أَوْ أُمْتِهِ ، فَلَا يَزَالُ الدَّهْرُ أُسِيرَ كَلِمَتِهِ ، قَاتِلَ اللَّهِ الَّذِي يَقُولُ :

(١) كذا وردت نسبه في الأصل . والصحيح أنه علي بن محمد بن العرتاني اسمه إلى قرية عرتنا من نواحي
النهروان من أعمال بغداد . وقد اشتهر بابن بسام والباسمي ، تولى سنة ٣٠٢ هـ ، انظر تاريخ بغداد ١٢ / ٦٣ ،
اللاب ١٢١ / ١ ، وانظر الأبيات في معجم الأدباء ١٥ / ١٥١ ، معجم الشعراء ٢٩٠ ، زهر الآداب ٣ / ١٣٨
وفيها : واند عقله بكان رائد .

أَلَمْ تَرَ مِفْتَاحَ الْفُؤَادِ لِسَانَهُ
وَكَاثِنٍ تَرَى مِنْ صَاحِبِ لَكَ مُعْجَبٍ
لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ
إِذَا هُوَ أَبْدَى مَا يَقُولُ مِنَ الْفَمِ (١)
زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ
وقال النمليل بن أحمد :

لَا يَكُونُ السَّرِيُّ مِثْلَ الدَّنِيِّ
لَا يَكُونُ الْأَلَدُ ذُو الْمَقُولِ الْمُرِّ
أَيُّ شَيْءٍ مِنَ اللَّبَّاسِ عَلَى ذِي السَّرِّ
يَنْظِمُ الْحُجَّةَ السَّنِيَّةَ فِي السُّدِّ
وَتَرَى لِلْحَنِّ بِالْحَسِبِ أَخِي الْهَيْ
فَاطْلُبِ النَّحْوَ الْمَحْجَا جَاجَ وَاللُّشَّةَ
وَإِلْخَطَابِ الْبَلِيغِ عِنْدَ جَوَابِ الْ
وَارْفُضِ الْقَوْلَ مِنْ طَعَامِ جَفَوَاعِ
قِيَمَةُ الْمَرْءِ كُلُّ مَا يُحْسِنُ الْمَرْءُ
لَا وَلَا ذُو الذِّكَا مِثْلَ النَّعِيِّ
هَفٍ عِنْدَ الْقِيَاسِ مِثْلَ الْعِيِّ
لَكَ مِنَ الْقَوْلِ مِثْلَ عِقْدِ الْهَدْيِ
أَمَ مِثْلَ الصَّدَا عَلَى الْمَشْرِفِ
رِ مُقِيماً وَالْمَسْنَدِ الْمَرْوِيِّ
قَوْلِ تَرْهَى بِمِثْلِهِ فِي النَّدِيِّ
هُ فَقَادُوا بَعْضَهُ لِلنَّسِيِّ (٢)

قال ثعلب : سمعت محمد بن سلام يقول : ما أحدث الناس مروءة أفضل من طلب النحو .

قال عبدالله بن المبارك ، اللحن في الكلام أقبح من آثار الجذري في الوجه

(١) ورد هذا البيت في حماسة البحتري ٣٦٧ وحده برواية أخرى هي :

وإن لسان المرء مفتاح قلبه
لماذا هو أبدى ما يجن من الفم

وقد نسب له صالح بن عبد القدوس ، هذا وانظر التعليق السابق على البيتين بعده في ص ٥٦ .

(٢) الألد : اللحم الذي لا يجيد عن خصومته أورأيه ، والهدى : العروس . والطفام : الأوغاد أو الحلق

وانظر الأبيات في جامع بيان العلم ١٦٨/٢ .

وقال عبد الملك : اللحن هَجَنَةٌ بالشريف .

قال ابن شبرمة : إذا سَرَّكَ أَنْ تَعْظُمَ فِي عَيْنٍ مِنْ كُنْتَ فِي عَيْنِهِ صَغِيرًا ، وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِكَ مَنْ كَانَ فِيهَا كَبِيرًا فَتَعَلِّمِ الْعَرَبِيَّةَ ، فَإِنَّهَا تَجَرِّيكَ ^(١) وتَدْنِيكَ مِنَ السُّلْطَانِ .
قال الشاعر :

النَّحْوُ يُصْلِحُ مِنْ لِسَانِ الْأَلْسَنِ وَالْمَرْءُ مُتَكَرِّمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
وَالنَّحْوُ مِثْلُ الْمَلِيجِ إِنْ أَلْقَيْتَهُ فِي كُلِّ ضِدٍّ مِنْ طَعَامِكَ يَحْسُنِ
وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَهَا فَأَجَلُهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسُنِ ^(٢)

رَأَى أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيَّ أَعْدَالَ ^(٣) لِلتَّجَارِ مَكْتُوبًا عَلَيْهَا : لَا أَبُو فُلَانٍ !! فَقَالَ :
سَبَّحَانَ اللَّهِ ! يَلْحَنُونَ وَيَرْبَحُونَ .

قال رجل للحسن البصري : يَا أَبُو سَعِيدٍ ! فَقَالَ : كَسَبُ الدَّوَانِيقِ شَغْلَكَ أَنْ
تَقُولَ : يَا أَبَا سَعِيدٍ .

مر خالد بن صفوان بقوم من الموالي يتكلمون في العربية ، فقال : لئن تكلمتم
فيها لأنتم أول من أفسدها .

وقالوا : العربية تزيد في المروءة .

وقالوا : من أحب أن يجد في نفسه الكبر فليتعلم النحو .

(١) في عيون الأخبار ٢/ ١٥٧ : تجريك على المنطق ، وتدنيك ... الخ ، وانظر العبارة أيضا في المصون
لأبي أحمد العسكري ١٤٥ .

(٢) نسبت الأبيات في الكامل ١/ ٢٤٨ ، زهر الآداب ٣/ ١٣٨ إلى إسحاق بن خلف البهراني ، وورد
البيت الثالث في جامع بيان العلم ١/ ٥٨ منسوباً إلى أبي حاطب من غير تعيين ، وانظرها في عيون الأخبار ١/ ١٧٥ ،
معجم الأدباء : ١/ ٢٦٧ ، والبيتين الأول والثالث في التمثيل والمحاضرة ١٦١ من غير نسبة .

(٣) اللعل : نصف حل الدابة .

وقال أبو شمّر^(١) : قارىء النحر إذا دخله الكبر استفاد السخط من الله ، والمقت
عن الناس .

وقال الخليل يوماً : لا يصل أحد من النحر إلى ما يحتاج إليه ، إلا بما لا يحتاج
إليه ، فقد صار إذا ما لا يحتاج إليه يحتاج إليه .

وروى عنه في هذا الخبر ، أنه قال : من لم يصل إلى ما يحتاج إليه إلا بما لا يحتاج
إليه ، فقد صار محتاجاً إلى ما لا يحتاج إليه .

وروى أن هذه القصة ، عرّضت للخليل مع أبي الهذيل^(٢) وروى أنها عرضت
لأبي عبيدة مع النّظام^(٣) ، والذي تقدّم أصبح إن شاء الله تعالى .

وقال المأموني^(٤) :

سَأْتَرُكُ النَّحْوَ لِأَصْحَابِهِ وَأَصْرِفُ الْهِمَّةَ فِي الصَّيْدِ
إِنَّ ذَوِي النَّحْوِ لَهُمْ هِمَّةٌ مَوْسُومَةٌ بِالْمَكْرِ وَالْكَدِّ
يَضْرِبُ عَبْدُ اللَّهِ زَيْدًا وَمَا يُرِيدُ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ زَيْدٍ

(١) الضحى البصرى ، من ثقات رجال الحديث ، ترجمته في تهذيب التهذيب ١٢/١٢٦ .

(٢) محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي ، أبو الهذيل الغلاب ، من أئمة المعتزلة ، ترجمته في تاريخ بغداد ٣/٢٦٦ ، وفیات الأعيان ١/٤٨٠ .

(٣) إبراهيم بن سيار بن هاني البصرى ، أبو إسحاق النظام من أئمة المعتزلة ، ترجمته في تاريخ بغداد ٩/٩٧ ، الباب ٣/٢٣٠ .

(٤) عبد السلام بن الحسين المأموني ، شاعر رقيق يفصل نسبه بالمأمون العباسي ، توفي سنة ٢٨٣ هـ ، انظر
الموايت والوليات ١/٢٧٣ ، بقيمة الدهر ٤/١٦٩ ، وانظر الابيات في المقيد الفريد ٢/٢٨٧ مذكوبة إلى بعض
الوراقين ، وقد ورد فيه البيت الأول :

رأيت يا حاد في الصيد أراباً تؤخذ بالأهدى

كتب غسان بن ربيع - المعروف بدمآذ^(١) - إلى أبي عثمان النحوى المازنى :

تَفَكَّرْتُ فِي النَّحْوِ حَتَّى مَلَيْتُ وَأَتَعَبْتُ نَفْسِي [بِهِ] وَالْبَدَنُ
فَكُنْتُ بِظَاهِرِهِ عَالِمًا وَكُنْتُ بِبَاطِنِهِ^(٢) ذَا فَطْنٍ
خَلَا أَنَّ بَابًا عَلَيْهِ الْعَفَا لِلْفَاءِ يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ
وَلِلَّوَاوِ بَابٌ إِذَا جِئْتَهُ^(٣) مِنْ الْمَقْتِ أَحْسَبُهُ قَدْ لَعِنُ
إِذَا قُلْتُ هَاتُوا لِمَاذَا يُقَا لُ : لَسْتُ بِأَتِيكَ أَوْ تَأْتِيَنِ
أَجِيبُوا لِمَا قِيلَ هَذَا كَذَا عَلَى النَّصْبِ ؟ قَالُوا : بِإِضْمَارٍ أَنَّ

ورويانا عن أبي حاتم السجستاني رحمه الله قيل : إنها له . والله أعلم .

وقال آخر^(٤) :

إِنَّمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يُتَّبَعُ وَبِهِ فِي كُلِّ عِلْمٍ يُتَفَعُّ
فَإِذَا مَا أَبْصَرَ النَّحْوُ الْفَتَى مَرَّ فِي الْمُنْطِقِ مَرًّا وَاتَّسَعَ
وَاتَّقَاهُ كُلُّ مَنْ جَالَسَهُ مِنْ جَلِيسٍ نَاطِقٍ أَوْ مُسْتَمِعٍ
وَإِذَا لَمْ يُبْصِرِ النَّحْوُ الْفَتَى هَابَ أَنْ يَنْطِقَ جُبْنًا وَانْقَمَعَ
يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لَا يَعْرِفُ مَا فَعَلَ الْإِعْرَابُ فِيهِ وَصَنَعَ

(١) م : حسان ، وقد ورد اسمه هكذا في بقية الأصول كما ورد في عيون الأخبار ، والصحيح أنه بدعى ربيع بن سلمة أبو غسان ، انظر أمالي القالى ١٨٦/٢ ، المقد الفريد ٤٨٩/٢ .

(٢) في ١ : بظاهره .

(٣) في ب : إلى جنبه ، وكذلك في عيون الأخبار والمقد الفريد .

(٤) فاتها الكسائي ، انظر ترجمته والأبيات في معجم الأدباء ١٣/١٩١ .

يَخْفِضُ الصَّوْتَ إِذَا يَقْرَأُ وَهُوَ لَا عِلْمَ لَهُ فِيمَا أُتْبِعَ
وَالَّذِي يَقْرَأُ عِلْمًا بِهِ
نَظِيرًا فِيهِ وَفِي إِعْرَابِهِ
أَمَّا فِيهِ سَوَاءٌ عِنْدَكُمْ
وَكَذَلِكَ الْجَهْلُ وَالْمِلْمُ فَخُذْ
وَهُوَ لَا عِلْمَ لَهُ فِيمَا أُتْبِعَ
إِنْ عَرَاهُ الشَّكُّ فِي الْحَرْفِ رَجَعَ
فَإِذَا مَا عَرَفَ الْحَقَّ صَدَعَ
لَيْسَتْ السَّنَةُ فِيْنَا كَالْبَدْعِ
مِنْهُ مَا شِدْتُ وَمَا شِدْتُ فَدَعِ

كان أبو مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان ، قد نظر في النحو ، فلما أحدث
الناس التصريف لم يحسنه ، وهجا أصحابه فقال :

قَدْ كَانَ أَخَذُهُمْ فِي النَّحْوِ يُعْجِبُنِي
لَمْ سَمِعْتُ كَلَامًا لَسْتُ أَعْرِفُهُ
تَرَكْتُ نَحْوَهُمْ وَاللَّهُ يَمُصِّمُنِي
حَتَّى تَمَاطُوا كَلَامَ الزَّانِجِ وَالزُّومِ
كَأَنَّهُ زَجَلُ الْغِرْبَانِ وَالْبُومِ
مِنَ النِّقَمِ فِي تِلْكَ الْجَرَائِمِ^(١)

وقال عمار الكلبى :

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الْمُسْتَعْرِبِينَ وَمِنْ
إِنْ قُلْتُ قَافِيَةً بِكُرٍّ يَكُونُ لَهَا
قَالُوا لَحْنَتْ فَهَذَا الْحَرْفُ مُنْخَفِضٌ
وَحَرَّشُوا بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ فَاجْتَهَدُوا
فَقُلْتُ وَاحِدَةً فِيهَا جَوَابُهُمْ
قِيَّاسِ نَحْوِهِمْ هَذَا الَّذِي ابْتَدَعُوا
مَعْنَى يُخَالِفُ مَا قَاسُوا وَمَا صَنَعُوا
وَذَلِكَ نَصَبٌ وَهَذَا لَيْسَ يَرْتَفِعُ
وَبَيْنَ زَيْدٍ وَطَالِ الضَّرْبِ وَالْوَجَعِ
وَكَثْرَةُ الْقَوْلِ بِالْإِيجَازِ تَنْقَطِعُ

(١) البيتان الأول والثاني في معجم الأدباء ١٣/١٩٣، ١٩٤ وقد ورد الشطر الأول من الثاني فيه : يعمل
نمل لاطاب من كلم .

مَا كُلُّ قَوْلِي مَشْرُوحٌ لَكُمْ فَخُذُوا
 حَتَّى أَعُودَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَدُّوا
 فَتَعْرِفُوا مِنْهُ مَعْنَى مَا أَفْوُهُ بِهِ
 كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ قَدْ احْتَالُوا لِمَنْظِقِهِمْ
 وَبَيْنَ قَوْمٍ رَأَوْا أَشْيَاءَ مُعَايِنَةً
 إِنِّي رُيِّيتُ بِأَرْضٍ لَا يُشَبُّ بِهَا
 وَلَا يَطَا الْقِرْدُ وَالْخِنْزِيرُ تَرَبَّتَهَا
 مَا تَعْرِفُونَ وَلَا لَمْ تَعْرِفُوا فَدَعُّوا
 بِمَا غَذِيتُ بِهِ وَالْقَوْلُ يَسْمَعُ
 كَأَنِّي وَهُمْ فِي قَوْلِهِ شَرَعٌ^(١)
 وَبَيْنَ قَوْمٍ عَلَى الْإِعْرَابِ قَدْ طَبِعُوا
 وَبَيْنَ قَوْمٍ حَكَّوْا بَعْضَ الَّذِي سَمِعُوا
 نَارُ الْمَجُوسِ وَلَا تُبْنَى بِهَا الْبَيْعُ
 لَكِنْ بِهَا الرِّيمُ وَالرُّبَالُ وَالضَّبْعُ^(٢)
 وقال أبو هفان^(٣) :

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَحْطَى
 وَأَنْ تَصْبِغَ ذَا مَالٍ
 وَإِنْ سَرَّكَ أَنْ تَشْقَى
 فَكُنْ ذَا نَسَبٍ ضَنْخٍ
 وَأَنْ تَلْبَسَ قَوْهِيًّا^(٤)
 فَكُنْ عَلَجًا نَبِيْطِيًّا^(٥)
 وَأَنْ تُصْبِحَ مَقْلِيًّا
 وَكُنْ مَعَ ذَاكَ نَحْوِيًّا

(١) شرع : سواء .

(٢) انظر الأبيات في مجمع الأدباء ٢٢٨ / ١١ ، أوردها الأخفش رواية عن أحد الأعراب .

(٣) أبو هفان عبد الله بن أحمد بن -رب المهزبي، كان شاعراً عالماً راوية من أهل البصرة ، وسكن بغداد . قال السيوطي في بنية الرعاة ، كان مقرراً ضيق المال ، يلبس ملايكاد يستقر جسده . توفي سنة ٢٥٧ هـ . انظر الألباب . ١٩٤ / ٣ ، تاريخ بغداد ٩ / ٣٧٠ .

(٤) القوهي : التوب الأبيض .

(٥) العاج : الرجل من كفار المعجم ، والنبيط والنبيط والأبباط : جبل من القرس ، كانوا ينزلون بالبطائح بن العراق كانوا يستنظرون لياها الجوية لاستعمالها في الزراعة .

بابُ اخْتِلَافِ عِبَارَتِهِمْ عَنِ الْبَلَاغَةِ

قال الْمُفَضَّلُ الضَّبِّيُّ لأَعْرَابِيٍّ : ما البلاغة ؟ قال : الإيجازُ في غير عجز ، والإطناب في غير خطل .

وقيل للأحنف : ما البلاغة ؟ قال : الإيجازُ في استحكام الحجج ، والوقوفُ عند ما يُكتفى به .

وقال خالد بن صَفْوَان لرجل كثير كلامه : إنَّ البلاغة ليست بكثرة الكلام ، ولا بحفَّة اللسان ، ولا كثرة الهذيان . ولكنها إصابة المعنى والقصد إلى الحجة .
وقيل لأعرابيٍّ : ما البلاغة ؟ فقال : لمحة دالة .

وقيل لبشر بن مالك : ما البلاغة ؟ قال : التقربُ من المعنى ، والتباعدُ عن حشو الكلام ، ودلالةٌ بقليل على كثير .

سئل عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : ما البلاغة ؟ فقال : القصدُ إلى عين الحجة بتقليل اللفظ .

وقال غيره : البلاغة معرفة الفصل من الوصل ، وفرق ما بين المُشْتَرَكِ والمُفْرَدِ وفصل ما بين المقيّد والمطلق ، وما يحتمل التأويل ويستغنى عن الدليل .

وقيل لبعض اليونانية : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .

وقيل لرجل من الروم : ما البلاغة ؟ قال : حسنُ الاقتصاد عند البديهة ، والفزارة يوم الإطالة .

وقيل لرجل : ما البلاغة ؟ فقال : حسنُ الإشارة ، وإيضاحُ الدلالة ، والبَصَرُ بالحجة ، وانتهازُ مواضع الفرصة .

وسأل معاوية بن أبي سفيان صُحَّارًا العبدى : ما البلاغة عندهم ؟ ، قال : الإيجاز . قال : ما الإيجاز ؟ قال : أن تقول فلا تخطئ ، وتسرع فلا تبطل . فقال معاوية : وكذلك تقول ؟ قال : أقلنى يا أمير المؤمنين . أنت لا تخطئ ولا تبطل .

وقد روى مثل هذا المعنى للحجاج مع ابن القُبَيْعَرَى . فإله أعلم .

وقالوا : أبلغُ النَّاسُ أحسنهم بديهة ، وأمثلهم لفظًا .

قال خالد بن صفوان : خيرُ الكلام ما ظُرِفَتْ معانيه ، وشرُفَتْ مَبَانِيه ، والتذَّتْ به آذان سامعيه .

بَابُ مَنْ خَطَبَ فَأَرْتَجَّ (١) عَلَيْهِ

قال الحرث بن جابر ، وكان أحد حكماء العرب — فيما أوصى به ابنه : وإياك والخطب فإنها مشوارٌ كثير العثار .

صعد عثمان بن عفان رضى الله عنه على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم أرتج عليه ، فقال : أمّا بعد ، فإنّ أولَ كُـلِّ مركبٍ صعب ، وما كنا خطباء ، وسيعلم الله ، وإن امراً ليس بينه وبين آدم أب (٢) حتى لموعوظ .

ويروى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه صعد المنبر فأرتج عليه . فقال : إنّ أبا بكر وعمر كانا يُعدّان لهذا المقام مقالا . وأنتم إلى إمام فقال أحوج منكم إلى إمام قوال .

وروى في هذا الخبر : أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام قائل .

وروى أنّ عثمان لما بويع ، قام فحمد الله وأثنى عليه ثم أرتج عليه ، فقال : وليناكم وعدّنا فيكم ، وعدّنا عليكم خيرٌ من خطبتنا فيكم ، فإن أعشّ يأتكم الكلام على وجهه .

وروى أنّ عبد الرحمن بن جابر بن الوليد ، خطب الناس على منبر حمص فأرتج عليه . فقال : يا أهل حمص ! أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب مصقع (٣) ، ثم نزل .

وأرتج يوماً على عبد الملك بن مروان ، فقال : نحن إلى الفضل في الرأى ، أحوج منا إلى الفضل في المنطق .

(١) أى استغلق عليه الكلام . (٢) ساقط من ا ، ب ، ح .

(٣) الخطيب المصقع : البليغ ، أو الدال الصوت ، أو الذى لا يرتج عليه ولا يلامه .

وأرتج على معن بن زائدة ، وهو على المنبر ، فضرب يده ثم قال : فتي حرب
لا فتي منابر .

صعد عبدالله بن عامر منبر البصرة ، فخصر ، فشق ذلك عليه ، فقال له زياد :
أيها الأمير ! إنك إن أقمتَ عائمةً من ترى أصحابهم أكثر مما أصابك .

صعد على بن أرطاة المنبر ، فقال : الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويسقيهم .

أرتج على خالد بن عبدالله القسري على منبر الكوفة ، فقال : إن هذا الكلام يجيء
أحياناً ويعزبُ أحياناً ، ويسهل عند محيئه ، ويعسر عند عزوبه طلبه ، وربما مُطلب^(١)
فأبى ، وكو بر فعضى^(٢) ، فالتأني لمحبيته أيسر من التعالي لأبيه وهو يخلاج^(٣) من الجريء
جنانه ، وينقطع من الذرب لسانه ، فلا ينظره القول إذا اتسع^(٤) ، ولا يكسره
النطق إذا امتنع ، وسأعود فأقول إن شاء الله .

خطب رجل من الأزد أقامه زياد للخطبة على منبر البصرة ، فلما رقى المنبر ، وقال
الحمد لله ، أرتج عليه ، فقال : قد والله هممتُ ألا أحضر اليوم ، فقالت لي امرأتى :
نشدتك الله إن تركت الجمعة وفضلها ، فأطعتها ، فوقفتُ هذا الموقف ، فاشهدوا
أنها طالق . فقالوا له : انزل فبحك الله . وأنزل إنزالاً عنيفاً . وقد قيل : إن هذه
القصة لو أزعج البشكري ، وفي ذلك قال الشاعر :

وما ضرَّني ألا أقومَ مُخطِبةً وما رغبتُ في مثل ما قالَ وازع^(٥)

(١) في ١ : طلبه ، وما أثبتناه موافق لما في عيون الأخبار ٢٥٧/١ .

(٢) في العيون : فعضا ، ومعناها : عسر وشق .

(٣) في عيون الأخبار ٢٥٧/١ : وقد يختلط .

(٤) وفيها أيضاً بدل هذا : فلا يطره ذلك ولا يكسره .

(٥) البيان والتبيين ٢/٢٨٠ ، وفيه : وما رغبتُ في ذا الذي قال وازع .

وذكر القهري عن أبيه قال : قام القلاخ بن حزن^(١) يوم عيد خطيباً ، فقال : الحمد لله الذي خلق السموات والأرض في ستة أشهر . ف قيل له : إنما خلقها في ستة أيام فقال : أقبلوني ، فوالله لقد ظننتُ أنني أقلتُ ، وكنت أريدُ أن أقول في ست سنين .

صعد رَوْحُ بنُ حاتم المنبر ، فلما رآهم قد فتحوا أسماعهم وشقّوا أبصارهم ، قال : نكسوا رؤوسكم ، وغضّوا أبصاركم ، فإن أول كلِّ مركب صعب ، وإذا يسّر الله فتح قفل يُسرّ .

خطب مُصعبُ بن حَيَّان خطبة نكاحٍ مُخَصَّر ، فقال : لقنوا موتاكم شهادةَ ألا إلهَ إلا الله ، فقالت أمّ الجارية : عجل الله موتك ، ألهذا دعوناك ؟

قيل لرجل من الوجوه : قم فاصعد المنبر فتكلم ، فقام . فلما صعد المنبر حُصِر ، فقال : الحمد لله الذي يرزق هؤلاء . وبقي ساكناً فأنزلوه وأصعدوا آخر ، فلما استوى قائماً وقابل وجوه الناس بوجهه ، وقعت عينه على رجلٍ أصلع وحُصِر ، فقال : اللهم العن هذه الصلعة .

صعد عتّابُ بنُ ورقاء منبر أصهبان فحصر ، فقال : والله لا أجمع عليكم عيًّا وبجلاً ، ادخلوا سوقَ النعم فمن أخذ شاة فهي له وثمنها على . وقد روى أن هذا إنما عرض لعبد الله بن عامر على منبر البصرة ، وأن عتّاب بن ورقاء هو الذي قام على المنبر فحمد الله ثم أرتج عليه ، فجعل يقول : أمّا بعد أمّا بعد ... ، وقبلالة وجهه شيخ أصلع

(١) في الأصل القلاح ، وما أثبتناه هو الصحيح فهو القلاخ بن حزن السعدي أبو خراش ، من شعراء بني أمية انظر مشيخته النسبة للذهبي ١٣/٢ .

فقال : أَمَا بَعْدُ يَا أَصْلَحَ ، فَوَاللَّهِ مَا غَلَّطَنِي غَيْرُكَ ، عَلَىَّ بِهِ ، فَأَتَى بِهِ فَضْرَبَهُ أَسْوَاطًا .
وصعد آخر المنبر فقال : إِنْ اللَّهَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْمَعَاصِي ، وَقَدْ أَهْلَكَ أُمَّةً مِنْ
الْأُمَمِ بِمَقْرَمِ نَاقَةٍ لَا تَسَاوِي مَائَتِينَ وَخَمْسِينَ دِرْهَمًا ، فَسَمَّى مَقْرَمَ النَّاقَةِ .
وهذا هو عبد الله بن أبي ثور عامل ابن الزبير على المدينة .
ذكر عمرو بن شبة ، حدثنا الحسين بن عثمان عن بعض علماء المدينة ، قال : ثُمَّ عَزَلَ
ابْنُ الزَّيْبِرِ عَبِيدَةَ بْنَ الزَّيْبِرِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي ثَوْرٍ حَلِيفَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ،
فَلَقَّبَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مَقْرَمَ نَاقَةِ اللَّهِ ، وَغَلَّتِ الْأَسْمَارُ فَتَشَاءُ مَوَا بِهِ ، فَعَزَلَهُ ابْنُ الزَّيْبِرِ .
صعد أعرابي المنبر فقال : أَقُولُ لَكُمْ مَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ : ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى
وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ ^(١) ، فَقَالُوا لَهُ : هَذَا فِرْعَوْنُ . فَقَالَ : قَدْ وَاللَّهِ
أَحْسَنَ الْقَوْلِ .

قال بُزْرُجْهَرُ : هَيْبَةُ الزَّلَالِ تَوْرَثُ حَصْرًا ، وَهَيْبَةُ الْعَاقِبَةِ تَوْرَثُ جُبْنًا .

بَابُ حَمْدِ الصَّمْتِ وَذَمِّ الْمَنطِقِ

- قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : « مَنْ صَمَتَ نَجَا » .
- ورؤينا عن عُقْبَةَ بْنِ حَامِرٍ ، أنه قال : يا رسول الله ! فيم النِّجاة ؟ فقال : « يا عقبة ! أمسك عليك لسانك ، وليسحك يديك ، وابك على خطيئتك » .
- وروى أنه من كلام لقمان والله أعلم .
- وقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : « من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » .
- وقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : « ويلٌ لمن يحدثُ الناسَ فيكذبُ ليضحكهم ، ويلٌ له ، ثم ويلٌ له » .
- وعن عيسى عليه السلام ، أنه قال : لا تُكثِرُوا الكلامَ بغير ذكر الله فتفتنوا قلوبكم .
- وبَلَّغَنَا أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ لَقِيَ لُقْمَانَ بعد ما كَبُرَتْ سُنُّهُ ، فقال : ما بقي من عقلك ؟ فقال : لا أنطقُ فيما لا يعنيني ، ولا أتكلِّفُ ما كُفِّيتُه .
- وقال ابن مسعود : أنذركم فضولَ الكلام .
- وعن ابن مسعود وسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ، قالا : أَكْثَرُ النَّاسِ وَقُوفًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ خَوْضًا فِي الْبَاطِلِ .
- وعن عَطَاءٍ : فضولُ الكلام ما عدا تلاوةَ القرآن ، والقولُ بالسنة عند الحاجة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وأن تَنطِقَ في أمر لا بدَّ لك منه في معيشتك ،

أَمَا يَسْتَحْي أَحَدُكُمْ أَنْ لَوْ نُشِرَتْ عَلَيْهِ صَحِيفَتُهُ الَّتِي أَمْلَاهَا صَدْرُ نَهَارِهِ أَنْ يَرَى أَكْثَرَ مَا فِيهَا لَيْسَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَلَا دُنْيَاهُ ، ثُمَّ تَلَا : ﴿ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ ^(١) ﴾ وَ ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ^(٢) ﴾ .

وعنه عليه السلام أنه قال : « البرُّ ثلاثة : المنطقُ والنظرُ والصمتُ ، فمن كان منطقُهُ في غير ذكر فقد لَغَا ، ومن كان نظرُهُ في غير اعتبارٍ فقد سَهَا ، ومن كان صمتهُ في غير تفكيرٍ فقد لَمَا » .

قال بعضُ الشعراء :

لَسْتُ بِمَنْ لَيْسَ يَذَرِي مَا هَوَانٌ مِنْ كِرَامَةٍ
إِنَّ لِلنُّصْحِ وَلِلْغَيْثِ عَلَى الْعَيْنِ عِلَامَةٌ
لَيْسَ يَخْفَى الْحُبُّ وَالْبُتَّةُ ضُوءٌ وَإِنْ رُمْتَ اكْتِسَامَةٌ
لَيْسَ فِي أَخْذِكَ بِالْفَضْلِ وَبِالْحِلْمِ نَدَامَةٌ
وَجَوَابُ الْجَاهِلِ الصَّمْتُ وَفِي الصَّمْتِ سَلَامَةٌ

وعن الأصمعيّ قال ، قال أعرابيّ : السَّكُوتُ صِيَانَةٌ لِلَّسَانِ وَسِتْرٌ لِلْعَيْنِ .

وقال أعرابيّ في رجلٍ رماه بالعيّ : رأيتُ عثراتِ النَّاسِ فِي أَرْجُلِهِمْ ، وَعَثْرَةُ فُلَانٍ بَيْنَ فُكَيْهِ .

(١) سورة الانشقاق الآيةان ١٠ ، ١١ .

(٢) سورة ق : الآيةان ١٧ ، ١٨ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليشكّم بالكلمة من سُخْطِ الله ما يظن أنها تبلغ ما بلغت ، يكتب الله له بها سُخْطه إلى يوم القيامة ^(١) » .
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله يكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » .

وذكر الأصمعيّ قال ، قال أعرابيّ : الكلمة أسيرة في وثاق الرجل ، فإذا تكلم بها كان أسيراً في وثاقها .

قيل لبكر بن عبد الله المزنيّ : إنك تطيل الصمت ؟ فقال : إنّ لسانى سبع ، إن تركته أكلنى .

وأنشد الخشنيّ :

لِسَانُ الْفَتَى سَبْعٌ عَلَيْهِ مُرَاقِبٌ فَإِنَّ لَمْ يَزَعْ مِنْ غَرِبِهِ فَهُوَ آكِلُهُ ^(٢)
وقال الراجز :

الْقَوْلُ لَا تَمْلِكُهُ إِذَا نَمَا كَالسَّهْمِ لَا يَرْجِعُهُ رَامٍ رَمَا

وقال آخر :

فَدَاوَيْتُهُ بِالْحَلِيمِ وَالْمَرْءُ قَادِرٌ عَلَى مَسْمُومِهِ مَا دَامَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ ^(٣)
قال هُبَيْرَةُ بن أَبِي وَهَبٍ :

(١) راجع أول الحديث في ص ٥٤ .

(٢) البيت لبكر بن عبد الله المزنيّ ، كما في لباب الآداب ٢٧٥ ، وفيه : شذاته بدل مهاقب ، والشذاة الجرأة والحدة ، وزع : يكف . والغرب : الحدة والسفه .

(٣) البيان ١٩٧/٣ بغير نسبة ، وقد نسبت في حاشية البهري ٣٨٢ لمن بن أوس الزنيّ ، ووردت الشرطة الأولى فيه : فبادرت منه النأي والمرء قادر . ويقال فلان يرأب النأي أى يصلح الفساد . وانظره في المقدم الفرید ٢٧٦/٢ .

وإنَّ مَقَالَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ لَكَائْتِبَلٍ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نِيصَالُهَا^(١)
قال أبو العتاهية :

مَنْ لَزِمَ الصَّمْتَ نَجَا مَنْ قَالَ بِالْخَيْرِ غَنِمَ^(٢)

اجتمع أربعة حكماء ، فقال أحدهم : أنا على ردِّ ما لم أقل ، أقدر مني على ردِّ ما قلت ، وقال الآخر : لأن أندم على ما لم أقل ، أحبَّ إليَّ من أن أندم على ما قلت ، وقال الثالث : إذا تكلمت بالكلمة ملكتنى ، فإذا لم أتكلم بها ملكتها ، وقال الرابع : عجبت ممن يتكلم بالكلمة ، إن ذكرت عنه ضرته ؛ وإن لم تذكر عنه لم تنفعه .

قال طرفة بن العبد :

وإنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ حَصَاةٌ عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلُ^(٣)

وقال منصور الفقيه :

عَلَيْكَ الشُّكُوتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ الْقَوْلِ بُدٌّ فَقُلْ أَحْسَنَهُ
فَرَبَّمَا فَارَقْتُ بِالَّذِي تَقُولُ أَمَا كُنْهَا الْأَلْسَنَةُ

وقال آخر :

أَيُّهَا الْمَرْءُ لَا تَقُولَنَّ قَوْلًا لَسْتَ تَبْزِي مَاذَا يَجِئُكَ مِنْهُ
وَإِذَا أَنْتَ قُلْتَ قَوْلًا فَرِئَهُ وَاخْزِنْ الْقَوْلَ ؛ إِنَّ فِي الصَّمْتِ حُكْمًا

(١) البيان ٣/١٩٧ ، الأمالي ١/٧٢ ، حاشية البجنى ٣٦٨ .

(٢) ديوانه ٢٤٣ ، جامع بيان العلم ١/١٣٩ .

(٣) ديوانه ٧٦ ، الشعر والشعراء ١٤٧ ، مجموعة المأني ٧٠ ، حاشية أبي تمام ٢/١٧٤ ، والحصاة : إرأى والعقل .

وَإِذَا النَّاسُ أَكْثَرُوا فِي حَدِيثٍ لَيْسَ مِمَّا يَزِيهِمْ قَالَهُ عَنْهُ^(١)
وَقَالَ أَحْيَعَةُ بْنُ الْجَلَّاحِ^(٢) :

الصَّمْتُ أَكْرَمُ بِالْفَقَى مَا لَمْ يَكُنْ عِيٌّ يَشِيئُهُ
وَالْقَوْلُ ذُو خَطَلٍ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لُبٌّ يُعِينُهُ

قال ابن مقسم ، سمعت جحظة يقول : سمعت المأمون يقول : السخافة كثرة
الكلام ، وصحبة الأندال .

أنشد ابن المبارك^(٣) أخاه له كان يصحبه :

وَاعْتَمِمْ رَكْمَتَيْنِ زُلْفَى إِلَى اللَّهِ إِذَا كُنْتَ فَارِغًا مُسْتَرِيحًا
وَإِذَا مَا تَهَمَّمْتَ بِالْمَنْطِقِ الْبَا طَلٍ فَاجْعَلْ مَكَانَهُ تَسْبِيحًا
إِنَّ بَعْضَ السُّكُوتِ خَيْرٌ مِنَ النُّطْقِ قِي وَإِنْ كُنْتَ بِالْكَلامِ فَصِيحًا

وقال أبو العتاهية^(٤) :

أَلَا إِنَّ بَعْدَ الدُّخْرِ ذُخْرًا تُنِيلُهُ وَشَرُّ كَلَامٍ الْقَائِلِينَ فُضُولُهُ
عَلَيْكَ عَمَّا يَعْنِيكَ مِنْ كُلِّ مَا تَرَى وَبِالصَّمْتِ إِلَّا عَنْ جَمِيلِ تَقُولُهُ

(١) الأبيات لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، المتوفى سنة ١٢٩ هـ ، انظر البيان والعيين ٢٧٤/١ ، باب الآداب ٢٧٧ .

(٢) ابن الحريش الأوسى ، شاعر جاهلي من دهاة العرب وشجعانهم ، كان سيد الأوس في الجاهلية ، مات قبل الهجرة بنحو ١٣٠ سنة . انظر الأغاني ١٣/١١٥ ، خزنة الأدب ٢/٢٣ ، وانظر البيهقي في البيان ١/٢٠٠ وفيه : أحسن بالفق ، باب الآداب ٢٧٧ وفيه : أجمل ...

(٣) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي ، شيخ الإسلام ، جمع المعرفة بالحديث والفقه والعربية وأيام الناس تولى سنة ١٨١ هـ . انظر شذرات الذهب ٩/٢٩٥ ، تاريخ بغداد ١٠/١٥٢ .

(٤) ديوانه ٢٣١ ، ورواية الدخر الأول فيه : ألا إن أبقى الدخر خير تنيله .

وله :

وَحَسْبُكَ يَمُنُّ إِنْ نَوَى الْخَيْرَ قَالَهُ وَإِنْ قَالَ خَيْرًا لَمْ يُكَذِّبْهُ فِعْلُهُ^(١)

كان يقال : العافية عشرة أجزاء ، تسعة منها في الصمت ، وجزء في الهرب من الناس .

كان يقال : من طَوَّلَ صَمْتَهُ ، اجْتَلَبَ من الهيبة ما ينفعه ، ومن الوَحْشَةَ مالا يضره .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ الَّذِينَ يُكْرَمُونَ اتِّقَاءَ أَلْسِنَتِهِمْ » .

وقال الشاعر :

صَمْتُ عَلَى أَشْيَاءَ لَوْ شِئْتُ قُلْتُهَا وَلَوْ قُلْتُهَا لَمْ أَبْقِ لِلصَّلَاحِ مَوْضِعًا^(٢)

وقال منصور الفقيه :

خَرِسٌ إِذَا سَأَلُوا وَإِنْ قَالُوا : عَيٌّْ أَوْ جَبَانٌ
فَالْعَيُّْ لَيْسَ بِقَاتِلٍ وَلَرُبَّمَا قَتَلَ اللِّسَانُ

كان يقال : اخزن لسانك كما تخزن مالك .

قال امرؤ القيس^(٣) :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْزِنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخِزَانٍ

(١) ديوانه ٢٣٦ .

(٢) وفيات الاعيان ١٣٣/٥ ، وفيه : وأغضى على ...

(٣) ديوانه ١١٤ ، الشعر والشعراء ٥٩ ، فصل المقال ٢١ ، السكامل ١٥/٢ ، حواصة البحري ٢٢٤ .

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ إِنَّ صَمْتِكَ أَلْفَ عَامٍ لِأَصْلَحٍ مِنْ كَلَامِكَ بِالْفُضُولِ
فَأَمْسِكَ أَوْ تَرَى لِلْقَوْلِ وَجْهًا يَبِينُ صَوَابُهُ لِدَرِي الْمُقُولِ

روينا أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، أخذ يوماً بطرف لسانه وقال :
ها إن ذا^(١) أوردنى الموارد .

وقال ابن مسعود رحمه الله : إن كان الشُّؤْمُ فى اللِّسان ، ووالله ما على وجه الأرض
شئٌ أحقَّ بطول سجن من اللسان .

أخذه الشاعر^(٢) فقال :

وَمَا شَيْءٌ إِذَا فَكَّرْتَ فِيهِ أَحَقُّ بِطُولِ سَجْنٍ مِنْ لِسَانٍ

كان يقال : اللسانُ سبعُ عقور .

قال الشاعر :

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ كَيْثًا مُغِيرًا^(٣)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ
إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» .

قال الله عز وجل : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾^(٤) ، وقال :

(١) ب : هذا .

(٢) هو الحسين بن محمد النجيبى القرطبى المتوفى سنة ٥٤٦ هـ ، انظر معجم الأدباء ١٠/١٥٩ .

(٣) عبون الأخبار ١/٣٣٠ ، ٣/١٧٨ ، فصل المقال ٢٠ .

(٤) سورة قى آية : ١٨ .

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كَرَامًا كَاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(١) .
 وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ اللَّهُ عِنْدَ لِسَانٍ كُلِّ قَائِلٍ ،
 فَلْيَنْظُرْ كُلُّ امْرِئٍ مَا يَقُولُ » .

قال عمار الكلابي :

وَقُلِ الْحَقُّ وَإِلَّا فَاصْطِنِ إِنَّهُ مَنْ لَزِمَ الصَّمْتَ سَلِمَ
 إِنْ طَوَّلَ الصَّمْتُ زَيْنٌ لِلْفَتَى مِنْ مَقَالٍ فِيهِ عِيٌّ وَبِكُمْ
 قال النبي صلى الله عليه وسلم : « رحم الله امرءاً أمسك فُضِّلَ لِسَانُهُ ، وبُذِلَ
 فَضْلُ مَالِهِ ، وعَلِمَ أَنْ كَلَامَهُ مَحْصِيٌّ عَلَيْهِ » .

قال الأصمعي : مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَتْ خَطَايَاهُ .
 وقال أبو الدرداء : مِنْ فَقْهِ الرَّجُلِ قَلَّةٌ كَلَامُهُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ .
 وقال مالك بن دينار : لو كانت الصُّحُفُ مِنْ عِنْدِنَا ، لَأَقْلَلْنَا الْكَلَامَ .

قال الشاعر :

فِي نَبْوَةِ الدَّهْرِ لِي عُذْرٌ فَلَا تَلَمُ مَنْ أَقْعَدَتْهُ حُرُوفُ الدَّهْرِ لَمْ يَقْصُرْ
 حَصْرٌ^(٢) يُقْصِرُ بِي عَنْ كُلِّ مَرْتَبَةٍ وَمَا تُقْصِرُ عَنْ نَيْلِ لَهَا هِمَمِي
 إِنْ قَابِلِي قَائِبٌ بِالصَّمْتِ قَاتٌ لَهُ حَبْسُ الْفَتَى نَطْقُهُ خَيْرٌ مِنَ النَّدَمِ
 وقال معمر بن حمار البارق :

(١) سورة الانطار ، الآيات : ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

(٢) المحصر بالجرىك : العى فى المنطق .

الشَّعْرُ لُبُّ الْمَرْءِ يَعْرِضُهُ وَالْقَوْلُ مِثْلُ مَوَاقِعِ النَّبْلِ^(١)
وقال آخر :

وَالْقَوْلُ يَنْفَعُ مَا لَا تَنْفَعُ الْإِبْرَمُ^(٢)

لما خرج يونسُ عليه السلام من بطن الحوت ، أطل الصمت ، فقليل له :
ألا تتكلم ؟ فقال : الكلامُ صَيَّرَنِي فِي بطنِ الْحُوتِ .
قال عمرُ بن عبد العزيز : المحظوظُ التَّقِيُّ يلجمُ لسانه ، أخذَه الحسن بن
هانيء فقال :

إِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ أَلْجَمَ فَاهُ بِلِجَامٍ .

مَتَّ بَدَاءَ الصَّمْتِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ^(٣)

سئل عمرُ بن عبد العزيز — رحمه الله — عن قتلةِ عثمان ، فقال : تلك دماء كَفَّ
الله عنها يدي ، فأنا أكره أن أغمسَ فيها لسانِي .

وقال يزيدُ بن أبي خُبَيْبٍ : المتكلم ينتظرُ اللعنة ، والمُتَصَمِّتُ ينتظرُ الرحمة .
ويقال : شر ما طبع الله عليه المرء ، خُلِقَ دَنِيٌّ ، ولسانُ بَدِيٍّ .

وقالوا : البُذَاءُ مِنَ النِّفَاقِ .

وقال ابن القاسم : سمعتُ مالكا يقول : لا خير في كثرة الكلام ، واعتبر
ذلك بالنساء والصبيان . إنما هم أبدأ يتكلمون ، لا يصمتون .

(١) الحيوان ٦١/٣ ، ونسب في معجم الشعراء ٤١١ ، الأغاني ١٠/١٦٧ إلى المتوكل اللحي .

(٢) نصف بيت الأخطل ، وقد سبق في ص ٥٩ .

(٣) ديوانه ١٩٤ ، البيان ٧٩/٢ ، ١٩٩/٣ ، لباب الآداب ٢٧٤ ، مع تأخير الشطر الأول وتقديم الثاني

فهما جمعا ، وانظر وفيات الأعيان ١٢٩/٢ . ١٣٠ . مجموعة المعاني ٧٠ .

وقال الحسن: لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد أن يتكلم فكر ، فإن كان له قال ، وإن كان عليه سكت ، وقلب الجاهل من وراء لسانه .

قال نصر بن أحمد^(١) :

لِسَانُ الْفَقِي حَتْفُ الْفَقِي حِينَ يَجْهَلُ وَكُلُّ أَمْرٍ مَا بَيْنَ فَكِّيهِ مَقْتَلُ
وَكَمْ فَاتِحَ أَبْوَابِ شَرٍّ لِنَفْسِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ قُلُّ عَلَى فِيهِ مُقْفَلُ
إِذَا مَا لِسَانُ الْمَرْءِ أَكْثَرَ هَذَرُهُ فَذَلِكَ لِسَانُ بِالْبَلَاءِ مُوَكَّلُ
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا مُسَلِّمًا فَدَبِّرْ وَمَيِّزْ مَا تَقُولُ وَتَفْعَلُ

قال صالح بن جناح^(٢) :

أَقْلِلْ كَلَامَكَ وَاسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهِ إِنَّ الْبَلَاءَ يَبْغِضُهُ مَقْرُونُ
وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْتَفِظْ مِنْ غِيهِ حَتَّى يَكُونَ كَأَنَّهُ مَسْجُونُ
وَكَكُلِّ فَوَادِكَ بِاللَّسَانِ وَقُلْ لَهُ إِنَّ الْكَلَامَ عَلَى كَمَا مَوْزُونُ
فَرَانَاهُ وَلَيْكَ مُحْكَمًا فِي قَلَّةِ إِنَّ الْبَلَاغَةَ فِي الْقَلِيلِ تَكُونُ

(١) نصر بن أحمد الخبزي أوزي البصري ، شاعر غزل ظريف ، كان يخبز خبز الأرز بمريد البصرة في دكان ، وينشد فيه أشعاره في الغزل ، مات سنة ٣٢٧ هـ ، انظر تاريخ بغداد ١٣ / ٢٩٧ ، وفيات الأعيان ٥ / ١٨ ، الأعلام ٨ / ٣٣٧ ، وانظر الأبيات من نصيدة طويلة في تاريخ بغداد : ١٣ / ٢٩٧ ، ٢٩٨ جامع بيان العلم ١ / ١٣٨ .

(٢) اللخمي ، شاعر دمشقي من الحكماء ، أدرك التابعين ، انظر الأعلام ٣ / ٢٧٤ ولم يذكر فيه شيئا عن تاريخ مولده أو وفاته ، ومن المدير بالذكر أن الأستاذ محمود شاكر ذكر في باب الآداب تحقيق الشيخ أحمد شاكر هاشم من ٢٨ أنه يحتمل أن يكون صالح بن جناح هو صالح بن عبد القدوس ، وأنه أخفى نفسه بهذا الاسم في بعض الأوقات خوفاً من الطاب ، وساق في ذلك دليلاً حريصاً بالتقدير ، فارجع إليه ، وانظر البيت الأول في جامع بيان العلم ١ / ١٣٧ ماسوقاً إلى عبد الله بن طاهر .

قال اللاحق^(١) :

أخْفِضِ الصَّوْتِ إِنَّ نَطَقْتَ بِلِيلٍ وَالتَّفَتِ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الْكَلَامِ

قال آخر :

أَرَى الصَّمْتَ خَيْرًا مِنْ كَلَامٍ بِعَاطَمٍ فَكُنْ صَامِتًا تَسْلَمَ وَإِنْ قُلْتَ فَأَعْدِلِ
وَلَا تَكُ فِي حَقِّ الْإِخَاءِ مُفَرِّطًا وَإِنْ أَنْتَ أَبْغَضْتَ الْبَغِيزَ فَأَعْجِلِ
وَلَا تَعْجَلَنَّ يَوْمًا بِشَرِّ تَرْيْدُهُ وَإِذْ مَا هَمَمْتَ الدَّهْرَ بِالْخَيْرِ فَأَعْجَلِ
أَلَا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرٌ مَغَبَّةٍ وَأَفْضَلُ زَادِ الظَّالِمِ الْمُتَحَمِّلِ^(٢)

وقال آخر :

عَوِّذُ لِسَانِكَ قَوْلَ الصِّدْقِ تَحْظَ بِهِ إِنَّ اللِّسَانَ لِمَا عَوَّدْتَ مُعْتَادُ^(٣)

وقال الحكماء : إذا تمَّ العقل نقص الكلام ، فضل العقل على المنطق حكمة ،
وفضل المنطق على العقل هُجْنَةٌ^(٤) .

وقال عمرو بن العاص : زَلَّةُ الرَّجُلِ عَظْمٌ يُجْبَرُ ، وَزَلَّةُ اللِّسَانِ لَا تَبْقَى وَلَا تَذُرُ :

وقال أعرابي :

عَثَرَاتُ اللِّسَانِ لَا تُسْتَقَالُ وَبِأَيْدِي الرِّجَالِ تُجْزَى الرِّجَالُ

(١) أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي ، شاعر مكث من أهل البصرة ، اتصل بالبراءة ونحو
بعضهم ، ونظم لهم كلمة ودية شعرا ، انظر خزانة الأدب ٤٥٨/٣ ، الأعلام ٢٠/١ ، وانظر البيت في عيون
الأخبار ٤١/١ ، لباب الآداب ٢٦٦ .

(٢) ورد البيت الأول في حساسة البحتري ٣٦٤ منسوباً إلى صالح بن عبد القدوس ، وورد البيت الأخير
فيها أيضاً ٢٥٠ منسوباً إلى أعشى باهلة .

(٣) لباب الآداب ٣٢٦ . (٤) الهجعة : العيب والنقص .

فَاجْعَلِ الْعَقْلَ لِلِّسَانِ عِقَالًا فَشِرَادُ اللِّسَانِ دَاءٌ عَضَالُ
إِنَّ ذَمَّ اللِّسَانِ مُبْقٍ عَلَى الْعِرْضِ ضٍ وَبِالْقَوْلِ تُسْتَبَانُ الْفِعَالُ

وقال غيره :

يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ الرَّجُلُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ^(١)
لَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجُلِ تَبْرَأَ عَلَى مَهْلٍ^(٢)

وقال منصور الفقيه :

وَاخْزَسْ إِذَا خَفِيتَ أَمْرًا رُحِيقٌ عَنْكَ عَنِ الْإِجَابَةِ
فَاقْلُ مَا يُجْزَى الْفَتَى بِسُكُوتِهِ عِزُّ الْمَهَابَةِ

وقال محمود الوراق :

وَلَفْظُكَ حِينَ تَلْفِظُ فِي جَمِيعِ وَلَا تَكْذِبْ مُقَدِّمَةً لِفَعْلِكَ^(٣)
فِرْنَهُ إِنْ أَرَدْتَ الْقَوْلَ وَزَنَا وَإِلَّا هَدَّ مِنْ أَرْكَانِ نُبْلِكَ

وقال آخر :

وَمَنْ لَا يَمْلِكُ الشَّفَتَيْنِ يَسْخُو بِسُوءِ اللَّفْظِ مِنْ قِيلٍ وَقَالَ

(١) ساقط من ب .

(٢) ورد البيتان في عبون الأخبار ١٨٠/٣ غير منسولين ، ونسبهما في العقد الفريد ٤٧٣/٢ إلى جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وانظرهما في وفيات الأعيان ٤٤٢/٥ من غير نسبة .

(٣) ١ : فتذبه لعقلك ، ب : فتعده لعقلك .

كَانَ يُؤْنَسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى يَنْشُدُ هَذِهِ الْأَيَّاتَ :

قَدْ أَفْلَحَ السَّائِيتُ الصُّمُوتُ كَلَامٌ وَاعِي الْكَلَامِ قُوتُ
 مَا كُلُّ قَوْلٍ لَهُ جَوَابُ جَوَابُ مَا تَكْرَهُ السُّكُوتُ
 يَا عَجَبًا لِأَمْرِي ظُلُومٍ مُسْتَيِّقٍ أَنَّهُ يَمُوتُ^(١)

(١) نسبت هذه الأبيات في الأغاني ٣/ ١٧٠ إلى محمد بن أبي العتاهية، وهي أيضا في ديوان والده ص ١٤، وانظرها في عيون الأخبار ١/ ١٧٩، لباب الآداب ٢٧٦.

بابٌ من مُزْدَوِجِ الكَلَامِ

الزوجةُ أحدُ الكاسِبِينَ ، وقيل إصلاحُ المالِ أحدُ الكاسِبِينَ .

قلَّةُ العِيَالِ أحدُ اليَسَارِينَ .

القَلَمُ أحدُ اللِّسَانِينَ .

الشَّيْبُ أحدُ العُسَرِينَ ^(١) .

اليأسُ أحدُ النُّجَجِينَ . ويقال : تعجيلُ اليأسِ ^(٢) أحدُ الظُّفَرِينَ .

حُسْنُ التَّقْدِيرِ أحدُ الكَسْبِينَ .

اللَّيْنُ أحدُ الجُبْنِينَ ^(٣) .

كثرةُ العِيَالِ أحدُ الفَقَرِينَ .

المالُ أحدُ الجَاهِينَ ^(٤) .

^(٥) الدُّعَاءُ لِلسَّائِلِ أحدُ العَطَائِينَ ^(٥) ، وقيل : الرَّدُّ عَلَى السَّائِلِ بالدُّعَاءِ إِحْدَى

الصَّدَقَتَيْنِ .

العَجِيزَةُ ^(٦) أحدُ الوَجْهَيْنِ ^(٦) . وقيل : الشَّعْرُ أحدُ الوَجْهَيْنِ .

(١) في ب : المبتتين .

(٢) في ب : البأس .

(٣) في ب : اللحين .

(٤) في ب : الجهالتين .

(٥) ساقط من أ .

(٦) ساقط من أ .

الشَّعْمُ إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ .

الْبَيَاضُ أَحَدُ أَبْجَا لَيْنِ .

الْمَرْقُ أَحَدُ اللَّحْمَيْنِ .

مَلِكُ الْمُعْجِنِ أَحَدُ الرَّيَّعَيْنِ^(١) . قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : اْمْلِكُوا الْمُعْجِنَ فَإِنَّهُ أَحَدُ الرَّيَّعَيْنِ .

الْمُبْلَغُ أَحَدُ الشَّائِئَيْنِ .

السَّامِعُ لِلْغَيْبَةِ أَحَدُ الْمُفْتَائِنِ .

الرَّائِيَةُ لِلْهِجَاءِ أَحَدُ الْهَجَّائَيْنِ .

فصل منه^(٢)

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ أَوْصَاهُ : « حَافِظْ عَلَى الْعَصْرَيْنِ » .

وَالْعَصْرَانِ : الصَّبْحُ وَالظُّهْرُ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

الْبَرْدَانِ : الْغَدَاةُ وَالْعِشَاءُ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْأَبْرَدَانِ : الْغَدَاةُ وَالْعِشَاءُ .

الْأَيْهَمَانِ : السَّيْلُ وَالْحَرِيقُ .

(١) الرِّيعُ : فَضْلُ كُلِّ شَيْءٍ وَزِيَادَتُهُ ، وَالْمَلِكُ وَالْإِمْلَاكُ : لِحُكْمِ الْعَمَلِ وَإِجَادَتِهِ ، وَالْمُرَادُ بِالرَّيَّعَيْنِ زِيَادَةُ الدَّلِيلِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ عَلَى كَيْلِ الْمَنْطَلَةِ ؛ وَعِنْدَ الْخَبَرِ عَلَى الدَّقِيقِ .
(٢) ساقط من ب .

الأحمران : الذهب والزعفران .

الأسودان : التمر والماء .

الأطيان : الأكل والجماع .

الأجوفان : الفم والفرج .

الأصفران : القلب واللسان .

الأكبران : الهمة واللُب .

الأصمغان : الفهم الذكي والرأي الحازم .

الجديدان : الليل والنهار ، وكذلك الملوآن ، وكذلك العصران ، قال محمد بن ثور الهلالي^(١) :

وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَصْرَانِ يَوْمًا وَلَيْلَةً إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكَمَا تَيْمَمًا^(٢)
وقال أبو بكر^(٣) بن دريد :

إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ إِذَا مَا اسْتَوَيَا عَلَى جَدِيدِ أَذْنِيَاهُ لِلْبَلَى^(٤)
وقال سليمان بن بطلال^(٥) :

وَتَقْلُبُ الْمَلَوَيْنِ بَيْنَهُمَا الرَّدَى
إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا يَجِيءُ بِهِ فَذَا

(١) ساقط من أ .

(٢) ديوانه ٨ : الأمل ١/١٣٨ ، ٨٧/٢ نهاية الأرب ٣/٦٢ ، وفيها جميعا : ولا يلبث .

(٣) في ب : محمد ، وهو على أي حال أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، من أئمة اللغة والأدب كانوا يصفونه بأنه أعلم الشعراء ، وأشعر العلماء ترجمته في معجم الأدباء ٦/٤٨٣ ، وفيات الأعيان ١/٩٧ ، تاريخ بغداد ٢/١٩٥ .

(٤) من هنا وتنقص النسخة ب ، قدرأ كبيرا ، لك جزء كبير من باب الأدب التالي .

(٥) البطليوسي ، فقيه مقدم ، وشاعر محسن الشعر ، ترجمته في جذوة المقتبس ٢٠٦ .

ال عمران : أبو بكر وعمر - رضى الله عنهما - هذا قول الأكثر .
 كما قالوا : المَكْتَنان : مكة والمدينة .
 والقمران : الشمس والقمر .

قال الفرزدق :

أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمَا لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ^(١)
 لم يختلفوا أنه أراد الشمس والقمر .

وقال أبو عبيدة في قول قيس بن زهير .

جَزَانِي الزَّهْدَمَانِ جَزَاءَ سُوءٍ وَكُنْتُ الْمَرْءُ يُجْزَى بِالكَرَامَةِ

أراد زهدماً وأخاه قيساً ابني محمد بن وهب من بني عبس بن بغيض ، وقال
 أبو عبيدة : الزهدمان : زهْدَمٌ وَكَرْدَمٌ .

قال أبو عمر : الحجة في هذا قول الله عز وجل : « وَلِأَبَوَيْهِ »^(٢) ، فالأبوان
 الأب والأم .

وقد قال قتادة : العُمران : عمرُ بن الخطاب ، وعمرُ بن عبد العزيز . والأول
 أشهر وأكثر .

(١) شرح ديوانه ٥١٩ ، الأمل ٨٤ / ١ .

(٢) سورة النساء آية ١١ .

باب من الأجوبة المسكتة وحسن البديهة^(١)

لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر بضرب عنق عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ^(٢)، فقال له : من للصبيّة يا محمد ؟ قال : النار .

قال الأعشى : احذروا الجواب ، فإن عمرو بن العاص قال لعدى بن حاتم : متى فقتت عينك يا أبا طريف ؟ قال : يوم طُعنْتَ في استك وأنت مولٌ يوم صفين .

شهد أعرابيّ بشهادة عند معاوية^(٣) على شيء ، فقال : كذبت . فقال : الكاذب والله مزمل في ثيابك . فتبسم معاوية^(٣) وقال : هذا جزاء من عجل .

أنشد ابن الرّقاع قصيدة يذكر فيها الخمر ، فقال له معاوية^(٤) : أما إني قد ارتبت فيك في جودة وصف الشراب ، فقال : وأنا قد ارتبت بك في معرفته .

قال تميم بن نصر بن سيّار لأعرابي : هل أصابتك تخمة قط ؟ قال : أما من طعامك وشرابك فلا .

قال عبد الملك بن مروان لبثينة : مارجا منك جميل ؟ قالت : ما رجعت منك الأمانة حين ملكتك أمرها .

(١) هذا الباب كله زيادة في م ، ولم يرد في النسختين ا ، ب .
(٢) هو عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس ، كنية أبيه « أبو معيط » ، كان شهيد الأذى للرسول والمسلمين عند ظهور الدعوة ، فأسس يوم بدر ، وأمر الرسول بقتله ثم صلب ، الأعلام ٥/٢٦٠ .
(٣) ساقط من م ، والتكلمة من الأجوبة المسكتة لابن أبي عون مخطوطة رقم ٨ أدب — معهد المخطوطات .
(٤) هذا خطأ ، فالمعروف أن معاوية توفى سنة ٦٠ هـ ، وابن الرقاع ولد نحو سنة ٩٠ هـ ، والأقرب أن تكون هذه القصة قد حدثت بين ابن الرقاع والوليد بن عبد الملك ، وهو المليفه الذي كان يقرب الشاعر ويعجب به .

وفي عيون الأخبار ٢/٢٦٧ . أن أعرابيا دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له : يا أعرابي صف الخمر . فلما وصفها قال له : ويحك يا أعرابي ، لقد اتهمك عندي حسن صفتك لها ، فقال : يا أمير المؤمنين ! واتهمك عندي معرفتك بحسن صفتي لها . وفي الأغاني ١٢٧/٦ : دخل ابن الأفرع على الوليد بن يزيد . الخ .

قيل لبعضهم : صحبت الأمير فلانا إلى اليمن ، فما ولأك ؟ قال : قفاه .

قيل لأعرابي : صف لنا النخلة . فقال : صعبة المرتقى ، بعيدة المهوى ، مهولة المجتنى ، رهيبة السلاح ، شديدة المؤونة ، قليلة المعونة ، خشنة المماس ، ضئيلة الظل .
دخل مومن بن زائدة على المنصور ، فأسرع المشى وقارب الخطر ، فقال له المنصور :
كبرت سنك يا مومن ؟ قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين . قال : وإنك مع ذلك
للجلد . قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين . قال : وإن فيك لبقية . قال : هي لك
يا أمير المؤمنين .

دخل عدى بن حاتم على معاوية ، وعنده عبد الله بن عمرو ، فقال له عبد الله :
يا عدى متى ذهبت عينك ؟ قال : يوم مثل أبوك هارباً ، وضرب على قفاه مولياً ،
وأنا يومئذ على الحق ، وأنت وأبوك على الباطل .

قال المهديّ لجريّر بن زيّد : يا جريّر إني لأعدّك لأمر . قال جريّر : إن الله
قد أعدّ لك منى قلباً معقوداً بنصيحتك ، ويداً مبسوطة بطاعتك ، وسيفاً مشحوداً على
عدوك ، إذا ما شئت .

قالت جارية ابن السّماك له : ما أحسن كلامك إلا أنك تردده . قال : أردده
حتى يفهمه من لم يكن يفهمه . قالت : فإلى أن يفهمه من لم يكن يفهمه يله من فهمه^(١) .
قال الحسن لابن سيرين : تعبّر الرؤيا كأنك من آل يعقوب . فقال ابن سيرين :
وأنت تفسر القرآن كأنك شهدت التنزيل .

(١) في الأجوبة المسكتة أنها قالت له : إلى أن يفهمه المعنى يكون قد ثقل على سمع الذكي .

قال رجل لعمر بن الخطاب : أهلكنا النوم . فقال : بل أهلكتم اليقظة .
مرت أمة بسعيد بن المسيب ، وقد أقيم ليضرب ، فقالت : يا شيخ ! لقد أقت
مقام الخزي . فقال : بل من مقام الخزي فررت .

قال رجل لعمر بن العاص : لأتفرغن لك . فقال : حينئذ تقع في الشغل .
لقى الحسن الفرزدق في حين خروجه إلى العراق ، فسأله عن الناس ، فقال :
القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنصر من الله .

قال رجل عند الحسن : أهلك الله الفخار . قال : إذا استوحش في الطريق .
قيل للأصمعي : لماذا لا تقول الشعر ؟ قال : الذي أريده لا يواتيني ، والذي
يواتيني لا أريده ، أنا كالمسنّ أشحذ ولا أقطع .

قيل لابن المقفع : مالك لا تقول الشعر ؟ فقال : الذي يواتيني لا أريده ، والذي
أريده لا يواتيني .

قال ابن منذر :

لَا تَقُلْ شِعْرًا وَلَا تَهَمُّ بِهِ وَإِذَا مَا قُلْتَ شِعْرًا فَأَجِدْ

قال عبدالله بن مروان لثابت بن عبدالله بن هلال : إنك أشبه الناس بإبليس .
قال : وما تنكر أن يكون سيد الإنس يشبه سيد الجن .

قيل لأعرابية من بني عامر : لقد أحسنت العزاء على ابنك . قالت : إن فقدته
أياسني من المصائب بعده^(١) .

(١) في الأجوبة المسكتة ورد هذا الخبر أيضاً ، وفيه أجابت الأعرابية : إن فقدته أياسني المصائب بعده .

ونعى إلى أعرابية ابن لها ، فقالت : لقد نعيموه كريم الجدّين ، ضيوكا إذا
أقبل ، كسوبا إذا أدبر ، يأكل ما وجد ، ولا يسأل عما فقد .

قال الأحوص للفرزدق : متى عهدك بالزنا ؟ قال : مذ ماتت العجوز أمك .

قال أبو الزناد لابن شبرمة في مناظرته له : من عندنا خرج العلم . فقال ابن
شبرمة : ثم لم يعد إليكم .

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب : ما أئين الشبق في رجالكم يا بني هاشم ! قال :
لكنه في نسائك يا بني عبد شمس أئين^(١) .

قال زهير :

« وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرِمِ » « ... وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمُ »^(٢)

قال معاوية لابن عباس : أتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم . فقال ابن عباس :
وأتم يا بني أمية تصابون في بصائرهم^(١) .

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب : أين ترى عملك أبا لهب ؟ قال : في النار ،
مفترشا عمّك حمالة الخطب . وكانت أم جيل امرأة أبي لهب بنت حرب بن أمية
ابن عبد شمس .

قال الرشيد لشريك القاضي : يا شريك ! آية في الكتاب ليس لك ولا لقومك

(١) في عيون الأخبار أن المبرين كانا بين معاوية وابن عباس ، وفي العقد وردا موافقين لما هنا .

(٢) هذا البيت ، ألفي من بيتين من معاملة زهير ، وهما :

ومن لا يكرم نفسه لا يكرم	ومن يغترب يحسب عدوا صديقه
يفره ومن لا يتق الشتم يشتم	ومن يتجمل المعروف من دون عرضه

فيها شيء . قال : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَكُرْكُوكَ
وَلِقَوْمِكَ ﴾ ^(١) ، فقال : آية أخرى ليس لي ولا لقومي فيها شيء . قال : وما هي ؟
قال : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ ^(٢) .

قال الرشيد لأبي الحارث جُمَيْرًا ^(٣) : أيسرك أن تخرا الغالية ^(٤) ؟ قال : لا والله
يا أمير المؤمنين . قال : ولم ؟ والناس يتمنونها . قال : أخاف أن يختم أمير المؤمنين
على سراويلي فلا يفتحها .

قال معاوية بكلام عرّض فيه بعبدالله بن الزبير ، فقال : يا أمير المؤمنين !
لا يكن حقنا منك أن تمسك يدك مغلولة إلى عنقك ، وتعمل لسانك في قومك .

وروى أن أبا بكر بن عياش كان أبرص ، وكان رجل من قريش يشرب
الخمر ، فقال له أبو بكر : قيل لنا إن نبيا من الأنبياء بعث بحلّ الخمر . فقال : لا أو من
به حتى يبرىء الأبرص .

قدم الوليد بن عقبة الكوفة في زمن معاوية ، فأتاه أهل الكوفة يسلمون
عليه ، وقالوا : ما رأينا بعدك مثلك . فقال خيرا أم شرّا ؟ قالوا : لم نر بعدك إلا
شرّا منك . قال : لكني والله مارأيت بعدكم شرّا منكم ، والله يا أهل الكوفة ،
إن حبكم لصلف ، وإن بنضكم لتلف .

قال المنذر بن الجارود لعمر بن العاص : أي رجل أنت لو كانت أمك من عز

(١) سورة الزخرف ٤٤ .

(٢) سورة الأنعام ٦٦ .

(٣) كذا بالأصل ، وقد ورد اسمه في الوزراء والكتّاب : أبو الحارث جُمَيْر ، وأورد نادرة أخرى له في ٢٤٢ ،
وسماه في عيون الأخبار مرة جُمَيْر ٢٣٥/٢ ، ومرة جُمَيْر ٢٢٩/٣ ، ولكني لم أعثر له على ترجمة كاملة .

(٤) نوع من الطيب .

قريش؟ قال عمرو : أحمد الله إليك ، لقد عرحتُ قبائل العرب على نفسي أتمنى من أيهم تكون أمي في طول ليلتين ، فما خطرت عبد القيس على بالي .

جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص ، وهو على المنبر ، عن أمه ، فسأله . فقال : هي سلمى بنت حرملة ، تلقب النابغة ، من بني عزة ، ثم أحد بني جِلَان^(١) ، أصابتها رماح العرب فبيعت بمكاذ ، فاشتراها النماكة بن المنيرة ، ثم اشتراها منه عبدالله بن جدعان ، ثم صارت إلى العاص بن وائل ، فولدت وأنجبت . فإن كان لك جعل نخذ .

فاخر رجل من ولد أبي البختري بن هشام^(٢) رجلا من ولد الزبير ، فقال : أنا ابن عقير الملائكة . قال ابن الزبير : فنعم العافر وبئس المعقور . فتال : أنا ابن شداد البطحاء . قال : شدها أبوك بسلحه ، وشدها أبي برمحه .

جلس معاوية يأخذ البيعة على أهل العراق بالبيعة له والبراءة من علي ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ! إنا نبايع أحياءكم ولا نتبرأ من موتاكم ، فنظر معاوية إلى المنيرة بن شعبة ، فقال : رجل ، فاستوص به خيرا .

ظفر الحجاج بأصحاب ابن الأشعث ، فجلس يضرب أعناقهم ، فأتى في آخرهم برجل من تميم ، فقال له : يا حجاج ! لئن كنا أسانا في الدنيا^(٣) ، فما أحسنت في العقوبة . فقال الحجاج : أف لهذه الجيف ، ما كان فيهم من يحسن هذا ؟ وأمر بتخلية سبيل من بقي .

(١) في الأصل : من بني عزة ثم أحدى حلاب ، والتصحيح من الإصابة لابن حجر ٢/٥ ، واللباب ١/٢٦١ .
(٢) اسمه العاص أو العاصي بن هشام بن الحارث بن عبد العزى ، أبو البختري ، لم يعرف عنه أنه آذى النبي بل صحبه في بدء الدعوة ، ولكنه حفر بدر مع المشركين ، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله ولكنه قتل ، انظر خبر مقتله في الناح ٣/٣٣ ، وسيرة ابن هشام ٥٠/٢ (الأعلام ١١/٤) .
(٣) كذا بالأصل ، والتصحيح أنها الذنب لا الدنيا ، كما يقتضها المنام ، وكما ورد في كثير من المراجع .

قال عمر بن عبد العزيز لسالم بن عبدالله بن عمر : أساءتك ولايتنا أم سرتك ؟
قال : ساءتني لك ، وسرتني للمسلمين .

عائب أعرابي أباه فقال : إن عظيم حَقِّك علي ، لا يُذهب صغير حقِّك عليك ،
والذي تمتُّ به إلى أمِّت بئله إليك ، واست أزعَم أنا سواء ، ولكن لا يحل لك
الاعتداء .

لما مات الحسن أرادوا أن يدفنوه في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبَت
ذلك عائشة ، وركبت بغلة وجمعت إليها الناس ، فقال لها ابن عباس : كأنك أردت
أن يقال : يوم البنته كما قيل يوم الجمل ؟ قالت : رحمك الله ، ذاك يوم نُسى . قال :
لا يوم أذكر منه على الدهر .

قيل لمعاوية بن أبي سفيان ، يوم صفين : إنك تتقدم حتى تقول : إنك تقبل ،
وإنك أشجع الناس ، وتتأخر حتى تقول : إنك تفر ، وإنك أجبن الناس . قال :
أتقدم إذا كان انتقدم غنما ، وأتأخر إذا كان التأخر عزماً .

سأل ابن الزبير معاوية حاجة فلم يقضها ، فاستعان عليه بمولاة له ، فقضى
حاجته ، فقال له رجل : استعنت بامرأة ! فقال : إذا أعيت الأمور من أعاليها
طلبناها من أسافلها .

اشتكى عبدالله بن صفوان ضرسه ، فأتاه رجل يعوده ، وقال : ما بك ؟ قال :
وجع الضرس . فقال : أما علمت ما يقول إبليس ؟ قال : لا . قال : يقول : دواؤه
الكسر . قال : إنما يطيع إبليس أوليائه .

مرض رجل من الأعراب ، فعاده جاره فقال : ما نجد ؟ قال : أشكو دُملاً آلمني
وزكاماً أضربني . فقال : أبشر فإنه بلغنا أن إبليس لا يحسد على شيء من الأمراض

ما يحسد على هاتين العلتين لما فيهما من الأجر والمنفعة ، فأنشأ الأعرابي يقول :
 أَيَحْسُدُنِي إِبْلِيسُ دَاثِنِ أَصْبَحَا بِجِسْمِي جَمِيعًا دُمْلًا . وَزُكَامًا
 فَلَيْتَهُمَا كَانَا بِهِ وَأَزِيدُهُ رَخَاوَةً فَحَلَّ مَا يُطِيقُ قِبَامًا^(١)
 قال أبو جعفر المنصور لأبي جَعُونَةَ العامريّ من أهل الشام : ألا تحمدون الله
 بأنا قد ولينا عليكم ، ورفع عنكم الطاعون ؟ قال : لم يكن ليجمعكم الله علينا
 والطاعون .

قيل لبعضهم : أراك تذكره الغزو ، وما يكرهه إلا جبان أو متهم ؟ فقال :
 والله إنى لأكره أن يأتيني الموت على فراشي ، فكيف أسافر إليه ، مسافة بعيدة .
 عرض بعض القواد أصحابه ، فمر به رجل معه سيف رديء ، فقال له : ويحك
 ما هذا السيف ؟ ! أما علمت أن الرجل بسيفه ؟ فقال أصلحك الله أيها الأمير ، إنها
 «أمورة»^(٢) . قال : هذا مما لا يقطع شيئًا .

قيل لابن سيرين : من أكل سبع رطبات على الربق سبّحت في بطنه ، فقال
 ابن سيرين : اثنى كان هذا هكذا فينبغي للوزينج إذا أكل أن يصلي الوتر
 والتراويح .

قيل لابن السّمّالك في زمن يزيد بن معاوية : كيف تركت الناس ؟ قال : مظلوم
 لا يتعسف وظالم لا ينتهي^(٣) .

(١) الدينان لأعرابي يدعى أبا حكيمة ، اطار عاصراب الراغب ٢٠٦/١ .

(٢) اناس من قوله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار حين أراد كل منهم الأخذ برام دافنه ولإزالة عنده ؛
 فقال لهم : « دعوها فإنها مأمورة » .

(٣) وردت العبارة في الأصل هكذا: يسر مظلوم ولا ينصف ظالم ولا يشفي ، وفيها اضطراب طاهر ، وقد أثبتنا
 ماورد في كلمات الأجوبة المكتبة لاس أبي عور .

قال معاوية لرجل من أهل اليمن : ما كان أحق قومك حين قالوا : ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾^(١) أما كان جمع الشمل خيراً لهم ؟ فقال اليماني : قومك أحق منهم ، حين قالوا : ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَاباً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوْ اثْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾^(٢) ، أفلا قالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه .

قال رجل للرقاشي : ما يجب على المؤمن في حق الله ؟ قال : التعظيم له والشكر لِنِعَمِهِ ، قال : فما يجب عليه في حق الساطان ؟ قال : الطاعة والنصيحة . قال : فما يجب عليه في حق نفسه ؟ قال : الاجتهاد في العبادة ، واجتناب الذنوب . قال : فما يجب عليه في حق العامة ؟ قال : كف الأذى وحسن المعاشرة . قال : فما يجب عليه في حق الخليط ؟ قال : الوفاء بالمودة وحسن المعونة .

قال بعض الجلالة لأعرابي من بني تميم يمازحه : يا أعرابي ! من الذي يقول : تميمٌ يبطن اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضللت^(٣) فقال : لا أعرفه . ولكن أعرف الذي يقول :

أَعَضَّ اللَّهُ مِنْ يَهْجُو تَمِيمًا وَمَنْ يَرَوِي لَهَا أَبَدًا هِجَاءًا
بِطْنٍ عَجُوزَةٍ وَبِاسْتِ أُخْرَى وَأَدْخَلَ رَأْسَهُ مِنْ حَيْثُ جَاءَا

دخل طفيلي دار قوم بنير إذن ، فاشتد عليه صاحب الدار في القول ، فأغلظ له الطفيلي في الجواب ، وقال له : والله لئن قت إليك لأدخلنك من حيث خرجت .

(١) سورة سبأ آية ١٩ .

(٢) سورة الأنفال آية ٣٢ .

(٣) أمالي القالي ١١٧/٢ ، وفيه : بطرق اللؤم . بدلا من بطن .

فقال صاحب المنزل : أمّا أنا فأخرجك من حيث دخلت ، وأخذ بيده فأخرجه .
 قال الفرزدق لكثير — وقد أنشد : ما أشبه شعرك بشعري ! أفكانت أمك
 أمت البصرة ؟ فقال : لا ، ولكن أبي أتاها ، ونزل في بني دارم .
 قال المثنَّبُ العبديّ :

وكلمة حاسده من غير جرم سمعتُ فقلتُ مرّى فانفذي^(١)
 وعابوها على ولم تعبني ولم يعرق لها يوماً جبيني
 وما من شيمتي شتم ابن عمي ولا أنا مخلف من يرتجيني
 وذو الوجهين يلقاني طليقاً وليس إذا تغيب يأتليني
 بصرت بعينه فكففت عنه محافظة على حسبي وديني

قال رجل من بني عجل لأبي الروحاء الشاعر ، بهمدان : ممن الرجل ؟ قال : من
 العجم . قال العجلي : إنما الشعر للعرب ، والمحال أن يقول الشعر رجل من العجم حتى
 يزو على أمه رجل من العرب . فقال أبو الروحاء : فكل من لم يقل الشعر من
 العرب ، فقد زوا على أمه رجل من العجم على هذا القياس .

قال مسكين الدرامي :

وإذا الفاحش لاقى فاحشاً فبهذا وافق الشنّ الطبق
 إنما الفحش ومن يعتاده كغراب البين ما شاء نطق

(١) انفذي : أي جاوزي .

أَوْ حَمَارِ الشَّوْءِ إِنَّ أَمْسَكَتَهُ رَمَحَ النَّاسَ وَإِنْ جَاعَ نَهَقُ
أَوْ غُلَامِ الشَّوْءِ إِنَّ جَوَّعَتَهُ سَرَقَ الْجَارَ وَإِنْ يَشْبَعُ^(١) فَسَقَ

قال رجل لشريح القاضي : لشد ما ارتفعت ! فقال له شريح : هل ضرك ذلك ؟
إنك لتبصر نعمة الله على غيرك وتعمى عنها في نفسك .

قيل لمزيد -- وهو يحمل شيئاً تحت إبطه -- : يا مزيد ! ما هذا الذي تحت
حضنك ؟ قال : يا أحمق ! ولم خبأته ؟

قال الفرزدق للحسن : يا أبا سعيد ! إني قد هجوت إبليس ، أفتسمع ؟ فقال له
الحسن : اسكت ، فإنك على لسانه تنطق .

قيل لأعرابي : أتهمز^(٢) الفارة ؟ قال : إنما يهمزها السنور .

قال حمزة للكسائي : أتهمز الذيب ؟ قال : لو همزته أكلني .

سأل رجل من الشعراء رجلاً من المتكلمين بين يدي المأمون ، فقال : ما سنك ؟
قال : عظم . قال : لم أرد هذا ، ولكن كم تعد ؟ قال : من واحد إلى ألف ألف
وأزيد . قال : لم أرد هذا ، ولكن كم أتى عليك ؟ قال : لو أتى على شيء لأهلكني .
فضحك المأمون . فقيل له : كيف السؤال عن هذا ؟ فقال : أن تقول ؟ كم مضى من
عمرك

لقي رجل رجلاً راكباً ، فقال له : أين تنزل فقال له : حيث أضع رجلي .

وهب المفضل الضبي لبعض جيرانه أضحية ، فلقية بعد النحر ، فقال : كيف

(١) في الأصل . شبع ، ولاستقيم . معها الوزن

(٢) من معاني الهمز : الضبط والدفع والضرب والهمس .

وجدت أضحيتك ؟ فقال : ما وجدت لها دماً . أراد قول الشاعر :

ولو ذُبِحَ الضَّبُّ بِالسَّيْفِ لَمْ تَجِدْ مِنْ اللُّؤْمِ لِلضَّبِّ لَحْمًا وَلَا دَمًا^(١)

اجتمع ناس من الشعراء على باب عدى بن الرقاع الشاعر ، فخرجت بنت له ، فقالت : ما تريدون ؟ قالوا : نريد أباك لنخزيه ونفضحه . فقالت :

تَجْمَعْتُمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَبَلَدَةٍ عَلَى وَاحِدٍ لَا زِلْتُمْ قِرْنَ وَاحِدٍ^(٢)

تفاخر أهل الكوفة وأهل البصرة ، فقال ابن شبرمة — وكان كوفياً — :
لنا أحلام ملوك المدائن ، وسخاء أهل السواد ، وظرف أهل الحيرة ، ولكم سفه السند ،
وبخل الخزر ، وحمق أهل غسان .

قال الربيع الحاجب لشريك القاضي بحضرة المهدي : بلغني أنك اختنت^(٣) أمير المؤمنين . فقال شريك : لا تقل ذلك ، لو كنت اختنته^(٣) لكان قد أتاك نصيبك .
قال مؤدب يزيد بن عبد الملك يوماً له : لحنت . فقال : الجواد يعض . قال المؤدب :
إي والله ، ويُضرب حتى يستقيم . فقال : نعم ، وربما كسر أنف سائسه .

وقف أعرابي على قوم فقال : رحم الله من لم تمج أذنه كلامي ، وقدم لنفسه معاذه
من سوء مقامي ، فإن البلاد مجدبة ، والحال مسغبة ، والحياء زاجر يمنع من كلامكم ،
والفقر يدعو إلى إخباركم ، والدعاء أحد الصدقتين ، فرحم الله امرئاً أمر بخير .
فخيل له : من أنت ؟ فقال : اللهم اغفر ، سوء الاكتساب يمنعني من الانتساب .

(١) الكامل ٨٦/١ ، عيون الأخبار ٢/٢٢٩ .

(٢) الكامل ٢٤٢/٢ : والقرن : السكت في الشجاعة وغيرها .

(٣) في الأصل خنت ٠٠٠ خنته ولا معنى لها ، وما أئبناه أقرب إلى ، وورد في عيون الأخبار ٢/٢١٣ ففيها :
بلغني أنك خنت .

سمع إياس بن معاوية— رحمه الله— يهوديا يقول : ما أحق المسلمين! يزعمون أن أهل الجنة يأكلون ولا يتحدثون . فقال له إياس بن معاوية : أو كل ما تأكله تحدثه؟ قال : لا . لأن الله يجعل أكثره غداء . قال : فلم تنكر أن يجعل الله جميع ما يأكله أهل الجنة غداء .

جمع المأمون بين العتّابي وبين أبي قرّة النصراني ، فقال لهما : تناظرا وأوجزا . فقال العتّابي لأبي قرّة : أسألك أم تسألني ؟ فقال : سلني . قال : ما تقول في المسيح ؟ قال : أقول إنه من الله عز وجل . فقال العتّابي : إن (من) تبجى على أربعة أوجه : فالبعض من الكل على سبيل التجزؤ ، والولد من الوالد على سبيل التناسل ، والخل من الحلو^(١) على سبيل الاستحالة ، والخلق من الخالق على سبيل الصنعة ، فهل عندك خامسة قال : لا ، ولكني لو قلت واحدة من هذه ما كنت تقول ؟ فقال العتّابي : إن قلت : إنه كالبعض من الكل جزأته ، والبارى لا يتجزأ ، وإن قلت : إنه كالولد من الوالد أوجبت ثانيا من الأولاد وثالثا ورابعا إلى مالا نهاية ، وهذا لا يجوز على الباري عز وجل ، وإن قلت على سبيل الاستحالة ، أوجبت فسادا ، والبارى لا يستحيل ولا ينتقل من حال إلى حال ، وإن قلت : إنه كالخلق من الخالق ، كان قولا حقا ، وهو الحق الذي لا شك فيه .

وُصف إبراهيم النظام لأبي عبيدة ممر بن المثنى باليقظة وسرعة الجواب ، فر به يوما ومعه قارورة زجاج ، فأراد أن يختبره ، فقال : يا أبا إسحق! ما عيب هذه؟ فقال سريعة الانكسار ، بطيئة الانجبار . فأعجب ذلك أبا عبيدة .

دخل المعتصم على خاقان عائداً فقال للفتح بن خاقان : أيّما أحسن ، دار أمير

(١) في الأصل : والخل من الخل الخ ، وبالإضافة إلى ما أثبتناه فإنه يحتمل أن تكون العبارة : والخل من الخل — والخل من أسماء الحمر ، انظر حلبة الكميّ ٦ .

المؤمنين أم دار إليك ؟ فقال : ما دام أمير المؤمنين في دار أبي فدار أبي أحسن .
سمع سوار القاضى الحجاج بن أرطاة يقول : أهلكنى حب الشرف ، فقال :
اتق الله تشرف .

قال مالك بن أنس : قدم على عمر بن عبد العزيز فتيان ، فقالا : إن أبانا توفى
فترك مالا عندنا حميد ، فأمر عمر بإحضاره ، فلما دخل عليه ، قال له عمر : يا حميد !
أنت القائل :

حميد الذى أَمَجَّ دارُهُ أخوالِ الخمرِ ذوالشَّيْبَةِ الأَصْلَعِ
أتانى المشيبُ على شُرْبِهَا وكان كَرِيماً فما يَنْزِعُ^(١)

فقال : نعم . قال : أما إذ أقررت ، فأنى سأجلك^(٢) ؟ قال : ولم ؟ قال : لأنك
أقررت بشرب الخمر ، وزعمت أنك لم تنزع عنها . فقال : هيات ، أين يذهب بك ؟
ألم تسمع قول الله يقول : « والشُعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ
وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالًا يَفْعَلُونَ^(٣) » ؟ قال عمر : أولى لك يا حميد ، لقد أفلت . ثم
قال : ويحك يا حميد ، كان أبوك صالحاً ، وأنت رجلٌ سوء . قال : أصلحك الله ،
وأنت رجل صالح ، وكان أبوك رجلاً سوء ، وما كلُّ الناس يشبه أباه ، فقال : إذن
هو لاء يزعمون أن أباهم توفى ، وترك عندك مالا . قال : صدقوا ، وأنا أحضره
الآن . فأحضره بخواتيم أبيهم ، ثم قال : إن هؤلاء توفى أبوه منذ كذا وكذا ،
وأنا أنفق عليهم من مالى وهذا مالهم . فقال عمر : ما أحد أحق أن يكون عنده
منك . قال : ما كان ليعود إلى وقد خرج من عندى .

(١) البيت الأول وحده فى الكامل ١/١٤٨ ، والأمج : شدة الحر والعطش .

(٢) فى الأصل : فأين سأجلك .

(٣) سورة الشعراء الآيات : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

دخل الأحنفُ بن قيس التميمي على معاوية بن أبي سفيان يوماً ، فقال : يا أحنف
ما الشيء الملقف في البجاد ؟ يعرض له بقول الشاعر :

إذا ما مات مَيِّتٌ من تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِيءٌ زَادِ
بَجَزٍ أَوْ بَتَمِرٍ أَوْ بِسَمِنٍ أَوْ الشَّيْءُ الْمُلَقَّفُ فِي الْبِجَادِ
تَرَاهُ يَطُوفُ فِي الْآفَاقِ حِرْصًا لِأَكْلِ رَأْسِ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ^(١)

والشيء الملقف في البجاد : وطب اللبن . فعلم الأحنف ما أراد معاوية بتعريضه ،
فقال : الشيء الملقف في البجاد هو السخينة يا أمير المؤمنين . وذلك أن قريشاً
كانت تعبر بأكل السخينة . وهي حساء من دقيق كانوا يصنعونها عند المسغبة
وغلاء السعر .

(١) الأبيات لأبي مهوس الفعفي ، أو لأبي الهوس الأسدي ، انظر السكامل ١٠٠/١ ، وورد فيه شطر
البيت الثالث : تراه ينقب البطحاء حولا ، وانظر البيتين الأول والثاني في عيون الأخبار ٢٠٣/٢ والبيجاد : كساء
مخطط من أكسية الأعراب .

بَابُ الْآدَبِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منح والدٌ ولده خيراً من أدب حسن »
وفي رواية أخرى عنه عليه السلام أنه قال : « ما نحل والدٌ ولده خيراً من أدب حسن » .

قال سليمان بن داود : من أراد أن يغيظَ عدُوّه ، فلا يرفع العصا عن ولده .

وقال محمد بن سيرين : كانوا يقولون : أكرم ولدك وأحسن أدبه .

كان يقال : من أدب ولده أرغم أنف عدوه .

قال الحسن : التعلّم في الصغر كالنقش على الحجر .

قال الشاعر (١) :

خَيْرُ مَا وَرَثَ الرَّجَالُ بَنِيهِمْ آدَبٌ صَالِحٌ وَحُسْنُ الشَّاهِدِ
هُوَ خَيْرٌ مِنَ الدَّنَائِيرِ وَالْأَوْ رَاقٍ فِي يَوْمٍ شِدَّةٍ أَوْ رَخَاءِ
تِلْكَ تَنَفَّى وَالِدَيْنُ وَالْأَدَبُ الْعَمَلُ إِلَيْهِ لَا تَفْنِيَانِ حَتَّى الْبَقَاءِ
إِنْ تَأَدَّبْتَ يَا بُنَيَّ صَغِيرًا كُنْتَ يَوْمًا تَعْدُ فِي الْكِبَرَاءِ
وَإِذَا مَا أَضَعْتَ نَفْسَكَ الْفِي تَ كَبِيرًا فِي زُمْرَةِ الْغَوَاةِ
أَيْسَ عَطْفُ الْقَضِيبِ إِنْ كَانَ رَطًا بَا وَإِذَا كَانَ يَابِسًا بِسَوَاءِ

(١) وردت الآيات في جامع بيان العلم ١/٨٤ ، وقال ابن عبد البر : أنشدها المشنقى لإبراهيم بن داود البغدادي عن قصيدة أولها :

يا بني اقترب من الففهاء وبعام تكن من العلماء

ووردت الآيات الثلاثة الأولى في معجم الأدباء ١٠/١٣١ منسوبة إلى الحسين بن علي بن محمد المعروف بابن قم الزيدى ، وهو خطأ ، لأن ابن قم ولد سنة ٥٣٠ هـ ، أي بعد وفاته المعتمد بنحو سبعين سنة ، فكيف عرف أبياته تلك .

قال لقمان : ضرب الوالد للولد كالسماد للزراع^(١).

قال بعض الحكماء : لا أدب إلا بعقل ، ولا عقل إلا بأدب .

كان يقال : التجربة علم ، والأدب عون ، وتركه مضرّة بالعقل .

كان يقال : العون لمن لا عون له الأدب .

قال الأحنف : الأدب نور العقل ، كما أن النار في الظلمة نور البصر .

قال الأصمعي : ما مطية أبلغ دركاً وهي وادعة من الأدب .

قال بُزْرجهر : أرفع منازل الشرف لأهله العلم والأدب .

وقيل : من قعد به حسبه نهض به أدبه .

وقال ابن أبي دؤاد لرجل تخطى أعناق الرجال إليه : إن الأدب المترادف خير من النسب المتلاحف^(٢) .

كان يقال : الأدب من الآباء ، والصّلاح من الله^(٣) .

كان يقال : من أدب ابنه صغيراً قرّت به عينه كبيراً .

وقال الحجاج لابن القريّة : ما الأدب ؟ قال : تجرّع الفصة حتى تمكن الفرصة .

ووصف أعرابي الأدب في مجلس مُعتمر بن سليمان ، فقال : الأدب أدب الدين ، وهو داعيةٌ إلى التوفيق ، وسببٌ إلى السعادة ، وزادٌ من التقوى ، وهو أن تعلم

(١) ينتهي إلى هنا نقص النسخة ب .

(٢) في ب : الملاحف ، والمتلاحف : الذي يعيط بالمرء من جهته ، أبيه وأمه .

(٣) ساقط من أ .

شرائع الإسلام ، وأداء الفرائض ، وأن تأخذ لنفسك بحظها من النافلة ، وتزید ذلك بصحة النية ، وإخلاص النفس^(١) ، وحب الخير ، منافساً فيه ، مبنغضاً للشر نازعاً عنه ، ويكون طلبك للخير ، رغبةً في ثوابه ، ومجانبةً للشر رهبةً من عقابه ، فتفوز بالثواب ، وتسلم من العقاب ، ذلك إذا اعتزلت ركوب^(٢) الموبقات ، وآثرت الحسنات المنجيات .

وقال أعرابيٌّ: الأديبُ من اعتصم بعزّ الأدب من ذلة الجهل ، ولم يتورط في هفوة ، وكان أدبه زُلْفَى إلى الحُطوة في دنياه وأخراه .

قال منصور الفقيه^(٣) :

لَيْسَ الْأَدِيبُ أَخَا الرُّوَايَةِ لِلنُّوَادِرِ وَالْغَرِيبِ
وَلِشِعْرِ شَيْخِ الْمَلْحَدَيْنِ أَبِي نُوَاسٍ أَوْ حَبِيبِ
بَلْ ذُو التَّفَضُّلِ وَالْمُرُوَّةِ وَالْعَفَافِ هُوَ الْأَدِيبُ^(٤)

كان يقال : من لم يصلح على أدب الله لم يصلح على اختياره لنفسه .
الخطيئة :

إِذَا نَسَكَبَاتُ الدَّهْرِ لَمْ تَعْظِ الْفَتَى عَنْ الْجَهْلِ يَوْمًا لَمْ تَنْظُهُ أَنْ تَأْمِلَهُ

(١) في ب وإصلاح اليقين .

(٢) في ب : الذنوب .

(٣) وردت الأبيات في جامع بيان العلم ٧/٢ غير منسوبة لقائل وقد نسبها في مجمع الأدباء ١٩٨/١١ إلى سعد بن محمد الأزدي المعروف بالوحيد البغدادي والمتوفى سنة ٣٨٥ هـ .

(٤) في ب : من الذنوب .

وَمَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ أَبُوهُ وَأُمُّهُ تُؤَدِّبُهُ رَوَعَاتُ الرَّدَى وَزَلَاذِلُهُ
فَدَعُ عَنْكَ مَا لَا تَسْتَطِيعُ وَلَا تَطِيعُ هَوَاكَ وَلَا يَذْهَبُ بِحَقِّكَ بَاطِلُهُ^(١)
وقال آخر :

مَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ وَالِدَاهُ أَدَّبَهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
وقال محمد بن جعفر : الأدب رياسة ، والحزم كياسة ، والغضب نار ،
والصخب^(٢) عارث .

قال ابن القريّة : تأدّبوا فإن كنتم ملوكاً سُدتم ، وإن كنتم أوساطاً رُفِتم^(٣) ،
وإن كنتم فقراء استغنيتم .

قال شبيب بن شيبّة : اطلبوا الأدب فإنه عونٌ على المروعة ، وزيادةٌ في العقل ،
وصاحبٌ في العُربة ، وحليّةٌ في المجالس .

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه في قول الله عز وجل : **ثِيَابُهَا الَّذِينَ آمَنُوا**
فَوَافُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا^(٤) ، قال : أدّبوهم وعلموهم .

قال الشاعر :

يُقَوِّمُ مِنْ مِثْلِ الْغَلَامِ الْمُؤَدَّبِ وَلَا يَنْفَعُ التَّأْدِيبُ وَالرَّأْسُ أَشْيَبُ^(٥)

(١) لم أعثر على هذه الأبيات في ديوان الخطيئة ، ولا نوجد فيما نسب لايه من شعر في آخر الديوان ، وقد وردت في معجم الأدباء ٣٢/٢٠ منسوبة إلى يحيى بن المبارك اليزيدى النحوى .

(٢) ب : السخف .

(٣) ب : فقم .

(٤) سورة التحريم آية : ٦ .

(٥) جامع بيان العلم ٨٣/١ .

وقال آخر :

إِنَّ الْحَدَاثَةَ لَا تُقَصِّرُ بِالْفَتَى الْمَرْزُوقِ ذِهْنًا
لَكِنْ تُزَكِّي عَقْلَهُ فَيَفُوقُ أَكْبَرَ مِنْهُ سِنًا^(١)

وقال آخر :

رَأَيْتُ الْفَهْمَ لَمْ يَكُنْ انْتِهَابًا وَلَمْ يُقَسِّمْ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ
وَلَوْ أَنَّ السِّنِينَ تَقَاسَمَتْهُ حَوَى الْأَبَاءُ أَنْصِبَةَ الْبَيْنِينَ^(٢)

قال مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيُّ : قال لي رجل من أهل الأدب فارسي النسب : إن ثلاثة ضروب من الرجال لم يستوحشوا في غربة ، ولم يقصروا عن مكرمة : الشجاع حيث كان ، فبالناس حاجة إلى شجاعته وبأسه ، والعالم فبالناس حاجة إلى علمه ، والحلو اللسان فإنه ينال ما يريد بحلاوة لسانه ولين كلامه ، فإن لم تعط رباطة^(٣) الجأش ، وجراحة الصدر ، فلا يفوتك العلم وقراءة الكتب ، فإن بها أدباً وعلماً قد قيّدته لك العلماء قبلك ، تزداد بها في أدبك وعلمك .

قال سابق البربري^(٤) :

قَدْ يَنْفَعُ الْأَدَبُ الْأَحْدَاثَ فِي مَهَلٍ وَلَيْسَ يَنْفَعُ بَعْدَ الْكِبَرَةِ الْأَدَبُ

(١) جامع بيان العلم ٨٥/١ .

(٢) ورد البيهقي في جامع بيان العلم ٨٣/١ بغير نسبة ، وقد نسبها في معجم الأدياء ١٥٥/١٠ إلى الحسين بن محمد الرافعي المعروف بالخالم ، والمتوفى سنة ٣٨٨ هـ .
(٣) في ب : رباط .

(٤) سابق بن عبد الله البربري ، أبو سعيد ، شاعر من الزهاد ، والبربري لقب له ، ولم يكن من البربر . سكن الرقة ، وكان يفد على عمر بن عبد العزيز فيستشده من شعره ، فيشده مواعظه ، توفي حوالي سنة ١٠٠ هـ . انظر الباب ١٠٧/١ ، خزنة البغدادى ١٦٤/٤ ، الأعلام ١١١/٣ .

إِنَّ الْغُصُونِ إِذَا قَوَّمَتْهَا اعْتَدَلَتْ وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوَّمَتْهَا الْخَشْبُ^(١)
 قيل لعيسى عليه السلام : مَنْ أَدَّبَكَ ؟ قال : مَا أَدَّبَنِي أَحَدٌ ، رَأَيْتُ جَهْلَ
 الْجَاهِلِ فَاجْتَنَبْتَهُ .

قال بعضُ الحكماء : أَفْضَلُ مَا يُورَثُ الْآبَاءُ الْأَبْنَاءَ : الثَّنَاءُ الْحَسَنُ ، وَالْأَدَبُ
 النَّافِعُ ، وَالْإِخْوَانُ الصَّالِحُونَ ، وَأَنْشَدُوا :

وَيَعْدَمُ حَاقِلٌ أَدَبًا فَيَجْفُو وَتَنْسِبُهُ إِلَى غِلْظِ الطَّبَاجِ
 وَمَنْزِلَةُ التَّأْدِبِ مِنْ أَدِيبٍ بِمَنْزِلَةِ السَّلَاحِ مِنَ الشُّجَاعِ

قال عبد الملك بن مروان لبنيه : يَا بَنِيَّ لَوْ عَدَاكُمْ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مَا كُنْتُمْ تَعُولُونَ
 عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ الْوَلِيدُ : أَمَا أَنَا فَفَارِسُ حَرْبٍ ، وَقَالَ سُلَيْمَانُ : أَمَا أَنَا فَكَاتِبُ سُلْطَانٍ ،
 وَقَالَ لِيَزِيدُ : فَأَنْتَ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! مَا تَرَكَا غَايَةَ لِمُخْتَارٍ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ :
 فَأَيْنَ أَنْتُمْ يَا بَنِيَّ مِنَ التَّجَارَةِ الَّتِي هِيَ أَصْلُكُمْ وَنَسَبُكُمْ ؟ فَقَالُوا : تِلْكَ صِنَاعَةٌ
 لَا يَفَارِقُهَا ذُلُّ الرِّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَلَا يَنْجُو صَاحِبُهَا مِنَ الدَّخُولِ فِي جَمَلَةِ الذُّهْمَاءِ وَالرَّعِيَةِ ،
 قَالَ : فَعَلَيْكُمْ إِذَا بَطَلَ الْأَدَبُ ، فَإِنْ كُنْتُمْ مَلُوكًا سُدْتُمْ ، وَإِنْ كُنْتُمْ أَوْسَاطًا رَأْسْتُمْ ،
 وَإِنْ أَعُوزْتُمْ الْمَعِيشَةَ عَشْتُمْ .

(٢) ورد البيتان في جامع بيان العلم ٨٣/١ ، منسويين لسابق ، ووردا في التمثيل والمحاضرة ١٦٤ لصالح
 ابن عبد القدوس ، وكذلك ورد الثاني فقط في حاشية البحري ٣٧٣ منسوبا له ، ووردا في البيان والتبيين
 ٢٦٢/٢ بغير نسبة .

بابُ ترويحِ القُلُوبِ وتَنبِيهِها^(١)

قال عبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ : كانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا^(٢) بالوعظَةِ مخافةَ السَّامةِ عَلَيْنَا .

وكانَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ يَقولُ : إِنَّ هَذِهِ القُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الحِكْمَةِ .

وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : نَبِّهْ بِالتَّفَكُّرِ قَلْبَكَ ، وَجَافِ عَنِ النُّومِ جَنْبَكَ ، وَاتَّقِ اللهَ رَبَّكَ .

قالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : إِنِّي لَأَسْتَجِيزُ قَلْبِي بِشَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ ، لِيَكُونَ أَقْوَى لِي^(٣) عَلَى الْحَقِّ .

قالَ عبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ : أُرِيحُوا القُلُوبَ ، فَإِنَّ القَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ نَعِيَ .
وَقَالَ أَيْضًا : إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالَ ، وَفِتْرَةً وَإِدْبَارًا ، فَخُذُوهَا عِنْدَ شَهَوَاتِهَا وَإِقْبَالِهَا ، وَذَرُّوهَا عِنْدَ فِتْرِتِهَا وَإِدْبَارِهَا .

كَانَ يَقَالُ : الْمَلَالَةُ تَفْسِخُ المَوَدَّةَ ، وَتَوَلَّدُ البَغْضَةُ ، وَتَنْقُصُ اللَّذَّةُ .
قالَ أَرِسْطُو طَالِيسُ : يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يُعْطِيَ نَفْسَهُ لَذَّتِهَا فِي النَّهَارِ لِيَكُونَ ذَلِكَ عَوْنًا لَهَا عَلَى سَائِرِ يَوْمِهِ .

(١) م : وشبهها .

(٢) يتخولنا : يتمهدنا بها بين الحين والحين .

(٣) ب : له .

في صحف إبراهيم عليه السلام : وعلى العاقل أن يكون له ثلاثُ ساعات : ساعةٌ يَنَاجِي فيها رَبَّهُ ، وساعةٌ يُحَاسِبُ فيها نَفْسَهُ ، وساعةٌ يَخْلِي فيها بين نفسه وبين لَدَاتِهَا فيما يَحِلُّ وَيَحْتَمِلُ ، فَإِنَّ هَذِهِ السَّاعَةَ عَوْنٌ لَهُ عَلَى سَائِرِ السَّاعَاتِ .

قال عمرُ بنُ عبد العزيز : تَحَدَّثُوا بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَجَالَسُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا مَلَلْتُمْ فَخْدِثُوا مِنْ أَحَادِيثِ الرِّجَالِ حَسَنٌ جَمِيلٌ .

وقال بعضُ الحكماء من السَّالَفِ : الْقُلُوبُ تَحْتَاجُ إِلَى قُوَّتِهَا مِنَ الْحِكْمَةِ كَمَا تَحْتَاجُ الْأَبْدَانُ إِلَى قُوَّتِهَا مِنَ الْغِذَاءِ .

دخل عبدُ الملك بنُ عمرَ بن عبد العزيز على أبيه ، وهو في نَوْمٍ الضَّحَى ، فَقَالَ : يَا أَبَتِ إِنَّكَ لَنَائِمٌ ، وَإِنَّ أَصْحَابَ الْخَوَاصِّ لَرَاكِدُونَ بِبَابِكَ . فَقَالَ : يَا بُنَيَّ إِنِّي نَفْسِي مُطَيِّتٌ ، وَإِنْ حَمَلْتُ عَلَيْهَا فَوْقَ الْجَهْدِ قَطَعْتُهَا .

قال الحسنُ البَصْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : حَادِثُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ ، فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الدُّنُورِ ، وَأَفْزِعُوا هَذِهِ النُّفُوسَ فَإِنَّهَا طُمُكَةٌ ^(١) ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا هَوَتْ بِكُمْ إِلَى شَرِّ غَايَةٍ .

وقال غيره من العلماء : حَادِثُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ فَإِنَّهَا تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ .

وقد رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ » . قَالُوا : فَمَا جَلَاؤُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ » .

كَانَ يُقَالُ : الْفِكْرَةُ مِرَاةُ الْمُؤْمِنِ ، تُرِيهِ حُسْنَهُ مِنْ قَبِيحِهِ .

كَانَ يُقَالُ : التَّفَكُّرُ نُورٌ ، وَالنَّفْلَةُ ظُلْمَةٌ .

(١) حادثة القلوب : جلاؤها ، والدُّنُورُ : السَّيَانُ ، وَالطَّمْعَةُ : كَثِيرَةُ التَّطَلُّعِ إِلَى الشَّيْءِ ،

بَابُ قَوْلِهِمْ فِي وَصْفِ الْعَيْشِ وَمَا تَتَمَنَّاهُ النَّفْسُ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصبحَ منكم آمناً في سربه ، معافاً في جسده ، مئة قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا » .

كان عمرُ بن الخطاب يمجبه قول عبدة بن الطيب :

المرء ساجعٍ لِأمرٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ وَالْعَيْشُ شَحٌّ وَإِشْتِاقٌ وَتَأْمِيلٌ^(١)

قال أبو يعلى : حدثنا الأصمعي ، قال : حدثنا محمد بن حرب الزياتي ، قال : حدثني أبي ، قال : قال زيادُ جلسائه : من أغبطُ الناس عيشاً ؟ قالوا : الأميرُ وجلساؤه . فقال : ما صنعتُم شيئاً ، إن لأعوادِ المنابر هَيْبَةً ، وإنَّ لِفَرْجِ الجاهِمِ البَريدَ لَفَرْزَةَ ، ولكن أغبطُ الناس عندي : رجل له دَارٌ لَا يَجْرِي عَلَيْهِ كِرَاؤُهَا ، وله زوجةٌ صالحةٌ ، قد رَضِيَتْهُ وَرَضِيَهَا فَمَا رَاضِيَانِ بِعَيْشِهِمَا ، لَا يَعْرِفُنَا وَلَا نَعْرِفُهُ ، فَإِنَّهُ إِنْ عَرَفْنَا وَعَرَفْنَاهُ أَتَعْبِنَا لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ ، وَأَفْسِدُنَا دِينَهُ وَدُنْيَاهُ .

قال عمرُ : لما فتَحَ اللهُ على رسوله بنِي النضير وغيرها ، كان يتخذ منها لنفسه وعتاله قوتَ سنة ، ثم يجعلُ الباقي في السِّكْرَاعِ^(٢) والسَّلاحِ في سبيلِ الله .

وقال سليمانُ : إِذَا أَحْرَزْتَ النَّفْسَ قُوَّتَهَا اطْمَأْنَنْتَ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَكْثُرْ » ، فَإِنَّمَا يُسْأَلُ رَبَّهُ .

(١) البيت في المفصليات ٢٨٦ ، العقد الفريد ٢٨١/٥ ، مجموعة المائى ٧٥ .

(٢) السِّكْرَاعُ : اسم يجمع الخيل وغيرها من الدواب .

وليس في هذا معارضة لقول الله : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ^(١) ﴾ لأن معنى هذا عند العلماء أن يتعنى الرجل مال أخيه وامرأة أخيه ، ليصرفه الله عنه إليه ، فذلك التمني المكروه .
قال محمد بن سيرين : نهيتم عن الأمانى ، ودُلِّتُمْ على ما هو خير منها ^(٢) لكم ، سلوا الله من فضله .

وقد ذكرنا في كتاب « التمهيد » معنى قوله عليه السلام : « لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍّ نزل به » ، عند قوله عليه السلام : « لا تقوم الساعة حتى يمرَّ الرجل بقبر أخيه فيقول : ياليتنى مكانه » .

قال المنصور لإسحاق بن مسلم ^(٣) العَقِيلِي : ما بقي من لذاتك ؟ قال : جليس يقصر به طول ليلي ، وزائر اشتهى من أجله طول السهر .

وقال غيره : زائر أشتى به طول السهر ^(٤) ودابة أشتى من أجلها طول السفر .
قال مسleme بن عبد الملك : العيش في ثلاث : سعة المنزل ، وموافقة المرأة ، وكثرة الخدم .

قال عباية الجعفي : ما يسرُّني بنصيبي من التمني مخمَّر النَّعم .
قال عبد الرحمن بن أم الحكم : لذة العيش في زحف الأحرار إلى طعامك ،

(١) سورة النساء الآية : ٣٢ —

(٢) ساقط من أ .

(٣) ب : أسام ، والصحيح ما أنبتاه ، انظر قصة حدثت له مع أبي جعفر المنصور في صدد قتل أبي مسلم .

المراساني ، في البيان ٣ / ٢٢٢ .

(٤) ساقط من ب .

وبذل الأشراف وجوهم إليك فيما تجد السبيل إليه ، وقول المنادى : الصلاة أيها الأمير .

قال قتيبة بن مسلم لو كيع بن أبي سؤد : ما السرور ؟ قال : لواء منشور ، وجلس على السرير ، والسلام عليك أيها الأمير .

قيل لأم البنين : ما أحسن شيء رأيت ؟ قالت : نعم الله مقبلة على^(١) .

سأل قتيبة رجلاً : ما السرور ؟ قال : الولد الصالح ، والمال الواسع .

قال عمر بن عبد العزيز — رحمه الله — : لذة العيش ظفرك بمن تحب بعد امتناع ، ولذة لا توجب عليك إثماً ، وحق وافق هووى .

قيل لأبي حازم : ما اللذة ؟ قال : الموافقة ، ولا أنيس كالصاحب المواتى .

وروى الرياشى عن الأصمى قال : قال شبيب بن شيبه^(٢) : عيش الدنيا في ثلاث : محادثة الإخوان ، ومباشرة النسوان ، وشم الصبيان .

قال بعض الحكماء : كثرة الالتفات سُخْف ، ومجالسة الحق تورث النوك^(٣) ، وكثرة المني تُخلِّقُ العقل ، وتُفسدُ الدين ، وتُنفي القناعة .

قال أبو العتاهية :

(١) زيادة من ب .

(٢) فى ب شبة ، والصحيح أنه شبيب بن شيبه بن عبد الله التميمي المنعري ، الخطيب الذي بلغ الذروة فى الفصاحة والبيان ، وهو الذى عناه أبو نخيلة السعدى الراجز بقوله :

إذا غدت سعد على شبيبها على قناها وعلى خطيبها

من مطلع الشمس إلى مغيبها عجبت من كثرتها وخطيبها

توفى شبيب حوالى سنة ١٧٠ هـ ، انظر تهذيب التهذيب ٤/ ٣٠٧ ، البيان ١/ ٦٢ .

(٣) النوك : الغفلة والحق .

اللهُ أَصْدَقُ وَالْأَمَالُ كَاذِبَةٌ وَجُلُّ هَذِي الْمَنَى فِي الْقَلْبِ وَسُوَاسُ^(١)

ذكر عمرو بن بحر عن الأصمعي ، قال : قال بعضهم : الاحتلام أطيب من الغشيان ، وتغنيتك الشيء أوفر حظاً للذة من قدرتك عليه .

قال عمرو بن بحر : كأنه ذهب إلى أن المال إذا مُلِكَ^(٢) وجبت فيه حقوق ، وخاف مالكة عليه الزوال ، واحتاج إلى الحفظ ، وكل من عظمت عليه نعمة الله عظمت مؤونة الناس عليه .

ذكر المدائني قال : قيل لامرئ القيس : ما أطيبُ عيشِ الدنيا ؟ فقال : ييفاء رُعْبُوبَةً ، بالطيب مشبوبة ، باللحم مَكْرُوبَةً^(٣) .

وسئل الأعشى : أيّ العيش ألد ؟ فقال : صَهْبَاءُ صَافِيَةٍ ، تَمْزُجُهَا سَاقِيَةٌ ، من صَوْبٍ غَادِيَةٍ .

وسئل طرفة ، فقال : مَطْعَمٌ شَهِيٌّ . وملبس زهِيٌّ ، ومرء كَبٍ وَطِيٌّ . وقال غيره :

أَطِيبُ الطَّيِّبَاتِ قَتْلُ الْأَعَادِي وَاخْتِيَالُ عَلَى مُتُونِ الْجِيَادِ
وَأَيَادٍ حَبَوِيٍّ كَرِيماً إِنَّ عِنْدَ الْكَرِيمِ تَزْكُو الْأَيَادِي^(٤)
لبعض الحكماء : أسوأ الناس حالاً من اتسعت أمنيته ، وضاعت قدرته ، وبعدت همته .

(١) ديوانه ١٣٢ .

(٢) ١ : هالك .

(٣) الرعوبة : الحسنة البياض الرضة المكاسر ، والشبوبة : الظاهرة الحس المشرقة اللون ، وبالحم مكروبة : أي مفتولة الأعضاء غير مترهلة .

(٤) عيون الأخبار ٢٥٨/٣ ، المحاسن والساوي ٢١٢/١ .

قيل لعبد الرحمن بن أبي بكرة : أيّ الأمور أمتع ؟ فقال : ممازحة حبيب ،
ومحادثة خدين^(١) ، وأمان^(٢) تقطع بها أيامك . وفي رواية أخرى عن عبد الرحمن بن
أبي بكرة ، أنه قيل له : أيّ شيء أكثر إمتاعاً ؟ قال : المنى .

قال بعض الأعراب ، ويروى لأبي بكر العرزمي^(٣) :

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَنَى وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغَدًا
أَمَانِي مِنْ سَلَامِي عَذَابٌ كَأَنَّمَا سَقَتَكَ بِهَا سَلَامِي عَلَى ظَمَأٍ بَرْدًا^(٤)

اجتمع عبدالله وعروة ومصعب بنو الزبير بن العوام ، عند الكعبة ، فقال
عبد الله : أحب ألا أموت حتى تجي ، إلى الأموال وأكون خيفة .

وقال مصعب : أحب أن أليّ العراقيين — يعني الكوفة والبصرة — وأزوج
سُكينة بنت الحسين وعاثشة بنت طلحة .

وقال عروة : لكني أسأل الله الجنة . فصار عبدالله ومصعب إلى ما تمنيا ، ويرون
أن عروة صار إلى الجنة .

كان المتنى بالكوفة إذا تقي يقول : أتمنى أن يكون لي فقه أبي حنيفة ،

(١) ب : صديق .

(٢) ب : أمان .

(٣) في م : الخوارزمي ، والعرزمي هو محمد بن عبيد الله بن أبي سليمان الخزاري ، ساعر حضرمي ، عاش في
الكوفة ونسبته إلى «جبانة عرزم» بها ، أكثر شعره آداب وأمثال ، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣٢٢/٩ ،
اللباب ١٣٢/٢ ، الأعلام ١٣٥/٧ .

(٤) ويروى : أمان من سعدى رواء ، وقد نسب البيهقي حادثة أبي تمام ١٥٩/٢ لرجل من بني الحارث
ولم يعينه ، وورد في عبون الأخبار ٢٦١/٣ ، نوادر القالي ١٠٢ ، زهر الآداب ٥٨/٢ ، معجم الأدباء
٢٣٠/١٦ بغير نسبة .

وحفظ سفيان ، وورع مسعر بن كدام^(١) ، وجواب شريك^(٢) .
قال الأصمعي : قال لي بن أبي الزناد : المني والحلم أخوان .

قال مالك بن أسماء^(٣) :

ولمَّا نَزَلْنَا مَنْزِلًا طَلَّهُ النَّدَى أُنِيقًا وَبُسْتَانًا مِنَ النُّورِ حَالِيَا
أَجَدُّ لَنَا طِيبُ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ مَنِي فَتَمَنَّنِيَا فَكُنْتُ الْأَمَانِيَا
قال سلم الخاسر^(٤) :

لولا مَنِي الْعَاشِقِينَ مَا تَوَّأ أَسَى وَبَعْضُ الْمُنَى غُرُورُ
مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ

وقال منصور الفقيه :

لَوْ أَنَّ لَيْتَنَا نَفَعَتْ مَعَ تَرَكٍّ مَا يَنْفَعُنِي
مَا كَانَ لِي قَوْلٌ سِوَى يَا لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ

(١) ابن ظهير الهلالي العامري السكوفي ، أبو سلمة ، كان يقال له : « المصحف » لعظم الثقة فيه ، توفي سنة ١٥٢ هـ ، انظر في ترجمته : تهذيب التهذيب ١٠/١١٣ ، حلبة الأولياء ٧/٢٠٩ ، (الأعلام ٨/١٠٩) .
(٢) شريك بن الحارث النخعي السكوفي ، عالم بالحديث فقيه ، اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديهته ، استقضاء أبوجعفر المنصور على السكوفة سنة ١٥٣ هـ وتوفي بها سنة ١٧٧ هـ ، انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ٩/٢٧٩ ، البداية والنهاية ١٠/١٧١ ، (الأعلام ٣/٢٣٩) .

(٣) مالك بن أسماء بن خازجة الغزاري ، أبو الحسن ، شاعر غزل طريف ، تزوج الحجاج أخته هند بنت أسامة ، وتوفي له خوارزم وأصبهان ، توفي حوالي سنة ١٠٠ هـ . انظر معجم الشعراء ٣٦٤ ، وانظر البيتين في عبون الأخبار ١/٢٦٢ ، وقد نسب إلى الوزراء والكتاب ٤٥ إلى عبد الله بن أبي فروة ، ونسبها في حساسة أبي تمام ١/٢٣٥ إلى أبي بكر بن عبد الرحمن الزهري .

(٤) سلم بن عمرو الخاسر ، شاعر ماجى طريف من شعراء صدر الدولة العباسية ، وشعره رقيق رصين ، انظر في ترجمته : تاريخ بغداد ٩/١٣٦ ، معجم الأدباء ١١/٢٣٦ ، وانظر الأبيات في الشعر والشعراء ١٠٠ ، نهاية الأرب ٣/٧٨ ، معجم الأدباء ١١/٢٣٦ .

وقال آخر :

ذَهَبَ الْبَرْدُ وَأَبَا فَاَسْتَوَى الْغَيْشُ وَطَابَا

وقال آخر :

وَلِي مِنْ تَمَنَّى النَّفْسِ دُنْيَا عَرِيضَةً
تُمَلِّكُنِي الْأَمْوَالَ لَا فَقْرَ بَعْدَهَا
وَمُصْطَبَحٍ يَغْدُو عَلَيَّ وَيَطْرُقُ
وَعَرَسًا غَيُورًا فَاحِشًا وَتَطْلُقُ
لِتَجْرِبَةٍ مِنَّا وَلَا هِيَ تَصْدُقُ

(١) وقال آخر :

وَأَكْثَرُ أَفْعَالِ اللَّيَالِي إِسَاءَةٌ
وَأَكْثَرُ مَا تَلَقَّى الْأَمَانِي كَوَاذِبًا

وأنشد نفطويه :

الْقَهْرُ يَصْدُقُنَا وَتَكْذِبُنَا الْعُنَى
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَمْ تَنْهَئِهَا
بِعِدَاتِهَا وَتَعَرُّنَا الْأَمَالُ
خَيْلٌ مُطَهَّمَةٌ وَلَا أَمْوَالُ

وقال آخر :

إِنَّ الْقَنَاءَةَ وَالْعَفَا
فَإِذَا صَبَرْتَ عَلَى الْعُنَى
فَإِيْمَنِيَّانِ عَنِ الْعِنَى
فَاشْكُرْ فَقَدْ نِلْتَ الْعُنَى

وقال عبد الملك بن حبيب (٢) :

صَلَّاحُ أَمْرِي وَالَّذِي أَبْتَغِي
هَيْنٌ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي قُدْرَتِهِ

(١) ساقط من ١ .

(٢) البلي الإلبيري القرطبي ، عالم الأندلس وفتيها في عصره ، توفي سنة ٢٣٨ هـ ، ترجمته في جذوة
المتعبس ٢٦٣ ، بنية المتعبس ٣٦٤ .

أَلْفٌ مِنَ الْبَيْضِ وَأَقْلِلٌ بِهَا لِعَالَمٍ أَزْرَى عَلَى بُغْيَتِهِ
زُرْيَابٌ قَدْ يَأْخُذُهَا جُمْلَةً وَصَنَعَتِي أَشْرَفُ مِنْ صَنَعَتِهِ^(١)

قال آخر :

مُسَيِّمَاتُ أَيَّامِ الزَّمانِ كَثِيرَةٌ وَتَحْسِنَةُ الْأَيَّامِ فِي الدَّهْرِ أَغْلَامُ
وَعَيْشُكَ فِيمَا تَسْتَخِصُّ وَتَصْطَفِي قَصِيرٌ وَإِنْ طَالَتْ لِيَالٍ وَأَيَّامُ
فَصِلْ بِسُرُورِ النَّفْسِ عَيْشَكَ إِنَّهُ مَضَى مِثْلَ مَا مَرَّتْ بِعَيْنِكَ أَحْلَامُ

قال بشار بن برد :

ذَكَرْنَا أَحَادِيثَ الزَّمانِ الَّذِي مَضَى فَلَدَّ لَنَا مَحْمُودُهَا وَذَمِيمُهَا^(٢)

وقال آخر :

مَنْ رَأَى قَبَالَاتِ الْمَوْتِ لَمْ تَكْثُرْ أَمَانِيهِ وَلَمْ يَكُنْ طَالِبًا مَا لَيْسَ يَعْنيهِ^(٣)
قيل لِرَقَبَةَ بْنِ مَصْقَلَةَ : أنت بعيد الدار من المسجد ، وتنصرف بلا مؤنس ؟
قال : إني حين أخرج من المسجد أبتدى أمنية فما تنقضى حتى أدخل المنزل .

قال لبيد بن أبي ربيعة :

وَاكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِى بِالْأَمَلِ^(٤)

(١) في الجذوة : سهل على الرحمن ... ، ألف من الحمر ... ، لعالم أوى ، قد يأخذها دفعه . انظر جدوه
المقتبس ٢٦٣ ، نفع الغليب ٢/٢١٥ .

(٢) عيون الأخبار ١/٢٦١ .

(٣) ساقط من ب .

(٤) ديوانه ١٠٣ ، الشعر والشعراء ١٥٣ ، نهاية الأرب ٣/٦٧ ، معجم الأدباء : ١٠٩/٢٠ .

وقال آخر :

ربّ من باتَ يُمَنِّي نَفْسَهُ حَالٍ مِنْ دُونِ مُنَاهُ أَجَلُهُ
قال يزيد على المنبر : ثلاث يخلقن العقل ، وفيها دليل على الضعف : سرعة
الجواب ، وطول المنى ، والاستغراق في الضحك .

وقال الأحنف بن قيس : كثرة الأمانى من غرور الشيطان .

قال حبيب^(١) :

مَنْ كَانَ مَرْتَعُ عَزَمِهِ وَهُمُومِهِ رَوْضَ الْأَمَانِي لَمْ يَزُلْ مَهْزُولًا
وقال آخر :

إِذَا تَمَنَيْتُ بَتَّ اللَّيْلِ مُغْتَبِطًا إِنَّ الْعُنَى رَأْسُ أَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ^(٢)
وقال آخر :

إِذَا حَدَّثَتْكَ النَّفْسَ أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى مَا حَوَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ فَكَذِّبِ
فَإِنَّ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ وَمَالَ بِكَ الْهَوَى إِلَى بَعْضِ مَا مَنَّتْكَ يَوْمًا فَجَرَّبِ^(٣)
قال أبو العتاهية :

إِنَّمَا الْفَقْرُ فَضُولُ التَّعْنَى فَانْسَهَا وَاسْتَوْهَبِ اللَّهَ ذِكْرًا^(٤)
قيل لسليمان بن عبد الملك : ما اللذة ؟ قال : جليس ممتع أضع بيني وبينه
المتحفظ .

(١) ديوانه بفرح التبريزي ٦٧/١ .

(٢) نسب البيت في التمثيل والمحاضرة ١١٣ إلى أبي بكر الحالدي ، وورد في عبون الأخبار ٢٦١/٣ ، نهاية الأرب

١٠٣/٣ بغير نسبة .

(٣) نسب البيتان في معجم الشعراء ٣٤٨ إلى الكسبي بن زيد الأسدي ونسبها القالي في النوادر ٤٩
إلى أعرابي من بني سعد يدعى خنوس ، وكان عمرو بن العاص قد وعده أن يساعده في نفقات زواجه ثم لم
يفعل ، فقل البيتين .

(٤) لم أعثر عليه في الديوان ، وامله مما حفظه المصنف من شعره ، ولم يره جامع الديوان .

قال الحجاج بن يوسف الخُرَيْم - وهو خُرَيْم بن خليفة بن سنان بن أبي حارثة
المُرِّي - ما العيش؟ قال : الأمن ، فإنّي رأيت الخائف لا ينتفع بعيش . قال :
زِدْنِي . قال : والشباب ، فإنّي رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش . قال : زِدْنِي . قال :
والصحة ؛ فإنّي رأيت السقيم لا ينتفع بعيش . قال زِدْنِي . قال : لا أجد مزيداً .

قال أعرابي :

وما العيش إلا في الخمول مع الغنى وعافية تغدو بها وروح

وقال آخر :

إنّ الفتى يصبح للأسقام كالغرض المنصوب للسهام
أخطأ رام وأصاب رام يقول : إني مُدْرِكُ أُمَامِي

في قابل ما فاتني في العام^(١)

قيل لرجل من الحكماء : من أنعم الناس عيشاً ؟ قال : من كفي هم الدنيا ، ولم
يهمهم بالآخرة .

(١) الرجز لأبي النجم الفضل بن قدامة بن عبيد العجلي ، انظر ثلاثة الأبيات الأولى في زهر الآداب
١٣/٤ . وقد ورد في معجم الشعراء ٣١١ برواية أخرى هي :

المراء . كالماء في المنام	يقول أنا مبدرك أُمَامِي
في قابل ، إنا في المنام	والمراء يدنيه من الحمام
من الأبيات السود والأيام	إن الفتى يصبح للأسقام
كالغرض المنصوب للسهام	أخطأ رام وأصاب رام

قال الشاعر :

لا تَمَنَّ الْمُنَى فَتَغْتَرَّ جَهْلًا طَالَمَا اغْتَرَّ بِالْمُنَى الْجُهْلَاءُ

قال آخر^(١) :

لَيْتَ شِعْرِي وَأَيْنَ مِنِّي لَيْتُ إِنَّ لَيْتًا وَإِنْ لَوْ عَنَاءُ

(١) في ١ ، ب : قال الحارث بن حنظل ولم أعثر عليه في معلقته : آذلقنا بينها أسماء ، وقد نسب في الشعر والشعراء ٢٦٣ إلى أبي زيد الطائي .

باب اخْتِلَافِ الْهَمَمِ فِي أَنْوَاعِ الْمَالِ

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « خَيْرُ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنِ نَافِثَةٍ » .

وروى عنه عليه السلام أنه كان يأمرُ الأغنياءَ بِاتِّخَاذِ الْغَنَمِ ، وَيَأْمُرُ الْمَسَاكِينَ بِاتِّخَاذِ الدَّجَاجِ .

قال مالكُ بن أنس^(١) — رحمه الله — : لما خرج مروانُ من المدينة مرَّ بحاله بندي خُشْب^(٢) ، فلما نظر إليه قال : ليسَ المالُ إلا ما أُسْرِجَتْ عليه المناطق .
قيل لابنة الحسن : ما تقولين في مائة من المعز ؟ قالت : قِئى . قيل : فمائة من الضأن ؟ قالت : غِئى . قيل فمائة من الإبل ؟ قالت : مُئى .

وأما قول امرئ القيس^(٣) :

لَنَا نَعْمٌ نُسَوِّقُهَا غِزَارًا كَأَنَّ قُرْمُونَ جَلَّتْهَا الْعِصَى

فإنه أراد أنها كانت معزى ، لوصفه قرونها بالعصى ، وأما قوله :

فَمَلَأَ يَتْنَا إِقْطًا وَسَمْنَا وَحَسْبُكَ مِنْ غِئَى شَبَعٌ وَرِي

فإنه زعم بعضهم أن الإقط لا يكون إلا من لبن البقر ، وقالوا : المعزى أكثر لبنًا ، وأكثر سمنا وزبدًا .

(١) ١ ، ب : أسد .

(٢) نى ١ : خشب ، وهو خطأ ، ودوخشب : واد معروف على مسيرة ليلة من المدينة ، اطار معجم البلدان ٣٧٢/٤ .

(٣) ديوانه ١٣٧ ، عيون الأخبار ١/٣٣٣ .

قال المُسْتَوْرِد : الذَّهَبُ وَالْوَرِقُ حَجَرَانِ ، إِنْ تَرَكْتَهُمَا لَمْ يَزِيدَا ، وَإِنْ أَخَذْتَ مِنْهُمَا تَقْدَارًا ، وَالْحَيَوَانُ كَالْبَقْلِ ^(١) إِنْ أَصَابَتْهُ الشَّمْسُ ذَوَى ^(٢) ، وَلَكِنْ الْمَالُ الْأَرْضُ وَالْمَاءُ .

قال ابن شهاب الزهري - رحمه الله - يخاطب أخاه عبد الله ^(٣) :

تَتَّبِعْ خَبَايَا الْأَرْضِ وَاذْعُ مَلِيكَهَا كَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تَحْجَبَ فَتُرْزَقَ ^(٤)

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تسعة أعشار الرزق في التجارة ، والعشر في السَّائِيَاءِ ^(٥) » .

لما بلغ عمر بن الخطاب أن من نزل بالكوفة من الصحابة اتخذوا الضياع وعمره الأرضين ، كتب إليهم : لا تنهكوا وجه الأرض فإن شحمها في وجهها .

ولما بلغه أن عُثْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ وَأَصْحَابَهُ بَنُوا بِاللَّيْلِ كَتَبَ إِلَيْهِمْ : « وقد كنت أكره لكم ذلك ، فإذا فعلتم فمرضوا الحيطان ، وارفعوا السمك ، وقاربوا بين الخشب .

باع رجل رجلاً أرضاً ، فقال البائع : أما والله لقد أخذتها شديدة المئونة قليلة المئونة - - - يعني الأرض - . فقال المبتاع : والله لقد أخذتها بطيئة الاجتماع سرية التفريق ^(٥) - - - يعني الدراهم .

(١) في ١ : والبقل

(٢) في ١ : قوى .

(٣) معجم الشعراء ٣٤١ .

(٤) السائيات : الجلدة الرقيقة التي تحيط بالجنين وهو في جنين أمه ، والمقصود بها في الحديث نتائج الإبل والماشية . أنظر النهاية ٣١/٢ .

(٥) ب : التفريق .

قالوا : إذا بُعِدَ المال^(١) عن موضع ربّه^(٢) قلت فوائده .

قال الشاعر :

سَأُبْنِيكَ مَالاً بِالْمَدِينَةِ إِنِّي أَرَى عَازِبَ الْأَمْوَالِ قَلَّتْ فَوَائِدُهُ^(٣)
أوصى سهل بن حنيف ، أحد بني عبد الرحمن بن عوف ، وكانت أمه أنصارية
فقال له : إنك أحب إخوتك إليّ ، وإنني موصيك بوصية : اعلم أنه لا عيلة على
مصلح ، ولا مال مع الخرق^(٤) ، واعلم أن خير المال العقل^(٥) ، وخير المال ما أطعمك
ولم تطعمه وإن قلّ ، واعلم أن الرقيق ليسوا بمال ، ولكنهم جمال^(٦) ، واعلم أن
الماشية إنما هي مال أهلها ، وإن كنت متخذاً من المال شيئاً فزرعة إن زرعتها
انتفعت بها ، وإلا لم ترزئك شيئاً . قال : حفظت نصيحته ، فكانت لي أنفع مما
ورثت^(٧)

ذُكِرَ النخلُ والزَّرْعُ عند بعض الأشراف العقلاء ، فقال : شَرَيْنَا النخلَ من
فضول غلات الزرع ، ولم نشتر الزرع من فضول غلات النخل .
قال الليث بن سعد : لما افْتُتِحَتْ إفريقية عجب الناس من كثرة ما أصابوا
فيها من الأموال ، فسألوا بعض من كان معهم من الأسرى ، فبدر إلى شجرة زيتون
كانت بين يديه ، فأخذ منها عوداً وأراحم إياه ، وقال : من هذا جمعنا هذه

(١) ب : الماء .

(٢) ب : ربه .

(٣) عبون الأخبار ٢٥١/١ ، البيان ٤٠٢/٢ ، التمثيل والمحاضرة ٣١١ وفيه : سأبتاع .

(٤) ب : الخزيق ، الخرق : الحق والغفلة .

(٥) ب : العقل .

(٦) ب : خيال .

(٧) ب : ترك عن أبي .

الأموال ، تُصيب الزيتون ، قياتينا أهل البحر والبر ، والصحراء والرمل ، يبتاعون منا الزيتون ، فمن ثمَّ كثرت أموالنا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن العاص : « هل لك يا عمرو أن أبعثك في جيشٍ يُسلمك الله ويغنمك ، وأرغب لك رغبةً سالحة » .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث المقداد بن معدى كرب ، وهو حديث صحيح ، أنه قال صلى الله عليه وسلم : « ما أكل ابنُ آدم طعاماً خيراً له من أن يأكلَ من عملِ يده ، وكان داودُ عليه السلام يأكل من عمل يده » .

وكان داود عليه السلام يعمل القفاف الخوص ، وقيل كان نوح نجاراً ، وكان زكريا نجاراً صلى الله عليهما وسلم .

وأجمع العلماء أنَّ أشرفَ الكسب : الغنائم ، وما أوجف الله عليه ^(١) بالخیل والركاب ، إذا سلم من الغلول . وقد سَمَّى الله الجهادَ تجارةً مُنْجِيَةً من عذابٍ أليم . قال ^(٢) بعضُ لصوص همدان ^(٣) :

(١) ساقط من ب .

(٢) في ب : قالت .

(٣) وردت الآيات في الصفحة التالية منسوبة إلى مالك بن حريم في عيون الأخبار ٢٣٧/١ ، العقد الفريد ٣٩١/٣ ، ووردت منسوبة لعمر بن بركة الهمداني : في الأغاني ١١٣/٢١ ، المؤلف ٦٦ ، ٥٧ ، في قصة حدثت له مع حريم بن مالك الهمداني ، لا ابنه مالك بن حريم ، كما قد يتبادر إلى الذهن من نسبتها إليه في عيون الأخبار ، وأصل القصة أن حريماً أغار على إبل لعمر فذهب بها فجاء عمرو إلى امرأة من همدان كانوا يستشيرونها ، فأخبرها الخبر ، وأنه يريد الإغارة على حريم ، فنهته عن ذلك وحذرتة العاقبة ، فلم يبال بقولها ، وأغار على حريم فاستأن كل شيء له ، ولم يستطع حريم أن يبال منه منلاً ، وقال في ذلك قصيدته التي منها هذه الآيات وأولها :

تقول سليمى لاتعزى لثقة وليلك عن ليل الصعاليك نائم
وَمِنْهَا : كَانَ حَرِيماً إِذْ رَجَا أَنْ أُرْدهَا ويذهب مالى يابنة القبل حالم

واظن البتين الثانى والثالث فى البيان والتبيين ١٥٩/٢ ، الإيمالى ١٢٢/٢ ، العقد ٣٩٩/٣ ، والثالث فى حاسة البحرى ٢٠ .

وَمَنْ يَطْلُبِ الْمَالَ الْمُنْعَ بِالْقَنَّا
 يَعْيشُ مُثْرِيًّا أَوْ تَخْتَرِمُهُ الْمَخَارِمُ
 تَتَى تَجْمَعُ الْقَلْبَ الذِّكْرُ وَصَارِمًا
 وَأَنْفًا حَمِيًّا تَجْتَنِبُكَ الْمَظَالِمُ
 وَكُنْتَ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي غَزَوْهُمْ
 فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَا لَهْمَدَانَ ظَالِمٌ^(٤٣)

بَابُ التَّجَارَةِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَفْضَلُ الْكَسْبِ عَمَلُ الْيَدِ ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٌ » .

وعنه عليه السلام أنه قال : « أَفْضَلُ الْكَسْبِ كَسْبُ الصَّانِعِ إِذَا صَحَّحَ ^(١) » .
وقال عليه السلام : « التَّجَارُ هُمُ الْفَجَّارُ إِلَّا مَنْ بَرَّ وَصَدَّقَ » .

وقال عليه السلام : « التَّاجِرُ الْأَمِينُ الصَّدُوقُ مَعَ الشَّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « يَا مَعْشَرَ التَّجَارِ ! إِنْ بَيْعَكُمْ هَذَا يَشُوبُهُ الْحَلْفُ ، فَخُشُّوْهُ بِالصَّدَقَةِ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ ، وَالْمُحْتَكِرُ مَذْمُونٌ » .
أَوْ قَالَ « ... مَذْمُومٌ ^(٢) » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تِسْعَةُ أَعْشَارِ الرِّزْقِ فِي التَّجَارَةِ ، وَالْعُشْرُ فِي السَّائِيَاءِ » .

وقال عليه السلام : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا » .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ ، وَيَقْبُضَ الْمَالُ ، وَيُظْهَرَ الْقَلَمُ ، وَتَكْثُرَ التَّجَارُ ^(٣) » .

(١) ١ : صنع ، وفي مجمع الزوائد ٦١/٤ أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : خير الكسب كسب العامل إذا نصح . وانظر كتاب البيوع في صحيح البخاري وسنن النسائي ، وكتاب التجارات في سنن ابن ماجه .

(٢) ساقط من ١ .

(٣) لم نثر على هذا الحديث بنصه ، وقد أخرج البخاري ، وأصحاب السنن الأربعة ما نصه : عن أنس بن مالك ، قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُقْلَ الْعِلْمُ ، وَيُظْهَرَ الْجَهْلُ ، وَيُظْهَرَ الزُّنَا ، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ ، وَيُقْلَ الرِّجَالُ ، حَتَّى يَكُونَ لِحَسِينِ امْرَأَةِ الْقَيْمِ الْوَاحِدِ » .
وأيضاً : « إِنْ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ ، وَيُثْبِتَ الْجَهْلُ ، وَلَا تُسْرَبَ الْحُمُرُ وَيُظْهَرَ الزُّنَا » . انظر التبيين في فتح البلى ١/١٨٨ ، ١٨٩ ، صحيح مسلم ٢٠٥٦ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من استتقاله أخوه المسلم في بيع باعه منه فأقاله .
أقاله الله من عثرته يوم القيامة » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : فرّقوا بين المنأيا ، واجعلوا الرأسَ
رأسين^(١) .

وقال عمر : بع الحيوان أحسن ما يكون في عينك .

وقال ابن شهاب : مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأعرابي وهو يبيع
مُسَوِّمَةً^(٢) فقال : « عليك بأولِ سَوِّمَةٍ ، أو بأولِ سَوِّمٍ ، فإن الرِّيحَ مع
السَّامِحِ » .

قيل للزبير رحمه الله : بم بلغت هذا المال ؟ قال : إني لم أريد ربحاً ، ولم
أشتري عيباً .

كان يقالُ : الأسواقُ موائدُ الله في الأرض ، فمن أتاها أصاب منها .

قال خالد بن صفوان : في التَّجَارِ لَوْمُ الطَّبَائِعِ ، وَعَيْيَ اللِّسَانِ ، وموتُ القلبِ ،
وسوءُ الأدبِ ، وقِصْرُ الهمةِ ، والاشْتِمَالُ على كل بليّة .

اشترى أعرابيُّ جلاً ، فنَدِمَ عليه في شرائه ، فجعل يُصَعِّدُ النَّظَرَ فيه ويصوّبه
ليجد ما يتوسّل به إلى رده ، فقال البائعُ : مَنْ طالب عيباً وجده .

(١) ذكره ابن الأثير في النهاية ، وقال : فرّقوا بين المنية ، بدل المنأيا ... الخ ، وقال في تفسيره : إذا اشتري
الرقيق أو غيره من الحيوان ، ولا تفالوا في الثمن ، واشتروا بمن الرأس الواحد وأسين ، فإذا مات الواحد بقي
الآخر ، فكأنكم فرّقتم بين المنية .

(٢) ب : شيئا ، والسومة : السامة تباع بالمساومة في ثمنها .

يقال : الذَّئْبُ فِي شَيْئَيْنِ ، فِي الرَّدَاءَةِ^(١) أَوِ الْغَلَاءِ ، فَإِذَا اسْتَجِدَّتْ فَقَدْ سَلِمَتْ مِنْ أَحَدِهِمَا .

قال الراجز :

مَا أَرْخَصَ الْغَالِي إِذَا كَانَ حَسَنُ

وقال محمود الورّاق :

وَإِذَا غَلَا شَيْءٌ عَلَى تَرَكَتِهِ فَيَكُونُ أَرْخَصَ مَا يَكُونُ إِذَا غَلَا^(٢)

قال معاوية — رحمه الله^(٣) — لقوم : ما تجارتكم ؟ قالوا : بيع الرقيق . قال :
بئس التجارة ، ضمان^(٤) نفس ، ومثونة ضرس .

قال عمر بن الخطاب^(٥) رضي الله عنه : إِذَا اشْتَرَيْتَ بَعِيرًا فَاشْتَرِهِ ضَخْمًا ،
فَإِنْ لَمْ تَوَافِقْ كَرَمًا ، وَافَقْتَ^(٦) لُحْمًا .

ودخل مالك بن دينار السوق فجلس الى قومٍ يحدثهم ، فقال : كَيْفَ سُوقُكُمْ ؟
قالوا : كاسدة . قال : غَشِشْتُمْ^(٧) . قال : وكيف متاعكم ؟ قالوا : ردىء . قال :
كذبتكم . قال : وكيف كثرتة ؟ قالوا : قليل . قال : حلفتم .

(١) في ب : الردىء .

(٢) البيت في نهاية الأرب ٣/ ٨٥ ، معاضرات الأدباء ١/ ٢٧٥ ، المستطرف ١/ ١٢١ ، ٢/ ٧٩ .

(٣) ساقط من ب .

(٤) في ا : ضمن .

(٥) ساقط من ب .

(٦) و ب : واقعت .

(٧) و ب : عَشِشْتُمْ .

كان عبداً لله بن مسمود يقول : عجبا للتاجر كيف يسلم ؟ إن باع مدح ، وإن اشترى ذم .

قال سعيد بن المسيب : إذا أبغض الله عبداً جعل رزقه في الصياح . يعنى — والله أعلم — من لا صناعة له إلا النداء لغير صلاة محترساً بالليل وبراحاً بالنهار . ونحو هذا عن الفضيل بن عياض ، وزاد كالملاحين ودونهم ^(١) . ^(٢) ومنهم الذين يصيحون على أسوار المدن بالليل ^(٣) .

قال ابن عباس : من اشترى مالا يحتاج إليه يؤشك أن يبيع ما يحتاج إليه . قال المنيرة بن حبناء :

وما كل حين يصدق المرء ظنه ولا كل أصحاب التجارة يربح
ولا بن شهاب الزهرى :

ألا كل من يهذى له البيع يرزق وقد يصلح المال اليسير الموفق ^(٤)
ولنصور الفقيه :

بئيتي لا تجزعي واصبري عساك بصبرك أن تظفري
فلو نال يوماً أبوك الغنى كسالك الديقى والتستري ^(٥)
ولكن أبوك ابتلى بالعلوم فما إن يبيع ولا يشتري

(١) ق ب ه وذويهم .

(٢) زيادة من م .

(٣) ب : الترفق .

(٤) ب الرقيق ، وهو تصحيف ، والديقى : نوع فاخر من الثياب كان يصنع في بلدة ديق بمصر والتستري : نوع من الثياب الفاتحة ، كان يصنع ببلدة خوزستان بفارس .

باب الرِّزْقِ

قال الله عز وجل : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ^(١) الآية .

وقال : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ ^(٢) .

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة تقول : اللهم متّعني بزوجي رسول الله ، وبأبي أبي سفيان ، وبأخي معاوية ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دَعَوْتَ اللَّهَ لَأَجَالٍ مَعْلُومَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَبَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ أَرْزَاقَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا مَنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ » .

وقال عليه السلام : « اسْتَئْزِرُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ » .

وقال عليه السلام : « وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ ^(٣) الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللَّهِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ بِمَا يَكْرَهُ ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأُجِلُوا فِي الطَّيِّبِ ، خُذُوا مَا حَلَّ ، وَدَعُوا مَا حَرَّمَ » .

وقال عليه السلام لعبد الله بن مسعود : « لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ، مَا يَقْدَرُ يَكُنْ ، وَمَا تُرْزَقُ يَأْتِكَ » ^(٤) .

(١) سورة الزخرف : ٣٢ .

(٢) سورة النحل : ٧١ .

(٣) في ١ : غبطة .

(٤) و ب : يكون ، يأتيك .

قال الشاعر :

فإِنَّكَ مَا يُقْدِرُ لَكَ اللَّهُ تَلَقَّهُ كِفَاحًا وَتَجْلِبُهُ عَلَيْكَ الْجَوَالِبُ
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي ، أَنَّهُ
لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْلُوا فِي الطَّلَبِ » .

أُنشِدَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا (١) :

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الرِّزْقَ يَأْتِي بِحِيلَةٍ فَقَدْ كَذَّبَتْهُ نَفْسُهُ وَهُوَ آثِمٌ
يَفُوتُ الْغِنَى مِنْ لَا يَنَامُ عَنِ السُّرَى وَآخِرُ مَا يَأْتِي رِزْقَهُ وَهُوَ نَائِمٌ
فَمَا الْفَقْرُ فِي ضَعْفِ احْتِيَالٍ وَلَا الْغِنَى بِكَدٍّ وَلِلْأَرْزَاقِ فِي النَّاسِ قَاسِمٌ
سَاصِرٌ إِنْ دَهْرُهُ أَتَاخَ بِكُلِّ كَلٍ وَأَرْضَى بِحُكْمِ اللَّهِ مَا لِلَّهِ (٢) حَاكِمٌ
لَقَدْ عَشْتُ فِي ضَيْقٍ مِنَ الدَّهْرِ مُدَّةً وَفِي سَعَةٍ وَالْعَرِضُ مِنِّي سَالِمٌ
وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ : إِنْ لَأُمَلِّقَ فَأَتَاجِرُ اللَّهَ بِالْصَّدَقَةِ فَأَرْبِحَ .

وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزَّيْرِ (٣) : الْعَاقِلُ مَنْ إِذَا رُزِقَ مَا لَا نَظَرَ فِيهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ
يَكُونُ آخِرَ رِزْقِهِ .

وَمَا يُرَوَى لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَفِيهِ نَظَرٌ :

لَوْ كَانَ فِي صَخْرَةٍ فِي الْبَحْرِ رَاسِيَّةٌ صَمَاءٌ مَلْمُومَةٌ مُلْسٍ نَوَاحِيهَا

(١) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سميان القرشي الأموي بالولاء ، كان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طوائف الناس ، وله مؤلفات كثيرة في الزهد والرقائق ، توفي في بغداد سنة ٢٨١ هـ . انظر تهذيب التهذيب ١٢/٦ ، تاريخ بغداد ٨٩/١٠ (الأعلام ٢٦٠/٤) .

(٢) : فالله .

(٣) : ب : ابن الزهر .

رِزْقٌ لِعَبْدٍ يَرَاهُ اللَّهُ لَا تَفْلَقَتْ
أَوْ كَانَ تَحْتَ طَبَاقِ السَّبْعِ مَطْلَبُهَا
حَقٌّ تُؤَدِّي الَّذِي فِي اللُّوْحِ خُطَّ لَهُ
وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَيْسَ الرِّزْقُ بِالطَّلَبِ
إِنْ قَدَّرَ اللَّهُ شَيْئًا أَنْتَ طَالِبُهُ
وَإِنْ أَبَى اللَّهُ مَا تَهْوَى فَلَا طَلَبَ
وَقَدْ أَقُولُ لِنَفْسِي وَهِيَ ضَاقَةٌ
صَبْرًا عَلَى ضَاقَةِ الْأَيَّامِ إِنَّ لَهَا
سَيِّقَتَهُ اللَّهُ أَبْوَابَ الْعَطَاءِ بِهَا
وَلَوْ يَكُونُ كَلَامِي حِينَ أَنْشُرُهُ^(١)

وقيل لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه : كيف يحاسب الله العباد على كثرتهم ؟
قال : كما قَسَمَ بينهم^(٢) أرزاقهم .

وَلُسْرَيْجُ بْنُ يُونُسَ الْمَحْدَثُ^(٣) :

يَا طَالِبَ الرِّزْقِ فِي الْآفَاقِ مُجْتَهِدًا
أَتَعَبْتَ نَفْسَكَ حَتَّى شَفَكَ التَّعَبُ

(١) في ب : على .

(٢) في ١ : رجوت .

(٣) في ب : أنشده .

(٤) في ب : فيهم .

(٥) في الأصل : شريح ، وهو خطأ ، والصحيح أنه شريح بن يونس بن إبراهيم البغدادي ، أبو الحارث .

العايد محدث ثقة ، توفي سنة ٢٣٥ هـ . تاريخ بغداد ٢١٩ ، تهذيب التهذيب ٤٥٧/٣ .

تَسْمَى لِرِزْقِ كِفَاكَ اللهُ مُؤَنَّثَةً أَقْصِرْ فِرْزَقَكَ لَا يَأْتِي بِهِ الطَّلَبُ
 كَمَ مِنْ سَخِيفٍ ضَعِيفِ الْعَقْلِ نَعْرِفُهُ لَهُ الْوَلَايَةُ وَالْأَرْزَاقُ وَالذَّهَبُ
 وَمِنْ حَصِيفٍ^(١) لَهُ عَقْلٌ وَمَعْرِفَةٌ بَادِيَ الْخِصَاصَةِ لَمْ يُعْرِفْ لَهُ نَسَبُ^(٢)
 فَاسْتَرْزَقِ اللهُ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ فَاللهُ يَرْزُقُ لَا عَقْلٌ وَلَا حَسَبُ
 وَقَالَ آخِرُ:

كَمَ مِنْ قَوِيٍّ قَوِيٍّ فِي تَقْلَبِهِ مُهَذَّبِ الرَّأْيِ عَنْهُ الرِّزْقُ مُنْحَرِفُ^(٣)
 وَكَمَ ضَعِيفٍ ضَعِيفِ الرَّأْيِ تَبَصُّرُهُ كَأَنَّهُ مِنْ خَلِيجِ الْبَحْرِ يَغْتَرِفُ
 أَنشَدَ أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ:

يَا أَيُّهَا الْمَضْمِرُ هَمًّا لَا تَهَمَّ إِنَّكَ إِنْ تُقَدَّرَ لَكَ الْحُمَى تُحَمَّ
 وَلَوْ عَلَوْتَ شَاهِقًا مِنَ الْعَلَمِ كَيْفَ تَوَقَّيْكَ وَقَدْ جَفَّ الْقَلَمُ^(٤)
 لَوْ: المقادير تبطل التقدير، وتنفضُ التدبير.

قال الشاعر:

إِذَا عَقَّدَ الْقَضَاءُ عَلَيْكَ عَقْدًا فَلَيْسَ يَحُلُّهُ إِلَّا الْقَضَاءُ^(٥)
 وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتِزِ:

يَا مُكِلَّ الْعَيْسِ فِي دَيْمُومَةٍ يَتَّبِعُ الْأَمَالَ كَالْبَاغِي الْمُضِلَّ

(١) : خَصِيب .

(٢) ب : نَسَب .

(٣) فِي : يَحْرَف .

(٤) الْبَيْهَان فِي عَيُونِ الْأَخْبَار ١/١٤٧ .

(٥) الْبَيْت فِي التَّمْثِيلِ وَالْمَحَاضِرَةِ ٣٢٩ ، وَمَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ٧٢/٥ .

إِنَّ مِفْتَاحَ الَّذِي تَطْلُبُهُ يَدِ الْمَقْدَارِ^(١) فَاصْبِرْ وَاتِكَلْ
فَرَّغَ اللَّهُ مِنَ الرِّزْقِ وَمِنْ مُدَّةِ الْعُمُرِ وَمِنْ وَقْتِ الْأَجَلِ

وقال أبو العتاهية :

وَفَدَّتْ إِلَى اللَّهِ فِي وَفْدِهِ لِأَلْتَسِرَ الرِّزْقَ مِنْ عِنْدِهِ
إِذَا مَا قَضَى اللَّهُ أَمْرًا مَضَى وَلَمْ يَقَوْ حَيٌّ عَلَى رَدِّهِ^(٢)

قال المفضل الضبي : قيل لأعرابي : من أين معاشكم ؟ قال : من أزواد الحاج .
قلت : فإذا صدروا ؟ فبكي ، ثم قال : لو كنا نعيش من حيث نعلم لم نعش^(٣) . ثم
قال : أتفهم ؟ قلت : نعم ، فقال :

هَلِ النَّعْرُ إِلَّا ضَيْقَةٌ فَتَفَرَّجُ وَإِلَّا جَدِيدٌ نَاضِرٌ ثُمَّ يَنْهَجُ
أَرَى النَّاسَ فِي الدُّنْيَا كَسْفِرٍ^(٤) تَتَابَعُوا عَلَى مَنْهَجٍ ثُمَّ اسْتَقَلُّوا فَأَذْجُوا
فقال البربري^(٥) :

يَا أَيُّهَا الظَّاعِنُ فِي حَظِّهِ إِنَّمَا الظَّاعِنُ مِثْلُ الْمُقِيمِ
كَمْ مِنْ كَبِيبٍ عَاقِلٍ قَلْبٍ مُصَحَّحِ الْجِسْمِ مُقِلٍّ عَدِيمِ
وَمِنْ جَهُولٍ مُكْثَرٍ مَالُهُ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

(١) في أ : بقدر المقدار ، ولا يستقيم معها وزن البيت .

(٢) ديوانه ٦٨ .

(٣) في ب : لو كنا لانعيش إلا من حيث نعلم . وانظر عيون الأخبار ٣/١٤٥ حيث سأل القصة بصورة أخرى .

(٤) في ب : كسفن .

(٥) في ب : اليزيدي ، تحريف ، وقد سبقت ترجمته .

حَظَكَ يَا تُتَيْكَ وَإِنْ لَمْ تَرِمْ مَا ضَرَّ مَنْ يُرْزَقُ إِلَّا يَرِيمُ^(١)

كان يقال : بكرؤوا في طلب الرزق ، فإن النجّاح في التبكير .
قال أبو هريرة : إذا سأل أحدكم الله الرزق فليُنظر كيف يسأل ، فإن الله يرزق
الحلال والحرام ، ولكن ليقل اللهم ارزقني ما ينفعني ولا يضرني .
قالوا : الرزق رزقان رزق لا يأتيك إلا بالتسبب ، ورزق يأتيك به الله من حيث
لا تحسب .

وقلت أنا الرزق رزقان . فرزق تطلبه ، ورزق يأتيك عفواً^(٢) .

قال عروة بن أذينة ، أو بكر بن أذينة ، وهو الصحيح^(٣) :
إِنِّي لَأَعْلَمُ وَالْأَقْدَارُ نَافِذَةٌ^(٤) أَنَّ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي
أَسْعَى إِلَيْهِ فَيُحْيِيَنِي تَطْلُبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعَيِّنِي
وقال آخر :

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ حَاجَةٍ وَلَا تَوَثِّرَنَّ الْعَجْزَ يَوْمًا عَلَى الطَّلَبِ^(٥)
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِمَرْيَمَ إِلَيْكَ فَهَزَيِ الْجَذْعَ يَسَاقُطُ الرُّطْبُ
وَلَوْ شَاءَ أَنْ تَجْنِيَهُ مِنْ غَيْرِ هَزَّهَا جَنَّتَهُ وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ سَبَبٌ^(٦)

(١) ساقط من أ .

(٢) ب : صفوا .

(٣) زيادة في ب فقط ولم أعتز على ما يرجع هذا الرأي فكل المراجع قد أجمعت على أنها لعروة ، انظر
المؤتلف والمختلف ٥٤ ، الأغاني ٢٢٢/١٠ ، وفيات الأعيان ١٣٢/٢ ، الوافي بالوفيات ٨٦/٢ ، التمثيل والمحاضرة ٧٥ ،
عيون الأخبار ٦٧/٣ ، العقد الفريد ٢٠٥/٣ .

(٤) في م : جارية ، وقد ورد الشطر الأول فيما عدا الوفيات والعيون والعقد : لقد علمت وما الإسراف
من خافي ، وفي الوفيات : وما الإسراف ، وفي عيون الأخبار : وما الإسراف و طمع ، وفي العقد : وقد علمت
وخير القول أصدقه .

(٥) ساقط من أ .

(٦) البيان الثاني والثالث في التمثيل والمحاضرة ٢٦٩ ، وفيه : فهزي إليك الجذع .

وقال آخر :

ما يُغْلِقُ اللهُ بابَ الرِّزْقِ عن أَحَدٍ إِلَّا سَيَفْتَحُ دُونَ^(١) البابِ أَبْوَابًا
وقال بَكْرُ بْنُ سَهَّادٍ^(٢) :

النَّاسُ حَرَصَى عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ فَسَدَتْ فَصَفَوْهَا لَكَ تَمَزُوجَ بِتَكْدِيرِ
فَمِنْ مُكِبٍّ عَلَيْهَا لَا تَسَاعِدُهُ وَعَاجِزٍ نَالَ دُنْيَاهُ بِتَقْصِيرِ
لَمْ يُدْرِكُوهَا بِعَقْلِ عِنْدَمَا قُسِمَتْ وَإِنَّمَا أَدْرِكُوهَا بِالْمَقَادِيرِ
لَوْ كَانَ عَنْ قُدْرَةٍ أَوْ عَنْ مُغَالَبَةٍ طَارَ الْبَزَاةُ بِأَرْزَاقِ الْمَصَافِيرِ
وقال آخر :

قَدْ يُرْزَقُ الْمَرءُ لَمْ تَتَعَبْ رَوَاحِلُهُ وَيُحْرَمُ الرِّزْقَ مَنْ لَمْ يُؤْتَ مِنْ تَعَبِ
وإِنِّي وَاجِدٌ فِي النَّاسِ وَاحِدَةً الرِّزْقُ أَرْوَعُ شَيْءٍ عَنْ ذَوِي الْأَدَبِ^(٣)
ولعلي بن هشام^(٤) :

المرءُ يَسْعَى وَيَسْعَى الرِّزْقُ يَطْلُبُهُ وَرُبَّمَا اخْتَلَفَا فِي السَّمْعِ وَالطَّلَبِ
حَتَّى إِذَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ جَمْعَهُمَا لِلإِثْفَاقِ أَتَاكَ الرِّزْقُ عَنْ كَتَبِ
وقال آخر :

يُخَيِّبُ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُرْزَقُ غَيْرُهُ وَيُعْطَى الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ صَاحِبُهُ^(٥)

(١) م : بعد .

(٢) ن : ابن جناد ، وهو تحريف ، فهو بكر بن سهاد بن سبك الزناني ، أبو عبد الرحمن التاهرتي ، شاعر ، محدث فقيه ، و من تاريخ الجزائر : إن شعره كبير جدير بالجمع ، توفي بتاهرت سنة ٢٩٦ هـ . انظر تاريخ الجزائر ٣١/٢ ، البيان المغرب ١٥٣/١ ، (الأعلام ٣٧/٢) .

(٣) البيان لإبراهيم بن المهدي ، عيون الأخبار ١٩٠/٢ ، الأغاني ٢١٦/٥ .

(٤) شاعر من شعراء الدولة العباسية ، كان سرياً كريماً بعيد الهممة ظاهر المروءة ، توفي سنة ١٥٦ هـ ، انظر وفيات الأعيان ١٦/٤ التمثيل والمحاصرة ١٥٦ .

(٥) عيون الأخبار ٢١٤/١ ، البيان والتبيين ٣٤٠/٢ .

قال بعض الحكماء : الحلال يقطر قطراً ، والحرام يسيل سيلاً .

قال الفزّال^(١) :

طَالِبُ الرِّزْقِ الْحَلَالِ لَا يَقِرُّ نَهَارُهُ وَلَيْلُهُ عَلَى سَفَرٍ
فِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَأَوْقَاتِ الْمَطَرِ وَمَالِهِ فِي ذَاكَ نَزْرٌ مُحْتَقَرٌ
إِنَّ الْحَلَالَ وَحْدَهُ لَا يَحْتَمِرُ أَيْنَ تَرَى مَالاً حَلَالاً قَدْ تَمِرَ
مَا إِنْ رَأَيْنَا صَافِياً مِنْهُ كَثُرَ

قال الناشئ^(٢) :

إِذَا الْمَرْءُ أَتَمَّى نَفْسَهُ كُلَّ شَهْوَةٍ لَصِصَةٍ أَيَّامٌ تَبِيدُ وَتَنْفَدُ
فَمَا بَالُهُ لَا يَحْتَمِي عَنْ حَرَامِهَا لَصِصَةٍ مَا يَبْقَى لَهُ وَيُحْلَدُ
وَقَالَ آخَرُ :

إِنَّ الْحَرَامَ غَزِيرَةٌ حَلْبَاتُهُ وَوَجَدْتُ حَالَةَ الْحَلَالِ نَزُوراً^(٣)

قال أ. ك. م. بن صيفي : من فاته الرزق الحرام فبالعاقبة ظفر .

قال منصور الفقيه :

أَرْزَأَقْنَا مَقْسُومَةً وَهَكَذَا ! آجَالُنَا فَمَا تَحُولُ يَدُنَا وَيَنْتَهِي أَحْوَالُنَا

(١) يحيى بن الحكم الجبائي ، كان يسمى الفزّال لجماله ، شاعر أندلسي مطبوع ، كان يمتاز ببديهة الرأي وحسن الجواب ، أرسله عبد الرحمن بن الحكم بن هشام سفيراً منه إلى ملك النورمان ، توفي سنة ٢٤٠ هـ . انظر بغية اللئیس ٤٨٥ ، الطرب من أشعار أهل المغرب ١٣٣ .

(٢) عبد الله بن محمد ، الناشئ الأنباري ، أبو العباس ، شاعر مجيد ، يعد من طبقة ابن الرومي والبحتري ، ولكنه أغرب في شعره لغزاً شديداً فسقط في بغداد ، لجأ إلى مصر فكنها ، ومات بها سنة ٢٩٣ هـ . تاريخ بغداد ٩٢/١٠ ، وفیات الأعيان ٢٣٧/٢ .

(٣) عبّون الأخبار ١٨٤/٣ ، وفيه : مصوراً بدل نزوراً ، والمصور بعلية خروج اللبن ، والنزور : قليلة الولد ، أو قليلة اللبن . (٤) ب ، م : وكذا .

وله أيضاً :

ما ضَيَّعَ اللهُ خَلْقًا فَأَتَّقِي أَنْ أَضِيْعَا
اللهُ يَرْزُقُ مَنْ لَا يُطِيعُهُ وَالْمُطِيعَا
فاجعلْ سُكُوتَكَ لِلَّهِ وَنَجْوَاكَ جَمِيعَا
وَكُلُّهُ بُؤْسِي وَنُعْمَى سَيْفَنِيَانِ سَرِيْعَا^(١)

وقال آخر :

يَا رُبَّمَا جَاءَنِي سَمَالًا أَوْ مَلَهُ
وَرُبَّمَا خَابَ مَأْمُولٌ وَمُنْتَظَرُ
لو زاد في الرزق حرصه أو مُطَالَبَةً
ما كان من قد يطيل الكدَّ يَفْتَقِرُ
ولأبي يعقوب إسحاق بن حسان الخزاعي^(٢) :

أَفَلِي عَلَى اللَّوَمِ يَا أُمَّ مَالِكٍ
فوالله ما قصرتُ في وجهه مَطْلَبُ
ولكن لهذا الرزق وقتٌ مَوْقَتٌ
وأسهرني طول التفكيرِ إِنِّي
أَرَى فَاجِرًا يُدْعَى جَلِيدًا لِظُلْمِهِ
وعفاً يسمَّى عاجِزاً لِعَفَافِهِ
وأحقَّ مَصْنُوعاً لَهُ في أموره
فَلَمْ يَوْتِ مِنْ حِرْصٍ عَلَى أَلْمَالِ طَالِبُهُ
أَرَى أَنْ فِيهِ مَطْلَبًا فَأُطَالِبُهُ
يُقَسِّمُهُ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ وَاهِبُهُ
عَجِبتُ لِأَمْرِ مَا تُقْضَى عَجَابُهُ
ولو كُلفَ التَّقْوَى لَكَلَّتْ مَضَارِبُهُ^(٣)
ولولا اتَّقَى ما أعجزته مَذَاهِبُهُ
يُسَوِّدُهُ إِخْوَانُهُ وَأَقَارِبُهُ

(١) في ب : سكوتك ... والمراك ، وسينبيان مكان سيفنيان .

(٢) شاعر محسن ، وصفه أبو حاتم السجستاني بأنه أشعر المولدين ، أصله من خراسان من أبناء الهند ، ثم اتصل بهثمان بن خريم ، أو خريم بن عامر المري فذهب إليه ، توفي سنة ٢١٤ هـ . تاريخ بغداد ٦/ ٣٢٦ ، طبقات الشعراء ٢٩٣ ، زهر الآداب ١٦/٤ .

(٣) ورد هذا البيت في أمكنة :

إلى عاجز يدعى جليدا لطالبه ولو كلف التقوى لفلت مضاربه

وقد نسب هذا البيت والذي يليه في معجم الشعراء ١٧٤ إلى أبي بكر العرزمي .

عَلَى غَيْرِ حَزْمٍ فِي الْأُمُورِ وَلَا تُقَى وَلَا نَائِلِ جَزَلٍ تُعَدُّ مَوَاهِبُهُ
فَلَيْسَ لِعَجْزِ الْمَرْءِ أخطاءُ الْغِنَى وَلَا بِاحْتِيَالٍ أَدْرَكَ الْمَالَ كَالسَّبَبِ
وَلَكِنَّهُ قَبْضُ الْإِلَهِ وَبَسْطُهُ فَمَنْ ذَا يَجَارِيهِ وَمَنْ ذَا يُغَالِبُهُ

أُنشَدَنِي خَلْفَ بَن قَاسِمٍ ، قَالَ : أُنشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الصَّيِّدَ لَا نِيَّ ، قَالَ :
أُنشَدَنَا عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشَ :

قَدْ يُرْزَقُ الْخَافِضُ الْمَقِيمُ وَمَا شَدَّ بِعَنْسٍ رَحَلًا وَلَا قَتَبًا^(١)
وَيُحْزَمُ الرِّزْقُ ذُو الْمَطِيَّةِ وَالرَّحْلِ مِنْ لَا يَزَالُ مُعْتَرِبًا

وَقَالَ مَحْمُودُ الْوَرَّاقُ :

قِيَامَةٌ مِنْ مَاتَ فِي مَوْتِهِ وَإِنْ خَالَ مَا شَاعَ^(٢) مِنْ صَوْتِهِ
تَرَى الرَّءِ يَجْزَعُ مِنْ فَوْتِ مَا لَعَلَّ السَّلَامَةَ فِي فَوْتِهِ
وَيَفْنِي وَلَمْ تَقْنِ آمَالُهُ وَإِعْمَالُ سَوْفَ إِلَى لَيْتِهِ
وَكَمْ أَزْعَجَ الْحَرِصَ مِنْ رَاغِبٍ إِلَى الصَّيْنِ^(٣) وَالرِّزْقُ فِي يَدَيْهِ

وَلَأَبَى الْأَسْوَدَ الدُّؤْلَى أَوْ الْمَرْزَمِيَّ :

وَعَجِبْتُ لِلدُّنْيَا^(٤) وَحِرْفَةِ أَهْلِهَا وَالرِّزْقُ فِيمَا يَنْتَهَمُ مَقْسُومُ

(١) في ١ : وما بعد نسبا ولا رحلا ولا قتبًا . والبيتان للحكم بن عبد الله الأسدي ، انظر حاشية أبي تمام ٥٠/٢ ، معجم الأدباء ١٠/٢٣٩ . والعنس : الناقة الموية .

(٢) ب : من شاع .

(٣) في ١ : إلى الصَّيْنِ .

(٤) ١ : عجت من الدنيا ، وانظر ديوان أبي الأسود ١٣٦ وفيه : رغبة أهلها .

وَالْأَتْحَقُّ الْمَرْزُوقُ أَعْجَبُ مَا أَرَى مِنْ أَهْلِهَا وَالْعَاجِزُ الْمَحْزُومُ
ثُمَّ انْقَضَى عَجَبِي لِإِلَهِي أَنَّهُ رِزْقٌ مُوَافٍ^(١) وَقْتُهُ مَعْلُومٌ

وقال آخر:

لَيْسَ بِالْعَقْلِ يَطْلُبُ الْمَرْءُ رِزْقًا كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَتْحَقٍ مَرْزُوقٍ
وَأَصِيلٍ مِنَ الرِّجَالِ نَبِيلٍ^(٢) سَدَّ عَنْهُ الْحَرَمَانُ كُلَّ طَرِيقٍ

وقال آخر:

الرِّزْقُ يَا ثَنَى قَدَرًا عَلَى مَهَلٍ^(٣) وَالْمَرْءُ مَطْبُوعٌ عَلَى حُبِّ الْعَجَلِ

وقال آخر:

يَا زَاكِبَ الْهَوْلِ وَالْآفَاتِ وَالْمَلَكَةِ لَا تَعْجَلَنَّ فَلَيْسَ الرِّزْقُ بِالْحَرَكَةِ
مَنْ غَيْرُ^(١) رَبِّكَ فِي السَّبْعِ الْعُلَى مَلِكًا وَمَنْ أَدَارَ عَلَى أَرْجَائِهَا فَلَسَكَةِ
أَمَا تَرَى الْبَحْرَ وَالصَّيَادَ تَضْرِبُهُ أُمُوجُهُ وَنُجُومُ اللَّيْلِ مُشْتَبِكَةُ
يَجْرُ أَذْيَالُهُ وَالْمَوْجُ يَلْطِمُهُ وَعَقْلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ السَّمَكَةِ
حَتَّى إِذَا رَاحَ مَسْرُورًا يَهَا فَرِحًا وَلِحُوتٍ قَدْ شَكَّ سَقُودَ الرَّدَى حَنَكَةِ
أَتَى إِلَيْكَ بِرِزْقًا بِلَا تَعَبٍ فَصِرْتَ تَمْلِكُ مِنْهُ مِثْلَ مَا مَلَكَ
لُطْفًا مِنَ اللَّهِ يُعْطَى ذَا بِحِيلَتِهِ هَذَا يَمِيدُ وَهَذَا يَأْكُلُ السَّمَكَةُ

(١) في ١. سواء ؛ وفي الديوان ، والكمال المحروم بدل العاجز.

(٢) ساقط من ب . .

(٣) في ب : الرزق يأتي مقدوراً على عجل ، وانظر البيت في البيان والتبيين ٢/٣٨٠ -

(٤) ب : من عند .

وقال أبو العتاهية :

طَالَ هَمِّي بِغَيْرِ مَا يَمْنِينِي وَطِلَابِي فَوْقَ الَّذِي يَكْفِينِي
ولو أني كففت لم أبغ رزقي كان رزقي هو الذي يَبْغِينِي
أَحْمَدُ اللهَ ذا المعارج شُكْرًا ما عليها إِلَّا ضَعِيفُ الْيَقِينِ^(١)
وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ التَّعَطُّلِ ضَائِرٌ وَلَا كُلُّ شُغْلٍ فِيهِ لِمَرَّةٍ مَنَفَعَةٌ
إِذَا كَانَتْ الْأَرْزَاقُ فِي الْقُرْبِ وَالنَّوَى عَلَيْكَ سِوَاهُ فَاغْتَنِمْ لَنَّةَ الدَّعَةِ
وَإِنْ ضِيقَتْ فَاصْبِرْ يَكْشِفُ اللهُ مَا تَرَى فَيَا رَبَّ ضَيْقِي فِي جَوَانِبِهِ سَعَةً^(٢)
وقال آخر :

هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنْ الْأَمْرُ مَقْدُورٌ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَسْطُورٌ
وَالرِّزْقُ وَالْخَلْقُ وَالْأَجَالُ قَدْ قَسِمَتْ وَأَحْكَمَتْهَا وَزَمَّتْهَا الْمَقَادِيرُ
فَلَيْسَ يَقْدِرُ مَرَّةً صَرَفَ وَاحِدَةٍ مِنْهَا وَلَوْ كَثُرَتْ مِنْهُ التَّدَايِيرُ
كَمْ مَنْ رَأَيْنَاهُ ذَا مَالٍ وَذَا سَعَةٍ وَذَا غَضَارَةٍ عَيْشٍ وَهُوَ مَحْبُورٌ
لَا يَعْرِفُ اللهُ جَهْلًا خَاطِئًا حَقًّا لَوْ لَا^(٣) غِنَاهُ لَعَافَتْهُ الْخَنَازِيرُ
لَمْ يَرْكَبِ الْهَوْلَ فِي قَفَرٍ وَلَا لُجَجٍ وَلَا تَكَلَّفَ أَمْرًا فِيهِ تَغْيِيرُ
لَسَكِنَ أَتَاهُ الْغِنَى حَتَّى أُنَافَخَ بِهِ وَمَا تَقَدَّمَ مِنْهُ فِيهِ تَفْكِيرُ^(٤)

(١) الأبيات في ديوانه ٢٦٢ ، وفيه طال شغلي ...

(٢) الأبيات لمي بن الجهم . انظر . . . الأدياء ٥٤/١٩ .

(٣) و ب : لو .

(٤) في ب : وما تقدم منه فيه تفكير .

بَابُ التَّجَارَةِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَفْضَلُ السَّكْبِ عَمَلُ الْيَدِ ، وَكَلَّ يَدُكَ مَبْرُورٌ » .

وعنه عليه السلام أنه قال : « أَفْضَلُ الْكَسْبِ كَسْبُ الصَّانِعِ إِذَا صَحَّحَ ^(١) » .
وقال عليه السلام : « التَّجَارُ هُمُ الْفَجَّارُ إِلَّا مَنْ بَرَّ وَصَدَّقَ » .

وقال عليه السلام : « التَّاجِرُ الْأَمِينُ الصَّدُوقُ مَعَ الشَّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « يَا مَعْشَرَ التَّجَارِ ! إِنْ يَبْعَمُ هَذَا يَشُوبُهُ الْحَلْفُ ، فَشُوبُوهُ بِالصَّدَقَةِ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ ، وَالْمَحْتَكِرُ مَلْعُونٌ » .

أو قال « ... مَذْمُومٌ ^(٢) » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تِسْعَةُ أَعْشَارِ الرِّزْقِ فِي التَّجَارَةِ ، وَالْعُشْرُ فِي السَّائِيَاءِ » .

وقال عليه السلام : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا » .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ ، وَيَقْبَضَ الْمَالُ ، وَيُظْهَرَ الْقَلَمُ ، وَتَكْثُرَ التَّجَارُ ^(٣) » .

(١) : ١ : صنع ، وفي مجمع الزوائد ٦١/٤ أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : خير السكب كسب العامل إذا نصح . وانظر كتاب البيوع في صحيح البخاري وسنن النسائي ، وكتاب التجارات في سنن ابن ماجه .

(٢) : ساقط من ١ .

(٣) : لم نثر على هذا الحديث بنصه ، وقد أخرج البخاري ، وأصحاب السنن الأربعة ما نصه : عن أنس بن مالك ، قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أشراط الساعة أن يقل العلم ، ويظهر الجهل ، ويظهر الزنا ، وتكثر النساء ، ويقل الرجال ، حتى يكون لخمسين امرأة الفيم الواحد » .

وأيضاً : « إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويثبت الجهل ، ويشرب الخمر ، ويظهر الزنا » . انظر الثعنين في فتح البزرى ١/١٨٨ ، ١٨٩ ، صحيح مسلم ٢٠٥٦ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من استقله أخوه المسلم في بيع باعه منه فأقاله .
أقاله الله من عثرته يوم القيامة » .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فرّقوا بين المنكيا ، واجعلوا الرأس
رأسين^(١) .

وقال عمر : بع الحيوان أحسن ما يكون في عينك .

وقال ابن شهاب : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعرابي وهو يبيع
مُسَوِّمَةً^(٢) فقال : « عليك بأولِ سَوِّمَةٍ ، أو بأولِ سَوِّمٍ ، فإن الرّيحَ مع
السّماح » .

قيل للزير رحمه الله : بم بلغت هذا المال ؟ قال : إني لم أرَ دُرْجًا ، ولم
أشترَ عيبًا .

كان يقال : الأسواقُ موائدُ الله في الأرض ، فمن أتاها أصاب منها .

قال خالد بن صفوان : في التّجَارِ أوْمُ الطّباع ، وعِيّ اللّسان ، وموتُ القلب ،
وسوءُ الأدب ، وقِصْرُ الهمة ، والاشتمالُ على كل بليّة .

اشترى أعرابيُّ جملًا ، فنَدِمَ عليه في شرائه ، فجعل يُصعّد النظرَ فيه ويصوّبه
ليجد ما يتوسّل به إلى رده ، فقال البائع : مَنْ طالب عيبًا وجده .

(١) ذكره ابن الأثير في النهاية ، وقال : فرّقوا بين المنية ، بدل المنايا ... الخ ، وقال في تفسيره : إذا اشتريتم
الرقيق أو غيره من الحيوان ، فلا تغالوا في الثمن ، واشتروا بشمن الرأس الواحد رأسين ، فإذا مات الواحد بقي
الآخر ، فكأنكم فرّقتم بين المنية .

(٢) في ب : شيئا ، والمسومة : السامة تباع بالمساومة في ثمنها .

يقال : النَّهْنُ فِي شَيْئَيْنِ ، فِي الرَّدَاءَةِ^(١) أَوِ الْغَلَاءِ ، فَإِذَا اسْتَجِدْتَ فَقَدْ سَلِمْتَ مِنْ أَحَدِهِمَا .

قال الراجز :

مَا أُرْخَصَ النَّالِي إِذَا كَانَ حَسَنُ

وقال محمود الوراق :

وَإِذَا غَلَا شَيْءٌ عَلَى تَرَكَتِهِ فَيَكُونُ أُرْخَصَ مَا يَكُونُ إِذَا غَلَا^(٢)

قال معاوية — رحمه الله^(٣) — لقوم : ما تجارتكم ؟ قالوا : بيع الرقيق . قال : بئس التجارة ، ضمان^(٤) نفس ، ومثونة ضرس .

قال عمر بن الخطاب^(٥) رضي الله عنه : إِذَا اشْتَرَيْتَ بَعِيرًا فَاشْتَرِهِ ضَخْمًا ، فَإِنْ لَمْ تَوَافِقْ كَرَمًا ، وَافَقْتَ^(٦) لِحْمًا .

ودخل مالك بن دينار السوق فجلس إلى قومٍ يحدثهم ، فقال : كَيْفَ سُوقُكُمْ ؟ قالوا : كاسدة . قال : غَشِشْتُمْ^(٧) . قال : وكيف متاعكم ؟ قالوا : ردىء . قال : كذبتُم . قال : وكيف كثرته ؟ قالوا : قليل . قال : حلفتُم .

(١) نى ب : الردىء .

(٢) البيت في نهاية الأرب ٣ / ٨٥ ، محاضرات الأدباء ١ / ٢٢٥ ، المستطرف ١ / ١٢١ ، ٢ / ٧٩ .

(٣) ساقط من ب .

(٤) نى ا : ضمن .

(٥) ساقط من ب .

(٦) و ب : واقعت .

(٧) و ب : غشيم .

كان عبد الله بن مسعود يقول : عجبا للتاجر كيف يسلم ؟ إن باع مدح ، وإن اشترى ذم .

قال سعيد بن المسيب : إذا أبغض الله عبداً جعل رزقه في الصباح . يعنى — والله أعلم — من لا صناعة له إلا النداء لغير صلاة محترساً بالليل وبراهاً بالنهار . ونحو هذا عن الفضيل بن عياض ، وزاد كالملاحين ودونهم ^(١) . ^(٢) ومنهم الذين يصيحبون على أسوار المدن بالليل ^(٣) .

قال ابن عباس : من اشترى مالا يحتاج إليه يوشك أن يبيع ما يحتاج إليه . قال المغيرة بن حبان :

وما كل حين يصدق المرء ظنه ولا كل أصحاب التجارة يربح
ولابن شهاب الزهري :

ألا كل من يهذى له البيع يزق وقد يصلح المال اليسير الوفق ^(٤)
ولنصور الفقيه :

بنيقي لا تجزعي واصبري عساك بصبرك أن تظفري
فلو نال يوماً أبوك الغنى كساك الدقيق والتستري ^(٥)
ولكن أبوك ابتلى بالعلوم فما إن يبيع ولا يشتري

(١) في ب ٤ ودويم .

(٢) زيادة من م .

(٣) ب : الترفق .

(٤) ب الرقيق ، وهو تصحيف ، والدقيق : نوع فاخر من الثياب كان يصنع في بلدة دبيق بمصر والتستري : نوع من الثياب الفائقة ، كان يصنع بتستر بإقليم خوزستان بفارس .

باب الرزق

قال الله عز وجل : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (١) الآية .

وقال : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ (٢) .

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة تقول : اللهم متّعني بزوجي رسول الله ، وبأبي أبي سفيان ، وبأخي معاوية ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دَعَوْتَ اللَّهَ لَأَجَالٍ مَعْلُومَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَبِي اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ أَرْزَاقَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا مَنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ » .

وقال عليه السلام : « اسْتَغْنُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ » .

وقال عليه السلام : « وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ (٣) الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللَّهِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ بِمَا يَكْرَهُ ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْلُوا فِي الطَّيِّبِ ، خُذُوا مَا حَلَّ ، وَدَعُوا مَا حَرَّمَ » .

وقال عليه السلام لعبد الله بن مسعود : « لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ، مَا يَقْدَرُ يَكُنْ ، وَمَا تُرْزَقُ يَأْتِكَ » (٤) .

(١) سورة الزخرف : ٣٢ .

(٢) سورة النحل : ٧١ .

(٣) في ١ : غيظ .

(٤) في ب : يكون ، بأتك .

قال الشاعر :

فإِنَّكَ مَا يُقْدِرُ لَكَ اللَّهُ تَلَقَّهٗ كِفَاحًا وَتَجْلِبُهُ عَلَيْكَ الْجَوَالِبُ
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن رُوحَ القدس نفث في رُوعي ، أنه
لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » .

أنشد ابن أبي الدنيا ^(١) :

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الرِّزْقَ يَأْتِي بِحِيلَةٍ فَقَدْ كَذَّبَتْهُ نَفْسُهُ وَهُوَ آئِمٌ
يَفُوتُ الْغِنَى مِنْ لَا يَنَامُ عَنِ السُّرَى وَآخِرُ مَا يَأْتِي رِزْقَهُ وَهُوَ نَائِمٌ
فَمَا الْفَقْرُ فِي ضَعْفِ احْتِيَالٍ وَلَا الْغِنَى بِكَدٍّ وَلِلْأَرْزَاقِ فِي النَّاسِ قَاسِمٌ
سَاصِرٌ إِنْ دَهْرُهُ أَنَاخَ بِكُلِّ كَلٍ وَأَرْضَى بِحُكْمِ اللَّهِ مَا اللَّهُ ^(٢) حَاكِمٌ
لَقَدْ عَشْتُ فِي ضَيْقٍ مِنَ الدَّهْرِ مُدَّةً وَفِي سَمَةٍ وَالْعِرْضُ مِنِّي سَالِمٌ
وقال جعفر بن محمد : إني لأملق فأتاجر الله بالصدقة فأربح .

وقال عروة بن الزبير ^(٣) : العاقل من إذا رُزق مالا نظر فيه ، فإنه لا يدرى لعله
يكون آخر رزقه .

ومما يروى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفيه نظر :

لو كَانَ فِي صَخْرَةٍ فِي الْبَحْرِ رَاسِيَّةٌ صَمَاءٌ مَلْمُومَةٌ مُلْسٍ نَوَاحِيهَا

(١) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرني الأموي بالولاء ، كان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام
وما يلائم طبائع الناس ، وله مؤلفات كثيرة في الزهد والرقائق ، توفي في بغداد سنة ٢٨١ هـ . انظر تهذيب التهذيب
١٢/٦ ، تاريخ بغداد ٨٩/١٠ (الأعلام ٢٦٠/٤) .

(٢) ١ : فالله .

(٣) ١ : ابن الزهر .

وَرِزْقٌ لِعَبْدٍ يَرَاهُ اللَّهُ لَا تَفْلَقَتِ
أَوْ كَانَ تَحْتِ طَبَاقِ السَّبْعِ مَطْلَبُهَا
حَقٌّ تُؤَدِّي إِلَيْهِ فِي اللَّوْحِ خُطَّةٌ لَهُ
وَأُتِّدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَيْسَ الرِّزْقُ بِالطَّلَبِ
إِنْ قَدَّرَ اللَّهُ شَيْئًا أَنْتَ طَالِبُهُ
وَإِنْ أَبَى اللَّهُ مَا تَهْوَى فَلَا طَلَبُ
وَقَدْ أَقُولُ لِنَفْسِي وَهِيَ ضَاقَةٌ
صَبْرًا عَلَى ضَاقَةِ الْأَيَّامِ إِنَّ لَهَا
سَيَفْتَحُ اللَّهُ أَبْوَابَ الْعَطَاءِ بِهَا
وَلَوْ يَكُونُ كَلَامِي حِينَ أَنْشُرُهُ (١)
وَقِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كَيْفَ يَحَاسِبُ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَى كَثْرَتِهِمْ ؟

قَالَ : كَمَا قَسَمَ بَيْنَهُمْ (٢) أَرْزَاقَهُمْ .

وَلِسُرِّيٍّ بْنِ يُونُسَ الْمَحْدَثِ (٣) :

يَا طَالِبَ الرِّزْقِ فِي الْآفَاقِ مُجْتَهِدًا
أُنْعِمْتَ نَفْسَكَ حَتَّى شَفَّكَ التَّعَبُ

(١) في ب : على .

(٢) في أ : رجوت .

(٣) في ب : أنشده .

(٤) في ب : فيهم .

(٥) في الأصل : شريح ، وهو خطأ ، والمصحح أنه سريح بن يونس بن إبراهيم البغدادي ، أبو الحارث .

المأند محدث ثقة ، توفي سنة ٢٣٥ هـ . تاريخ بغداد ٢١٩ ، تهذيب التهذيب ٤٥٧/٣ .

تَسْعَى لِرِزْقِ كِفَاكَ اللَّهُ مُؤَنِّتُهُ
 كَمْ مِنْ سَخِيفٍ ضَعِيفِ الْعَقْلِ نَعْرِفُهُ
 وَمِنْ حَصِيفٍ^(١) لَهُ عَقْلٌ وَمَعْرِفَةٌ
 فَاسْتَرْزَقِ اللَّهَ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ
 وَقَالَ آخِرُ:

كَمْ مِنْ قَوِيٍّ قَوِيٍّ فِي تَقَلُّبِهِ
 وَمِنْ ضَعِيفٍ ضَعِيفٍ الرَّأْيِ تَبَصُّرُهُ
 مُهْتَبِ الرِّأْيِ عَنْهُ الرِّزْقُ مُنْحَرِفٌ^(٢)
 كَأَنَّهُ مِنْ خَلِيجِ الْبَحْرِ يَفْتَرِفُ
 أَنشَدَ أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ:

يَا أَيُّهَا الْمَضْمِرُ هَمًّا لَا تُهَمِّ
 وَلَوْ عَلَوْتَ شَاهِقًا مِنَ الْعَلَمِ
 إِنَّكَ إِنْ تُقَدَّرَ لَكَ الْحُمَى تُحَمِّ
 كَيْفَ تَوَقَّيْكَ وَقَدْ جَفَّ الْقَلَمُ^(٣)
 فَالُوا : المقادير تبطل التقدير ، وتنتقض التدبير .
 قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا عَقَّدَ الْقَضَاءُ عَلَيْكَ عَقْدًا
 فَلَيْسَ يَحْمِلُهُ إِلَّا الْقَضَاءُ^(٤)
 وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتِزِ :

يَا مُكِلَّ الْعَيْسِ فِي دَيْمُومَةٍ
 يَتَّبِعُ الْأَمَالَ كَالْبَاغِي الْمُضِلَّ

(١) : خَصِيب .

(٢) : ب : نَسَب .

(٣) : في : يَنْحَرِف .

(٤) : الْبَيْتَانِ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ ١/١٤٧ .

(٥) : الْبَيْتُ فِي التَّمَثِيلِ وَالْمُحَاضَرَةِ ٣٧٩ ، وَمَجْمَعُ الْأَدْبَاءِ ٥/٧٧ .

إِنَّ مِفْتَاحَ الَّذِي تَطْلُبُهُ يَبِيدُ الْمَقْدَارِ^(١) فَاصْبِرْ وَاتِكَلْ
فَرَّغَ اللَّهُ مِنَ الرِّزْقِ وَمِنْ مُدَّةِ الْعُمُرِ وَمِنْ وَقْتِ الْأَجَلِ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

وَفَدَّتْ إِلَى اللَّهِ فِي وَفْدِهِ لِأَتَمِّسَ الرِّزْقَ مِنْ عِنْدِهِ
إِذَا مَا قَضَى اللَّهُ أَمْرًا مَضَى وَلَمْ يَقْوِ حَيٌّ عَلَى رَدِّهِ^(٢)

قال المفضل الضبي : قيل لأعرابي : من أين معاشكم ؟ قال : من أزواد الحاج .
قلت : فإذا صدروا ؟ فبكي ، ثم قال : لو كنا نعيش من حيث نعلم لم نعش^(٣) . ثم
قال : أتفهم ؟ قلت : نعم ، فقال :

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا ضَيْقَةٌ فَتَفَرَّجْ وَإِلَّا جَدِيدٌ نَاضِرٌ ثُمَّ يَنْهَجْ
أَرَى النَّاسَ فِي الدُّنْيَا كَسَفَرٍ^(٤) عَلَى مَنْهَجٍ ثُمَّ اسْتَقَلُّوا فَأَذْجُوا
فَقَالَ الْبَرْبَرِيُّ^(٥) :

يَا أَيُّهَا الظَّاعِنُ فِي حَظِّهِ إِنَّمَا الظَّاعِنُ مِثْلُ النُّقْمِ
كَمْ مِنْ لَيْبٍ عَاقِلٍ قُلَّبِ مُصَحَّحِ الْجِسْمِ مُقِلٌّ عَدِيمِ
وَمِنْ جَهُولٍ مُكْتَرٍ مَالُهُ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

(١) و ١ : بيدر المقدار ، ولا يستقيم معها وزن البيت .

(٢) ديوانه ٦٨ .

(٣) و ب : لو كنا لانعيش إلا من حيث نعلم . وانظر عيون الأخبار ١٤٥/٣ حيث ساء القصة بصورة أخرى .

(٤) و ب : كسفن .

(٥) و ب : البريدي ، تحريف ، وقد سبقت ترجمته .

حَظَّكَ يَا تُيُوكَ وَإِنْ لَمْ تَرِمْ مَا ضَرَّ مَنْ يُرْزَقُ إِلَّا يَرِيمُ^(١)

كان يقال : بكَرُوا فِي طَلْبِ الرِّزْقِ ، فَإِنَّ النَّجَّاحَ فِي التَّبَكُّيرِ .
قال أبو هريرة : إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ اللَّهَ الرِّزْقَ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يَسْأَلُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ
الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ ، وَلَكِنْ لِيَقُلَّ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مَا يَنْفَعُنِي وَلَا يَضُرُّنِي .
قالوا : الرِّزْقُ رِزْقَانِ رِزْقٌ لَا يَأْتِيكَ إِلَّا بِالتَّسَبُّبِ ، وَرِزْقٌ يَأْتِيكَ بِهِ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ
لَا تَحْتَسِبُ .

وقلت أنا الرزق رزقان . فرزق تطلبه ، ورزق يأتيك عفواً^(٢) .

قال عُرْوَةُ بْنُ أَذْيَنَةَ ، أَوْ بَكْرُ بْنُ أَذْيَنَةَ ، وَهُوَ الصَّحِيحُ^(٣) :
إِنِّي لَأَعْلَمُ وَالْأَقْدَارُ نَافِذَةٌ^(٤) أَنَّ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي
أَسْمَعِي إِلَيْهِ فَيُعِينَنِي تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعِينَنِي
وقال آخر :

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ حَاجَةٍ . وَلَا تُؤْثِرَنَّ الْعَجْزَ يَوْمًا عَلَى الطَّلَبِ^(٥) .
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِمَرْيَمَ إِلَيْكَ فَهَزِّي الْجُدْعَ يَسَاقُطِ الرُّطَبُ
وَلَوْ شَاءَ أَنْ تَجْنِيهِ مِنْ غَيْرِ هَزَّهَا جَنَّتَهُ وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ سَبَبٌ^(٦) .

(١) ساقط من أ .

(٢) ب : صفوا .

(٣) زيادة في ب فقط ولم أعثر على ما يرجع هذا الرأي فكل المراجع قد أجمعت على أنها لعروة ، الفهرست المؤلف والمختلف ٥٤ ، الأغاني ٢٣٢/١٠ ، وفيات الأعيان ١٣٢/٢ ، الوالي بالوفيات ٨٦/٢ ، التمثيل والمحاضرة ٧٥ ، عيون الأخبار ٦٧/٣ ، العقد الفريد ٢٠٥/٣ .

(٤) في م : جارية ، وقد ورد الشطر الأول فيما عدا الوفيات والعيون والعقد : لقد علمت وما الإسراف من خاقي ، وفي الوفيات : وما الإسراف ، ووعيون الأخبار : وما الإسراف في طمع ، وفي العقد : وقد علمت وخير القول أصدقه .

(٥) ساقط من أ .

(٦) البيان الثاني والثالث في التمثيل والمحاضرة ٢٦٩ ، وفيه : فهزي إليك الجدع .

وقال آخر :

ما يُفْلِقُ اللهُ بابَ الرِّزْقِ عَنْ أَحَدٍ
وقال بَكْرُ بْنُ حَمَّادٍ (١) :

لَنَاسٍ حَرَصَى عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ فَسَدَتْ
نَعْنِ مُكِبٌ عَلَيْهَا لَا تَسَاعِدُهُ
لَمْ يُدْرِكُوهَا بِعَقْلِ عِنْدَمَا قُسِمَتْ
لَوْ كَانَ عَنْ قُدْرَةٍ أَوْ عَنْ مُغَالَبَةٍ

وقال آخر :

قَدْ يُرْزَقُ الْمَرْءُ لَمْ تَتَّعِبْ رَوَاحِلُهُ
وَلِأَنِّي وَاجِدٌ فِي النَّاسِ وَاحِدَةٌ
وَيُحْرَمُ الرِّزْقَ مَنْ لَمْ يُؤْتَ مِنْ تَعَبِ
الرِّزْقِ أَرْوَعُ شَيْءٍ عَنْ ذَوِي الْأَدَبِ (٢)

ولملي بن هشام (٣) :

المرء يسعى ويسعى الرِّزْقُ يَطْلُبُهُ
حَتَّى إِذَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ جَهْمَهُمَا
وَرُبَّمَا اخْتَلَفَا فِي السَّعْيِ وَالطَّلَبِ
لِلْإِتِّفَاقِ أَتَاكَ الرِّزْقُ عَنْ كَثَبِ

وقال آخر :

يُنْجِبُ الْفَقْرَ مِنْ حَيْثُ يُرْزَقُ غَيْرُهُ
وَيُعْطَى الْفَقْرَ مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ صَاحِبُهُ (٤)

(١) م : بعد .

(٢) في : ابن جناد ، وهو تحريف ، فهو بكر بن حماد بن سمك الزناني ، أبو عبد الرحمن التاهرتي ، شاعر ، محدث فقيه ، ولي تاريخ الجزائر : إن شعره كثير جدير بالجمع ، توفي بتاهرت سنة ٢٩٦ هـ . انظر تاريخ الجزائر ٣١/٢ ، البيان المغرب ١٥٣/١ ، (الأعلام ٣٧/٢) .

(٣) البيتان لإبراهيم بن المهدي ، عيون الأخبار ١٩٠/٢ ، الأغاني ٢١٦/٥ .

(٤) شاعر من شعراء الدولة العباسية ، كان سرياً كريماً بعبد الهمة ظاهر المروءة ، توفي سنة ١٥٦ هـ ، انظر وفيات الأعيان ١٦/٤ التمثيل والمحاضرة ١٥٦ .

(٥) عيون الأخبار ٢١٤/١ ، البيان والتبيين ٢٤٠/٢ .

قال بعض الحكماء : الحلال يقطر قطراً ، والحرام يسيل سيلاً .

قال الفزّال^(١) :

طَالِبُ الرِّزْقِ الحَلَالِ لَا يَقِرُّ نَهَارُهُ وَلَيْلُهُ عَلَى مَقَرٍّ
فِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَأَوْقَاتِ الْمَطَرِ وَمَالِهِ فِي ذَاكَ نَزْرٌ مُحْتَقَرٌ
إِنَّ الحَلَالَ وَحْدَهُ لَا يَخْتَمِرُ أَيْنَ تَرَى مَالاً حَلَالاً قَدْ ثَمَرَ
مَا إِنْ رَأَيْنَا صَافِيًا مِنْهُ كَثُرَ

قال الناشئ^(٢) :

إِذَا الْمَرْءُ أَفْحَمَى نَفْسَهُ كُلَّ شَهْوَةٍ لَصِيحَّةِ أَيَّامٍ تَبِيدُ وَتَنْفَدُ
فَمَا بَالُهُ لَا يَخْتَمِي عَنْ حَرَامِهَا لَصِيحَّةِ مَا يَبْقَى لَهُ وَيُخَلَّدُ
وَقَالَ آخِرُ :

إِنَّ الحَرَامَ غَزِيرَةٌ حَلْبَاءُتُهُ وَوَجَدْتُ حَالِبَةَ الحَلَالِ نَزُورًا^(٣)

قال أكرم بن صيفي : من فاته الرزق الحرام فبالعاقبة ظفر .

قال منصور الفقيه :

أَرْزَاقُنَا مَقْسُومَةٌ وَهَكَذَا ! آجَالُنَا فَأَتَحَوَّلُ يَتَنَنَا وَيَتَنُهَا أَحْوَالُنَا

(١) يحيى بن الحكم الجاني ، كان يسمى الفزّال لجماله ، شاعر أندلسي مطبوع ، كان يمتاز ببديهة الرأي وحسن الجواب ، أرسله عبد الرحمن بن الحكم بن هشام سفيراً منه إلى ملك النورمان ، توفي سنة ٢٥٠ هـ . انظر بغية اللبس ٤٨٥ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ١٣٣ .

(٢) عبد الله بن محمد ، الناشئ الأنباري ، أبو العباس ، شاعر مجيد ، يعد من طبقة ابن الرومي والبحري ، ولكنه أغرب في شعره لإغراباً شديداً فسقط في بغداد ، فجاء إلى مصر فكنها ، ومات بها سنة ٢٩٣ هـ . تاريخ بغداد ٩٢/١٠ ، وفيات الأعيان ٢/٢٧٧ .

(٣) عيون الأخبار ٣/١٨٤ ، وفيه : مصورا بدل نزورا ، والمصور بطلية خروج اللبن ، والنزور : قليلة الولد ،

(٤) ب ، م ، وكذا .

وله أيضاً :

ما ضَيَّعَ اللهُ خَلْقًا فَأَتَّقِي أَنْ أَضِيعَا
اللهُ يَرْزُقُ مَنْ لَا يُطِيعُهُ وَالْمُطِيعَا
فَلْجَعَلْ سُكُوتَكَ لِلَّهِ وَنَجْوَاكَ جَمِيعَا
وَكُلُّ بُؤْسِي وَنُعْمَى سَيَفْنِيَانِ سَرِيحَا^(١)

وقال آخر :

يَا رَبِّمَا جَاءَنِي مَالًا أَوْ مَلَّةً وَرَبِّمَا خَابَ مَأْمُولٌ وَمُنْتَظَرُ
لو زاد في الرزق حرصٌ أو مُطَالَبَةٌ ما كان من قد يطيل الكدَّ يَفْتَقِرُ
ولأبي يعقوب إسحاق بن حسان الخُرَيْمِيُّ^(٢) :

أَقْلَى عَلَى اللَّوَمِ يَا أُمَّ مَالِكٍ فَلَمْ يَوْتِ مِنْ حِرْصٍ عَلَى الْأَمَالِ طَالِبُهُ
فَوَاللَّهِ مَا قَصُرْتُ فِي وَجْهِ مَطْلَبٍ أَرَى أَنْ فِيهِ مَطْلَبًا فَأُطَالِبُهُ
ولكن لهذا الرزق وقتٌ مَوْقَتٌ يُقَسِّمُهُ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ وَاهِبُهُ
وَأَسْهَرَنِي طَوْلَ التَّفَكُّرِ إِنِّي عَجِبتُ لِأَمْرِ مَا تُقْضَى عَجَابُهُ
أَرَى فَاجِرًا يُدْعَى جَلِيدًا لِظُلْمِهِ وَلَوْ كَلَّفَ التَّقْوَى لَكَلَّتْ مَضَارِبُهُ^(٣)
وَعَفَا بِسْمِي عَاجِزًا لِعَفَافِهِ وَلَوْلَا التَّقَى مَا أَعْجَزَتْهُ مَذَاهِبُهُ
وَأَحَقَّ مَصْنُوعًا لَهُ فِي أُمُورِهِ يُسَوِّدُهُ إِخْوَانُهُ وَأَقَارِبُهُ

(١) في ب : سكوتك ... والحراك ، وسينفيان مكان سيفنيان .

(٢) شاعر محسن ، وصفه أبو حاتم السجستاني بأنه أشهر المولدين ، أصله من خراسان من أبناء الصند ، ثم اتصل بثمان بن خريم ، أو خريم بن عامر المري فنسب إليه ، توفي سنة ٨٢٤ هـ . تاريخ بغداد ٦/ ٣٢٦ ، طبقات الشعراء ٢٩٣ ، زهر الآداب ١٦/٤ .

(٣) ورد هذا البيت في أمكنة :

إلى عاجز يدعى جليدا طالبه ولو كلف التقوى لفلت مضاربه

وقد نسب هذا البيت والذي يليه في معجم الشعراء ٤١٧ إلى أبي بكر العرزمي .

عَلَى غَيْرِ حَزْمٍ فِي الْأُمُورِ وَلَا تُتَّقَى وَلَا نَائِلٍ جَزَلٍ تُعَدُّ مَوَاهِبُهُ
فَلَيْسَ لِعَجْزِ الْمَرْءِ أَخْطَاءُ الْغَى وَلَا بِاحْتِيَالٍ أَدْرَكَ الْمَالَ كَاسِبُهُ
وَلَكِنَّهُ قَبْضُ الْإِلَهِ وَبَسْطُهُ فَمَنْ ذَا يَجَارِيهِ وَمَنْ ذَا يُغَالِبُهُ

أَنشَدَنِي خَلْفُ بْنُ قَاسِمٍ ، قَالَ : أَنشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الصَّيِّدُ لَأَنِّي ، قَالَ :
أَنشَدَنَا عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ :

قَدْ يُرْزَقُ الْخَافِضُ الْمُقِيمُ وَمَا شَدَّ بِمَنْسٍ رَحَلًا وَلَا قَتَبًا^(١)
وَيُحْرَمُ الرِّزْقَ ذُو الْمَطِيَّةِ وَالرَّحْلِ وَمَنْ لَا يَزَالُ مُغْتَرِبًا

وَقَالَ مَحْمُودُ الْوَرَّاقُ :

قِيَامَةٌ مَنْ مَاتَ فِي مَوْتِهِ وَإِنْ خَالَ مَا شَاعَ^(٢) مِنْ صَوْتِهِ
تَرَى الْمَرْءَ يَجْزَعُ مِنْ فَوْتِ مَا لَعَلَّ السَّلَامَةَ فِي فَوْتِهِ
وَيَفْنِيَنِي وَلَمْ تَفْنِ آمَالُهُ وَإِعْمَالُ سَوْفٍ إِلَى كَيْتِهِ
وَكَمْ أَزْعَجَ الْحِرْصُ مِنْ رَاغِبٍ إِلَى الصَّيْنِ^(٣) وَالرِّزْقُ فِي يَدَيْهِ

وَلَأَبَى الْأَسْوَدُ الدُّؤْلَى أَوْ الْمَرْزَمَى :

وَعَجِبْتُ لِلدُّنْيَا^(٤) وَحِرْفَةِ أَهْلِهَا وَالرِّزْقُ فِيمَا يَبْتَغِيهِمْ مَقْسُومٌ

(١) ١ : وما يشد نسبا ولا رحلا ولا قنبا . والبيتان للحكم بن عبد الله الأسدي ، انظر حاشية أبي تمام ٥٠ / ٢ ، مجمع الأدباء ٢٣٩ / ١٠ . والفس : الناقة العوية .

(٢) ب : من شاع .

(٣) ١ : إلى الضيق .

(٤) ١ : عجبت من الدنيا ، وانظر ديوان أبي الأسود ١٣٦ وفيه : رغبة أهلها .

وَالْأَتْحَقُّ الْمَرْزُوقُ أَعْجَبُ مَا أَرَى مِنْ أَهْلِهَا وَالْعَاجِزُ الْمَحْزُومُ
ثُمَّ انْقَضَى عَجَبِي لِعِلْمِي أَنَّهُ رِزْقٌ مُوَافٍ^(١) وَقْتُهُ مَعْلُومٌ

وقال آخر :

لَيْسَ بِالْعَقْلِ يَطْلُبُ الْمَرْءُ رِزْقًا كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَتْحَقٍ مَرْزُوقٍ
وَأَصِيلٍ مِنَ الرِّجَالِ نَبِيلٍ^(٢) سَدَّ عَنْهُ الْحَرَمَانُ كُلَّ طَرِيقٍ

وقال آخر :

الرِّزْقُ يَا ثَنَى قَدَرًا عَلَى مَهَلٍ^(٣) وَالْمَرْءُ مَطْبُوعٌ عَلَى حُبِّ الْمَجَلِّ

وقال آخر :

يَا رَاكِبَ الْهَوْلِ وَالْآفَاتِ وَالْهَلَكَةِ لَا تَعْجَلَنَّ فَلَيْسَ الرِّزْقُ بِالْحَرَكَةِ
مَنْ غَيْرُ^(٤) رَبِّكَ فِي السَّبْعِ الْعُلَى مَلِكًا وَمَنْ أَدَارَ عَلَى أَرْجَائِهَا فَلَكَةِ
أَمَا تَرَى الْبَحْرَ وَالصَّيَادُ تَضْرِبُهُ أُمُوجُهُ وَنُجُومُ اللَّيْلِ مُشْتَبِكَةِ
يَجْرُهُ أَذْيَالُهُ وَالْمَوْجُ يَلْطِمُهُ وَعَقْلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ كَلِّ السَّمَكَةِ
حَتَّى إِذَا رَاحَ مَسْرُورًا يَهَا فَرِحًا وَالْحَوْتَ قَدْ مَدَّكَ سَفُودُ الرَّدَى خَنَكَةِ
أَتَى إِلَيْكَ بِهِ رِزْقًا بِلَا تَعَبٍ فَصِرْتَ تَمْلِكُ مِنْهُ مِثْلَ مَا مَلَكَكَ
لُطْفًا مِنَ اللَّهِ يُعْطَى ذَا بِحِيلَتِهِ هَذَا يَمِيدُ وَهَذَا يَأْكُلُ السَّمَكَةِ

(١) في ١ . سواء : وفي الديوان ، والسكامل المحروم بدل الطاجز .

(٢) ساقط من ب .

(٣) ن ب : الرزق يأتي مقدوراً على عجل ، وانظر البيت في البيان والتبيين ٣/ ٣٨٠ .

(٤) ب : من عند .

وقال أبو العتاهية :

طَالَ هَمِّي بِغَيْرِ مَا يَبْنِيهِ وَطِلَابِي فَوْقَ الَّذِي يَكْفِينِي
ولو أتى كفت لم أبلغ رزقي كان رزقي هو الذي يَبْنِيهِ
أَحْمَدُ اللَّهِ ذَا الْمَعَارِجِ شُكْرًا مَا عَلَيْهَا إِلَّا ضَعِيفُ الْيَقِينِ^(١)
وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ التَّعْطَلِ ضَائِرٌ وَلَا كُلُّ شُغْلٍ فِيهِ لِلْمَرْءِ مَنَفَعَةٌ
إِذَا كَانَتْ الْأَرْزَاقُ فِي الْقُرْبِ وَالنَّوَى عَلَيْكَ سِوَاهُ فَاغْتَنِمِ لَذَّةَ الدَّعَةِ
وَإِنْ ضِيقَتْ فَاصْبِرْ يَكْشِفُ اللَّهُ مَا تَرَى فَيَا رَبَّ ضَيْقٍ فِي جَوَارِيهِ سَعَةٍ^(٢)
وقال آخر :

هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْأَمْرَ مُتَقَدِّرٌ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَسْطُورٌ
وَالرِّزْقُ وَالْخَلْقُ وَالْأَجَالُ قَدْ قَسِمَتْ وَأَخْلَسَتْهَا وَزَمَّتْهَا الْمَقَادِيرُ
فَلَيْسَ يَقْدِرُ مَرَّةً صَرَفَ وَاحِدَةٍ مِنْهَا وَلَوْ كَثُرَتْ مِنْهُ التَّدَايِيرُ
كَمْ مَنْ رَأَيْنَاهُ ذَا مَالٍ وَذَا سَعَةٍ وَذَا غَضَارَةٍ عَيْشٍ وَهُوَ مَحْبُورٌ
لَا يَعْرِفُ اللَّهُ جَهْلًا خَاطِئًا مُحَقًّا لَوْ لَا^(٣) غِنَاهُ لَعَافَتْهُ الْخَنَازِيرُ
لَمْ يَرْكَبِ الْهَوْلَ فِي قَفَرٍ وَلَا لُجَجٍ وَلَا تَكَلَّفَ أَمْرًا فِيهِ تَغْيِيرٌ
لَسَكِنَ أَتَاهُ الْغِنَى حَتَّى أُنَاحَ بِهِ وَمَا تَقَدَّمَ مِنْهُ فِيهِ تَفْكِيرٌ^(٤)

(١) الأبيات في ديوانه ٢٦٢ ، وفيه طال شغلي ...

(٢) الأبيات لملي بن الجهم . انظر : مجمع الأدباء ٥٤/١٩ .

(٣) في ب : لو .

(٤) في ب : وما تقدم فيه منه تفكير .

بدرهم^(١). فان كنا أصبنا إرادتك فذاك ، وإن لم نكن فبجنايتك على نفسك ، وأنت حدثتني وأنت على قضاء الرشيد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال للزبير «يا زبير! إن مفاتيح الرزق بإزاء العرش ، ينزل الله للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم ، فمن كثر كثر له ، ومن قل قل له » . قال الواقدي : فقلت له : يا أمير المؤمنين ! قد نسيت هذا الحديث ، فكان تذكارك إياي له أعجب إلي من الجائزة .

قال أبو العتاهية^(٢) :

إِذَا مَا الْمَرْءُ صَرَّتْ إِلَى سُؤَالِهِ فَمَا تُعْطِيهِ أَكْثَرُ مِنْ نَوَالِهِ
وَمَنْ عَرَفَ الْمُحَامِدَ جَدًّا فِيهَا وَحَنَّ إِلَى الْمَكَارِمِ بِاخْتِيَالِهِ^(٣)
وَلَمْ يَسْتَغْلِ مُحَمَّدَةً^(٤) بِمَالٍ وَلَوْ كَانَتْ تُحِيطُ بِكُلِّ مَالِهِ
عِيَالُ اللَّهِ أَكْرَمُهُمْ عَلَيْهِ أَبَتْهُمْ الْمَكَارِمُ فِي عِيَالِهِ

وللفقيه أبي عمر بن عبد البر رضى الله عنه :

تَعَفَّفُ الْمَرْءُ عَنْ سُؤَالِهِ وَكَسَبُهُ الْحِلَّ بِاخْتِيَالِهِ
وَسَعْيُهُ فِي صَلَاحِ عَيْشِهِ لِمَنْ يُوَارِيهِ مِنْ عِيَالِهِ
مُرُوءَةٌ وَبَالِغٌ يَهْأَى^(٥) مَنْ يَبْلُغُهَا مُنْتَهَى كَمَالِهِ

(١) و إجاب الآداب ٨٣ أنها مائة ألب درهم .

(٢) ديوانه ٢٣٠ .

(٣) في الديوان : إلى المحامد باختياله .

(٤) لى ب : ولم تشغله .

(٥) فى ب : ومنها .

وَمَنْ يَصُنْ وَجْهَهُ يَزِنُهُ صِيَانَةُ الْوَجْهِ مِنْ جَمَالَةٍ
وَضَى الْفَتَى بِالْقَضَاءِ عِزًّا وَذَلَّةُ الْوَجْهِ فِي ابْتِذَالَةٍ

ولأبي دلف العجلى (١) :

بَلَوْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ طُرًّا فَمَا شَيْءٌ أَمَرٌّ مِنَ السُّوَالِ
وَلَمْ أَرَفِ فِي الْخُطُوبِ أَشَدَّ هَوْلًا (٢) وَأَصْعَبَ مِنْ مُعَادَاةِ الرِّجَالِ (٣)

وقال أعرابي :

عَلَامَ سُؤَالِ النَّاسِ وَالرِّزْقُ وَاسِعٌ وَأَنْتَ صَحِيحٌ لَمْ تَخُنْكَ الْأَصَابِعُ
وَفِي الْعَيْشِ (٤) أَوْطَارٌ وَفِي الْأَرْضِ مَذْهَبٌ عَرِيضٌ وَبَابُ الرِّزْقِ فِي الْأَرْضِ وَاسِعٌ
فَكُنْ طَالِبًا لِلرِّزْقِ مِنْ رَازِقِ الْغِنَى وَخَلِّ سُؤَالَ النَّاسِ فَإِنَّهُ صَانِعٌ

وحجج هارون الرشيد ، فأرسل إلى سفيان بن عيينة فأمره أن يحدث بنيه ، فقال ، يا أمير المؤمنين ! قد سألتني الناس فامتنعت عليهم ، ولكنني أجلس لبنيك وللناس ، فقال : نعم . فلما جلس صاح به الناس : سألناك الجلوس لنا فأبيت علينا ، فلما جاءك المال والجائزة جلست . فقال للمستعلى : أنصتهم لي . فصاح المستعلى : صه صه . فسكت الناس ، فأخرج سفيان بن عيينة رأسه إليهم ، وقال : حدثني الزهري ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما شيء »

(١) في ١ : وقال آخر .

(٢) و ١ : ما .

(٣) البيتان لأبي العتاهية كما في ديوانه ٢٠٧ ، وفيه : وذلت مرارة ... الخ ، ونسبت للأشعر الأودي في

عيون الأخبار ١١٣/٢ .

(٤) و ١ : وللعيش .

أحل وأطيب من ثلاثة : صداق الزوجة ، والميراث ، وما أتاك الله به من غير مسألة ، فإنه رزق ساقه الله إليك » . والله ما جئت هذا الرجل ولا سألته شيئاً من ماله ، ولو وجهه إلى شطر ماله لقبلته ، ثم أدخل رأسه ولم يحدثهم في ذلك الموسم بشيء^(١) .

أشخص المنصور سواراً القاضى^(٢) من البصرة إلى بغداد في شيء أراد أن يشافيه فيه ، فر بواسط ، وفيها يحيى بن سعيد الأنصارى^(٣) يتولى القضاء ، فذل^(٤) عليه ، فقال له : ألك حاجة إلى أمير المؤمنين ؟ قال : نعم يعفني من القضاء . فقال سوار للمنصور إذ^(٥) قدم عليه ، وكله فيما أراد : يا أمير المؤمنين ! الأنصار تعلم ما يجب في حقهم . قال : هيه . قال : يحيى بن سعيد تعفيه من القضاء . قال : قد أعفيته . فلما انحدر سوار مرّ بواسط ، فقال ليحيى بن سعيد : قد أعفاك أمير المؤمنين . فقال : لا جزاك الله خيراً عن صبية من الأنصار كانوا يقتاتون هذه الست^(٦) مائة درهم في كل شهر .

كأنه أراد أن يعرض ولا يحقق .

كان الحسن البصرى رحمه الله يقول : لا يردّ جوائزهم إلّا أحقّ أو مرّاه ، وقد ذكرنا من رأى^(٧) قبول جوائز السلطان من أئمة أهل العلم . ومن تورع عن ذلك منهم في كتاب « التمهيد » والحمد لله .

(١) زيادة من ب .

(٢) سوار بن عبد الله بن قدامة العنبري ، من أهل البصرة ول قضاءها لأبي جعفر المنصور ، وكان عالماً بالحديث والفقه ، له أخبار مشهورة في العدل والورع توفي سنة ١٥٦ هـ . تهذيب التهذيب ٢٢٩/٤ ، تاريخ بغداد ٢١٠/٩ .

(٣) يحيى بن سعيد بن قيس الأنصارى الجارى ، من أكابر أهل الحديث ول قضاء المدينة في زمن أبي أمية ، ثم وحل إلى العراق فولاه أبو جعفر قضاء الحيرة وتوفى بالهاشمية سنة ١٤٣ هـ . تهذيب التهذيب ٢٢١/١١ ، تاريخ بغداد ١٠١/١٤ .

(٤) ب : إذا .

(٥) ب : فزل .

(٦) ساقط من أ .

(٧) ١ : السنة .

قال مُطَرِّفُ بن الشَّخِير^(١) : إذا كانت لأحدكم إلى حاجة فليرفعها في رقعة ولا يواجهني بها ، فإنني أكره أن أرى في وجه أحدكم ذل المسألة .

وقد روى عن يحيى بن خالد بن برمك مثل ذلك ، وتمثل :

ما عَتَاضَ باذِلٌ وَجْهِهِ بِسُؤَالِهِ عِوَضًا وَلَوْ نَالَ الْغِنَى بِسُؤَالِ
وَإِذَا السُّؤَالُ مَعَ النِّوَالِ وَزَنْتُهُ رَجَحَ السُّؤَالُ وَخَفَّ كُلُّ نَوَالٍ^(٢)

لبعض الكتاب إلى عبدالله بن طاهر :

وَلَقَدْ عَامِتُ وَإِنْ نَصَبْتُ^(٣) لِي الْمَنَى أَنَّ الْخَصَاصَةَ لَا تُدَاوِي بِالْمَنَى
فَلَنْ وَفَيْتَ لَأَنْهَضَنَّ بِشُكْرِكُمْ وَلَنْ أَيْدَتَ لِأَحْلَنَ عَلَى الْقَضَا
فَأَجْزَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ عِدَّتَهُ .

قال الحسن بن عبيد البغدادى :

صُنِ الْوَجْهَ الَّذِي إِنْ لَمْ تَصْنُهُ بَقِيَتْ وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا ذَلِيلُ
وَعِشْ حُرًّا وَلَا يَحْمِلُكَ ضُرٌّ عَلَى مَرَعَى لَهُ غِبٌّ وَبِيلُ
فَلَيْسَ الرَّأْيُ إِلَّا الصَّبْرَ حَتَّى يُدِيلَ الْيُسْرَ مِنْ عُسْرٍ مُدِيلٍ^(٤)
أَلَيْسَ لِكُلِّ آفَلَةٍ طُلُوعٌ بَلَى وَلِكُلِّ طَالِعَةٍ أَفُولُ

(١) الحرشي العامري ، زاهد من كبار النابغين ، وعدت ثقة . له كلمات في الحكم مأثورة ، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم كانت إقامته ووفاته بالبصرة ، توفي سنة ٨٧ هـ على الأصح ، انظر تهذيب التهذيب ١٧٣/١ ، وفيات الأعيان ٩٧/٢ .

(٢) البيتان لأبي العتاهية ، ديوانه ٢٠١ ، لباب الآداب ٣٠٧ .

(٣) ب : لن يصيب .

(٤) ب : ينزل اليسر من عسر منزل .

وكان أبا بن عثمان رحمه الله يتمثل :

مَالِي تِلَادٌ وَلَا اسْتَطَرَفْتُ مِنْ نَسَبٍ . وَمَا أُؤَمِّلُ غَيْرَ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ
إِنِّي لِأَكْرَمِ وَجْهِي أَنْ أُوجِّهَهُ . عِنْدَ السُّؤَالِ لَغَيْرِ الْوَاحِدِ الصِّمْدِ
عِزُّ الْقَنَاعَةِ وَالْإِيمَانِ يَمْنَعُنِي . مِنَ التَّعَرُّضِ لِلْمَنَانَةِ النَّكِدِ
رَضِيتُ بِاللَّهِ فِي (١) يَوْمِي وَفِي غَدِهِ . وَاللَّهُ أَكْرَمُ مَأْمُولٍ لِبَعْدِ غَدِ

قال أبو العتاهية :

أَتَذَرِي أَيَّ ذُلٍّ فِي السُّؤَالِ . وَفِي بَذْلِ الْوُجُوهِ إِلَى الرَّجَالِ
يَعِزُّ عَلَى التَّنَزُّهِ مَنْ رَعَاهُ . وَيَسْتَعْنِي الْعَفِيفُ بِغَيْرِ مَالِ
إِذَا كَانَ السُّؤَالُ يَبْذُلُ وَجْهِي . فَلَا قُرْبَتُ مِنْ ذَاكَ النَّوَالِ
مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ خُلُقِي دَنِي . يَكُونُ الْفَضْلُ فِيهِ عَلَى لَالِي (٢)

وقال أيضاً :

لَوْ رَأَى النَّاسُ نَبِيًّا . سَائِلًا مَا رَحِمُوهُ (٣)

ولأبي دلف أو لعبد الله بن طاهر :

أَعْجَلْنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ بَرٍّ نَا . قَلَّا وَلَوْ أَمْهَلْتَنَا لَمْ يَقْلِلِ (٤)

(١) ب : من .

(٢) ديوانه : ٢٣٦ .

(٣) ديوانه : ٢٩٥ ، وفيه : ما وصلوه .

(٤) . ونسب البيت في العمدة الفريد ٢٨٧/١ إلى الحسن بن وهب ، وانظره في عيون الأخبار ١/٣٢٤ .

وقال عبد الصمد بن المَعْدَل^(١) ، في حين قدوم يحيى بن أكرم البصرة ، قالت له امرأته : لو أتيتك فسألتك ، فقال :

تُكَلِّفُنِي إِذْلَالَ نَفْسِي لِعِزِّهَا وَهَانَ عَلَيْهَا أَنْ أَهَانَ لِتُكْرِمَا
تَقُول : سَلِ الْمَعْرُوفَ يَحْيَى بْنُ أَكْرَمٍ فَقُلْتُ : سَلِيهِ رَبَّ يَحْيَى بْنِ أَكْرَمٍ^(٢)
وقال مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيد :

أَقُولُ لِمَا فَوَّنَ الْبَدِيَّةَ طَائِرٌ مَعَ الْحَرْصِ لَمْ يَنْغَمِ وَلَمْ يَتَمَوَّلِ
يَسْأَلُ النَّاسَ إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ وَحْدَهُ وَصَائِنُ عِرْضِي عَنْ فُلَانٍ وَعَنْ فُلٍ^(٣)
قال حبيب :

وَمَا أَبَالِي وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِ أَمْ حَقَنْتَ دَمِي^(٤)
قال محمود الوراق :

يَا أَيُّهَا الطَّالِبُ مِنْ مِثْلِهِ رِزْقًا لَهُ جُرْتُ عَنِ الْحِكْمَةِ
لَا تَطْلُبِ الرِّزْقَ إِلَى طَالِبٍ مِثْلِكَ مُتَحَاجِرٍ إِلَى الرَّحْمَةِ
وارغب إلى الله الذي لم يزل في يده النعمة والنقمة^(٥)
وقال يونس^(٦) :

(١) العبدى ، من شعراء الدولة العباسية ، ولد ونشأ في البصرة ، وكان مجتهداً شديداً بالقرض . تولى سنة ٢٤٠ هـ . انظر فوات الوفيات ١/ ٢٧٧ ، الموضع للرزائي ٢٤٦ (الأعلام ٤/ ١٣٤) .
(٢) البيتان في وفيات الأعيان ٦/ ٦٢ ، السكامل ١/ ٢٢٣ .
(٣) ديوانه ٢٠٦ ، عيون الأخبار ١/ ٢٣٤ .
(٤) ديوانه ١٤٥ ، العقد الفريد ٥/ ٢٧٩ ، نهاية الأرب ٢/ ١١٠ ، فصل المقال ٢٩٣ .
(٥) ساطع من ب .
(٦) الأرجح أنه يونس بن عبيد ، شيخ البصرة ومحدثها ، وكان يتكسب من بيع الخبز ، ولد لفته النعمي .
نه أحد أعلام المهدي ، تولى سنة ١٣٩ هـ ، انظر تاريخ الإسلام للذهبي ٢١٨/٥ ، تهذيب التهذيب ١١/ ٤٤٢ (الأعلام ٩/ ٢٤٦) .

وَالْعَجْزُ أَنْ يَرْجُوَ الْإِنْسَانَ إِنْسَانٌ
 حَتَّى تَأْمُلَ مَخْلُوقًا وَتَقْصِدَهُ
 عَطَاؤُهُ لَكَ إِنْ أَعْطَاكَ ضِعَّةً^(١)
 رِثْقٌ بِالَّذِي هُوَ يُعْطَى ذَا وَيَمْنَعُ ذَا

^(٢) قال محمود الوراق :

إِنَّ السُّؤَالَ — فَعَدُّ عَنْهُ — قَلِيلُهُ
 وَالحَالُ تَقَعُّدٌ بِالكَرِيمِ فَمَا تَرَى
 تَمَنُّ لِكُلِّ عَطِيَّةٍ أَوْ مَالٍ
 فِيهِ لِعِزَّتِهِ تَغْيِيرُ حَالٍ^(٣)

وقال أيضاً :

شَادَ الْمُلُوكُ قُصُورَهُمْ وَتَحَصَّنُوا
 غَالَوْا بِأَبْوَابِ الْحَدِيدِ تَمَنُّعًا
 فَاطْلُبْ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ وَلَا تَكُنْ
 مِنْ كُلِّ طَالِبٍ حَاجَةٍ أَوْ رَاغِبٍ
 قَدْ بَالَغُوا فِي قُبْحِ وَجْهِ الْحَاجِبِ^(٤)
 بَادَى الضَّرَاعَةَ طَالِبًا مِنْ طَالِبٍ

وقال النمر بن تولب :

لَا تَغْضَبَنَّ عَلَى امْرِئٍ فِي مَالِهِ
 وَعَلَى كَرَائِمٍ صُلْبِ مَالِكَ فَاغْضَبْ^(٥)

وقال عبيد بن الأبرص :

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ
 وَمَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَخِيبُ^(٥)

(١) في ١ : إِنْ أَعْطَاكَ ضِعَّةً . (٢) ساقط من ب .

(٣) في ب : لِمَنْهَا وَتَأْتُوا ، وَلِى الْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٨٦/١ : لِمَنْهَا وَتَتَوَقَّعُوا بِمَعْنَى بَالِغُوا أَيْضًا .

(٤) الشعر والشعراء ٢٦٩ ، طبقات خول الشعراء ١٣٣ ، مختارات ابن الشجري ١٦ .

(٥) الشعر والشعراء ١٤٥ ، عيون الأخبار ١٨٨/٣ ، العقد الفرید ٢٤٨/٤ .

وقال النمر بن تولب :

وَمَتَى تُصِيبُكَ خَصَاصَةٌ فَارْجُ الْغِنَى
وَإِلَى الَّذِي يَهَبُ الرَّغَائِبَ فَارْغَبِ^(١)

وقال أبو الأسود الدؤلى :

وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ أَنْ كُنْتَ مَادِحًا
لِمَدْحِكَ مَنْ أَعْطَاكَ وَالْعِرْضُ وَافِرٌ^(٢)

وقال سلم الخاسر :

وَفَتَى خَلَا مِنْ مَالِهِ وَمِنْ الْمُرُوءَةِ غَيْرُ خَالٍ
أَعْطَاكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ وَكَفَاكَ مَكْرُوهَ السُّؤَالِ^(٣)

قال قيس بن عاصم : إياكم والمسألة ، فإنها آخر كسب الرجل .

دخل أعرابي على داود بن مزيد المهلبى ، فقال : إني لم أصُن وجهى عن مسألتك ،
فصُن وجهك عن ردّى ، وَضَعْنِي مِنْ كَرَمِكَ بِحَيْثُ وَضَعْتَكَ مِنْ أَمَلِي فِيكَ . قال :
قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم ، وهى أكثر من قدرك . قال : والله لئن جاوزت
قدرى فما بَلَغْتُ قدرك .

قال أبو الفرج البغواء :

مَا الذُّلُّ إِلَّا تَحْمَلُ الْمَنِّ فَكُنْ عَزِيزًا إِنْ شِئْتَ أَوْ فَهِنٌ^(٤)

(١) انظر مراجع البيت في هامش رقم ٤ في الصفحة السابقة .

(٢) ديوانه ٣٨ ، وورد في لسبته في العقد ١/٢٧٨ بين المنذر بن أبى سبرة وبين أبى الأسود .

(٣) ورد البيتان في مجمع الأدباء ١١/٢٤١ ، لباب الآداب ٣٠٨ البيان ٣/٣١٣ ، منسوبة لسلم ، ونسبها في

فصل المقال ٢٩٣ لأشجع السلى ، وورد البيت الثانى في حماسة البجنى ٢٣١ بدون نسبة .

(٤) ينمية الدهر ١/٢٢٩ ، نهاية الأرب ٣/١٠٦ .

وقال آخر :

أَمِنْ بَيْتِ الْكِلَابِ طَلَبْتَ عَظْمًا لَقَدْ حَدَّثْتَ نَفْسَكَ بِالْمُحَالِ^(١)

وقال آخر :

لَعَنَ اللَّهُ نَائِلًا تَرْتَجِيهِ مِنْ يَدَيَّ مَنْ^(٢) تُرِيدُ أَنْ تَقْتَضِيهِ
أَيُّ فَضْلٍ لِصَاحِبِ الْفَضْلِ مِنْ بَعْدِ تَقَاضِيهِ وَابْتِذَالِ الْوُجُوهِ
إِنَّمَا الْفَضْلُ وَالسَّمْحُ لِمَنْ يُعْطِيهِ طَيْكَ عَفْوًا وَمَاءَ وَجْهِكَ فِيهِ
أَيُّهَا الدَّائِبُ الْحَرِيصُ الْمَعْنَى^(٣) لَكَ رِزْقٌ وَسَوْفَ تَسْتَوْفِيهِ
فَبَسَلِ اللَّهُ وَحْدَهُ وَدَعِ النَّاسَ وَأَسْخِطْهُمْ بِمَا يُرْضِيهِ
أَنْ تَرَى مُعْطِيًا لِمَا مَنَعَ اللَّهُ وَلَا مَانِعًا لِمَا يُعْطِيهِ

وقال آخر :

إِذَا مَا كُنْتَ مُتَّخِذًا خَلِيلًا فَخَالِلٍ مِثْلَ حَسَانِ بْنِ سَعْدٍ^(٤)
فَقَى لَا يَرْزَأُ الْإِخْوَانَ شَيْئًا وَيَرْزَوُهُ الْخَلِيلُ بِغَيْرِ كَدٍّ

وقال آخر :

وَلَسْتُ بِسَائِلِ الْأَعْرَابِ شَيْئًا سَمِعْتُ اللَّهَ إِذْ لَمْ يَأْكُلُونِي^(٥)

(١) التمثيل والمحاضرة ٣٥٦ .

(٢) ب : ما .

(٣) ب : تأيد .

(٤) ب : ابن عبد ، والبيتان للفرزدق في مدح حسان بن سعد الأسدي من أهل الكوفة وكان والي البحرين ،

وبني لبني أسد مسجدهم بالبصرة ، شرح ديوان الفرزدق ١٥٣ .

(٥) انظر البيت في بحر الأخبار ١٣٤/٢ بدون نسبة ، وقد نسب في السكامل ٢٠٨/١ إلى أبي فرعون المدوي .

وقال أعرابي :

إِنَّ الْمَسَائِلَ لِلرِّجَالِ مَذَلَّةٌ تَفْنَى مَنَافِعُهَا وَيَخْلُدُ عَارُهَا .

وقال آخر :

يَبِيتُ يُرَاعِي النِّجَمَ مِنْ سُوءِ حَالِهِ وَيُصْبِحُ يُبْلِقُ^(١) صَاحِبًا مُتَبَسِّمًا
وَلَا يَسْأَلُ الْمُثْرِينَ مَا فِي رِحَالِهِمْ وَلَوْ مَاتَ هُزْلاً عِفَّةً وَتَسَكُّرُماً
وَلَا يَسْأَلُنْ مَنْ كَانَ يَسْأَلُ مَرَّةً^(٢) وَإِنْ كَثُرَتْ أُمُوالُهُ وَتَدَرَّهَا

وقال ربيعة الرُّقِّي :

وَلَا تَسْأَلِ النَّاسَ مَا يَمْلِكُونَ وَلَكِنْ سَلِ اللَّهَ وَاسْتَكَفِهِ
وَلَا تَخْضَعَنَّ إِلَى سَفِيلَةٍ^(٣) وَإِنْ كَانَتْ الْأَرْضُ فِي كَفِّهِ
فَإِنَّ اللَّئِيمَ وَإِنْ خِلْتَهُ كَرِيماً يَذُودُكَ عَنْ عُرْفِهِ
وَيَرْجِعُ مَحْضُولُ أَخْلَاقِهِ إِلَى أَصْلِهِ وَإِلَى صِنْفِهِ
وَكُلُّ مُقِلٍّ وَذِي مَرَوَةٍ فَإِنَّ الْمَنِيَّةَ مِنْ^(٤) خَلْفِهِ

وقال محمود الوراق :

اسْأَلِ الْعُرْفَ إِنْ سَأَلْتَ كَرِيماً لَمْ يَزَلْ يَعْرِفُ الْغِنَى وَالْبِسَارَا

(١) مي : أ : منها .

(٢) في أ : ولا سائل من قد كان سيل مرة .

(٣) مي ب : سفيلة .

(٤) مي ب : في .

فَقَلِيلُ الشَّرِيفِ يُكْسِبُ تَجْدًا وَكَثِيرُ الْوَضِيعِ يُكْسِبُ عَارًا
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الذُّلِّ بُدَا فَالْقَ بِالذُّلِّ إِنْ لَقِيتَ الْكِبَارَا
لَيْسَ إِجْلَالُكَ الْكَبِيرَ بِذُلٍّ إِنَّمَا الذُّلُّ أَنْ تُجِلَّ الصَّغَارَا
وقال أيضًا :

يَا أَيُّهَا الْمُتَعَبُ بُزِلَ الْجَمَانُ وَطَالِبَ الْحَاجَاتِ مِنْ ذِي النِّوَالِ
لَا تَحْسَبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبَلَى فَإِنَّمَا الْمَوْتُ سُؤَالُ الرَّجَالِ
كِلَاهُمَا مَوْتُ وَلَكِنَّ ذَا أَشَدُّ مِنْ ذَاكَ لِذُلِّ السُّؤَالِ^(١)

وقال محمود بن الحسن النحاس الوراق :

بَخِلْتُ وَلَيْسَ الْبُخْلُ مِنِّي سَجِيَّةً وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْفَقْرَ شَرًّا سَبِيلَ
لَمَوْتُ الْفَتَى خَيْرٌ مِنَ الْبُخْلِ لَافْتَى وَلِلْبُخْلِ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ الْبَخِيلِ
فَلَا تَسْأَلَنَّ مَنْ كَانَ يَسْأَلُ مَرَّةً فَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ سَتُولِ
لَعَمْرُكَ مَا شَيْءٌ لِيُوجِهُكَ قِيَمَةً فَلَا تَلْقَ إِنْسَانًا بِوَجْهِ ذَلِيلِ^(٢)

وقال ابن المعتز :

يَا رَبَّ جُودٍ جَرَّ فَقْرَ امْرِئٍ فَقَامَ لِلنَّاسِ مَقَامَ الدَّلِيلِ
فَاشْدُدْ عُرَى مَالِكَ وَاسْتَبْقِهِ فَالْبُخْلُ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ الْبَخِيلِ^(٣)

(١) انظر البيتين الثاني والثالث فقط في باب الآداب ٣٠٦ ، والبازل : الشديد القوي .

(٢) الأبيات في باب الآداب ٣٠٧ ، والبيت الثاني فيه : لموت الفتى خير من الموت لافتي ولدوت خبر... إلخ .

(٣) البنان في زهر الآداب ٢٤٧/٣ ، والتبثيل والمحاضرة ٤٤٣ .

وقال أعرابي لص :

وإني لأستحي من الله أن أرى أطوفُ بحبلى لئسَ فيهَ بَعر
وأن أسألَ أَرءَ اللّيم^(١) بَعرَهُ وُبُعرَانُ رَبِّي فِي الْبِلَادِ كَثِيرُ^(٢)
وفي التمهيد أبيات في هذا المعنى ذوات عدد حسان لم أذكرها^(٣) ها هنا .

(١) في ١ : اللّيم .

(٢) البيتان في هيون الأخبار ٢٣٧/١ ، غير منسولين ، وهما للأشعر الله بى كما في المؤلفات والمختلف ١٦٠ .

(٣) في ب : لمن أذكرها .

بابُ انتظارِ الفرجِ^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انتظار الفرج بالصبر^(٢) عبادة » .
ويروى لأبي محجن الثقفي :

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ^(٣) اللَّهُ إِنَّهُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي خَلِيقَتِهِ أَمْرٌ
عَسَى مَا تَرَى إِلَّا يَدُومَ وَأَنْ تَرَى لَهُ فَرَجًا مِمَّا أَلَحَّ بِهِ الدَّهْرُ
إِذَا اشْتَدَّ عُسْرُهُ فَارْجُ يُسْرًا فَإِنَّهُ قَضَى اللَّهُ أَنَّ الْعُسْرَ يَتَّبِعُهُ الْيُسْرُ^(٤)
وقال الأضبط بن قريع :

لِكُلِّ ضَيْقٍ مِنَ الْأُمُورِ سَعَةٌ وَالْمَسِيُّ وَالصَّبْحُ لَا بَقَاءَ^(٥) مَعَهُ^(٦)
وقال آخر :

كُنْ عَنْ هُمُومِكَ مُعْرِضًا وَكُلِ الْأُمُورَ إِلَى الْقَضَا
وَابْشِرْ بِخَيْرِ^(٧) عَاجِلٍ تَنْسَى بِهِ مَا قَدْ مَضَى
فَلَرُبَّ أَمْرٍ مُسْخِطٍ لَكَ فِي عَوَاقِبِهِ الرِّضَا

^(٨) كان يقال : كن لما لا ترجو أرْجى منك لما تَرْجو .

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من أ .

(٣) و ب : من .

(٤) التمثيل والمحاضرة : ١٠ ، لباب الآداب ٦٣ .

(٥) و ب : والعشى . وفي أ : لافلاح .

(٦) البيت في الشعر والشعر : ٢٢٦ ، والشرط الأول فيه : كل ضيق من الهموم سعة ، وانظره في

البيان ٣/٣٠٣ ، التمثيل والمحاضرة ٦٠ ، أمالي القالي ١/٧٠ .

(٧) و ب : ببشر .

(٨) يبدأ من هنا نقص يبلغ ثلاث ورقات من النسخة ب .

قال الشاعر :

كُنْ لِمَا لَا تَرْجُو مِنَ الْأَمْرِ أَرْجَى مِنْكَ يَوْمًا لِمَا لَهُ أَنْتَ دَاجٍ
إِنَّ مُوسَى مَضَى لِيَطْلُبَ نَارًا مِنْ ضِيَاءِ رَأَاهُ وَالْأَيْلُ دَاجٍ
فَأَتَى أَهْلَهُ وَقَدْ كَلَّمَ اللَّهَ وَنَاجَاهُ وَهُوَ خَيْرُ مُنَاجٍ
وَكَذَا الْأَمْرُ كُلَّمَا ضَاقَ بِالنَّاسِ أَتَى اللَّهُ فِيهِ سَاعَةٌ بِالْإِفْرَاجِ

وقال منصور الفقيه :

* وَمَا عَسَرُ لِي سَتَظِيرُ الْفَرَجِ *

وقال بشار :

خَلِيلِيَّ إِنَّ الصَّبْرَ سَوْفَ يُفِيقُ وَإِنَّ يَسَارًا فِي غَدٍ لَخَلِيقُ
وَمَا خَابَ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ عَامِلٌ لَهُ فِي الثَّقَى أَوْ فِي الْمُحَامِدِ سَوْقُ
وَلَا ضَاقَ فَضْلُ اللَّهِ عَنْ مُتَعَفِّفٍ وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ^(١)

وقال آخر :

رَوْحُ فَوْادِكَ بِالرُّضَا تَرْجِعُ إِلَى رَوْحِ رَطِيبِ
لَا تَيَأْسَنَّ وَإِنْ أَلَحَّ الدَّهْرُ مِنْ فَرَجٍ قَرِيبِ^(٢)

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ التَّعَطُّلِ ضَائِرٌ وَلَا كُلُّ مَسْعَى فِيهِ لِلْمَرْءِ مَنَفَعَةٌ

(١) البيان والنبين ١/١٨٩، المختار من شعر بشار ٢١١، وفيه لمن العسر يدل الصبر في الشطرة الأولى .

(٢) لباب الآداب ٢٤٧، مجموعة الماني ٦٢ .

إِذَا كُنَّاتِ الْأَرْزَاقُ فِي الْقُرْبِ وَالنَّوَى عَلَيْكَ سَوَاءٌ فَأَغْتَنِمْ لَذَّةَ الدَّعَةِ
وَإِنْ صِغَتْ فَاصْبِرْ يُفْرِجِ اللَّهُ مَا تَرَى أَلَا رَبُّ ضَيْقٍ فِي عَوَاقِبِهِ سَمَةٌ^(١)
وقال آخر:

رُبَّمَا خَيْرَ لِأَمْرِي وَهُوَ لِلْأَمْرِ كَارِهِ
رُبَّ خَيْرٍ أَتَاكَ مِنْ حَيْثُ تَأْتِي الْمَكَارِهُ^(٢)

وقال أحمد بن محمود، وقيل إنها لأحمد بن صالح:

إِذَا اشْتَمَلْتُ عَلَى النَّاسِ الْخُطُوبُ وَضَاقَ لِيَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَنْتِ الْمَكَارِهُ وَأَطْمَأْنَنْتِ وَأَرُسْتُ فِي أَمَاكِنِهَا الْخُطُوبُ
وَلَمْ تَرَ لَانْفِرَاجِ الضُّيْقِ وَجْهًا وَقَدْ أَعْيَى بِحِيلَتِهِ الْأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْتُ يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ
وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ فَمَوْصُولٌ بِهَا الْفَرَجُ الْقَرِيبُ
وَمَوْلَانَا إِلَهَهُ فَخَيْرُ مَوْلَى لَهُ إِحْسَانُهُ وَلَنَا الذُّنُوبُ^(٣)

وقال الشاعر:

لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي الْفَتَى كَيْفَ يَتَّقِي نَوَائِبَ هَذَا الدَّهْرِ أَمْ كَيْفَ يَحْذَرُ
يَرَى الشَّيْءَ مِمَّا يُتَّقَى فَيَخَافُهُ وَمَالَا يَرَى مِمَّا يَتَّقِي اللَّهُ أَكْبَرُ^(٤)

(١) الأبيات لعل بن الجهم، وقد سبقت في ص ١٤٨

(٢) فصل المغال ٣١٦، لباب الآداب ١١٠، بدون نسبة.

(٣) وردت الأبيات عدا الأخير منسوبة إلى ابن السكيت في وفيات الأعيان ٤٤٢/٥، وانظرها في أمالي الغالي

٢٧/٢٠٣، ٢٠٤، لباب الآداب ٣٦١، مع اختلاف في بعض ألفاظ الرواية.

(٤) البيان في ميون الأخبار ١/٢٠٦٤.

وقال منصور الفقيه :

إِذَا الْحَادِثَاتُ بَاغَيْنَ الْعَدَى وَكَادَتْ لَهْنٌ تَذُوبُ الْمُهْجِ
وَحَلَّ الْبَلَاءُ وَقَلَّ الْوَفَا فَعِنْدَ التَّنَاهِي يَكُونُ الْفَرْجُ

وقال آخر :

وَاصْبِرْ عَلَى الدَّهْرِ إِنْ أَصْبَحْتَ مُنْفَعِرًا بِالضِّيقِ فِي لُجْجٍ تَهْوِي إِلَى لُجْجٍ
فَمَا تَجَرَّعَ كَأْسَ الصَّبْرِ مُعْتَصِمًا بِاللَّهِ إِلَّا أَتَاهُ اللَّهُ بِالْفَرْجِ
لَا تَيَأْسَنَّ إِذَا مَا ضِيقَتْ مِنْ فَرْجٍ يَأْتِي بِهِ اللَّهُ فِي الرُّوحَاتِ وَالذَّلِجِ
وَإِنْ تَضَايَقَ بَابُ عَنْكَ مُرْتَجِّجٌ فَاطْبُأْ لِنَفْسِكَ بَابًا غَيْرَ مُرْتَجِّجٍ^(١)

قال أبو العتاهية في نفيح حاجب موسى الهادي :

مَا تَرَى عِنْدَ نُفْيِجٍ مُنْفَعَةٍ فَسَلِ الرَّحْمَنَ رِزْقًا فِي دَعَةٍ
إِنْ يَكُنْ أَمْسَكَ عَنَّا نَيْلُهُ فَسَيُعْنِي اللَّهُ كَلًّا مِنْ سَعَةٍ^(٢)

وقال أبو العتاهية :

النَّاسُ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا ذَوُو دَرَجٍ وَالْأَلُ مَا بَيْنَ مَوْقُوفٍ وَمُخْتَلِجٍ
مَنْ صَاقَ عَنْكَ فَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ فِي كُلِّ وَجْهِ مَضِيقٍ وَجْهٌ مُنْفَرِجٍ
قَدْ يُدْرِكُ الرَّاقِدُ الْهَادِي بِرَقْدَتِهِ وَقَدْ يَخِيبُ أَبُو الرُّوحَاتِ وَالذَّلِجِ
خَيْرُ الْمَذَاهِبِ فِي الْحَاجَاتِ أَنْجَحُهَا وَأَضْبَقُ الْأَمْرِ أَدْنَاهُ مِنَ الْفَرْجِ^(٣)

(١) مجموعة المعاني ١٣ ، المحاسن والساوي ٢/ ٢١٦ .

(٢) البيتان في ديوانه ٢٠١ .

(٣) ديوانه ٦١ .

وقال آخر :

سَأَصْبِرُ لِلزَّمَانِ وَإِنْ رَمَانِي بِأَحْدَاثٍ تَضِيقُ بِهَا الصُّدُورُ
وَأَعْلَمُ أَنَّ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا يَدُورُ بِهِ الْقَضَاءُ الْمُسْتَدِيرُ

ومما ينسب إلى الشافعي رضي الله عنه ، وقيل إنها لسهل الوراق ، والله أعلم :

سَيُفْتَحُ بَابٌ إِذَا سُدَّ بَابٌ نَعَمْ وَتَهْوُنُ الْأُمُورُ الصَّعَابُ
وَيَتَسَيَّعُ الْحَالُ مِنْ بَعْدِ مَا تَضِيقُ الْمَذَاهِبُ فِيهَا الرُّحَابُ
مَعَ الْهَمِّ يُسْرَانِ هَوْنٌ عَلَيْكَ فَلَا اَلْهَمُّ يُجِدِّي وَلَا الْاِكْتِابُ
فَكَمْ ضَمَّتْ ذُرْعًا جَا هَيْبَتَهُ فَلَمْ يَرِ مِنْ ذَاكَ قَدَرٌ يَهَابُ
وَكَمْ بَرَدَ خِفَتَهُ مِنْ سَحَابٍ فَعُوفِيَتْ وَانْجَابَ عَنْكَ السَّحَابُ
وَرِزْقُ أَتَاكَ وَلَمْ تَأْتِهِ وَلَا أَرَقَّ الْعَيْنَ مِنْهُ الطَّلَابُ
وَنَاءَ عَنِ الْأَهْلِ ذِي غُرْبَةٍ أُتِيحَ لَهُ بَعْدَ يَأْسٍ إِيَابُ
وَنَاجٍ مِنَ الْبَحْرِ مِنْ بَعْدِ مَا عَلَاهُ مِنَ الْمَوْجِ طَائِمُ عُبَابُ
إِذَا احْتَجَبَ النَّاسُ عَنْ سَائِلٍ فَمَا دُونَ سَائِلِ رَبِّي حِجَابُ
يَعُودُ بِفَضْلِ عَلَى مَنْ رَجَاهُ وَرَاجِيهِ فِي كُلِّ حِينٍ يُجَابُ
فَلَا تَأْسَ يَوْمًا عَلَى فَاِئْتِ وَعِنْدَكَ مِنْهُ رِضًا وَاحْتِسَابُ
فَلَا بُدَّ مِنْ كَوْنٍ مَا خُطِّ فِي كِتَابِكَ تُحِبِّي بِهِ أَوْ تُصَابُ
فَمَنْ حَاطِلٌ دُونَ مَا فِي الْكِتَابِ وَمَنْ مُرْسِلٌ مَا أَبَاهُ الْكِتَابُ

في أبيات قد ذكرتها في موضعها من هذا الكتاب .

وقال محمد بن يسير^(١) :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتَقُ مِنْهَا كُلُّ مَا ارْتَجَا
لَا تَيَاسَنُ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةُ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجًا
أَخْلَقَ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ وَمُدَّهِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا

وقال محمد بن حازم الباهلي :

هَوْنٌ عَلَيْكَ فَكُلُّ الْأَمْرِ يَنْقَطِعُ وَخَلَّ عَنْكَ عِزٌّ أَلْهَمَ يَنْدَفِعُ
فَكُلُّهُمْ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَرْجٌ وَكُلُّ أَمْرٍ إِذَا مَا ضَاقَ يَنْسَعِجُ
إِنَّ الْبَلَاءَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ فَالْمَوْتُ يَقْطَعُهُ أَوْ سَوْفَ يَنْقَطِعُ

وقال آخر :

رَأَيْتُ الْأَمْرَ يَبْعُدُ بَعْدَ قُرْبٍ وَيَدْنُو الْأَمْرُ بِالْقَدَرِ الْمَسُوقِ
فَلَا تَفْرَحْ بِأَمْرٍ إِنْ تَدَانَى وَلَا تَيَاسَنْ مِنَ الْأَمْرِ السَّحِيقِ

وقال ابن المبارك :

مَا أَقْرَبَ الْأَشْيَاءِ مِنْ يَسُوقَهَا قَدَرٌ وَأَبْعَدَهَا إِذَا لَمْ تُقَدَّرِ^(٢)

وقال آخر :

إِنْ يَكُنْ يَوْمِي تَوَلَّى سَعْدُهُ وَتَدَاعَى لِي بِنَحْسٍ وَنَكْدُ

(١) محمد بن يسير الرياسي البصري ، شاعر محسن ، تولى سنة ٢١٠ هـ ، انظر ترجمته والأبيات في سبعة اللال ١٠٤ ، وانظرها في العقد الفريد ٢٨٠/١ .

(٢) ورد البيت في حاشية البحتري ٢٤٦ ، ماسوبا إلى عبد الله بن يزيد الهلالي ، ونسب في معجم الأدباء ٩٤/٩٤ إلى الحسن بن عبد الله الأصبهاني ، المعروف بأبذة أو الكذة ، وانظره في عيون الأخبار ١٢٣/٢ ، لباب الآداب ٢٦١ ، من غير نسبة .

فَلَعَلَّ اللَّهُ يَقْضِي فَرَجًا فِي غَدٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَعْدَ غَدٍ

وقال آخر :

أَحْسِنِ الظَّنَّ بِمَنْ قَدْ عَوَّدَكَ حَسَنًا أَمْسُ وَسَوَى أَوْدَكَ
إِنْ رَبًّا كَانَ يَكْفِيكَ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ سَيَكْفِيكَ غَدَكَ

قال العبسي : خرجت حاجاً فضاقت صدري ، فجعلت أقول :

أَرَى الْمَوْتَ لِمَنْ أَمْسَى عَلَى الذِّلِّ لَهُ أَصْلَحُ

فإذا هاتف من ورائي يقول :

يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الَّذِي يَرَى أَلْهَمَ بِهِ بَرَّخَ
إِذَا ضَاقَ بِكَ الصَّدْرُ فَفَكَّرْ فِي أَلَمِ نَشْرَح^(١)

وقال آخر :

رَأَيْتُ الْعُسْرَ يَتْبَعُهُ يَسَارُ وَقَوْلُ اللَّهِ أَصْدَقُ كُلِّ قِيلٍ
فَلَا تَجْزَعْ وَقَدْ أَعْسَرْتَ يَوْمًا فَقَدْ أَيْسَرْتَ فِي دَهْرٍ طَوِيلٍ
وَلَا تَظُنَّنَّ بِرَبِّكَ ظَنًّا سَوْءَ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالْجَمِيلِ

ذكر الطحاوي قال : حدثنا أحمد بن أبي عمران ، قال : حدثنا أبو نصر أحمد بن

حاتم ، قال : حدثنا الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : استعمل الحجاج أبي علي

بعض أعماله فنتقم عليه ، فتواري أبي عنه في بادية قومه وأنا معه ، فبينما أنا في سحر

من الأسحار إذ مرّ ركب وهو يقول :

(١) انظر الخبر والأبيات في زهر الآداب ١٣٢/٣ .

صَبْرِ النَّفْسِ عِنْدَ كُلِّ مُلِمٍّ إِنَّ فِي الصَّبْرِ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ
لَا تَضِيقُ فِي الْأُمُورِ ذَرْعًا فَقَدْ يُكْشَفُ غَمَاؤُهَا بِغَيْرِ اخْتِيَالِ
رُبَّمَا تَجَزَّعُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ رِ لَهْ فَرَجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ^(١)

قال : فقلت : ماذا ؟ قال : مات الحجاج . فوالله ما أدرى بأيهما كنت أشد فرحاً ،
أبقوله : مات الحجاج ، أم بقوله : فرجة . .

قال العَطَوِيُّ^(٢) :

مُسْتَشْعِرُ الصَّبْرِ مَقْرُونٌ بِهِ الْفَرْجُ يُبْلَى وَيَصْبِرُ وَالْأَشْيَاءُ تُنْتَهَجُ
حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ مَقْدُورَ غَايَتِهَا جَاءَتْكَ تَضْحُكٌ عَنْ ظَلَمَائِهَا الشُّرُجُ
خَاصِرٌ ، وَدُمٌّ ، وَاقْرَعِ الْبَابَ الَّذِي طَلَعْتَ مِنْهُ الْمَطَامِعُ فَأَلْمَغَرَى بِهِ يَلِجُ
يُقَدِّرُ اللَّهُ فَارِجُ اللَّهِ وَارْضَ بِهِ فَنِي إِرَادَتِهِ الْغَمَاءُ تَنْفَرِجُ

وقال هلال بن العلاء الرُّقِّي :

هَوْنٌ عَلَيْكَ مَصَائِرَ الدُّنْيَا تَكُنْ سُبُلًا فِجَاجًا
لَا تَضْجَرَنَّ بِضِيقَةٍ يَوْمًا فَإِنَّ لَهَا انْفِرَاجًا

(١) نسبت البيت الثالث في البيان والتبيين ٣٤١/٢ إلى أمية بن أبي الصلت مع اختلاف في روايته ، وكذلك ورد منسوبا إليه في حماسة البحتري ٣٥٤ ، ونسبها في معجم الأدباء ١٨٦/١ ، ١٥٧/١١ إلى إبراهيم بن العباس الصولي ، وفي لباب الآداب ٢٩٤ إلى عبيد بن الأبرص ، وورد في معجم الشعراء ٢٤٣ منسوبا لعبد الحميد الحنفي ، وانظره في المختار من شعر بشار ٢١٣ بدون نسبة .

(٢) اسمه محمد بن الرحمن بن أبي عطية ، أبو عبد الرحمن العطوي ، من شعراء الدولة العباسية ، كان معتزليا يمد من المتكلمين الخدافي ، توفى نحو سنة ٢٥٠ هـ ، انظر سبط اللاكبي ١٤٠ ، المرزباني ٤٣٢ ، (الأعلام ٦١/٧) .

وقال آخر :

كَلُوا الْيَوْمَ مِنْ رِزْقِ الْإِلَهِ وَأُبَشِّرُوا فَإِنَّ عَلَى الرَّحْمَنِ رِزْقَكُمْ غَدًا^(١)

وقال منصور الفقيه :

يَا مَنْ يَخَافُ أَنْ يَكُونُ نَ مَا يَخَافُ سَرْمَدًا

أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَهُمْ إِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا^(٢)

وقال أبو العتاهية :

هِيَ الْأَيَّامُ وَالْغَيْرُ وَأَمْرُ اللَّهِ مُنْتَظَرُ

أَتَيْتَ أَنْ تَرَى فَرَجًا فَإِنَّ اللَّهَ وَالْقَدَرُ^(٣)

(١) التمثيل والمحاضرة ١٠ ، وفيه : من رزق الله وانتشروا .

(٢) التمثيل والمحاضرة ١٠٥ .

(٣) ديوانه ٢٣٨ .

باب الجَدِّ والحدِّ^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا مانع لما أعطى الله ، ولا مُعْطًى لما مَنَعَ ، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منه الجَدُّ » .

قال أكثم بن صيفي : جَدُّكَ لا كَدُّكَ .

قال أشجع السلمي :

سَبَقَ الْقَضَاءُ بِكُلِّ مَا هُوَ كَائِنٌ فَلْيَجْهَدْ الْمُتَقَلِّبُ الْمُحْتَالُ

قالوا : أسعدُ الناس : من كان القضاء له مساعداً ، وكان لذلك أهلاً ، وأشق الناس : من كان مشغولاً بآل دين ولا دنيا ، ولم يثقْ بأحد لسوء ظنه ، ولا وثق به أحد لسوء فعله .

قال أبو الأسود الدؤلي :

المرءُ يُحْمَدُ سَعْيُهُ مِنْ جَدِّهِ حَتَّى يُزِينَ بِالَّذِي لَمْ يَعْمَلِ
وَتَرَى الشَّقِيَّ إِذَا تَكَامَلَ حَدُّهُ يُرْمَى وَيُقَذَفُ بِالَّذِي لَمْ يَفْعَلِ^(٢)

أنشد ابن الأعرابي :

الْجَدُّ أَنْهَضُ بِالْفَتَى مِنْ عَقْلِهِ فَانْهَضْ بِجَدِّ فِي الْحَوَادِثِ أَوْ ذَرِ

(١) الجَد : البخت والحظوة والرزق ، والحد : المنع والدفع .

(٢) ديوانه ١٢٢ ، وفيه : يفعل مكان يعمل ، ونسباً في حاسة البحرى ٢٤٦ إلى صالح بن عبد القدوس ، وفيها ورد النطر الأول : المرء يسمى ثم يسعد جده وفيها : غيه مكان حده في البيت الثاني ، وانظر الثاني في عيون الأخبار ١٧/٢ ، وفيه : يفرغ بدل يقذف .

فَلَقَدْ يُجِدُّ الْعَرَّةَ وَهُوَ مُقَصِّرٌ وَيَجِدُّ ثُمَّ يُجِدُّ غَيْرَ مُقَصِّرٍ^(١)
 وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ :

وَإِذَا جُدِدْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ نَافِعٌ وَإِذَا حُدِدْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ ضَائِرٌ
 وَإِذَا أَتَاكَ مُهَلَّبِيٌّ فِي الْوَعَى وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ فَنِعْمَ النَّاصِرُ^(٢)

قال أبو يعقوب الخريزمي ، واسمه إسحاق بن حسن :

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى عَقْلٍ وَلَا أَدَبٍ^(٣) إِنْ الْجُدُودَ قَرِينَاتُ الْحَمَاقَاتِ^(٤)

وقال خِرَاشُ بْنُ زُهَيْرٍ :

وَكَانَتْ قَرِيشٌ يَفْلِقُ الصَّخْرَ جَدُّهَا إِذَا أَوْهَنَ النَّاسَ الْجُدُودُ الْعَوَائِرُ^(٥)

وقال الحارث بن حلزة :

عِشْ بِخَيْرٍ لَا يَضُرُّكَ النَّوْكَُ مَا لَا قِيَتَ جَدًّا
 وَالنَّوْكَُ خَيْرٌ فِي ظِلِّهِ لِرِزْقٍ مِمَّنْ عَاشَ كَدًّا^(٥)

وقال آخر :

فَعِشْ فِي ظِلِّ أَنْوَكٍ حَالَفَتُهُ مَقَادِيرُهُ يُسَاعِدُهَا الصَّبَابُ

(١) نسب البيتان في مجموعة المعاني ١٠ إلى عبدالله بن يزيد الهلالي ، وكذلك ورد البيت الأول منسوباً إليه في حماسة البخري ٢٤٦ ، وهما في لباب الآداب ٣٦١ بدون نسبة ، والرواية هناك للشطر الأخير :

ورضيف جد المرء غير مقصر

(٢) السكامل ٢٠/٢ ، ووردا في العقد الفريد ١٢٩/٢ بدون نسبة .

(٣) ساقط من ١ ، وانظره في عيون الأخبار ١٢٤/٢ ، الأمالي ٩٥/٢ .

(٤) زيادة في م .

(٥) الأغاني ٥٠/١١ ، الشعر والشعراء ١٥١ ، حماسة البخري ٢٤٥ ، وفيها :

فانهم بمجدك لا يضرك النوك لأن أعطيت جدًا

ذَهَابُ الْمَالِ فِي تَحْمِيدٍ وَأَجْرِ ذَهَابٍ لَا يُقَالُ لَهُ ذَهَابٌ^(١)

قيل لزياد : ما الحظ ؟ قال : من طال عمره ، ورأى في عـدوه ما يسره فهو
خو حظ .

وكان يقال : لا حظ إلا ما أشخص عنك ما تكره ، وجلب إليك ما تحب .

قال محمد بن أبي حازم الباهلي :

لَا تَعْجَبَنَّ لِأَخَقٍ نَالَ الْغِنَى مِنْ غَيْرِ كَدِّهِ
وَلِمَا قَلَّ مَا يَسْتَقِيلُ^(٢) فَكُلُّهُمْ يَسْعَى بِجَدِّهِ^(٣)

وقال امرؤ القيس :

وَقَامُمْ جَدُّهُمْ بَيْنِي أَيْبِهِمْ وَبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِقَابُ^(٤)

وقال عبد العزيز بن زُرارة الكلابي :

وَمَا لُبُّ اللَّيِّبِ بِغَيْرِ حَظٍّ بِأَنْغَى فِي الْمَعِيشَةِ مِنْ فَتِيلٍ
رَأَيْتُ الْحَظَّ يَسْتُرُ عَيْبَ قَوْمٍ وَهَيْهَاتَ الْحُظُوظُ مِنَ الْقَوْلِ^(٥)

ولحسان أبو لابنه عبد الرحمن :

(١) الأول في عيون الأخبار ٣٢٩/١ ، وما في البيان ٢٤٦/٢ ، ٢٤٧ وفيه : فـش في جد أنوك .

(٢) فصل المقال ٢٣٠ ، وفيه : نال الملا .. ولما قل ما يستتب .

(٣) ساقط من ١ ، والرواية في ب : بيني على ٤ وهي خطأ ، وانظره في الديوان ٥٠ ، الأغاني ٦٧/٨ ،
الشعر والشعراء ٥٩ ، العقد الفريد ١١٧/٣ .

وقصة البيت أن امرأ القيس خرج للايقاع ببني أسد فأوقع بإخوتهم بني كنانة ، وهو يحسبهم أعداءه ،
فقال البيت .

(٤) عيون الأخبار ٢٤٢/١ .

وإنَّ امرئًا يُنسى ويُصبحُ سالمًا من النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدٌ^(١)
وقال أعرابي :

وإنَّ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا تَزُودَ مِنْ أَعْمَالِهَا لَسَعِيدٌ^(٢)
ولبعض أهل عصرنا :

أَرَى هِمَمَ الْمَرْءِ مَا لَمْ يَكُنْ يُسَاعِدُهُ السَّعْدُ هَمًّا عَلَيْهِ
وَقَدْ يَنْجِزُ الْمَرْءُ ذُو الْإِحْتِيَالِ إِذَا اللَّهُ لَمْ يَقْضِ رِزْقًا إِلَيْهِ
وقال صالح بن عبد القدوس :

وَلَيْسَ رِزْقُ الْفَقْرِ مِنْ حُسْنِ حِيلَتِهِ لَكِنْ جُدُودٌ بِأَرْزَاقٍ وَأَقْسَامٍ
كَالْصَّيْدِ يُحْرِمُهُ الرَّايِ الْمَجِيدُ وَقَدْ يَرِي فَيُرْزَقُهُ مَنْ لَيْسَ بِالرَّايِ^(٣)

ولرجل من بني قريع أو للمعلوط ، وقيل : إنها لحاتم الطائي :

مَتَى مَا يَرَ النَّاسُ الْغَنَى وَجَارُهُ فَقِيرٌ يَقُولُوا عَاجِزٌ وَبَلِيدٌ
وَلَيْسَ الْغَنَى وَالْفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ الْفَقْرِ وَلَكِنْ أَحَاطَ قُسَمَتٌ وَجُدُودٌ
وَكَاثِنٌ رَأَيْنَا مِنْ غِنًى مُذَمِّمٌ وَصُعْلُوكٌ قَوْمٌ بَادَ وَهُوَ حَمِيدٌ
وَمُعْطَى ثَرَاءِ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ قُوَّةٍ وَمَحْرُومٌ جَمْعِ الْمَالِ وَهُوَ جَلِيدٌ^(٤)

(١) الصحيح أنه لحسان ، انظر قصة يمين آخرين على قافيته لابنه عبد الرحمن وحفيده سعيد في الديوان ١٤١ ، ١٤٢ ، وانظره في نهاية الأرب ٦٩/٣ ، الشعر والشعراء ١٧٣ ، وقد نسب أبو تمام في الحماسة ١٣/٢ لرجل من بني قريع .

(٢) البيت ليزيد بن الصقيل العقيلي ، وهو لص كان يسرق الإبل ، ثم تاب وقفل في سبيل الله ، انظر الأمل ٦١/١ .

(٣) المنيل والحاضرة ٧٨ ، وفيات الأعيان ٨٤/٣ .

(٤) وردت الأبيات منسوبة للمعلوط في عيون الأخبار ٢٤٦/١ ، زهر الآداب ١٨٥/٢ ، وانظر الأبيات الثلاثة الأولى في حماسة أبي تمام ١٣/٢ ، ١٤ ، والبيتين الأولين في حماسة البحتري ٢٤٥ بغير نسبة ، وفيهما : جليل مكان بليد .

وقال حبيب الطائي :

أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الْجَهْلَاءَ أُمُّهَا وَلَوْدُ وَأُمُّ الْعِلْمِ جَذَاءُ حَائِلٌ ^(١)
وله أيضاً :

فَإِنِّي مَا حُورِفْتُ فِي طَلَبِ الْغِنَى وَلَكِنَّكُمْ حُورِفْتُمْ فِي الْمَكَارِمِ ^(٢)

احتاج أبو الأسود الدؤلي إلى جار له يستقرض منه ، وكان حسن الظن به ،
فاعتل عليه ودفعه ، فقال أبو الأسود :

فَلَا تَطْمَعَنَّ فِي مَالِ جَارٍ لِقُرْبِهِ فَكُلُّ قَرِيبٍ لَا يُنَالُ بَعِيدُ
وَفَوْضُ إِلَى اللَّهِ الْأُمُورَ فَإِنَّمَا تَرْوَحُ بِأَرْزَاقٍ عَلَيْكَ جُدُودُ
وَلَا تُشْعِرَنَّ النَّفْسَ يَا أَسَا فَإِنَّمَا يَعْيشُ بِمَجْدٍ عَاجِزٌ وَبَلِيدٌ ^(٣)

وفي نحو هذا لبعض أهل عصرنا :

تَجَشَّمُ جَسِيمَ الْهَوْلِ فِي طَلَبِ الْمَجْدِ فَنَيْلُ الْغِنَى بَيْنَ التَّجَشُّمِ وَالْكَدِ ^(٤)
^(٥) وَدَعَّ قَوْلَ ذِي جَهْلٍ يَرَى الْعَجْزَ رَاحَةً : ذَرِ الْكَدَّ فِيمَا رَمَتْهُ الْمَنَعُ بِالْجِدِّ ^(٥)

وقال آخر :

تَطَلَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مُتَطَلِّبًا وَبِالْجَدِّ يَسْعَى التَّمَرُّ لَا بِالتَّطَلُّبِ ^(٦)

(١) ديوانه ١٢٨ ، عيون الأخبار ٢/ ١٢٤ . والجذاء : التي لا تدى لها ، والحائل : الناقة لم تلحق سنة أو سنوات .
(٢) ديوانه ١٤٥ .

(٣) انظر الأبيات في معجم الأدباء ١٢/ ٣٧ على خلاف في الترتيب ، وانظرها في ديوانه ٢٢٧ ، وفيه : جلبد
مكان بليد .

(٤) ١ : في طلب الغنى ، ولا تقعدن بين النخ .

(٥) البيت ساقط من م ، و ب : واسع مكان المنع .

(٦) ب : بالتقلب .

كتب كسرى إلى بزرجمهر وهو في الحبس : جنت لك ثمرة العلم أن صرت به
أهلاً للقتل . فكتب إليه بزرجمهر : أما ما كان معي الجَد فقد كنت أتنفع بثمرة
العلم ، والآن إذ ولّى عنى الجَد ، فقد أتنفع بثمرة الصبر .

قال سابق البربرى^(١) :

وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ وَإِنَّمَا
بِالْجَدِّ يُرْزَقُ مِنْهُمْ مَنْ يُرْزَقُ
وَلَوْ أَنَّهُمْ رَزَقُوا عَلَى أَقْدَارِهِمْ
أَلْفَيْتَ أَكْثَرَ مَا تَرَى يَتَصَدَّقُ
مَا النَّاسُ إِلَّا صَامِلَانِ فَعَامِلُ
قَدْ مَاتَ مِنْ عَطَشٍ وَآخَرُ يَغْرَقُ^(٢)

وقال البحتري :

أَلَا لَيْتَ الْمَقَادِرَ لَمْ تَقْدَرْ
لَمْ تَكُنِ الْأَحَاظِي وَالْجُدُودُ
فَتَعْلَمَ أَيُّنَا يَنْدُو وَيُمْسِي
لَهُ هَذِي الْمَوَاصِبُ وَالْعَبِيدُ^(٣)

وقال حبيب الطائي :

يَنَالُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ وَهُوَ جَاهِلُ
وَيُكْدِي الْفَتَى فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمُ^(٤)

وقال ابن دريد :

لَا يَنْفَعُ الْعِلْمُ بِلَا جَدٍّ وَلَا
يُحْبِطُكَ الْجَهْلُ إِذَا الْجَدُّ عَلَا

وقال الحسين بن أحمد :

(١) ساقط من ب .

(٢) ورد البيتان الأول والثالث في معجم الأدباء ٧/١٢ منسوبة إلى صالح بن عبد القدوس .

(٣) ديوانه ١٧٢/١ ، فأَظْهَرَ أَيُّنَا يَضْحَى وَيُمْسِي .

(٤) شرح الديوان ١٨٧/١ .

بِالْجَدِّ أَجْدَى عَلَى أَمْرِي طَلَبُهُ وَمَنْ يَطْلُ حِرْصُهُ يَطْلُ تَعْبَهُ

وقال آخر :

عِشْ بِجَدِّ وَكُنْ هَبْنَقَةَ الْقَيْ سِيَّ نَوَكَا أَوْ شَيْبَةَ بَنِ الْوَلِيدِ
عِشْ بِجَدِّ وَلَا يَضُرَّكَ نَوَكُ إِنَّمَا عِشْ مَنْ تَرَى بِالْجُدُودِ^(١)

هبنقة القيسي اسمه يزيد بن ثروان ، وكنيته أبو نافع ، أحد بني قيس بن ثعلبة ، وهو الذي شرد^(٢) له بعير فجعل لمن جاء به بعيرين ، ف قيل له : لم هذا ؟ قال : فأين

فرحة الوجدان ؟

وأنشدني محمد بن نصر الكاتب رحمه الله لنفسه :

لَا تَشْرَهَنَّ إِلَى دُنْيَا تَمْلِكُهَا قَوْمٌ كَثِيرٌ بِلَا عَقْلِ وَلَا أَدَبٍ
وَلَا تَقُلْ إِنِّي أَبْصَرْتُ مَا جَهِلُوا مِنْ الْإِدَارَةِ فِي مَرٍّ وَمُنْقَلَبٍ
فَبِالْجُدُودِ هُمْ نَالُوا الَّذِي مَلَكَوْا لَا بِالْعُقُولِ وَلَا بِالْعِلْمِ وَالْحَسَبِ
وَأَيْسَرَ الْجَدُّ نَحْوِي كُلِّ مُتَمَنِّعٍ عَلَى التَّمَكُّنِ عِنْدَ الْبَغْيِ وَالطَّلَبِ
وإن تَأَمَّلْتَ أَحْوَالَ الدِّينِ مَضُوءَا رَأَيْتَ مِنْ ذَا وَهَذَا أَعْجَبَ الْعَجَبِ

وقال إبراهيم بن المهدي :

(١) في ب : م : هاشم بن الوليد ، وفي عيون الأخبار ٢٤٢/١ : خالد بن يزيد ، والصحيح أن البيتين
ليحيى بن المبارك اليزيدي النحوي في هجاء شعبة بن الوليد أحداً كبير قواد المهدي ، وكان اليزيدي ينظر الكسائي
بين يدي المهدي ، فانتصر عليه ، وكان شعبة حاضراً ، فهاتر اليزيدي ، فأسرهما في نفسه ، ثم قال فيه هذه الأبيات
التي منها :

شيب ياشيب ياهني بني القه قناع ما أنت بالحليم الرشيد

انظر البيان هامش ٢٧١/٢ ، الأغاني ٧٧/١٨ ، ٢٨/٢٠ ، نهاية الأرب ١١٩/٢ ، حماسة البحتری ٢٤٦ .
(٢) في ب : ند .

قَدْ يُرْزَقُ الْعَمْرُ لَمْ تَشْعَبْ رَوَاحِلُهُ
مَعَ أَنِّي وَاجِدٌ فِي النَّاسِ وَاحِدَةً
وَحَلَّةٌ قَلَّ فِيهَا مَنْ يُخَالِفُنِي
يَا ثَابِتَ الْعَقْلِ كَمْ عَايَنْتَ ذَا مُحَقِّ
وقال آخر :

مَا أَزْدَدْتُ فِي أَدْبِي حَرْفًا أُسْرُ بِهِ
إِنَّ الْمُقَدَّمَ فِي حِذْقٍ بِصَنَمَتِهِ
إِلَّا تَزِيدْتُ حَرْفًا فِيهِ لِي شُومٌ
أَنِّي تَوَجَّهَ فِيهَا فَهُوَ مَحْرُومٌ^(٢)
وقال بكر بن النطاح :

كَفَى حَزَنًا أَنَّ الْغِنَى مُتَعَذِّرٌ
فَوَاللَّهِ مَا قَصَّرْتُ فِي نَيْلِ غَايَةٍ
عَلَى وَأَنِّي بِالْمَكَارِمِ مُغْرَمٌ
وَلَكِنِّي أَسْعَى إِلَيْهَا فَأَحْرَمٌ
وقال آخر :

لَيْسَ عَنِ حِيلَةِ الرِّجَالِ أَصَابُوا إِلَّا
مِنْهُمْ الْعَاجِزُ الْمَرْجِيُّ لَهُ الرُّزْقُ
مَالٌ بَلْ قِسْمَةٌ لَهُمْ وَجُدُودٌ
زُقُ وَمِنْهُمْ مُحَارِفٌ مُجْدُودٌ
قال بشار بن برد :

مَا ضَرَّ أَهْلَ النَّوْكِ ضَعْفُ الْكَدِّ
صَادَفَ حَظًّا مَنْ سَعَى بِجَدِّ^(٤)

(١) في ب : النول .

(٢) الأبيات في عيون الأخبار ١٢٩/٢ ، وقد سبق البيتان الأولان في ص ١٤٣ .

(٣) البيتان لإسماعيل بن إبراهيم الحمدولي وهما في نهاية الأرب ٨٧/٣ ، وانظر عيون الأخبار ١٢٤/٢ .

(٤) البيت من أرجوزته الشهيرة : ياطلل الحى بذات الصمد ، انظر المختار من شعر بشار ١٠٦ ، البيان ٢٦٣/١ .

وقال البحتري :

وَإِسْنِي عَلَيَّ بِالْأَتَقْدِثِي مَفِيدِي وَلَا مُزِرٍ عَلَيَّ تَأْخِرِي
وَلَوْ فَاتَنِي الْمَقْدُورُ مِمَّا أُرُومُهُ بِسَفْيٍ لَا ذَرَكْتُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّرْ^(١)

وقال الصابى :

إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَ امْرَأَيْنِ صِنَاعَةً وَأَحْبَبْتَ أَنْ تَذَرِي الَّذِي هُوَ أَحْذَقُ
فَلَا تَتَأَمَّلْ مِنْهُمَا غَيْرَ مَا بِهِ جَرَتْ لِمُمَا الْأَرْزَاقُ حِينَ تُفَرَّقُ
فَحَيْثُ يَكُونُ النَّوْكَُ فَالرِّزْقُ وَاسِعٌ وَحَيْثُ يَكُونُ الْحَذَقُ فَالرِّزْقُ ضَيِّقٌ^(٢)

(١) ديوانه ٥/٢ .

(٢) الأبيات في معجم الأدباء ٢ / ٨٥ ، بقيمة الدهر ٢ / ٢٦٧ .

بَابُ الْمَالِ حَمْدًا وَذَمًّا^(١)

قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم : « قلبُ الشَّيخِ شَابٌ في حبِ اثنتين : طولُ الحياة وكثرةُ المال » .

وقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم : « نِعَمَ المالُ الصَّالِحُ للرجل الصَّالِح » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إِنْ الدِّينَارُ والدَّرْهَمُ أَهْلَكَمَا مِنْ كَانَ قَبْلَهُمَا وَإِنَّمَا مَهْلِكَاكُمْ » .

^(٢) وقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم : لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ ، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ » .

وقال أيضاً : إِنْ أَحْسَابَ أَهْلِ الدُّنْيَا اتَّتَى إِلَيْهَا يَنْتَمُونَ : الْمَالُ ^(٣) .

وقال عليه السلام : « مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أَرْسِلَا فِي حَظِيرَةِ غَنَمٍ بِأَفْسَدِهَا مِنْ حُبِّ الْمَالِ ، وَالسَّرَفِ لِدِينِ الْمُؤْمِنِ » .

قال قيس بن عاصم لبنيه حين حضرته الوفاة : يَا بَنِيَّ عَلَيْكُمْ بِالْمَالِ وَاصْطِنَاعِهِ ، فَإِنَّهُ مَنبَهَةٌ لِلْكَرِيمِ ، وَمُسْتَغْنَى بِهِ عَنِ اللَّئِيمِ .

قال الحسن البصري : لِكُلِّ أُمَّةٍ وَثْنٌ يَعْبِدُونَهُ ، وَصَنَمٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ الدِّينَارُ والدَّرْهَمُ .

وقال الحسن : إِذَا أَرَدْتَ ^(٣) أَنْ تَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ أَصَابَ الرَّجُلُ مَالَهُ ، فَانْظُرْ فِيهِ

أَنْفَقَهُ ، فَإِنَّ الْخَبِيثَ يُنْفِقُ فِي السَّرَفِ .

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من ب .

(٣) في ١ : أَرَدْتُ .

قال أبو ذرّ : أموال الناس تشبه الناس . وعن أبي ذر أيضاً : إنما مالك لك ،
أو للوارث ، أو للجائحة^(١) ، فلا تكن أعجز الثلاثة .

قال أكرم بن صيفي : من ضعف عن كسبه اتكل على زاد غيره .

قال سعيد بن المسيب : لا خير فيمن لا يكسب المال ليكفّ به وجهه ، ويؤدّي
به أماته ، ويصل به رحمه .

قالوا للمسيح : ياروح الله ! أخبرنا عن المال ، فقال : المال لا يخلو صاحبه من
ثلاث خلال : إما أن يكسبه سن غير حله ، وإما أن يمنعه من حقه ، وإما أن يشغله
إصلاحه عن عبادة ربه .

قال الحطيئة :

وَأَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ وَلَكِنَّ التَّقَى هُوَ السَّعِيدُ^(٢)
وَأَنشَد ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ^(٣) :

الْمَالُ يَغْشَى رِجَالًا لَا طَبَاخَ لَهُمْ كَالسَّيْلِ يَغْشَى أَصُولَ الدُّنْدَنِ الْبَالِي
وهذا البيت في شعر لعمار الكلبي أوله :

قِفْ بِالْعَوِيرِ عَلَى أَبْلَاءِ أَطْلَالٍ كَأَنَّهَا مُحَلَّلٌ أَوْ خَطٌّ تَمَثَّلَ
الْفَقْرُ يُزِرِي بِأَقْوَامٍ ذَوِي حَسَبٍ وَرُبَّمَا سَادَ جَيْشُ الْقَوْمِ بِالْمَالِ

(١) في ١ ، م : للحاجة ، والجائحة : الشدة المذهبة للمال .

(٢) البيت مما نسب إلى البحتري من شعر ، انظر زيادات الديوان ٣٩٣ ، وقد نسب لعبد الله بن الحارث
الشيبياني في حماسة البحتري ٢٤٨ ، وانظره في لباب الآداب ٢٢ .

(٣) الأبيات التي سترد بعد وردت كلها في الحماسة لأبي تمام ٣٠٠/٢ ، ٣٠١ على خلاف في الترتيب منسوبة
لحسان بن ثابت ، وكذلك ورد البيت الأول له في اللسان ، وعقب عليه بأنه ورد أيضاً في شعر لحية بن خلف
الطائي ، وانظره في عيون الأخبار ١/٢٤٧ .

ومعنى الدندن : السود من الكلا لقدمه ويسه ، ويروي : وبقتدى بلثام الأصل أنزال مكان ورعاً ساد .. الخ .

وفيه يقول :

أُصُونُ عِرْضِي بِعَالِي لَا أَدْنَسُهُ لَا بَارَكَ اللَّهُ بَعْدَ الْعِرْضِ فِي الْمَالِ
أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَأُجَمِّعُهُ وَاسْتِ لِلْعِرْضِ إِنْ أَوْدَى بِمُحْتَالِ
الجُبس : اللثيم . وقوله : لا ملاباخ لهم : أى لا قوة ولا طاقة ، قاله الخليل .

وقال فضالة بن زيد المدونى :

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا الْمَالُ فَاتَّخِذْ فُتُولَهُ وَلَا تَهْلِكْهُ فِي الضَّلَالِ فَتَنْتَدِمِ
إِذَا جَلَّ خَطْبُكَ سَلْتُ بِالْمَالِ خَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ مِنْ أَرْضِ فَمَسِيحٍ وَأَنْعَجِمِ
وَهَابَكَ أَقْوَامٌ وَإِنْ لَمْ تُصَيِّبْهُمْ يَنْفَعُ وَهْنُ يَسْتَنْفِنُ يُحْمَدُ وَيُكْرَمِ
وَيُعْطَى الَّذِي يَنْفَعِي وَإِنْ كَانَ بِاخِلَا بِنَا فِي يَدَيْهِ مِنْ مَتَاعٍ وَدِرْهَمِ
وقال لمبيد :

وَمَا الْبِرُّ إِلَّا مُضْمَرَاتٌ مِنَ التَّقَى وَمَا الْمَالُ إِلَّا مُضْمَرَاتٌ وَدَائِعُ^(١)
وقال حاتم الطائي^(٢) :

أَمْرُكَ مَا يُعْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَقَى إِذَا حَشَرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
أَمَاوِيَّ ابْنَ الْمَالِ غَادٍ وَرَائِحُ وَيَبْقَى مِنَ الْمَالِ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ
وقال الشماخ :

لَمَالُ الْمَرْءِ يُصْلِحُهُ قِيَمُنِي مَغَاوِرُهُ أَعَفُ مِنْ الْقُنُوعِ^(٣)

(١) الشعر والشعراء ، ٢٣٦ ، الأغانى ١٥/٢٧٣ .

(٢) ديوانه ٢٩ ، وفيه : أماوى مكان لعمرك ، الشعر والشعراء ١٩٩ ، مجمع الأدباء ٥/٣٦٧ .

(٣) ديوانه ٥٦ ، حسانة الجعري ٣٤٤ ، وفيها : لمال المال معافاه فبقي .

وقال المتلمس :

لَحِظْتُ الْمَالَ أَيْسَرُ مِنْ بَغَاهُ وَضَرُّكَ فِي الْبِلَادِ بِغَيْرِ زَادٍ
قَلِيلُ الْمَالِ تُصْلِحُهُ قَيْبَتِي وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ^(١)

وقال آخر :

وَاطْلُبِ الْمَالَ بِحِرْصٍ وَاسْرِعِ الْمَشَى إِلَيْهِ
كُلُّ مَنْ كَانَ غَنِيًّا سَلَّمَ النَّاسُ عَلَيْهِ
وَإِذَا كَانَ قَئِيرًا فَقَدَ الْبِرَّ لَدَيْهِ^(٢)
وَيَتَابُ الْمَرْءُ أَعْوَانُ^(٣) لَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ^(٤)

وقال آخر :

إِذَا قَلَّ مَالُ الْمَرْءِ قَلَّ صَفَاؤُهُ وَضَاقَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ وَسَمَاؤُهُ
وَأَصْبَحَ لَا يَذَرِي وَإِنْ كَانَ حَازِمًا أَقْدَامُهُ خَيْرٌ لَهُ أُمِّ وَرَاؤُهُ
إِذَا قَلَّ مَالُ الْمَرْءِ لَمْ يَرْضَ عَقْلُهُ بَنُوهُ وَلَمْ يَغْضَبْ لَهُ أَوْلِيَاؤُهُ
فَإِنْ مَاتَ لَمْ يُفْقَدْ وَلَمْ يَحْزَنُوا لَهُ وَإِنْ عَاشَ لَمْ يَسْرُرْ صَدِيقًا بَقَاؤُهُ^(٥)

وقال أبو اليقظان : ما ساد في الجاهلية مملوك إلا عتبة بن ربيعة .

(١) الأغاني ١٣٦/٢١ ، فصل المقال ٢٢٩ نهاية الأرب ٦٤/٣ ، المحاسن والمساوي ١٤٦/٢ ، العقد ١٤٠/٣ .

(٢) في ب : زهدوا بها لديه .

(٣) في أ : حلوان له .

(٤) لباب الآداب ٢١٢ ، مجموعة المعاني ١٧ ، والأبيات ساقطة من م .

(٥) ورد البيت الأول فقط في التمثيل والمحاضرة غير منسوب لغائل ، وورد في لباب الآداب ٢٨٥ منسوباً إلى

صالح بن عبد القدوس .

وقال محمد بن مناذر :

رَضِينَا قِسْمَةَ الْجَبَّارِ فِينَا لَنَا حَسَبٌ وَلِلثَقَفِيِّ مَالٌ^(١) .

وقال المملوط :

وَمَا سَوَّدَ الْمَالُ الدَّيْنَ وَلَادَنَا لِدَاكَ وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ يَسُودُ

وقال عروة بن الورد :

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِرًا مِنْ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يُصِيبَ غَنِيمَةً وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِجٍ

هذان البيتان أنشدهما ابن قتيبة لأوس بن حجر ، وخالفه حبيب وغيره
فأنشدهما لعروة^(٢) .

وقال عروة بن الورد :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ شَكَ الْقَفْرَ أَوْ لَامَ الصَّدِيقَ فَأَكْثَرَا
وَصَارَ عَلَى الْأَذْنَيْنِ كَلًّا وَأَوْشَكْتَ صِلَاتُ ذَوِي الْقُرْبَى لَهُ أَنْ تَنْكُرَا^(٣)

وقال منصور الفقيه :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ وَهَى^(٤) نَعْلُهُ أَوْ بَاعَ فِي الشُّوقِ خُفَّهُ
وَلَمْ يَكُ مَأْمُونًا عَلَى مَالٍ جَارِهِ إِذَا مَا رَأَاهُ خَالِيًا أَنْ يَلْفَهُ

(١) عيون الأخبار ٢٤٦/١ ، وفيها : رضينا قسمة الرحمن ... الخ . ، وانظر الشعر ولشراء ٨٤٧ .
(٢) البيتان في ديوان عروة ٨ ، وفي نهاية الأرب ٦٥/٣ ، حماسية أبي تمام ١٨٤/١ ، ١٥٨ ، الأمل ٢/٢٣٤ ،
ولسبهما ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢٣٨/١ لأوس بن حجر كما ذكر المصنف .

(٣) ديوانه ١٩ ، ٢٠ .

(٤) في ب ، م : رهن ، ولا يستقيم معها الوزن .

وقال الفرزدق :

وَالْمَالُ بَعْدَ ذَهَابِ الْمَالِ يُكْتَسَبُ^(١)

قال إبراهيم النخعي : إنما أهلك الناس فضول الكلام وفضول المال .

ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة الهذلي الفقيه :

أَعَاذِلُ عَاجِلُ مَا أَشْتَهِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الرَّائِثِ

سَأَحْبِسُ مَالِي عَلَى جَاجَتِي وَأُوَرِّ^(٢) نَفْسِي عَلَى الْوَارِثِ^(٣)

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

أَرَى نَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى أُمُورٍ وَيَقْصُرُ دُونَ مَبْلَغِهَا مَالِي

خَفَفَتْ لِي لَا تَطَاوَعُنِي لِبُخْلِ وَمَالِي لَا يُبَلِّغُنِي قَعَالِي^(٤)

وقال أعرابي :

إِذَا مَا الْفَتَى لَمْ يَبِيعْ إِلَّا لِبَاسِهِ وَمَطْعَمَهُ فَأَخْذِرُ مِنْهُ بَعِيدُ

يَذْكُرُنِي صَرَفَ الزَّمَانِ^(٥) وَلَمْ أَكُنْ لِأَهْرَبَ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ حَيْدُ

فَلَوْ كُنْتُ ذَا مَالٍ لَقُرْبَ تَجْلِسِي وَقِيلَ إِذَا أَخْطَأْتُ : أَنْتَ رَشِيدُ

فَذَرْنِي أَجُولُ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّهُ يُسَرُّ صَدِيقٌ أَوْ يُسَاءُ حَسُودُ^(٦)

(١) ديوانه ٩٧ ، نهاية الأرب ٧٢/٣ ، وصدر البيت : يمتضى أخوك فلا تافى له خلفاً .

(٢) ب : وآثر .

(٣) عيون الأخبار ١٨٠/٣ بدون نسبة .

(٤) عيون الأخبار ٣٤٠/١ ، حماسة أبي تمام ٣٥/٢ ، ٣٦ .

(٥) ب : خوف المنايا .

(٦) الأبيات لأعرابي كان يمنعه أبوه من التصرف لإشفاقاً عليه فرد عليه بها انظر عيون الأخبار ٢٣٨/١ ،

أمالي النابلي ١٢٦/٢ وفيها : لعاني أسر صديقا .

وقال آخر :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكَ^(١)

وقال قيس بن عاصم :

سَأُودِعُ مَالِي الْحَمْدَ وَالْأَجَرَ كُلَّهُ فَلَا أَجْرُ فِي الدُّنْيَا وَلَا الْحَمْدُ دَائِمٌ
فَرِحْتُ بِمَا قَدَّمْتُ مِنْهُ وَإِنِّي عَلَى حُسْنِ مَا أَخَّرْتُ مِنْهُ لَنَادِمٌ
كان يقال : شر مالك ما لزمك إثم مكسبه ، وحرمت لذة إنفاقه .

قال الشاعر :

ذَهَابُ الْمَالِ فِي حَمْدٍ وَأَجْرٍ ذَهَابٌ لَا يُقَالُ لَهُ ذَهَابٌ^(٢)

وقال آخر :

وَحِفْظُكَ مَالًا قَدْ غُنِيَتْ بِجَمْعِهِ أَشَدُّ مِنْ الْمَالِ الَّذِي أَنْتَ طَالِبُهُ
قال جعفر بن محمد رحمه الله^(٣) : من نقله الله من ذل المعصية إلى عز الطاعة أغناه
بلا مال ، وآلسه بلا أنيس ، وأعزّه بلا عشيرة .

قال محمود الوراق :

هَآكَ الدَّلِيلَ لِمَنْ أَرَا دَغْنِي يَدُومُ بِغَيْرِ مَالٍ
وَأَرَادَ عِزًّا لَمْ تَوْطَأْ دُمُ الْعَشَائِرُ بِالْقِتَالِ

(١) عيون الأخبار ١٨١/٣ ، العقد الفريد ١٠٧/٣ .

(٢) سبق مع بيت آخر ص ١٨٩ .

(٣) في ١ : محمد بن جعفر رحمه الله .

وَمَهَابَةٌ مِنْ غَيْرِ سُلْطَانٍ وَجَاهًا فِي الرِّجَالِ
فَلْيَتَّصِمِ بَدْخُولِهِ فِي عِزِّ طَاعَةِ ذِي الْجَلَالِ
وَخُرُوجِهِ مِنْ ذِلَّةٍ أَلْهَاصِي لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ^(١)

وقال النمر بن تولب:

خَاطِرُ بِنَفْسِكَ كَيْ تَصِيبَ رَغِيْبَةً
فَالْمَالُ فِيهِ تَجِلَّةٌ وَمَهَابَةٌ
إِنَّ الْجُلُوسَ مَعَ النِّسَاءِ قَبِيحٌ
وَالْفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وَفُضُوحٌ^(٢)

وقال آخر:

وَيُزْرِي بِعَقْلِ الْمَرْءِ قَلَّةُ مَالِهِ
تُحْمَقُهُ الْأَقْوَامُ وَهُوَ لَيْبٌ^(٣)

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

رُبُّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَالِ
لِوَجْهِ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ^(٤)

وقال الخريعي وهو أبو يعقوب:

أَتَعِيشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا قَنَعْتَ بِهِ
قَدْ يَكْثُرُ الْمَالُ وَالْإِنْسَانُ مُفْتَقِرٌ

وقال أمية بن أبي الصلت:

إِذَا كَتَسَبَ الْمَالُ الْفَقْرَ مِنْ وَجْهِهِ
وَأَحْسَنَ تَذْيِيرًا لَهُ حِينَ يَجْمَعُ
وَمَيَّزَ فِي إِنْفَاقِهِ مَا بَيْنَ مُصْلِحٍ
مَعِيشَتُهُ فِيمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ

(١) في م: ها أنا بدل هاك ، وفي طاعة الله ذي الجلال بدل في عز طاعة الخ .

(٢) عيون الأخبار ١/٢٣٨ . وفيها غنيمة بدل رغبة ، والعيال بدل النساء ، وقبوح بدل فضوح .

(٣) أنشده ابن الأعرابي في عيون الأخبار ٣/٢٤٠ .

(٤) ديوانه ١٠٠ ، نهاية الأرب ٢/٦٩ ، معجم الأدباء ٢٠/١٠ .

وَأَرْضَى بِهِ أَهْلَ الْحُقُوقِ وَلَمْ يُضِيعْ
فَذَاكَ الْفَتَى لَا جَامِعُ الْمَالِ ذَاخِرًا
وَقَالَ كَثِيرٌ :

إِذَا الْمَالُ لَمْ يُوجِبْ عَلَيْكَ عَطَاءَهُ
بَمَحِلَّتْ وَبَعْضُ الْبُخْلِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ
صَنِيعَةٌ نَعْمَى أَوْ خَلِيلٌ تَوَامِقُهُ
فَلَمْ يَفْتَلِكْ الْمَالَ إِلَّا حَقَائِقُهُ^(١)

وقال محمود الوراق :

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْفَقْرِ أَوْضَعَ لِلْفَتَى
وَلَمْ أَرْ عِزًّا لِأَمْرِي كَعَشِيرَةٍ
وَلَمْ أَرْ مِنْ عُدْمٍ أَضْرَّ عَلَى الْفَتَى
وَقَالَ آخَرُ :

الْفَقْرُ يُزْرِى بِأَقْوَامٍ ذَوِي حَسَبٍ
وَقَدْ يُسَوِّدُ غَيْرَ السَّيِّدِ الْمَالُ^(٢)

وقال محمود الوراق :

أَرَى دَهْرَنَا فِيهِ عَجَائِبُ جَمَّةٌ
أَرَى كُلَّ ذِي مَالٍ يُسَوِّدُ بِمَالِهِ
إِذَا اسْتَعْرِضْتَ بِالْعَقْلِ ضَلَّ لَهَا الْعَقْلُ
وَإِنْ كَانَ لَا أَصْلَ هُنَاكَ وَلَا فَصْلُ

(١) ديوانه ٩٢ .

(٢) الشعر والشعراء ٤٩٨ ، وفيه : صنيعة تفوى أو صديق ، زهر الآداب ٢٤٧/٣ ، وفيه : قلم يهتمك ،

السكامل ٢٠١/١ ، وينتلك أى يقطعه منك

(٣) الأبيات فى عيون الأخبار ٩١/٣ ، محاضرات الأدباء ٢٧٣/٢ ، السكامل ١٨٤/١ ، والبيت الثانى فى

البيان ٢٤٦/١ .

(٤) عيون الأخبار ٢٣٩/١ بدون نسبة .

وَأَخْرَ مَنْسُوبًا إِلَى الرَّأْيِ خَامِلًا وَأَنْوَكَ مَخْبُولًا لَهُ إِجْلَاهُ وَالثَّيْلُ
وَمَا الْفَضْلُ فِي هَذَا الزَّمَانِ لِأَهْلِهِ وَلَكِنَّ ذَا الْمَالِ الْكَثِيرِ لَهُ الْفَضْلُ
فَشَرَّفَ ذَوِي الْأَمْوَالِ حَيْثُ لَقِيَتَهُمْ فَقَوْلُهُمْ قَوْلٌ وَفِعْلُهُمْ فِعْلٌ^(١)

ومما ينسب إلى محمود ، وأظنها لنيره وهو أبو عبد الرحمن العَطَوِي :

دَعِ الرِّيَاءَ لِمَنْ لَجَّ الرِّيَاءَ بِهِ فِي الْأَمْرِ بِالْبَذْلِ وَادْكُرْ ذِلَّةَ الْعَدَمِ
وَمُتْ عَلَى الدَّرْهِمِ الْمَنْقُوشِ مَوْتًا فَتَى رَأَى الْمَمَاتَ عَلَيْهِ أَكْرَمَ الْكَرَمِ
وَعَدُّ عَنْ ذَا وَعَنْ هَذَا وَقَوْلُهُمْ الذِّكْرُ يَبْقَى وَتَفْنَى لَذَّةُ النَّعْمِ
لَوْ لَا غِنَاكَ لَكُنْتَ الْكَلْبَ عِنْدَهُمْ فَإِنْ أَيْتَ فَجَرَّبْ وَاشْقَ بِالْثَدَمِ^(٢)

وقال أبو المتاهية :

وَالنَّاسُ^(٣) حَيْثُ يَكُونُ الْمَالُ وَإِجْلَاهُ^(٤)

(١) الأبيات ماعدا الأول في العهد الفريد ٣٠/٣ ، وفيه : يبر للماله مكان يسود بماله في البيت التالي .

(٢) وردت الأبيات في محاضرات الأدباء ٢٩١/١ ، منسوبة إلى أبي علي الحمودي .

(٣) ب : والمال .

(٤) لم أعر عليه في ديوانه المطبوع .

بابُ جَامِعِ الْقَوْلِ فِي الْغَنَى وَالْفَقْرِ

قال رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اَرْضَ بما قسمَ اللَّهُ لك تكن أغنى الناس ، واعملْ بما افترَضَ اللَّهُ عليك تكن أعبدَ الناس ، واجتنبْ ما حَرَّمَ اللَّهُ عليك تكن أَوْعَى الناس » .

وقال عليه السلام : « ليس الغنى عن كثرة العَرَض ، إنما الغنى غنى النَّفْس » .
وفي الحديث المرفوع : « الفقرُ أزينُ للمؤمن من العِذار^(١) على خَدِّ الفرس » .
وقد أتينا في معنى الفقر والغنى ، والمقدار المعمود في ذلك عند العلماء بدلائل السنن ، وأقاويل السلف ، بما فيه كفاية وتبصره وشفاء لما في الصدور في موضعه من كتاب « بيان العلم » والحمد لله .

قال أوس بن حازم : خيرُ الغنى الفناعة ، وشرُّ الفقر الفسادة^(٢) .

قال فضيل بن عياض : إنما الفقر والغنى بعد العَرَض على الله .
أنشدنا الرياتي :

ما شِقْوَةُ المرء بالإفْئارِ تَقْبِرُهُ ولا سَعَادَتُهُ يَوْمًا ياكْتَارِ
إنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي فِي النَّارِ نَزْرُهُ وَالْفَوْزُ فَوْزُ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ^(٣)
قال جعفر بن محمد : العز والغنى يجولان في الأرض ، فإذا أسابا موضعاً يدخله التَّوَكُّلُ أو طُغْيَاهُ .

(١) العِذار : ما سال من . ما قال من بين الكلام .

(٢) ب : المصوم .

(٣) البيهقي المصنف من حديثه في ١/ ٦٢ ، ٦٣ .

كان يقال : الشكرُ زينةُ الغنى ، والعفافُ زينةُ الفقر .

وقالوا : حقُّ الله واجبٌ في الغنى والفقر ، ففي الغنى العطفُ والشكر ، وفي الفقر العفافُ والصبر .

كان يقال : سوءُ حملِ الغنى يُورثُ مقتاً ، وسوءُ حملِ الفاقة يَضَعُ شرفاً .

كان يقال : الغنى ^(١) في النفس ، والشرف في التواضع ، والكرم في التقوى .

أنشدنا الرياشي :

وَيَيْنَا الْفَقْرَ فِي الْفَقْرِ إِذْ صَارَ فِي الْغِنَى وَيَيْنَا الْفَقْرَ فِي الْبُؤْسِ إِذْ صَارَ فِي الْخَفْضِ
كَذَلِكَ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَلْعَبُ بِالْفَتَى فَتُبْرِمُ أَحْيَانًا وَتُسْرِعُ فِي النَّقْصِ

وقال آخر :

قَدْ أَنْطَقَتِ الدَّرَاهِمُ بَعْدَ عِيٍّ أَنْاسًا طَالَمَا كَانُوا سُكُوتًا
فَمَا عَادُوا عَلَى جَارٍ بِخَيْرٍ وَلَا رَفَعُوا لِمَكْرُمَةٍ يُيُوتَا
كَذَلِكَ الْمَالُ يُنْطِقُ كُلُّ عِيٍّ ^(٢) وَيَتْرُكُ كُلُّ ذِي حَسَبٍ صَمُوتًا

^(٣) وقال آخر :

نَطَقَتْ مُذِ اسْتَفَدْتَ الْمَالَ حَتَّى كَأَنَّكَ عَالِمٌ ذَلِقُ اللِّسَانِ
وَشَجَعَكَ الَّذِي قَدْ كَانَ قَدِمًا بِمَسْمِيكَ الْجَبَانَ ابْنَ الْجَبَانَ ^(٣)

(١) : الغز .

(٢) ب : غث .

(٣) ساقط من أ .

وقال محمود الوراق

الْفَقْرُ فِي النَّفْسِ وَفِيهَا الْغِنَى وَفِي غِنَى النَّفْسِ الْاَكْبَرُ^(١)

وقال حماد الراوية : أفضل بيت من الشعر قيل في الأمثال :

يَقُولُونَ يَسْتَغْنِي وَوَاللَّهِ مَا الْغِنَى مِنْ الْمَالِ إِلَّا مَا يُعِفُّ وَمَا يَكْفِي^(٢)

ولمحمود الوراق أيضاً :

صَاحِبُ الْبُسْرِ يَرْقُبُ الْعُسْرَ وَالْمَنَّةَ سِرٌّ فِي دَهْرِهِ يَرَأِيبُ يُسْرَا

لَيْسَ خَلْقٌ لَهُ عَلَى اللَّهِ حَقٌّ إِنَّمَا حَقُّهُ عَلَى النَّاسِ طُرَا

لَا يَحِبُّ^(٣) الْغِنَى فِيمَا أَتَاهُ لَا وَلَا يَظْلِمُ الَّذِي مَاتَ فَقْرًا^(٤)

يَمْنَعُ اللَّهُ عَبْدَهُ نَظْرًا مِنْهُ وَكَيْسَنِي لَهُ الْمَطِيَّةُ مَكْرًا

لَيْسَ مِنْ بُخْلِهِ يُنْقَصُ ذَا الْفَقْرِ سِرٌّ وَلَمْ يُعْطِ ذَا الْغِنَى الْمَالَ قَسْرًا

قال عبد الله بن الأَهمم : من ولد في الفقر أبطره الغنى .

كان يقال : خصلتان مذمومتان : الاستطالة مع السخاء ، والبطر مع الغِنَاء .

كان يقال : لا تدع على ولدك بالموت ، فإنه يُورث الفقر .

قال أعرابيٌّ من باهلة :

سَأَعْمِلُ نَصَّ الْعَيْسِ^(٥) حَتَّى يَكْفِيَنِي غِنَى الْمَالِ يَوْمًا أَوْ غِنَى الْحَدَثَانِ

(١) العقد الفريد ٢/٢٠٧ .

(٢) البيت مما ينسب إلى الخطيئة من شعر ، انظر زيادات الديوان ٢٢٠ .

(٣) ١ : لم يراب ، ب : لا يخاف .

(٤) ١ : حرا .

(٥) نص العيس : استخراج أقصى ما عنده من خير .

فَلَمَمْتُ خَيْرَ مَنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا عَلَى الْحُرِّ بِالْإِقْلَالِ ^(١) وَشَمُّ هَوَانٍ
كَأَنَّ الْغِنَى فِي أَهْلِهِ بُورِكَ الْغِنَى بِغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٍ بِلِسَانٍ ^(٢)
وقال يحيى بن حَكَم الغَزَال، ^(٣) وتروى لغيره ابن المعتز، أو غيره ^(٤):

إِذَا كُنْتُ ذَا ثَرَوَةٍ مِنْ غِنَى فَأَنْتَ الْمُسَوَّدُ فِي الْعَالَمِ
وَحَسْبُكَ مِنْ نَسَبٍ صُورَةٌ تُخَبِّرُ أَنَّكَ مِنْ آدَمَ ^(٥)
وللغزال أيضاً:

إِنِّي حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَصْنَافَ الدَّرَرِ فَمَرَّةً حُلُوً وَأَحْيَانًا مِقْرَةً ^(٥)
وَعَلَقَمًا حِينًا وَأَحْيَانًا صَبْرًا وَجُلُّ مَا يَسْقِيكَ الدَّهْرُ كَدْرًا
فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا مِنَ الْفَقْرِ أَمَرَّ أَلَا تَرَى أَكْثَرَ مَنْ فِيهَا يَفِرُّ
خَافَةَ الْفَقْرِ إِلَى نَارٍ سَقَرَتْ

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْقَبْرَ خَيْرٌ مِنَ الْفَقْرِ لَمَنْ كَانَ ذَا يُسْرٍ وَعَادَ إِلَى عُسْرِ

ولعروة بن الورد:

دَعِينِي لِلْغِنَى أَسْمَى فَاتْنِي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ

(١) ب: على المرء ذى العلياء .

(٢) إعتاب الكتاب ٢١٧ ، عيون الأخبار ٢٢٩/١ ، البيان ٢٣٨/٢ ، السكامل ١٨٤/١ ، زهر الآداب ٥٦/٤ ، وفيه : وإن الغنى في أهله يرزق الغنى بغير لسان ٠٠٠ الخ ، العقد الفريد ٢٩/٣ .

(٣) ساقط من ب .

(٤) التمثيل والمحاضرة ٣٩٢ ، ونسبها لابن المعتز ولا توجد في ديوانه .

(٥) المقر : الخامس أو المر .

وَأَحْقَرَهُمْ وَأَهْوَنَهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ أَمْسَى لَهُ كَرَمٌ وَخَيْرٌ
 يُبَاعِدُهُ الْخَلِيلُ وَتَزْدَرِيهِ حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
 وَتَلْقَى ذَا الْغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ يَكَادُ فُؤَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
 قَلِيلٌ عَيْبُهُ وَالْعَيْبُ جَمٌّ وَلَكِنَّ لِلْغِنَى رَبٌّ غَفُورٌ^(١)

وقال آخر :

رَأَيْتُ النَّاسَ لَمَّا قَلَّ مَالِي وَأَكْثَرَتْ الْغَرَامَةُ^(٢) وَدَعَوُنِي
 فَلَمَّا أَنْ غَنَيْتُ وَثَابَ وَفَرِي إِذَا هُمْ - لَا أَبَلَكَ - رَاجِعُونِي^(٣)

وقالوا : بقدر ما يعطى الغنى من الإيسار ، يعطى من الإجلال ، وبقدر ما ينزل بالفقر من فقر يذهب بهاؤه وتنضع منزلته ، حتى يتهمه من كان يأمنه ، ويسيء به الظن من كان يثق به . ومحاسن الغنى مساوىء الفقر ، إذا كان جواداً قالوا : مبدى ، وإن كان لسنناً قالوا : مہذار ، وإن كان شجاعاً ، قالوا : أهوج ، وإن كان حليماً صموتاً ، قالوا : عيى بليد ، وكل شيء هو للغنى مدح هو للفقر ذم .
 قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَالَ قَدْ يَجْعَلُ الْفَقْرَ سَنِيًّا وَإِنَّ الْفَقْرَ بِالْمَرْءِ قَدْ يُزْرِى
 فَمَا^(٤) رَفَعَ النَّفْسَ الدَّيْنِيَّةَ كَالْغِنَى وَلَا وَضَعَ النَّفْسَ الْكَرِيمَةَ كَالْفَقْرِ^(٥)

(١) يروى : وأبعدهم وأهونهم ، وإن أمسى له حسب ، ويقصبه الندى ، وينكره الصغير ، قليل ذنبه والذنب ، انظر الأبيات في ديوان عروة ٢٠ ، معجم الأدباء ١٨٣/١ ، البيان ٢٣٨/٢ ، عيون الأخبار ٢٤١/١ ، محاضرات الأدباء ٢٤٢/١ ، المعقد الفريد ٢٩/٣ .

(٢) ب : الملا .

(٣) البيان والنبين ٣٩٩/٣ .

(٤) ١ : ولا .

(٥) المتطرف ٥٤/٢ .

وقال حبيب :

لَا تُنْكِرِي عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى فَالَسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي^(١)
وللمغيرة بن حبناء :

وَمَا الْفَقْرُ يُزِرِي بِالرِّجَالِ وَلَا الْغِنَى وَلَكِنْ قُلُوبُ الْقَوْمِ لِلْقَوْمِ تَقْدَحُ
وقال امرؤ القيس :

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيُّقَنَ أَنَّا لَاحِقَةٌ بَقِيَصَرَا
فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا نَحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتُ فَنُعْذِرَا^(٢)
وقال أبو العتاهية :

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلَى الْغِنَى فَكُلُّ غَنِيٍّ فِي الْعُيُونِ جَلِيلٌ
(٣) إِذَا مَالَتِ الدُّنْيَا إِلَى الْمَرْءِ رَغَبَتْ إِلَيْهِ وَمَالَ النَّاسُ حَيْثُ يَعْمَلُ^(٣)
وَلَيْسَ الْغِنَى إِلَّا غِنَى زَيْنِ الْفَتَى عَشِيَّةً يَقْرَى أَوْ غَدَاةً يُنِيلُ^(٤)
وقال الصِّلَتَانِ الْعَبْدِيُّ^(٥) :

إِذَا قُلْتَ يَوْمًا لِمَنْ قَدْ تَرَى أَرُونِي السَّرَى أَرَوْكَ الْغِنَى
وقال ابنُ سعدان^(٦) :

-
- (١) ديوانه ١٢٣ ، نهاية الأرب ٩١/٣ ، زهر الآداب ٣٥/٤ .
(٢) ديوانه ٦٦ ، عيون الأخبار ٢٣٦/١ ، الشعر والشعراء ٦٢ ، معجم الشعراء ٢٠٠ .
(٣) ساقط من أ .
(٤) ديوانه ٢٢١ ، العقد الفريد ٣٠/٣ ، والبيتان الأول والثالث في حساسة أبي تمام ٢٨٥/٣ .
(٥) قثم بن خببة العبدي ، شاعر حكيم ، توفي نحو سنة ٨٠ هـ ، انظر في ترجمته وأشعاره : سبط اللآلي ٥٣١ ، ٧٦٦ ، والمؤتات ١٤٥ ، الشعر والشعراء ١٩٦ (الأعلام ١٩/٦) ، وانظر البيت في عيون الأخبار ٢٤١/١ ، الشعر والشعراء ٤٧٩ .
(٦) هو محمد بن سعدان الكوفي ، محدث فقيه عالم بالفراءات ، توفي سنة ٢٣١ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٣٢٤/٥ ، بشية الوعاة ٤٥ (الأعلام ٨/٧) .

تَقْنَعُ بِمَا يَكْفِيكَ وَالْتِمِسِ الرِّضَا
فَإِنَّكَ لَا تَذَرِي أَتَضَبِّحُ أَمْ تُنْسِي
فَلَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْمَالِ إِنَّمَا
يَكُونُ الْغِنَى وَالْفَقْرُ مِنْ قِبَلِ النَّفْسِ
وقال بكر بن أذينة :

كَمْ مِنْ فَقِيرٍ غَنِيَ النَّفْسِ نَعْرِفُهُ
وَمِنْ غَنِيٍّ فَقِيرٍ النَّفْسِ مَسْكِينُ
وقال محمود الوراق :

لَبِسْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ كَهْلًا وَنَاشِئًا
وَجَرَّبْتُ حَالِيهِ عَلَى الْعُسْرِ وَالْإِسْرِ
فَلَمْ أَرَ بَعْدَ الدِّينِ خَيْرًا مِنَ الْغِنَى
وَلَمْ أَرَ بَعْدَ الْكُفْرِ شَرًّا مِنَ الْفَقْرِ
ولحمود الوراق :

يَا عَائِبَ الْفَقْرِ أَلَا تَزْدَجِرُ
عَيْبُ الْغِنَى أَكْثَرُ لَوْ تَعْتَبِرُ
مِنْ شَرَفِ الْفَقْرِ وَمِنْ فَضْلِهِ (١)
عَلَى الْغِنَى إِنْ صَحَّ مِنْكَ النَّظَرُ
أَنْتَ تَعْصِي كَيْ تَنَالَ الْغِنَى
وَلَسْتَ تَعْصِي اللَّهَ كَيْ تَتَّقِرَ (٢)
وفي رواية أخرى :

أَنْتَ تَعْصِي اللَّهَ تَرْجُو الْغِنَى
وَلَسْتَ تَعْصِي اللَّهَ كَيْ تَتَّقِرَ
وقال آخر :

وَلَا تَعِدْنِي الْفَقْرَ يَا أُمَّ مَالِكٍ
فَإِنَّ الْغِنَى لِلْمُنْفِقِينَ (٣) قَرِيبُ

(١) ب : فعله .

(٢) عيون الأخبار ٢٤٩/١ العقد الفريد ٢٠٩/٣ والبيان الثاني والثالث في محاضرات الأدباء ٢٤٧/١ .

(٣) ب : للمتقين .

وهذا مأخوذ والله أعلم من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « يقول الله يا ابن آدم أَتَفِقُ أَتَفِقُ عَلَيْكَ » .

وقال بعض الحكماء في ذم الغنى : طالبُ الغنى طويلُ العناء ، دائمُ النصب ، كثيرُ التعب ، قليلُ منه حظُّهُ ، خَسِيسُ منه نصيبُهُ ، شديدُ من الأيامِ حذرُهُ ، ثم هو بين سلطانِ يرحاه ، ويفخر^(١) عليه فاه ، وبين حقوقٍ تجبُ عليه ، يضعفُ عن^(٢) منعها ، وبين أكفاءٍ وأعداءٍ ينالونه^(٣) ويحسدونه ويبغون عليه ، وأولادٍ يعلونه^(٤) ويودون موته ، ونواصبٍ تعتريه وتحزنه .

وقال بشر بن المعتمر المتكلم :

وَإِذَا الْجَهْمُ لَرَأَيْتَهُ مُسْتَغْنِيَا أَعْيَا الطَّيِّبَ وَحِيلَةَ الْمُحْتَآلِ^(٥)

وقال الخليل بن أحمد :

مَا أَتَمَّجَ النَّسْكَ بِسَّالٍ^(٦) وَأَقْبَحَ الْبُخْلَ بِذِي الْمَالِ
مَنْ كَانَ مُحْتَاجًا إِلَى أَهْلِهِ هَانَ عَلَى ابْنِ الْعَمِّ وَالْحَالِ
مَا وَقَعَ الْإِنْسَانُ فِي وَرْطَةٍ^(٧) أَزْرَى بِهِ مِنْ رِقَّةِ الْحَالِ^(٨)

قيل لبعض الحكماء : ما بالناس نجد مَنْ يطلبُ المالَ من العلماءِ أكثرَ ممن

(١) : وبعض .

(٢) ب : يعقت على .

(٣) : يفتابونه .

(٤) ب : وولد يذمونه .

(٥) البيت في البيان والتبيين ٣/٣٤٧ .

(٦) ١ : يتسأل .

(٧) زيادة من ب .

يطلبُ العلمَ من ذوى الأموال ؟ قال : لمعرفةِ العلماءِ بمنافعِ المالِ ، وجَهْلِ ذوى
الأموالِ بمنافعِ العلمِ .

قال الشاعر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَقْرَ يُزْرِى بِأَهْلِهِ وَأَنَّ الْغِنَى فِيهِ الْمَلَأَ وَالْتَجَمَلُ

قال أحيحة بن الجلاح :

اسْتَغْنِ عَنِ كُلِّ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ إِنَّ الْغِنَى مَنِ ^(١) اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ
وَالْبَسَ عَدُوَّكَ فِي رِفْقٍ وَفِي دَعَا لِبَاسَ ذِي إِرْبَةٍ لِلدَّهْرِ كِبَاسِ

(١) ب : النى ، والبيتان في لباب الآداب ٣٥٦ والثاني منهما في حاشية البحري ٩ ، وفيها : أطوار ذى
لربة .. الخ . والإربة بالكسر : الدهاء والسكر .

بَابُ الدِّينِ

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، أرأيت إن قتلتُ في سبيل الله مقبلاً غيرَ مُذْبر ، أيكفر الله عني خطاياي ؟ قال : « نعم . إلا الدين ، بذلك أخبرني جبريلٌ » .

وعنه عليه السلام أنه قال : « صاحبُ الدينِ محبوبٌ من الجنةِ بِدينِهِ » .
وقال عليه السلام — بعد ^(١) أن فتح الله عليه وأفاء الله على المسلمين — : « من ترك مالا فلورثته ، ومن ترك ديناً فعلى » .
كان يقال : لا ثم إلا ثم الدين ، ولا وجع إلا وجع العين . وقد روى هذا القول عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه ضعيف .

قال عمرُ بن الخطاب : إياكم والدين ، فإن أوله ثم وآخره حرب .
قال جعفر بن محمد : المستدينُ تاجر الله في الأرض .
قال عمر بن عبد العزيز : الدينِ وقرطالما حملة الكرام .
قال عمرو بن العاص : من كثر صديقه كثر دينه .
قيل لمحمد بن المُسكدر : أتمحجُ عليك الدين ؟ قال : الحج أفضى للدين . يريد الدعاء فيه ، والله أعلم .

كان يقال : الدين رِقٌّ ، فليَنظُرْ أحدكم أين يضع رِقّه .
كان يقال : الأذلة أربعة : النَّمَامُ ، والكذابُ ، والفقيرُ ، والمديان .

كان يقال : حُرِّيَّةُ الْمُسْلِمِ كِرَامَتُهُ ، وَذُلُّهُ دَيْنُهُ ، وَعَذَابُهُ سُوءُ خَلْقِهِ .

كان الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب الشاعر يعامل الناس بِالْعَيْنَةِ^(١) ،
فَإِذَا حَلَّتْ دِرَاهِمُهُ رَكَبَ حِمَارًا يُقَالُ لَهُ شَارِبُ الرِّيحِ ، فَيَقِفُ عَلَى غَرْمَائِهِ
فَيَقُولُ :

بَنُو عَمَّنَا أَذُّوا الدَّرَاهِمَ إِثْمًا يَفَرِّقُ بَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الدَّرَاهِمِ^(٢)

وقال آخر :

فَمَا شَأْنُ دَيْنِي إِذْ يَحْمِلُ عَلَيْكُمْ أَرَى النَّاسَ يَقْضُونَ الدُّيُونَ وَلَا يَقْضِي
أَقْدَمَ كَانَ ذَاكَ الدَّيْنُ نَقْدًا وَبَعْضُهُ لَعَرَضٍ فَمَا أَذَيْتِ نَقْدًا وَلَا عَرَضًا
وَلَكِنَّمَا هَذَا الَّذِي كَانَ مِنْكُمْ أَمَانِي مَا لَافَتْ سَمَاءَ وَلَا أَرْضًا
فَلَوْ كُنْتُ تَنْوِينُ الْقَضَاءِ لِدَيْنِنَا لَأَنْسَأْتُ^(٣) لِي بَعْضًا وَعَجَّاتِ لِي بَعْضًا^(٤)

قال أبو عثمان المازني : سمعت معاذ بن معاذ ، وبشر بن المفضل ينشدان هذين
البيتين لمجنون بنى طامر :

طَمِعْتُ بِلَيْلِي أَنْ تَرِيحَ وَإِثْمًا تَقْطَعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِيعُ
وَدَايَنْتُ لَيْلِي فِي خَلَاءٍ وَلَمْ يَكُنْ شُهُودٌ عَلَى لَيْلِي عُدُولٌ مَقَامِيعُ^(٥)

(١) العينة : أى تعيين وقت لاستقضاء الدين .

(٢) انظر المحر والبيت في عيون الأخبار ٢٥٦/١ .

(٣) ب، م : لأنسأتكم .

(٤) محاضرات الأدباء ٢٢٩/١ .

(٥) نسب البيتان في نهاية الأرب ٢٢/٨ ، لباب الآداب ٣٢٢ ، أمالي القالي ١٦٩/١ إلى البيت المجاشعي .
وهما في محاضرات الأدباء ٩٦/١ ، والأول في حاسة البحري ٢٠٢ بغير نسبة ، وترجى : ترجع إلى سابق عهدها .

وقال آخر أنشدته ابن الزبير :

أَلَا لَيْتَ النَّهَارَ يَمُودُ كَيْلًا فَإِنَّ الصُّبْحَ يَأْتِي بِالنُّمُومِ
حَوَائِجُ مَا نَطِيقُ لَهَا قَضَاءً وَلَا دَفْعًا وَرَوَعَاتُ^(١) الْغَرِيمِ

كان يقال : الدَّيْنُ هُمٌ بِاللَّيْلِ وَذَلْ بِالنَّهَارِ ، وإذا أراد الله أن يذل عبده جعل في عنقه ديناً .

وقال آخر :

إِنَّ الْقَضَاءَ سَيَأْتِي دُونَهُ زَمَنٌ فَاطُوا الصَّحِيفَةَ وَاحْفَظْهَا مِنَ الْقَارِ^(٢)
قال كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة :

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوْفَى غَرِيمِهِ وَعِزَّةٌ مَمْطُولٌ مُعْنَى غَرِيمِهَا^(٣)
أنشدنا الصولي لسليمان بن وهب مثلاً :

مِنْ النَّاسِ إِنْسَانَانِ دَيْنِي عَلَيْهِمَا مَلِيَّانِ لَوْ شَاءَ لَقَدْ قَضَيْتَانِي
خَلِيلِي أَمَّا أَمْ عَمِرُوا فَنُفُومًا وَأَمَّا عَنِ الْآخَرَى فَلَا تَسْلَانِي^(٤)

(١) ب : روغات .

(٢) البيت لأعرابي يدعى أبا النباش العقيلي ، أخذ مالا من تاجر بالمدينة يدعى سيار بن الحكم ثم غاب عنه مدة ، وظهر أخيراً لاحقه التاجر وجماعة معه بصحيفة الدين ، فأظهر لهم استعداد له لدفعه في مكان معين بالمدينة ، فلما ساروا معه في دروبها أسرع بالفرار وأعجزهم هرباً ، انظر القصة وأبيات ثلاثة أخر في حماسة البحري ٤١٦، ٤١٧ ، عيون الأخبار ٢٥٥/١ .

(٣) ديوانه ١٧٧ ، نهاية الأرب ٧٥/٣ ، عيون الأخبار ٩٢/٤ ، التمثيل والمحاضرة ٧٢ ، الشعر والشعراء ٤٩٠ .

(٤) وفيات الأعيان ١٤٧/٢ .

باب الاقتصاد والرفق

قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ^(١) ۝ ﴾ وقال : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ^(٢) ۝ ﴾ .

فهذا أدب الله تعالى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما عال من اقتصد » .

كان يقال : ثلاث من حقائق الإيمان : الاقتصاد في الإنفاق ، والإنصاف من نفسك ، والابتداء بالسلام .

كتب بعض الصالحين إلى بعض إخوانه : كل مارده ^(٣) العقل ، وناله الفضل فجميل حسن .

قال عبدالله بن عباس : الهدى الصالح ، والسمت الحسن ، والاقتصاد ، جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب الرفق في الأمر كله » .

وقال عليه السلام : « ما كان الرفق قط في شيء إلا زانه ، ومن حرم الرفق حرم الخير » .

(١) سورة الإسراء آية ٢٩ .

(٢) سورة الفرقان آية ٦٧ .

(٣) ما أخره .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما أراد الله بأهل بيت خيراً إلا أدخل عليهم الرفق .
ولا أراد بهم شراً إلا أدخل عليهم الخُرْق^(١) » .

قال عمر بن الخطاب : لا يقل مع الإصلاح شيء ، ولا يبقى مع الفساد شيء .
قال المتلمس :

وَإِصْلَاحُ الْقَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ^(٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرفق عين ، والخرق شؤم » .
سئل بعض العلماء عن السكينة ، فقال : هي السكون عما الحركة فيه ، والمجلة
لا يحمد الله ولا يرضاها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأناة من الله ، والمجلة من الشيطان » .

لسهل بن هارون في يحيى بن خالد :

عَدُوُّ تِلَادِ الْمَالِ فِيمَا يَنْوِبُهُ مَنُوعٌ^(٣) إِذَا مَا مَنَعَهُ كَانَ أَحْزَمًا^(٤)

وقال آخر^(٥) :

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا نَجَاةٌ وَلَا تَرْكَبْ ذُلُولًا وَلَا صَعْبًا^(٦)
وقال آخر :

(١) الخرق : ضد الرفق ، وألا يحسن المرء التصرف في الأمور .

(٢) ديوانه ١٦٨ ، نهاية الأرب ٦١/٣ . العقد الفريد ١٤٠/٣ .

(٣) ساقط في ب ، وانظر البيت في البيان والبيان ٣٠١/٣ .

(٤) ساقط من ب .

(٥) البيت لأبي عينية المهدي ، انظر التمثيل والمعامرة ٤٢٩ . البيان ٢٥٤/١ ، فصل المقال ٢٠٤ .

لَا تَذْهَبَنَّ فِي الْأُمُورِ فَرَطًا لَا تَسْأَلَنَّ إِنْ سَأَلْتَ شَطَطًا
وَكُنْ^(١) مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا وَسَطًا

قال أعرابي للحسن : يا أبا سعيد ! علمني ديناً وسوطاً لا ذاهباً فروطاً ، ولا ساقطاً
سقوطاً . قال له الحسن : أحسنت^(٢) ، خير الأمور أوسطها .

قال محمود الوراق :

إِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ خَيْرَ مَعْوَلٍ^(٣) فِي النَّائِبَاتِ لِمَنْ أَرَادَ مَعْوَلًا
وَرَأَيْتُ أَسْبَابَ الْقُنُوعِ مَنُوطَةً بِعُرَى الْغِنَى فَجَعَلَتْهَا لِي مَعْمَلًا
فَإِذَا نَبَأَ بِي مَنَزِلٌ لَا يُرْتَضَى جَاوَزْتُهُ وَاخْتَرْتُ عَنْهُ مَنَزَلًا
وَإِذَا غَلَا شَيْءٌ عَلَى تَرْكِيهِ فَيَكُونُ أَرْخَصَ مَا يَكُونُ إِذَا غَلَا^(٤)

لبعض المتأخرين من البخلاء يوصي ابنه :

إِذَا مَا كُنْتَ فِي بَلَدٍ غَرِيبًا وَخِفْتَ مِنْ أَنْ تَبُوءَ بِغَيْرِ مَالٍ
فَلَا تَبْسُطْ يَدَيْكَ وَكُلْ قَلِيلًا يَفُوتُكَ كُلُّ يَوْمٍ فِي اعْتِدَالٍ
وَذُبَّ عَنْ الدَّرَاهِمِ كُلِّ حِينٍ وَكَثَرَهَا وَقَلِّلْ فِي الْعِيَالِ
وَقُلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ تَشْتَهِيهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ هَذَا الشَّيْءُ غَالٍ
فَتَرَكُ الْمَالَ لِلْأَعْدَاءِ خَيْرٌ لِرَبِّ الْمَالِ مِنْ ذَلِكَ السُّؤَالِ

(١) ب : تكن . والأبيات في البيان ٢٥٤/١ .

(٢) ب : حسبت .

(٣) ١ : مغبة .

(٤) الأبيات في نهاية الأرب ٨٥/٣ ، معاضرات الأدباء ٢٢٥/١ ، المستطرف ١٢١/١ ، ٧٩/٢ .

روينا عن نصر بن علي الجهضمي ، قال : دخلت على أمير المؤمنين المتوكل ، فإذا هو يمدح الرقيق فأطنب ، فقلت : يا أمير المؤمنين أنشدني الأصمعي في الرقيق . فقال هاته يا نصر ، فقلت :

لَمْ أَرِ مِثْلَ الرَّقِيقِ فِي لَيْنِهِ أَخْرَجَ لِلْعَذْرَاءِ مِنْ خِذْرِهَا
مَنْ يَسْتَعِينُ بِالرَّقِيقِ فِي أَمْرِهِ قَدْ يُخْرِجُ الْحَيَّةَ مِنْ جُحْرِهَا

قال سابق :

إِنَّ التَّرَفُّقَ لِلْمُقِيمِ مُوَافِقٌ وَإِذَا يُسَافِرُ فَالتَّرَفُّقُ أَوْفَقُ
لَوْ سَارَ أَلْفُ مُدَجِّجٍ فِي حَاجَةٍ لَمْ يَلْقَهَا إِلَّا الَّذِي يَتَرَفَّقُ^(١)

(١) ورد البيتان في معجم الأدباء ٨/١٢ منسوبين إلى صالح بن عبد القدوس ، من قصيدته الشهيرة :
المرء يجمع الزمان يفرق ويظل يرفع والخطوب تمزق
وقد سبقت في كتابنا بعض أبيات منها انظر ص ١٣٨

باب السَّفَرِ وَالْإِغْتِرَابِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السفرُ قطعةٌ من العذاب ، فإذا قضى أحدكم نَهْمَتَهُ^(١) من سفره فليعجلْ الرجوعَ إلى أهله » ، وزاد بعضهم في هذا الحديث « السفر قطعة من العذاب ، فاقطعوه بالدُّلْجَةِ^(٢) » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : تَلَقَّوْا الْحَاجَّ وَلَا تَشِيعُوهُ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سافروا تصيِّحُوا وتغنموا » .

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « ما مات ميت بأرض غربةٍ إلا قيس له من مَسَقَطِ رأسه إلى مُنْقَطَعِ أثره في الجنة » .

ومن حديث ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « موتُ الزَّيْبِ شَهَادَةٌ » .

ومن حديث أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « مَنْ مَاتَ غَرِيبًا مَاتَ شَهِيدًا » .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْعِبَادُ عِبَادُ اللَّهِ ، وَالْبِلَادُ بِلَادُ اللَّهِ ، فَأَيْنَمَا وَجَدْتَ الْخَيْرَ فَأَقِمِ وَاتَّقِ اللَّهَ » .

وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه — ومنهم من يرفعه — قال : من سيادة

(١) النَهْمَةُ : الحاجة وبلوغ الهمة والشهوة في الشيء .

(٢) الدُّلْجَةُ : السير من أول الليل .

المرء أن تكون زوجته موافقة ، وأولاده أبراراً ، وإخوانه صالحين ، ورزقه في بلده الذي فيه أهله .

مكتوبٌ في التوراة : ابن آدم ! أَخْدِثْ سَفَرًا أَخْدِثْ لَكَ رِزْقًا .
قالت العربُ : من أَجْدَبَ اتَّجَعَ ^(١) .

قيل لأعرابيٍّ . أين منزلك ؟ قال : بحيث ينزل الغيث .

من أمثال العامة : البركات مع الحركات .

وقالوا : ربما أسفر السَّفر عن الظَّفر .

قال البحتري :

وَإِذَا الزَّمَانُ كَسَاكَ حُلَّةً مُعْدِمٌ قَالَبَسَ لَهَا حُلَّالَ النَّوَى وَتَغَرَّبَ ^(٢)

وقال زهير :

وَمَنْ يَغْتَرِبُ يَحْسَبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرِمُ ^(٣)

وقال الأعشى :

وَمَنْ يَغْتَرِبُ عَنْ قَوْمِهِ لَا يَزَلْ يَرَى مَصَارِعَ مَظْلُومٍ حَجْرًا وَمَسْجَبًا
وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسَى يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارُ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا ^(٤)

(١) الانتجاع : طلب الكلاء في موضعه .

(٢) ديوانه ٢٠/١ .

(٣) شرح ديوانه ٥٠ ، حماسة البحتري ٢٤٨ ، التمثيل والمحاضرة ٤٦ .

(٤) وردت الأبيات بهذه الرواية في عيون الأخبار ٩١/٣ محاضرات الأدباء ٢٧٢/٢ ، نهاية الأوب ٦٦/٢ ،

التمثيل والمحاضرة حماسة البحتري ١٥٤ ، ١٥٥ ووردت في ديوانه ١١٣ برواية أخرى هي :

متى يغترِبُ عن قومه لا يجد له على من رهط حواليه مفضبا

ويحطم بظلم لا يزال يرى له مصارع مظلوم حجراً ومسجبا

وتدعن ... الخ

وحجراً ومسجبا : مصدران ميميان من الجروالسحب ، وكبكب : جبل خلف عرفات مشرف عليها .

وقال آخر:

إِنَّ الْغَرِيبَ بِأَرْضٍ لَا عَشِيرَةَ بِهَا كَبَائِعَ الرِّيحِ لَا يُعْطَى بِهِ ثَمَنًا

وقال سابق:

لَا أَفِيْنَكَ ثَاوِيًا فِي غُرْبَةٍ إِنَّ الْغَرِيبَ بِكُلِّ سَهْمٍ يُرْشَقُ^(١)

وقال آخر:

فَلَمْ أَرْ عِزَّ الْمَرْءِ إِلَّا عَشِيرَةً وَلَمْ أَرْ ذُلًّا مِثْلَ نَأْيٍ عَنِ الْأَهْلِ^(٢)

وقال آخر:

إِنِّي الْغَرِيبُ فَمَا أَلَامُ عَلَى الْبُكَاءِ إِنَّ الْبُكَاءَ حَسَنٌ بِكُلِّ غَرِيبٍ

وقال آخر:

يُحَازِي بِالَّذِي تَجِدُ الْقُلُوبُ وَيَأْنَسُ بِابْنِ بَلَدَتِهِ الْغَرِيبُ

وَصَادَفَنِي غَرِيبٌ فَالْتَقَيْنَا وَكُلُّ مُسَاعِدٍ فَهُوَ الْقَرِيبُ

وقال آخر:

تَقَرَّبْتُ عَنْ أَهْلِي أَوْ مِلٍّ ثَرْوَةً فَلَمْ أُعْطَ آمَالِي وَطَالَ التَّغَرُّبُ

فَمَا لَلْفَتَى الْمُحْتَالِ فِي الرِّزْقِ حَيَاةٌ وَلَا لَلْجُدُودِ جَدَّهَا اللَّهُ مَذْهَبُ

وقال كعب بن زهير:

فَقَرَّيْ فِي بِلَادِكَ إِنْ قَوْمًا مَتَى يَدْعُوا بِلَادَهُمْ يَهْوُونَا^(٣)

(١) البيت لصالح بن عبدالقدوس من قصيدته المشهورة التي صرحت الإشارة إليها ، انظر معجم الأدباء ١٢/٨٠

(٢) يروي الشطر الأول : فلم أر عزا لامرئ كعشيرة ، انظر محاضرات الأدباء ٢/٢٧٣ ، البيان ١/٢٤٦

الكامل ١/١٨٤ وهو لمحمود الوراق ، وقد سبق مع أبيات أخرى في ص ٢٠٣

(٣) ديوانه ٢١٧ .

وقال آخر :

لَيْسَ ارْتِمَاؤُكَ تَزْدَادُ الْغِنَى سَفَرًا بَلِ الْمَقَامُ عَلَى خَسْفٍ هُوَ السَّفَرُ^(١)
قالوا : ترك الوطن أحد اليسارين^(٢) .

قال الشاعر :

وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا رِحْلَةٌ غَيْرَ أَنَّهَا مِنَ الْمَنْزِلِ الْقَانِي إِلَى الْمَنْزِلِ الْبَاقِي^(٣)
وقال آخر :

لَقُرْبُ الدَّارِ فِي الْإِقْتَارِ^(٤) خَيْرٌ مِنَ الْعَيْشِ الْمَوْسِعِ فِي اغْتِرَابٍ^(٥)
وقال آخر :

وَمَهْمَهُ فِيهَا السَّرَابُ يَسْبِغُ يَذَابُ فِيهِ الْقَوْمُ حِينَ يُصْبِغُ
كَأَنَّمَا ثَوَوْا بِحَيْثُ أَصْبَحُوا اللَّيْلُ أَخْفَى وَالنَّهَارُ أَفْضَحُ^(٦)

قالوا : إذا كنت في غير بلدك ، فلا تنس نصيبك من الدل .

وأنشدوا :

إِنَّ الْغَرِيبَ لَهُ اسْتِكَانَةٌ مُذْنِبٌ وَخُضُوعٌ مِثْلُ مِثْيَانٍ وَذُلٌّ مُرِيبٌ

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٠٠ ، وفيات الأعيان ٤٣٩/٥ . والحسب : الإذلال ، وأن يحمل الإنسان على ما يكره .

(٢) ب : التسابق .

(٣) البيت لأبي العتاهية ، ديوانه ١٧٤ ، وورد في التمثيل والمحاضرة ٤٠٦ بغير نسبة .

(٤) ١ : الإنسان .

(٥) التمثيل والمحاضرة ٤٠١ بدون نسبة .

(٦) زيادة في ب ، ولم أعثر إلا على الشطر الأخير في البها ١٦٤/٢ ، وقبلة : لك يا ابن جعفر لا تفلح ... الليل أخفى .. الخ

وقال آخر :

إِذَا كُنْتُ فِي قَوْمٍ عِدًّا^(١) لَسْتُ مِنْهُمْ فَكُلُّ مَا عُلِفَتْ مِنْ خَبِيثٍ وَطَيْبٍ

وقال آخر :

إِنَّ الْغَرِيبَ وَإِنْ أَقَامَ بِبِلَدٍ يُهْدَى إِلَيْهِ خَرَّاجُهَا لَغَرِيبٌ

وقال آخر :

غَرِيبٌ يُقَاسَى الْهَمُّ فِي أَرْضٍ غُرْبَةً قِيَارَبٌ قَرَّبُ دَارِ كُلِّ غَرِيبٍ

قالوا: الغريب كنرس ذابل ماتت أرضه ، وقد شربه^(٢).

قال النمر بن تولب :

إِذَا كُنْتُ فِي سَعْدٍ وَأُمْتُكَ مِنْهُمْ غَرِيبًا فَلَا يَغُرُّكَ خَالُكَ مِنْ سَعْدٍ
فَإِنَّ ابْنَ أُخْتِ الْقَوْمِ مُصْنَى^(٣) إِنْ أَوَّهَ إِذَا لَمْ يُزَاجِمْ خَالَهُ بِأَبْرِ جَلْدٍ

قالت العرب : ليس بينك وبين يلد نسب ، خير البلاد ما حملك .

^(٤) وقال آخر :

لَيْسَ الْفَتَى بِفَتَى لَا يُسْتَضَاءُ بِهِ وَلَا يَكُونُ لَهُ فِي الْأَرْضِ آثَارٌ^(٥)

(١) العدا : المتباعدون أو الغرباء ، واستعمل الجمع مكان المفرد لضرورة الشعر ، وقد نسب البيت في البيان ٢٢٣/٢ إلى خالد بن نضلة الأسدي ، ونسب في الكامل ٢٨٤/١ إلى أعرابي من بني سعد يدعى خاوص ، وورد في معاضرات الأدباء ٢٧٣/٢ ، عيون الأخبار ٢٩٢/١ ، حسنة أبي تمام ١٤١/١ بغير نسبة .
(٢) زيادة في ب .

(٣) مصفى إناؤه : منقوس حقه ، وقد نسب البيتان في معاضرات الأدباء ١٧٧/١ ، الحاسة لأبي تمام ٢٠٦/١ إلى غسان بن وعل ، ووردت منسوبة للنمر في عيون الأخبار ٨٩/٣ ، الشعر والقصائد ٢٦٩ .

(٤) ساقط من أ . وانظره في الشعر والشعراء ٣٣ .

وقال آخر :

سَلِّ اللَّهُ الْإِيَابَ مِنَ الْمَغِيبِ فَكَمْ قَدْ رَدَّ مِثْلَكَ مِنْ غَرِيبٍ
وَسَلِّ اللَّهُ عَنْكَ بِحُسْنِ ظَنٍّ وَلَا تَيَأْسُ مِنَ الْفَرَجِ الْقَرِيبِ
قال بعض العقلاء : أعرف بيتاً قد يتت أكثر من مائة ألف رجل في المساجد ،

وفي غير أوطانهم ، وهو :

فَسِرْ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَالْتَمِسِ الْغِنَى تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتْ فُتُمَذَّرَا^(١)
قال خالد بن صفوان : في السفر ثلاثة معان : الأول الغرم ، الثاني القدرة ،
والثالث الرحيل .

كان يقال : فقد الأحبة غربة .

قال الشاعر :

إِذَا مَاضَى الْقَرْنُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِمْ وَخُلِّفْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ عَرِيبٌ^(٢)

وقال ليبد بن ربيعة :

لَعَمْرُكَ مَا يُدْرِيكَ إِلَّا تَظَنِّيًّا^(٣) إِذَا رَحَلَ السَّفَارُ مَنْ هُوَ رَاجِعُ
لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الطَّوَارِقُ بِالْحَصَى وَلَا زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ

وقال علي بن الجهم :

يَا رَحِمَتَا لِلْغَرِيبِ فِي الْبَلَدِ النَّأْيُ زَيْجٌ مَآذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا

(١) البيت لعروة بن الورد ، ديوانه ١٩ ، وقد نسب في الأغاني ٧٨/١٩ إلى أبي عطاء السندی ، ونسب في لباب الآداب ٢٧ إلى النابغة ، وورد في عيون الأخبار ٢٤٣/١ بغير نسبة .

(٢) البيت لأبي محمد التيمي ، الظر البيان ١٨٩/٣ ، محاضرات الأدباء ١٤٩/٢ ، الأغاني ١٨/١١٩ ، زهر الآداب ٢٢٩/٣ .

(٣) ب : تطبعا ، والبيتان في ديوانه ١٠٢ ، الشعر والشعراء ٢٣٧ ، المستطرف ١٠٤/٢ .

حَقَّارَقَ أَحْبَابَهُ فَآثَنَفَمُوا بِالْعَبَسِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا انْتَفَعَ
يَقُولُ فِي نَأْيِهِ وَغُرْبَتِهِ عَدْلٌ مِنَ اللَّهِ كُلُّهُ مَا صَنَعَا^(١)

أراد أعرابي السفر فقال لامرأته — وقيل إنه الخطيئة —

عُدِّي السَّيْنِ لِعَيْبَتِي وَتَصَبَّرِي وَذَرِي الشُّهُورَ فَأَيُّهُنَّ قِصَارُ

فأجابته^(٢) :

اِذْكُرْ صَبَابَتَنَا إِلَيْكَ وَشَوْقَنَا وَارْحَمْ بَنَاتِكَ إِنَّهُنَّ صِنَارُ^(٣)

فأقام وترك سفره .

قال امرؤ القيس :

وَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمةِ بِالْإِيَابِ^(٤)

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

طَرِبْتَ إِلَى الْأَصْيَدِيَّةِ الصَّنَارِ وَهَاجَكَ مِنْهُمْ قُرْبُ الْمَزَارِ

وَكُلُّ مُسَافِرٍ يَزْدَادُ شَوْقًا إِذَا دَنَّتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ^(٥)

وقال جرير :

وَلَمَّا اتَّقَى الْحَيَانَ أَلْقَيْتِ الْعَصَا وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ^(٦)

(١) الأبيات في ديوانه ٧٧ ، الأغاني ١١٢/٩ ، وفيات الأعيان ٤١/٣ ، الخنار من شعر بشار (البيتان الأول والثاني) ٢٥١ ، محاضرات الأدباء ٢٧٣/٢ ، ولسبها هناك إلى القاسم بن عبيد الله .

(٢) ساقط من أ .

(٣) البيتان في المستطرف ٥٣/١ ، عيون الأخبار ١٤١/١ .

(٤) زيادة من ب ، و يروى ، وقد نقتب . ديوانه ١٢ ، السكامل ٢٢٥/١ ، محاضرات الأدباء ٢٧٥/٢ .

(٥) معجم الأدباء ٢٥/٦ ، الأمل ٥٥/١ ، وفيه : وأبرح ما يكون الشوق يوما . مكان الشطر الثالث .

عيون الأخبار ١٤١/١ .

(٦) ديوانه ٤٧٨ .

وقال آخر :

مُرِرْتُ بِجَعْفَرٍ وَالْقُرْبِ مِنْهُ كَمَا مُرَّ الْمَسَافِرُ بِالْإِيَابِ
وَكُنْتُ بِقُرْبِهِ إِذْ حَلَّ أَرْضِي أَمِيرًا بِالسَّكِينَةِ وَالصَّوَابِ
كَمْ طُورٍ بِبِلَادِهِ فَأَضْحَى غَنِيًّا عَنْ مُطَالَبَةِ السَّحَابِ^(١)

وقال آخر ، وحكى صاحب البيان أنه لمضرس الأسدي^(٢) :

مُقِلُّ رَأْيِ الْإِقْلَالِ عَارًا فَلَمْ يَزَلْ يَجُوبُ بِلَادَ اللَّهِ حَتَّى تَمُوتَ
إِذَا جَابَ أَرْضًا أَوْ ظَلَامًا رَمَتْ بِهِ مَهَامَهُ أُخْرَى عَيْنُهُ مُتَقَلِّلاً
وَلَمْ يَثْنِهِ عَمَّا أَرَادَ مَهَابَةً وَلَكِنْ مَضَى قُدَمَا وَمَا كَانَ مُبْسَلًا
فَلَمَّا أَفَادَ الْمَالَ جَادَ بِفَضْلِهِ لَمَنْ جَاءَهُ يَرْجُو نَدَاهُ مُؤَمَّلًا^(٣)

وقال آخر ، وهو الأحرر بن سالم المزني :

فَالْتَمَعْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرُ^(٤)

وقال آخر :

إِذَا نَحْنُ أَبْنَاءُ سَامِيْنَ بِأَنْفُسِ كِرَامٍ رَجَتْ أَمْرًا فَخَابَ رَجَاؤُهَا
فَأَنْفُسُنَا خَيْرُ الْغَنِيمَةِ إِنَّهَا تَوْبُ وَفِيهَا مَاؤُهَا وَحَيَاؤُهَا^(٥)

(١) نسبت الأبيات في التمثيل والمحاضرة ٢٣٩ لأبي عينة المهلب ، وفي زهر الآداب ١٩٢/٣ لابن المولى واطلها في عيون الأخبار ١٤١/١ بدون نسبة .

(٢) ساقط من ب .

(٣) البيان ٣٨/٣ ، ونسبت في المحاضرات ٢٨٤/١ لابن الإطنابة .

(٤) التمثيل والمحاضرة ٢٩٦ غير منسوب لقائل ، ونسب في المؤلفات ٩٢ لمقر بن حماد البارقى وفي المختار من شعر بشار ٢٢٠ نسب للأحرر بن سالم المرادي ، وفي نهاية الأرب ٥٩/٥ تردد في نسبته بين مقر بن حماد ، والطرماح بن حكيم ، ونسب في معاضرات الراغب ٢٧٥/٢ لأبي عينة المربلي .

(٥) نسب البيتان في السكامل ٢٥٢/١ الشعر والشعراء ٨٤٩ إلى عبد الله بن محمد بن أبي هينة ، ووردا في عيون الأخبار ١٤١/١ من غير نسبة .

وقال آخر :

رَجَعْنَا سَالِمِينَ كَمَا بَدَأْنَا وَمَا خَابَتْ غَنِيمَةُ سَالِمِينَا
وَمَا تَذَرِينَ أَيْ الْأَمْرِ خَيْرٌ أَمَّا نَهْوِينَ أَمْ مَا تَسْكُرْهِنَا^(١)

قال عوف بن محم^(٢) : عادت عبد الله بن طاهر إلى خراسان ، فدخلنا الرمي في
السحر فإذا قرية تغرد على فنين شجرة ، فقال عبد الله : أحسن والله أبو كبير^(٣)
في قوله :

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ إِنْكَ حَاضِرٌ وَغُصْنُكَ مَيَّادُ فَنِيمِ تَنُوحِ^(٤)

ثم قال : يا عوف ! أجزها . فقلت : شيخ كبير ، ومحت على البديهة ، وهي
معارضة أبي كبير^(٥) ، ثم انفتح لي شيء ، فقلت :

أَفِي كُلِّ عَامٍ غُرْبَةٌ وَتُزُوحُ أَمَّا لِلنَّوَى مِنْ وَنِيسَةٍ فَتُرِيحُ
لَقَدْ طَلَعَ الْبَيْنُ الْمُسْتَرْكَايُ قَتْلُ أَرَيْنَ الْبَيْنَ وَهَوَ طَلِيحُ
وَأَرَقْنِي بِالرَّيِّ نَوْحُ حَمَامَةٍ فَنُحْتُ وَذُو الشَّجَرِ الْقَرِيحُ يَنُوحُ
عَلَى أَنَّهَا نَاحَتْ وَلَمْ تَذُرْ عَبْرَةً وَنُحْتُ وَأَسْرَابُ الدُّمُوعِ سَفُوحُ
وَنَاحَتْ وَفَرَّخَاهَا بِجَيْتٍ تَرَاهُمَا وَمِنْ دُونِ أَفْرَاحِي مَهَامِهِ فَيَحُ^(٦)

(١) عيون الأخبار ١/١٤٢ ، البيان ٢/٢٨٨ .

(٢) الخزاعي بالولاء أبو النهال ، أحد الأدباء العلماء الرواة ، من موالى بني أمية أو شيان ، انتقل إلى العراق
فاختصه طاهر بن الحسين لمناذمته ، فبقى معه ثلاثين سنة ، وللمامات قربه ابنه عبد الله وجعل له منزله عند أبيه ،
توفي سنة ٢٢٠ هـ . ترجمته في فوات الوفيات ٢/١١٨ ، إرشاد الأريب ٦/٩٥ (الأعلام ٥/٢٧٨) .
(٣) ب : أبو كبير . وهو تصحيف ، وأبو كبير هو عامر بن الحليس الهذلي ، شاعر فحل ، قيل أحرك الاسلام
- وأسلم ، انظر الشعر والشعراء ١٥٧ ، وإرشاد الأريب ٤/٢٢٦ (الأعلام ٤/١٧) ، وانظر البيت في ديوان
الهذليين ١/٩٨ .

(٤) الأبيات في نهاية الأرب ٢/٣٦٤ ، معجم الأدباء ١٤/١٤٢ ، المعجم المبريد ٥/٤١٤ ، الأمل ١/١٢٢ .

وذكر تمام الخبر .

كان يقال : من لم يرزق ببلدة فليتحول إلى أخرى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأرض أرض الله . والعباد عباد الله ،
فحيث وجد أحدكم رزقه ، فليتيق الله وليقيم .

قال عبد الله بن أبي الشيص :

أظنُّ^(١) الدهرَ قد آلاَ فبراً بالأُ يكسبُ الأموالَ حرّاً
لقدَ قعدَ الزمانُ بكلِّ حرٍّ وتَنصَحُ مِن قِوَاهُ المُشِيرَا
كَأَنَّ صَفَائِحَ الأحرارِ أُرِدَتْ أَبَاهُ فحَارَبَ الأحرارَ طرَا
فأَصْبَحَ كُلُّ ذِي شَرَفٍ رَكُوبًا لِأُثْنَايِ الدُّجَى بَرًّا وَبَحْرَا
فَهَئِذَاكَ جَيْبَ دِرْعِ اللَّيْلِ عَنْهُ إِذَا مَا جَيْبُ دِرْعِ اللَّيْلِ زُرَا
يُرَاقِبُ لِلْغَى وَجْهًا ذَعُوكَا وَوَجْهًا لِلْمَنِيَّةِ مُكْفِيرَا
فَيَكْسِبُ مِن أَقَامِي الأَرْضِ كَسْبَا يَحْمِلُ بِهِ المَعْلَ الشَّمْعَا
وَمَنْ جَعَلَ الظَّلَامَ لَهُ قَمُودَا أَضَاءَ لَهُ الدُّجَى خَيْرًا وَشَرًّا^(٢)
وقال آخر :

لَا تَصْحَبَنَّ رَفِيقًا لَسْتَ تَأْمَنُهُ شَرُّ الرِّفِيقِ رَفِيقٌ غَيْرُ مَأْمُونٍ
أَنشد نبطويه :

خَاطِرُ بِنَفْسِكَ لَا تَقْصِدُ بِمُجَرَّةٍ فَلَيْسَ حُرٌّ عَلَى عَجْرِ بِمَذُورٍ

(١) ب : أرى .

(٢) انظر محاضرات الأدباء ، ٢٤٥/١ ، عيون الأخبار ، ١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

إِنْ لَمْ تَنْلِ فِي مَقَامٍ مَا تَطَالِبُهُ فَأَبْلِ عُدْرًا بِلَدْلَاجٍ وَشَهْجِيرٍ
لَنْ يَبْلُغَ الْمَرْءُ بِالْإِحْجَامِ هِمَّتَهُ حَتَّى يُبَاشِرَهَا مِنْهُ بِتَغْيِيرٍ^(١)

قالت بنت الأعشى :

أَرَانَا إِذَا أَضْمَرْتِكَ الْبِلَا دُنْجَفَى وَتَقَطَّعَ مِنَّا الرَّحِمَ
إِذَا غَبَّتَ عَنَّا وَخَلَّفَتْنَا فَإِنَّا سَوَاءٌ وَمَنْ قَدْ يَتِمُّ^(٢)

وقال آخر :

وَقَالَتْ وَعَيْنَاهَا تَفِيضَانِ عَبْرَةً أَيَا أَمَلِي خَبَّرَ مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ
فَقُلْتُ لَهَا تَاللهِ يَذْرَى مُسَافِرُهُ إِذَا أَضْمَرْتُهُ الْأَرْضُ مَا اللهُ صَانِعُ^(٣)

وقال آخر :

حَتَّى مَتَى أَنَا فِي حِلٍّ وَتَرْحَالٍ وَطُولِ سَعْيٍ وَإِدْبَارٍ وَإِقْبَالٍ
وَنَازِحِ الدَّارِ لَا أَنْفَكَ مُغْتَرِبًا عَنِ الْأَحِبَّةِ لَا يَذْرُونَ مَا حَالِي
بِمَشْرِقِ الْأَرْضِ طَوْرًا ثُمَّ مَغْرِبًا لَا يَخْطُرُ الْمَوْتُ مِنْ حِرْصِي عَلَى بَالِي
وَلَوْ قَنِعْتُ أَتَانِي الرِّزْقُ فِي دَعَا إِنَّ الْقَنُوعَ الْغِنَى لَا كَثْرَةُ الْمَالِ^(٤)

(١) الأبيات في الأمالي ٢/٣٠٤ ، وفيها : بتغير مكان بتغير .

(٢) ورد البيتان في معجم الأدباء ٧/١١٣ ، القند الفرید ٢/٢٠١ ، هكذا :

نقول ابني يوم جد الرحيل أَرَانَا سَوَاءٌ وَمَنْ قَدْ يَتِمُّ
أَبَانَا إِذَا أَضْمَرْتِكَ الْبِلَا دُنْجَفَى وَتَقَطَّعَ مِنَّا الرَّحِمَ

واظن محاضرات الأدباء ١/٢٥٧ .

(٣) البيتان للسكيت بن زيد الأسدي ، اظن المؤلف والمختلف ١٧٠ .

(٤) الأبيات لكتلثوم بن عمرو الغنوي كما في القند الفرید ٣/٢٠٨ و ٢٠٩ ، وفيه الشطر الثاني من البيت

الأول : وطول شغل يدبار وإقبال .

أُنشد الأصمى لحاجب الفيل يشكرى :

لَمَّا رَأَتْ ابْنِي بِأَنِّي مُزْمَعٌ يَتَرَحَّلُ مِنْ أَرْضِهَا فَمُودِعٌ
وَرَأَتْ رِكَابِي قُرْبَتِ لِرَحَالِهَا قَالَتْ وَغَرِبُ الْعَيْنِ مِنْهَا يَدْمَعٌ
أَبْنَا أَتَرَكْنَا وَتَذَهَبُ تَائِهًا فِي الْأَرْضِ تَخْفِضُكَ الْبِلَادُ وَتَرْفَعُ
فَيُضِيعُ صَبِيَّتَكَ الَّذِينَ تَرَكْتَهُمْ بِمُضِيْمَةٍ فِي الْمَصْرِ لَمْ يَتَرَعَّرُوا
فِيهِمْ صَغِيرٌ لَيْسَ يَنْفَعُ نَفْسَهُ وَصَغِيرَةٌ تَبْكِي وَطِفْلٌ يَرْضَعُ
إِنَّا سَرَضَى مَا أَقَمْتَ بِمَبْشَرِنَا مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ نَجُوعٌ وَنَشْبَعُ
وَاللَّهُ يَرْزُقُنَا فَارْضَى رِزْقَهُ وَكَفَى^(١) الْيُسْنِ مَعِيشَةً مَنْ يَقْنَعُ
إِنَّا إِذَا مَا غِبْتَ عَنَّا لَمْ نَجِدْ مِمَّا تَخْلَفَ عِنْدَنَا مَا يَنْفَعُ
تَجْفُو مَوَالِينَا وَيَعْرِضُ جَارُنَا وَقَرِيبُنَا الْأَدْنَى يَمِزُ وَيَقْطَعُ
وَتَخَافُ أَنْ تَلْقَاكَ وَشُكُّ مَنِيَّةِ فَيُصِيبُنَا الْأَمْرُ الْجَلِيلُ الْمُفْطَعُ
فَنَصِيرَ بَعْدَكَ لَيْسَ يُرْفَعُ يَتَنَا وَيَذِلُّنَا أَعْدَاؤُنَا وَنُضِيعُ
هَذَا الرَّحِيلُ وَأَمْرُنَا مَا قَدْ تَرَى قَمَتِي تَوُوبُ إِلَى الصُّغَارِ وَرَجِيعُ
فَخَنِقْتُ مِنْ قَوْلِ الصُّغَارِ بَعْرَةً كَادَ الْفَوَادُ لِقَوْلِهِمْ يَتَصَدَّعُ
وَأَجَبْتُهُمْ صَبْرًا مُبَيَّنَةً^(٢) وَأَعْلَمِي أَنْ لَيْسَ يَعْدُو يَوْمَهُ مَنْ يَجْزَعُ

وقال المزال :

(١) : وفى .

(٢) ب : صبرا ابني ، ا : بنى صبرا ، ولا يستقيم مع كايهما الوزن ، وما أبتناه ألب إلى رواية ب .

وَكَمْ ظَالِمٍ قَدْ ظَنَّ أَنَّ لَيْسَ آيِبًا قَابَ وَأَوْدَى حَاضِرُونَ كَثِيرُ
وَإِنَّ الَّذِي أَعْظَمْتَهُ مِنْ تَعَرُّبِي عَلَى - وَإِنْ أَعْظَمْتَ ذَاكَ - يَسِيرُ
رَأَيْتُ الْمَنِيَا يُدْرِكُ الْعَصَمَ عَدُوَهَا فَيَنْزِلُهَا وَالطَّيْرُ مِنْهُ تَطِيرُ
وَعَلَى أَمْضَى^(١) ثُمَّ أَرْجِعُ سَالِمًا وَيَهْلِكُ بَعْدِي آمِنُونَ حُضُورُ
جَعَلْتُ أَرْجِيهَا إِيَّابِي وَمَنْ غَدَا عَلَى مِثْلِ حَالِي لَا يَكَادُ يَحُورُ
وَكَيْفَ أَبَالِي وَالزَّمَانُ قَدْ انْقَضَى وَعَظْمِي مَهِيضٌ وَالْمَكَانُ شَطِيرُ
وَلِيَّيْ وَإِنْ أَظْهَرْتُ مِنِّي تَجَلُّدًا ^(٢)لَذَوِ كَبِيدٍ حَرَّى عَلَيْكَ حَسِيرُ^(٣)

وقال آخر :

يُقِيمُ الرِّجَالُ الْأَغْنِيَاءَ بِأَرْضِهِمْ وَتَرْبِي النَّوَى بِالْمُقْتَرِينَ الْمَرَامِيَا
فَأَكْرَمَ أَخَاكَ الدَّهْرَ مَا دُمْتُ مِمَّا كَفَى بِالْمَمَاتِ فُرْقَةً وَتَنَائِيَا^(٤)
وقال الراجز^(٥) :

إِنَّ فِرَاحًا كَفِرَاحِ الْأَوْكُرِ بِأَرْضِ بَغْدَادَ وَرَاءَ الْأَجْسُرِ
تَرَكَتُهُمْ كَبِيرُهُمْ كَالْأَصْغَرِ عَجْزًا عَنِ الْحِيلَةِ وَالتَّشْمُرِ
ذِكْرِي لَدَيْهِمْ مِثْلُ طَعْمِ الشُّكْرِ وَوَجْدُهُمْ بِي مِثْلُ وَجْدِ الْأَعُورِ
بَعَيْنِهِ إِذْ ذَهَبَتْ لَمْ يُبْصِرِ^(٥)

(١) : على سَأْمَضِي .

(٢) : ساقط في ب .

(٣) : انظر البيتين في معجم الأدباء ١٠/١٣٧ ، وفيه : .. الرجال الموسرون .. الخ .

(٤) : ب : آخر .

(٥) : ورد الشطران السادس والسابع فقط في التمثيل والمحاضرة ٣٢٣ .

التشمر : الاكتساب ، شمرت لأهلى : أى اكتسبت لهم ، وتشمر الشجر إذا أورق .

قال أبو الفتح البستي :

لَيْنٌ تَنَقَّلْتُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ وَصِرْتُ بَعْدَ نَوَاءِ رَهْنِ أَسْفَارِ
فَالْحَرُّ حُرٌّ عَزِيزُ النَّفْسِ حَيْثُ نَوَى وَالشَّمْسُ فِي كُلِّ بُرْجٍ ذَاتُ أُنْوَارِ^(١)
وقال غيره :

كَفَى حَزَنًا أَنِّي مُقِيمٌ بِلَدَةٍ وَأَنْتِ بَأْخَرَى مَا إِلَيْكَ سَبِيلُ
خرج الشافعي الفقيه رضى الله عنه في بعض أسفاره ، فضمه الليل إلى مسجد ، فبات فيه ، وإذا في المسجد قوم عوام يتحدثون بضروب من الخنا وهجر المنطق ، فتمثل :

وَأَنْزَلَنِي طَوْلُ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ إِذَا شِئْتُ لَأَقِيتُ امْرَأَةً لَا أَشَاكِلُهُ^(٢)
قال شريك : كان يقال : إن أنجى الناس من البلاء والبلى ، من اتقل من بلد إلى بلد .

قيل لبعضهم : أى سفر أطول ؟ فقال : من كان في طلب صاحب يرضاه ، أودرهم حلال يكسبه .
قال حاتم الطائي :

إِذَا لَزِمَ النَّاسُ الْبُيُوتَ وَجَدْتَهُمْ عُمَاءَ عَنِ الْأَخْبَارِ خُرْقَ الْمَكَايِبِ^(٣)

(١) التمثيل والمحاضرة ٢٢٩ ، إتيمة الدهر ٢٢٤/٤ .

(٢) البيت للمعيطي (عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي) ، النظر البيان والتبيين ٢/٢٠٤ ،

٣٤٦/٣ ، معجم الأدباء ٣١٠/١٧ ، المختار من شعر بشار ٢١٥ .

(٣) الديوان ٤ ، رفيه : إذا أوطن القوم البيوت .

قال محمد بن أبي حازم الباهلي :

كَمْ الْمَقَامُ وَكَمْ تَعْتَاكَ الْعِلَلُ كَمْ الْمَقَامُ وَكَمْ تَعْتَاكَ الْعِلَلُ
فَارْحَلْ فَإِنَّ بِلَادَ اللَّهِ مَا خُلِقَتْ فَارْحَلْ فَإِنَّ بِلَادَ اللَّهِ مَا خُلِقَتْ
إِنْ ضَاقَ لِي بَلَدٌ يَمُوتُ لِي بَلَدًا إِنْ ضَاقَ لِي بَلَدٌ يَمُوتُ لِي بَلَدًا
وَإِنْ تَغَيَّرَ لِي عَنْ وَدِّهِ رَجُلٌ وَإِنْ تَغَيَّرَ لِي عَنْ وَدِّهِ رَجُلٌ
لَمْ يَقْطَعْ اللَّهُ لِي مِنْ صَاحِبٍ أَمَلًا لَمْ يَقْطَعْ اللَّهُ لِي مِنْ صَاحِبٍ أَمَلًا
اللَّهُ قَدْ عَوَّدَ الْحُسْنَى فَا بَرِّحَتْ اللَّهُ قَدْ عَوَّدَ الْحُسْنَى فَا بَرِّحَتْ
يُمْنِي وَيُصْبِحُ بِي مُعَمَّرٌ أَدَافِعُهُ يُمْنِي وَيُصْبِحُ بِي مُعَمَّرٌ أَدَافِعُهُ
مَا ضَاقَتْ الْأَرْضُ فِي الدُّنْيَا وَلَا السَّبِيلُ مَا ضَاقَتْ الْأَرْضُ فِي الدُّنْيَا وَلَا السَّبِيلُ
إِلَّا لِبُسْلَاكَ مِنْهَا السَّهْلُ وَالْجَبَلُ إِلَّا لِبُسْلَاكَ مِنْهَا السَّهْلُ وَالْجَبَلُ
وَإِنْ نَبَأَ مَنْزِلُ بِي ، كَانَ لِي بَدَلُ وَإِنْ نَبَأَ مَنْزِلُ بِي ، كَانَ لِي بَدَلُ
أَصْنَى الْمَوَدَّةِ لِي مِنْ بَعْدِهِ رَجُلُ أَصْنَى الْمَوَدَّةِ لِي مِنْ بَعْدِهِ رَجُلُ
إِلَّا تَجَدَّدَ لِي مِنْ صَاحِبٍ أَمَلُ إِلَّا تَجَدَّدَ لِي مِنْ صَاحِبٍ أَمَلُ
مَنْهُ لَنَا نِعَمٌ تَثْرَى وَتَتَّصِلُ مَنْهُ لَنَا نِعَمٌ تَثْرَى وَتَتَّصِلُ
بِرِزْقِ رَبِّي حَتَّى يَنْفَدَ الْأَجَلُ^(١) بِرِزْقِ رَبِّي حَتَّى يَنْفَدَ الْأَجَلُ^(١)

وقال بعض المتأخرين من المغاربة ، وتنسب إلى المتنبي ، ولا تصح له :

رَأَيْتُ الْمَقَامَ عَلَى^(٢) الْإِقْتِصَادِ رَأَيْتُ الْمَقَامَ عَلَى^(٢) الْإِقْتِصَادِ
وَعَجَزُ بِنْدِي أَدَبٍ أَنْ يَضِيقَ وَعَجَزُ بِنْدِي أَدَبٍ أَنْ يَضِيقَ
وَمَا غَرِبَ الرِّزْقُ عَنْ رَائِدٍ وَمَا غَرِبَ الرِّزْقُ عَنْ رَائِدٍ
إِذَا مَا الْأَدِيبُ ارْتَضَى بِالْخُمُولِ إِذَا مَا الْأَدِيبُ ارْتَضَى بِالْخُمُولِ
وَفِي الْإِضْطِرَابِ وَفِي الْإِغْتِرَابِ وَفِي الْإِضْطِرَابِ وَفِي الْإِغْتِرَابِ
وَشَرُّ الضَّرَاعِمِ ضِرْغَامَةٌ وَشَرُّ الضَّرَاعِمِ ضِرْغَامَةٌ
قُنُوعًا بِهِ ذِلَّةٌ لِلْعِبَادِ^(٣) قُنُوعًا بِهِ ذِلَّةٌ لِلْعِبَادِ^(٣)
بِهِ عَيْشُهُ وَوُسْعُ هَذِي الْبِلَادِ^(٤) بِهِ عَيْشُهُ وَوُسْعُ هَذِي الْبِلَادِ^(٤)
وَلَا سِيَّيَا حَسَنُ الْإِرْتِيَادِ وَلَا سِيَّيَا حَسَنُ الْإِرْتِيَادِ
فَلَا حَظَّ^(٥) فِي الْأَدَبِ الْمُسْتَفَادِ فَلَا حَظَّ^(٥) فِي الْأَدَبِ الْمُسْتَفَادِ
مَنَالُ الْمَنَى وَبُلُوغُ الْمُرَادِ مَنَالُ الْمَنَى وَبُلُوغُ الْمُرَادِ
طَوَى شِبْلُهُ وَهُوَ فِي الْغَيْلِ هَادٍ طَوَى شِبْلُهُ وَهُوَ فِي الْغَيْلِ هَادٍ

(١) المحاسن والمساوي ٣/٢ .

(٢) ١ : المعيشة في .

(٣) ب : لذة في العباد .

(٤) زيادة من ب .

(٥) ب : لما الخط .

وإن صَارِمٌ قَرَّ فِي (١) غَمْدِهِ
وَلَوْ يَسْتَوِي بِالنُّهْوَصِ الْقُعُودُ
إِذَا النَّارُ ضَاقَ بِهَا زَنْدُهَا
فَدَعِ مَوْطِنًا وَاعْدُ مُسْتَرْزَقًا
وَلَا تُفْنِ عُمْرَكَ خَوْفَ الْفِرَاقِ
يُطْلِنُ الْبُكَاءَ عِنْدَ شَحْطِ النَّوَى
فَكَمْ تَرَحُّمَةٍ مِنْ أَسَى فُرْقَةٍ (٢)
إِلَى كَمْ تَحْمَلُ ضَيْقَ الْمَعَاشِ
عَلَى حَالَةٍ فَوْقَهَا (٣) خَيْرُهَا
بَلَا حَاسِدٍ لِي وَلَا حَامِدٍ
فَلَا شَرٌّ مِنِّي يَخَافُ الْعَادُوُ
جُبِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَجُبِ غَرْبَهَا
عَسَاكَ تَنَالُ الْغِنَى أَوْ تَمُوتُ
فَإِنْ يَكُنِ الْفَقْرُ حِمَاً عَائِكَ
فَلَلَمُوتُ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَرَكَ

حَوَى غَيْرُهُ الْفَضْلَ (٤) يَوْمَ الْجَلَادِ
لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ فَضْلَ الْجِهَادِ
فَفُسَّحَتْهَا فِي فِرَاقِ الزِّنَادِ
كَذَا الرِّزْقُ غَادٍ إِلَى كُلِّ غَادٍ
لَبِيضٍ مِلَاحٍ وَثَمَرٍ خِرَادٍ
وَيَأْسَيْنَ كُلُّ الْأَسَى فِي الْبِعَادِ (٥)
تَعُودُ سُرُورًا بِحُسْنِ الْمَعَادِ
وَتَصْبِرُ وَالصَّبْرُ صَنْبُ الْقِيَادِ
وَضَيْقُ الْمَعِيشَةِ سَقَمُ الْفُؤَادِ
قَلِيلَةٌ خَيْرٌ كَمَاءِ التَّمَادِ
وَلَا خَيْرَ يَرْجُوهُ أَهْلُ الْوِدَادِ
إِلَى كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ وَوَادٍ
وَعُذْرُكَ فِي ذَاكَ لِلنَّاسِ بَادٍ
فَكَابِدُهُ فِي غَيْرِ نَادِيكَ نَادٍ
بَعَيْنِ الْخَسَاسَةِ عَيْنُ الْأَعَادِي

(١) : فرمن .

(٢) : الحظ .

(٣) ب : البعاد .

(٤) ب : ترحة .

(٥) ب : فوقها .

فَإِنْ لَمْ تَنْزِلْ مُطْلَبًا رُمْتَهُ فَلَيْسَ عَلَيْكَ سِوَى الْإِجْتِهَادِ^(١)
وقال آخر :

مَا مِنْ غَرِيبٍ وَإِنْ أَبْدَى تَجَلُّدَهُ إِلَّا سَيِّدُكُمْ بَعْدَ الْغُرَبَةِ^(٢) الْوَطْنَا
وقال عبيد بن الأبرص :

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يُوْثِبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يُوْثِبُ^(٣)

(١) هذا وقد نسبت الأبيات الثلاثة الأولى إلى البحتري في معجم الأدباء ٧٧/١، ولكنها لا توجد في ديوانه أيضا .

(٢) ب: الفرقه .

(٣) الكامل ٢٦٧/١ ، عيون الأحرار ١١٨/٣ ، النضر والشعراء ١٤٥ ، التمثيل والمحاصرة ٤٩ .

باب التحول عن مواطن الذل

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه »
 قالوا : يا رسول الله ! وكيف يذل نفسه ؟ قال : « يتعرض من البلاء ^(١) لما لا يطيق » .

قال أوس بن حجر :

أَقِيمُ بِدَارِ الْحَزْمِ مَا دَامَ حَزْمُهَا وَأَحْرِ إِذَا حَالَتْ بِأَنْ أَمْحَوْلاً ^(٢)
 وقال المتألمس :

إِنَّ أَهْلَوَانَ حِمَارِ الْبَيْتِ يَأْلَفُهُ وَالْحُرُّ يُنْكِرُهُ وَالْفِيلُ وَالْأَسَدُ
 وَلَا يُقِيمُ بِدَارِ الذَّلِّ يَأْلَفُهَا إِلَّا الذَّلِيلَانِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ
 هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمْتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَمَا يَأْوِي لَهُ أَحَدٌ ^(٣)

وقال مالك بن الرّيب :

فَإِنْ تَنْصِفُونَا آلَ مَرْوَانَ تَقْتَرِبْ إِلَيْكُمْ وَإِلَّا فَأَذِنُوا بِبِعَادِ
 فَنِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْمَذَلَّةِ مَذْهَبٌ وَكُلُّ بِلَادٍ أَوْطِنْتَ كِبِلَادِي ^(٤)

(١) ساقط من ١ .

(٢) عيون الأخبار ٣٤/١ ، حماسة البحتري ١٧٩ .

(٣) يروي : حمار الأهل يعرفه ، والحريتكرو والرسلة الأجد ، ويروي الجسرة الأجد ، ويروي البيت الثاني : ولا يقيم على خسف يراد به إلا الأذلان ... الخ ، وفي البيت الثالث يروي معقول مكان مربوط ، موقلا بيكي مكان فإ يأوى .

ومعنى الرسالة الأجد : الناقة الموثقة الخلق القوية الأعضاء والجسرة : الجبل الماضي أو الطويل ، فإ يأوى : حايق . والأبيات في ديوانه ١٩٦ ، حماسة البحتري ١٩ ، نهاية الأرب ٦١/٣ ، محاضرات الأدباء ٢٧٢/٢ .

(٤) ينسب البيتان أيضا للفرزدق انظر شرح ديوانه ١٩٠ ، ووردا في حماسة البحتري ١٨٠ لرجل من تميم ولم يمينه . وانظرهما في السكامل ٣٠١/١ ، ٣٠٢ محاضرات الأدباء ٢٣٧/١ ، ويروي مكان الشطر الأول من البيت الثاني : حول الأرض عن ذي الجور منأى ومذهب .

وقال المغيرة بن حَبْنَاء :

وَمِثْلِي إِذَا مَا الدَّارُ يَوْمًا نَبَتْ بِه
وَلَا أَنْزِلُ الدَّارَ^(١) الْمُقِيمَ بِهَا الْأَذَى
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْغَبْ بِدَارٍ تَزَلَّتْهَا

أُنشِدَ أَبُو عُيَيْدٍ عَنِ الْأَصَمِيِّ :

إِذَا كُنْتَ فِي دَارٍ يُهَيِّنُكَ أَهْلُهَا

وقال الزبير^(٤) بن عبد المطلب :

وَلَا أُقِيمُ بِدَارٍ لَا أَشُدُّ بِهَا

وقال آخر :

لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى خِلٍّ مُتْفَارِقُهُ
فِي النَّاسِ مُبْتَدَلٌ وَالْأَرْضُ وَاسِعَةٌ

وقال قيس بن الخطيم^(٦) :

وَمَا بَعْضُ الْإِقَامَةِ فِي دِيَارٍ

تَحُولَ عَنْهَا وَاسْتَمَرَّتْ مَرَارُهُ
وَلَا أَرَأُمُ الشَّيْءَ الَّذِي أَنَا قَادِرُهُ
فَبِعِنَا بِدَارٍ أَوْ بِجَارٍ تُجَاوِرُهُ^(٢)

وَلَمْ تَكُ مَكْبُولًا بِهَا فَتَحُولَ^(٣)

صَوِّتِي إِذَا مَا اعْتَرَبَنِي سَوْرَةُ الْغَضَبِ^(٥)

إِنَّ الْأَقَاصِيَّ قَدْ تَدْنُو فَتَأْتِلِفُ
فِيهَا بَحَالٌ لَدَى لُبٍّ وَمُنْصَرَفُ

يَعِيشُ بِهَا الْفَقَى إِلَّا بَلَاءُ^(٧)

(١) ب : الأرض .

(٢) المرائر: جمع مريرة وهي المزرعة ، أَرَأُمُ الشَّيْءَ : أحبه وآلفه .

(٣) ورد البيت في معجم الشعراء ٤٩٥ منسوباً إلى هبنقة الحمقى واسمه يزيد بن نروان ، وانظره في محاضرات

الأدباء ٢٧٢/٢ .

(٤) ب : الزهر .

(٥) البيت في عيون الأخبار ٢٩٢/١ .

(٦) ١ : آخر .

(٧) ب : بهان ، وقد ورد البيت له أيضاً في حماسة البحتري ١٧٩ ، ولا يوجد في ديوانه ، وورد في

محاضرات الراغب ٢٧٢/٢ غير منسوب لقائل .

«وقال المغيرة بن حَبْنَاء :

وَفِي الدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ لِلْمَرْءِ عِبْرَةٌ وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْأَذَى مُتَرَحِّحٌ^(١)

وقال معن بن أوس :

وَفِي النَّاسِ إِنْ رَمَيْتُ حِبَالُكَ وَاصِلٌ وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْقَلَى مُتَحَوِّلٌ^(٢)

«وقال عبد الصمد بن المعدل ، ويروى لغيره :

إِذَا وَطَنٌ رَأَيْتُ رَأَيْتُ فَكُلُّ بِلَادٍ وَطَنٌ^(٣)

وقال أبو العتاهية :

مَنْ عَاشَ قَضَى كَثِيرًا مِنْ لُبَانَتِهِ وَلِلْمَضَائِقِ أَبْوَابٌ مِنَ الْفَرَجِ
مَنْ ضَاقَ عَنْكَ فَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ فِي كُلِّ وَجْهِ مَضِيقٌ وَجْهُ مُنْفَرَجٍ^(٤)

وقال الحسين بن الضحاك ، أو أبو العتاهية :

هَمٌّ تَقَاذَفَتْ الْخُطُوبُ بِهَا فَهَرَعَنْ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ^(٥)

وقال آخر :

* وَفِي الْأَرْضِ عَمَّنْ لَا يُؤَاتِيكَ مَرْحَلٌ *

وقال حبيب بن أوس الطائي :

وَطُولُ مُقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ لِدِيَابِجَتَيْنِهِ فَاغْتَرِبَ تَتَجَدَّدُ

(١) ساقط من ب ، والمترحح: الواسع الفسح

(٢) زهر الأديب ٢٣٢/٣ ، المستطرف ٤٨/٢ ، حماسة أبي تمام ٢/٢ .

(٣) ساقط من ا وانظره في نهاية الأرب ٨٧/٣ ، التمثيل والحاضرة ٨٨ ، منسوباً إليه .

(٤) البهتان في ديوانه ٦١ .

(٥) بهاء م : فرعن ، ولم أجده في ديوان أبي العتاهية .

فَأَيْتُ رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ إِذْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ^(١)

وقال ابن المعتز :

رَأَيْتُ حَيَاةَ الْمَرْءِ تُرْخِصُ قَدْرَهُ كَمَا يُخْلَقُ الثَّوبَ الْجَدِيدَ ابْتِدَآئُهُ
فَإِنْ مَاتَ أَغْلَتْهُ الْمَنَايَا الطَّوَائِحُ كَذَا تَخْلُقُ الْمَرْءَ الْعَيُونَ اللَّوَامِحُ^(٢)

وقال أبو الفتح البستي :

وَطُولُ مُقَامِ الْمَاءِ فِي مُسْتَقَرِّهِ يُغَيِّرُهُ لَوْنًا وَرِيحًا وَمَطْعَمًا^(٣)

وقال أبو الفتح الشذوني^(٤) :

إِذَا مَا الْحُرُّ هَانَ بِأَرْضِ قَوْمٍ فَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي هَرَبٍ جُنَاحُ
وَقَدْ هُنَا بِأَرْضِكُمْ وَصِرْنَا لَقَى^(٥) فِي الْأَرْضِ تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ

وقال محمود الوراق :

وَإِذَا نَبَأَ بِي مَنْزِلُ لَا يُرْتَضَى جَاوَزْتُهُ وَاخْتَرْتُ مِنْهُ مَنْزِلًا

وقال آخر :

وَإِذَا الدِّيَارُ تَنَسَّكَرَتْ عَنْ حَالِهَا فَدَعِ الدِّيَارَ وَأَسْرِعِ التَّخْوِيلَا
لَبَسَ الْمَقَامُ عَلَيْكَ حَقًّا وَاجِبًا فِي مَنْزِلٍ يَدْعُ الْعَزِيزَ ذَلِيلًا^(٦)

(١) ديوانه ٥١ ،

(٢) البيت الثاني فقط في الديوان ٢٩ ، وفيه : فما يخلق الثوب ، وانظرهما معاً في التمهيل والمحاضرة ١٠٣ -

(٣) يتيمة الدهر ٢٢٤/٤ ، نهاية الأرب ١١١/٣ .

(٤) ب : التمهون الشذوني ، ١ : اليعقوبي ، ولم أعثر له على ترجمة .

(٥) الاتي : ما طرح على الأرض لعدم قيمته .

وقال بشار بن برد :

وَكَنتُ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ مَحَلَّةٌ تَيَمَّمْتُ أُخْرَى مَا عَلَيَّ تَضْيِيقُ
وَمَا خَابَ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ عَامِلٌ لَهُ فِي النُّقَى أَوْ فِي الْمَحَامِدِ سَوْقُ
(١) وَلَا ضَاقَ فَضْلُ اللَّهِ عَنْ مُتَعَفِّفٍ وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضْيِيقُ (٢)

وقال آخر :

إِذَا كُنْتُ فِي دَارٍ وَحَاوَلْتُ رِحْلَةً قَدَعَهَا وَفِيهَا إِنْ رَجَعْتَ مَعَادُ (٣)

وقال آخر :

خَلَطُ فَهَذَا زَمَانٌ فِيهِ تَخْلِيطُ وَالنَّاسُ صِنْفَانِ مَحْرُومُ (٤) وَمَغْبُوطُ
وَلَا تُقِمُ بِيَلَادٍ لَا انْتِفَاعَ بِهَا فَلِلْأَرْضِ وَاسِعَةٍ وَالرِّزْقِ مَبْسُوطُ
وَلَا تَكُنْ غِرَّةً تَرْضَى بِغَيْرِ رِضَى فَإِنَّ رِزْقَكَ عِنْدَ اللَّهِ مَخْطُوطُ

وقال جواس (٥) الكلابي :

وَإِذَا الْعِلْجُ أَغْلَقَ الْبَابَ دُونِي لَمْ يُحَرِّمْ عَلَيَّ مَتْنِ الطَّرِيقِ
وَكَفَانِي جَفَاءَ مَنْ يَزِدُّ رَيْنِي قَطْعِي الْخَرَقَ بِالْمَرْوِخِ الْحَرُوقِ

وقال آخر :

اصْبِرْ عَلَى حَدَثِ الزَّمَانِ فَإِنَّمَا فَرَجُ الشَّدَائِدِ مِثْلُ حَلِّ عِقَالِ

(١) سبق البيتان الأولان : والثالث ساقط من ب .

(٢) البيان والتبيين ٢/ ٢٨٩ .

(٣) ب : مرحوم .

(٤) ١ : خدش ، ب ، م في حواش ، والصحيح أنه جواس الكلابي نظر المؤلف ٧٤ ، وانظر البيت الأول

خط في البيان والتبيين ١/ ٣٥٨ والمخرق : الفلاة والأرض الواسعة ، والمروخ المروق : الناقة السريعة .

وَإِذَا خَشِيتَ تَعَذُّرًا فِي بَلَدَةٍ فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِعَاجِلِ التَّرْحَالِ
إِنَّ الْمَقَامَ عَلَى الْهَوَانِ مَذَلَّةٌ وَالْعِجْزُ أضعَفُ^(١) حِيلَةِ الْمُحْتَالِ

وقال يحيى بن حكم الغزال :

وَإِنَّ مُقَامِي شَطْرَ يَوْمٍ بِمَنْزِلِ أَخَافُ عَلَى نَفْسِي بِهِ لَكَثِيرُ
"وَقَدْ يَهْرُبُ الْإِنْسَانُ مِنْ خِيفَةِ الرَّدَى فَيَدْرِكُهُ مَا خَافَ حَيْثُ يَسِيرُ"^(٢)

وقال المتنبي :

إِذَا لَمْ أَجِدْ فِي بَلَدَةٍ مَا أُرِيدُهُ فَعِنْدِي لِأُخْرَى عَزْمَةٌ وَرِكَابٌ^(٣)

وقال أبو عثمان العروضي في مهموزته :

إِنَّ الْفَتَى كُلَّ الْفَتَى مَنْ رَأَى هَوَانَهُ أَقْبَحَ مَا قَدْ رَأَى
اهْرُبْ عَنِ الذُّلِّ وَعَجِّلْ فَمَا أَقْرَبَهُ مِنْ كُلِّ مَنْ أَبْطَأَ
لَوْ جَرَحْتَ رَأْسِي يَدًا مُنْصِفٍ لَمَا تَمَنَّيْتُ بِأَنْ أَبْرَأَ

وَلِي حِينَ رَحَلْتُ مِنْ إِشْبِيلِيَّةِ^(٤) :

وَقَائِلَةً مَالِي أَرَاكَ مَرَحَلًا فَقُلْتُ لَهَا : صَبْرٌ وَاسْمِعِي الْقَوْلَ مُجْمَلًا
تَنْكَرَ مَنْ كُنَّا نُسَرُّ بِقُرْبِهِ وَعَادَ زُعَافًا بَعْدَمَا كَانَ مَسْلَسَلًا

(١) في ١ : آفة ، وانظر الأبيات في باب الآداب ٢٩٤ .

(٢) ساعد في ١ ، ب .

(٣) البيت لأبي فراس الحمداني لا المتنبي ، انظره في ديوانه ٢٢ ، محاضرات الأدباء ٢٧٢/٢ ، بستان الدهر

٥٤/١٠ ، وفيها : إذا لم أجد من خلة ما أريد .

(٤) في ١ ، ب : ولله فيه أبي عمر بن عبد البر في حين رحلته من إشبيلية .

وَحَقُّ لِحَارٍ لَمْ يُوَافِقَهُ^(١) جَارُهُ
 مُبْلِيتٌ بِخَفْضِ^(٢) وَالْمَقَامِ بِلَدَةٍ
 إِذَا هَانَ حُرٌّ عِنْدَ قَوْمٍ أَتَاهُمْ
 وَلَمْ تُضْرَبْ الْأَمْثَالُ إِلَّا لِعَالِمٍ
 وَلَا لَأَمْتَهُ الدَّارُ أَنْ يَتَرَحَّلَا
 طَوِيلًا لَعَمْرِي مُخْلِقٌ يُورِثُ الْبِلَا
 وَلَمْ يَنَأ عَنْهُمْ كَانَ أَعْمَى وَأَجْمَلًا
 وَلَا عَوْتَبَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْقِلَا

وقال ابن أبي حازم، أو ابن بسام :

وَأِنْ نَبَا مَنَزِلٌ بِحُرٍّ
 لَا يَلْبَثُ الْحُرُّ فِي مَكَانٍ
 الْحُرُّ حُرٌّ وَإِنْ تَعَدَّتْ
^(٣)وَالنَّذْلُ نَذْلٌ وَإِنْ تَكُنَّى
 فَاسْتَرْزَقِ اللَّهَ وَاسْتَعْنَهُ
 فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ
 يُنْسَبُ فِيهِ إِلَى هَوَانٍ
 عَلَيْهِ يَوْمًا يَدُ الزَّمانِ
 وَصَارَ ذَا مَنْطِقٍ وَشَانٍ^(٤)
 فَإِنَّهُ خَيْرٌ مُسْتَعَانٍ^(٥)

وقال أبو الفتح :

مَتَى رَفَضْتَنِي دَارُ قَوْمٍ تَرَكْتَهَا
 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ^(٥) مِنْهَا وَمِنْ أَهْلِهَا بُدٌّ
 وقال حبيب :

لَا يَمْنَعَنَّكَ خَفْضُ الْعِيشِ فِي دَعَةٍ^(٦)
 نَزُوعُ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانٍ

(١) ب : أن يوافق .

(٢) ب : بمحض .

(٣) زيادة و ب .

(٤) وردت الأبيات ماعدا الرابع لابن أبي حازم في صيون الأخبار ١٨٤/٣ على خلاف في الترتيب، وانسبت إلى

المسكين بن عبد الله بن أبي حصينة المعري في معجم الأدباء ١١٣/١٠ .

(٥) ب : وسرت ولي .

(٦) ب : نظايه ، وكذلك في صيون الأخبار ٢٣٤/١ وفيها أيضاً : نراع بدل نزوع .

تَلَقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنَّ نَزَلَتْ بِهَا
 أَهْلًا بِأَهْلِ وَإِخْوَانًا بِإِخْوَانٍ^(١)
 وقال ابن أبي حَبِيش :

يَا نَازِلًا بِبَطْلَيْوَسٍ إِذَا ظَفِرَتْ
 وَلَا تُقِمَّ بِبِلَادٍ لَا يُعَادُ بِهَا
 إِنَّ الْمَقَامَ بِأَرْضٍ لَا يُزَارُ بِهَا
 يَوْمَ مَا يَدَاكَ يَوْمَ الْبَيْنِ فَاسْتَبِقِ
 مَرْضَى وَعَجَّلْ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ رَمَقِ
 وَلَا يُعَادُ أَخُو الشَّكْوَى مِنَ الْحُمُقِ

(١) ب : وجيرانا بجيران ، وورد الشطر الثاني من البيت الأول في المعقد الفريد ١٣/٣ : نزاع شوق إلى أهل وأوطان . والبيتان ليسا في ديوان أبي تمام ، وقد وردا بغير نسبة في حماسه ١/١٠٤ ، ١٠٥ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٦ ولسبأ في معجم الأدباء ١/١٩٢ إلى الصولي .

باب التوديع والفرّاق

ودع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب في مسيره إلى العمرة ، فقال :
« يا أخي لا تنسنا من دعائك » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا خرج أحدكم إلى سفر فليودع إخوانه ،
فإن الله جاعل^(١) له في دعائهم بركة » .

وكان عبد الله بن عمر إذا ودع رجلا يقول : استودع الله دينك ، وأمانتك ،
ونحواتم صملك .

قال الشعبي : السنة إذا قدم رجل من سفر ، أن يأتيه إخوانه فيسلموا عليه ،
وإذا خرج إلى سفر أن يأتيهم فيودعهم ويغتنم دعاءهم .

ودع شعبة بن الحجاج رجلا خارجا إلى الحج ، فقال له : أما إنك إن لم تعدد الحلم
ذلا ، ولا السنة شرفا ، سلم حجك .

ودع عبد الله بن المبارك رجلا ، فقال :

وَنَحْنُ نُنَادِي أَنَّ فُرْقَةَ بَيْنِنَا فِرَاقُ حَيَاةٍ لَا فِرَاقَ مَمَاتٍ^(٢)

وقال إبراهيم الموصلي^(٣) :

تَقَضَّتْ بُبَائَاتُ وَجَدٍ رَجِيلُ وَ يُشْفَى مِنْ أَهْلِ الصَّفَاءِ غَلِيلُ

(١) ب : عاجل .

(٢) زيادة من أ .

(٣) في الأثران ١٤/٣ ، طبعة الساسي ، أنها لابنه إسحق ، يودع بها إسحق بن إبراهيم المصفي بمدينة قاعية .
بالخرمية ، وفيها يقول :

نرد إسحاق بنصح أميره فليس له عند الأنام عديل

يفرج عنه الشك صدق عزيزة ولب به يلو الرجال أصيل

وتسبب لإسحاق أيضا في المختار من شعر بشار ٢٤٩ .

وَمَدَّتْ أَكْفٌ لِّلْوَدَاعِ تَصَافَحَتْ وَكَادَتْ عُمُونَ لِّلْفِرَاقِ تَسِيلُ
 (١) وَلَا بُدَّ لِّلْأَلْفَيْنِ مِنْ دَمٍّ لَّوْعَةٍ (٢) إِذَا مَا خَلِيلٌ بَانَ عَنْهُ خَلِيلُ
 فَكَمْ مِنْ دَمٍ قَدْ طُلَّ يَوْمَ تَحَمَّلَتْ أَوَانِسُ لَا يُودَى لَهُنَّ قَتِيلُ
 غَدَاةَ جَعَلَتْ الصَّبْرَ شَيْئًا نَسِيتَهُ وَأَعْوَلْتُ لَوْ أَجْدَى عَلَيْكَ (٣) عَوِيلُ

وقال محمد بن مقسم ، أنشده له ابنه أبو الحسن أحمد بن محمد بن مقسم :

فِرَاقُ الْأَحِبَّةِ دَاءٌ دَخِيلُ وَيَوْمُ الرَّحِيلِ لِنَفْسٍ رَحِيلُ
 سَمِعْتُ يَبِينِكَ فَأَعْتَادَنِي غَلِيلُ بِقَلْبِي وَحُزْنُ طَوِيلُ
 أَهَذَا وَلَمْ يَكْ يَوْمُ الْفِرَاقِ فَإِنْ كَانَ لَا كَانَ زَادَ الْغَلِيلُ
 وَأَيُّقُنْتُ أَنِّي بِهِ تَأَلَّفُ وَمَا قَدْ وَصَفْتُ عَلَيْهِ دَلِيلُ
 حَيَاةُ الْخَلِيلِ حُضُورُ الْخَلِيلِ وَيَفْنَى إِذَا غَابَ عَنْهُ الْخَلِيلُ

وقال آخر :

بَكَتْ عَيْنِي غَدَاةَ الْبَيْنِ حُزْنًا وَالْأُخْرَى يَالْبُسْكَاءِ بَخِلَتْ عَلَيْنَا
 فَجَازَيْتُ الَّتِي جَادَتْ بِدَمْعٍ بَانَ أَقْرَرْتُهَا بِالْوَصْلِ عَيْنًا
 وَجَازَيْتُ الَّتِي بَخِلَتْ بِدَمْعٍ بَانَ غَمَّضْتُهَا يَوْمَ التَّقِينَا

وقال الزبير بن بكار : شيعني إسحق بن إبراهيم وقال :

(١) يبدأ من هنا سقط قدره وورقتان من نسخة ب .

(٢) في الأغاني : ولا بدَّ لِّلْأَلْفَيْنِ مِنْ دَمٍّ لَّوْعَةٍ .

(٣) في الأغاني : على .

فِرَاقُكَ مِثْلُ فِرَاقِ الْحَيَاةِ وَفَقْدُكَ مِثْلُ افْتِقَادِ الدِّيمِ
عَلَيْكَ السَّلَامُ فَكَمْ مِنْ وَفَاءٍ أَفَارِقُ مِنْكَ وَكَمْ مِنْ كَرَمٍ^(١)
وقال آخر:

وَدَّعَ أَحِبَّاءَهُ فَمَا وَقَفُوا وَلَا عَلَى ذِي صَبَابَةٍ عَطَفُوا
كَمْ كَبِدٍ قَطَعُوا بَيْنَهُمْ وَكَمْ دُمُوعٍ عَلَيْهِمْ تَلَفُ^(٢)
كَأَنَّهُمْ لَمْ يُجَاوِرُوا وَلَمْ^(٣) تَعْرِفُهُمْ وَالْوِصَالُ مُؤْتَلِفُ^(٤)
وقال آخر:

لَمْ أُنْسَ يَوْمَ الرَّحِيلِ مَوْفِقَهَا وَطَرَفَهَا فِي دُمُوعِهَا غَرِقُ
وَقَوْلَهَا وَالرُّكَّابُ وَاقِفَةٌ تَرَكَتْنِي هَكَذَا وَتَنْطَلِقُ
وقال آخر:

لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْفِرَاقِ وَإِنْ كَا نَ أَخُو الْوَجْدِ وَالِهَا كَلِفًا
أَحْرَقَ مِنْ وَقْفَةِ الْمَشِيعِ لِلْقَدِّ بَ يُرِيدُ الرَّجُوعَ مُنْصَرِفًا
وقال آخر:

أَقُولُ لَهُ حِينَ وَدَّعْتُهُ وَكُلُّ بِعِشْرَتِهِ مُبْلِسُ
لَنْ رَجَعْتَ عَنْكَ أَجْسَامُنَا لَقَدْ سَافَرْتَ مَعَكَ الْأَنْفُسُ^(٥)

(١) ورد البيتان منسوبين إلى دعبل الخزاعي في زهر الأدب ١٠٦/٤ ، وانظرهما في المعقد الفريد ٤١٣/٥ ،
عيون الأخبار ٣٢/٣ ، محاضرات الأدباء ٢٧/٢ وفيها جمعا : وداعك مثل وداع الربيع .

(٢) تالف : تعزر .

(٣) ساقط من ب .

(٤) نهاية الأرب ٢٤٦/٢ .

(٥) ورد البيتان في المعقد الفريد ٤٠٩/٥ منسوبين إلى أبي الطيماير ، وانظرهما في نهاية الأرب ٢٤٦/٢ ،
والمبلس : الساكت على ما في نفسه من هم .

وقال آخر :

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الْفِرَاقَ فَإِنِّي
إِنَّ فِيهِ اعْتِنَاقَةً لِدَوَاعٍ
أَشْتَهِيهِ لِمَوْضِعِ التَّسْلِيمِ
وَأَنْتِظَارَ اعْتِنَاقَةٍ لِقُدُومِ^(١)

وقال آخر :

صَاحَ الْغُرَابُ بَوْشَكَ الْبَيْنِ فَارْتَحَلُوا
وَعَادَرُوا الْقَلْبَ مَا تَهْدَا لَوَاعِجُهُ
وَفِي الْجَوَانِحِ نَارُ الْحُبِّ تَقْذِفُهَا
لَمَّا أَنَاخُوا مُقْبِلَ الصُّبْحِ عِيْرَهُمْ
وَقَلَّبتْ مِنْ خِلَالِ السُّجُفِ نَاطِرَهَا
وَوَدَّعَتْ بَيْنَانٍ عَقْدُهُ عَنَمٌ
وَيُنْجِي مِنَ الْبَيْنِ مَاذَا حَلَّ بِي وَبِهِمْ
يَا رَاحِلَ الْعَيْسِ عَرِّجْ كَيْ نُوَدِّعَهُمْ
إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ لَمْ أَنْقُضْ مَوَدَّتَهُمْ
وَقَرَّبُوا الْعَيْسَ قَبْلَ الصُّبْحِ وَاحْتَمَلُوا
كَأَنَّهُ بِضِرَامِ النَّارِ مُشْتَعِلٌ
أَيْدِي النَّوَى بِي نَادِ الشَّوْقِ إِذْ رَحَلُوا
وَرَحَلُوهَا وَسَارَتْ بِاللَّحَى الْإِبِلُ
تَرْنُو إِلَى وَدَمْعِ الْعَيْنِ مُنْهَمِلُ
نَادَيْتُ : لَا حَمَلَتْ رِجْلَكَ يَا جَمَلُ
مِنْ نَازِلِ الْبَيْنِ حَلَّ الْبَيْنُ وَارْتَحَلُوا
يَا رَاحِلَ الْعَيْسِ فِي تَرْحَالِكَ الْأَجَلُ
يَا لَيْتَ شِعْرِي لَطُولِ الْبَيْنِ مَا فَعَلُوا^(٢)

أنشدني أبو القاسم خلف بن قاسم رحمه الله ، قال أنشدني أبو بكر بن محمد
ابن عبد الله بن أحمد الصَّيْدَلَانِي ، قال : أنشدنا أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل
الأخفش :

(١) محاضرات الادباء ٢٧/٢ نهاية الأرب ٢/٢٤٣ ، وهما فيه لأبي حفص الشطرنجي .

(٢) المستطرف ٤٩/٢ ، نهاية الأرب ٢/١٩١ ، العقد الفريد ٦/١٦٨ .

سُقِيَا وَرَغِيَا وَإِيمَانًا وَمَغْفِرَةً
لِلْبَاكِيَاتِ عَلَيْنَا حِينَ نَزَّ تَحِلُّ
مُنَى عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ
وَقَالَ آخِرُ :

أَحْجَاجَ بَيْتِ اللَّهِ فِي أَيِّ هَوْدَجٍ
أَأْتَى تَحِلُّ الْجِسْمِ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ
وَفِي أَيِّ خَيْرٍ مِنْ خُدُورِكُمْ قَلْبِي^(٢)
وَحَادِيكُمْ يَحْدُو بِقَلْبِي مَعَ الرِّكْبِ^(٣)
وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ :

هَاجَ الْقَرِيضَ الذَّكْرُ لَمَّا غَدَا فَاثْمَرُوا
عَلَى بَغَالٍ شَحِيجٍ^(٤) قَدْ ضَمَّنَ السَّفَرُ
فِيهِنَّ هِنْدُ بَيْتِي مَا عُمِّرَتْ أَثْمَرُ
حَقِّي إِذَا مَا جَاءَهَا حَتَفَ أَتَانِي الْقَدَرُ^(٥)

وَقَالَ آخِرُ :

أَيَا شَجَبًا^(٦) مِمَّنْ يُودَّعُ الْفَهْمُ
هَمَمْتُ بِتَوْدِيعِ الْحَبِيبِ فَلَمْ أَطِقْ^(٨)
يَمُدُّ يَدًا نَحْوَ الْفِرَاقِ فَيُسْرِعُ^(٧)
فَوَدَّعْتُهُ بِالْقَلْبِ وَالْعَيْنُ تَدْمَعُ

(١) زهر الآداب ٣/ ١٩٠ ، وفيه الشطر الأخير : لنحن أغلظ أكباداً من الإبل ، وفيه لقواء .

(٢) إلى هنا ينتهي الساقط من ب .

(٣) ورد البيتان في المطرب من أشعار أهل المغرب ٢١٤ ، منسويين إلى شاب خرج يودع الحاح ، ولم يمينه .

(٤) الشحيج : صوت البغال .

(٥) زيادة من ب وانظر الأبيات في ديوانه ١٠٢ ، الأغاني ١/ ١٨٧ .

(٦) ١ : أيا عجبى .

(٧) ب : فيسرع .

(٨) ب : فلم نطق .

وينظر إليه قول الآخر :

وَدَّعَهَا طَرَفِي فَقَالَتْ لَهُ بِاللَّمْعِ أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ

وقال حبيب :

مَا الْيَوْمُ أَوَّلَ تَوْدِيْعِي وَلَا الثَّانِي الْبَيْنُ أَكْثَرُ مِنْ شَوْقِي وَأَحْزَانِي
حَسْبُ الْفِرَاقِ بَأَنَّ الدَّهْرَ سَاعِدَهُ فَصَارَ أَمْلَكَ مِنْ رُوحِي بِجُثْمَانِي
وَمَا أَظُنُّ النَّوَى يَرْضَى بِمَا صَنَعْتَ حَتَّى تُشَافِهَ بِي أَقْصَى خُرَاسَانَ^(١)

وقال آخر :

أَهْدَى إِلَيْهِ سَفَرٌ جَلًّا فَتَطَيَّرَا مِنْهُ وَظَلَّ مُفَكِّرًا مُسْتَعْبِرًا
خَوْفَ الْفِرَاقِ لَأَنَّ شِطْرَهُ جَاءَهُ^(٢) سَفَرٌ وَحَقٌّ لَهُ بِأَنَّ يَتَطَيَّرَا

وقال آخر :

أَقِيمْ وَتَطْعَنِينَ وَأَنْتِ رُوحِي وَهَلْ جَسَدٌ يَعِيشُ بِغَيْرِ رُوحٍ
لَئِنْ كَانَ الْفِرَاقُ غَدًا فَإِنِّي سَأُحْمَلُ لَا أَشْكُ إِلَى ذَرِيْعِي
تَعَالَى بَعْدَ فُرْقَتِنَا لِنَبْكِي فَإِنِّي نَائِجٌ أَبَدًا فَذُوحِي

وقال أبو الشيص ، وهو محمد بن عبد الله بن رزين :

مَا فَرَّقَ الْأَحْبَابَ بَعْدَ سِوَةِ اللَّهِ إِلَّا الْإِبِلُ
وَالنَّاسُ يَدْجَحُونَ^(٣) غُرَا بِالْبَيْنِ لَمَّا جَهِلُوا

(١) انظر الأبيات في شرح الديوان ٣٠٨/٢ ، ٣١٠ وفيه : أول توديع .

(٢) ١ : شطرهما به ، وهو تصحيف ، وانظر البيتين في العقد ٣٠٢/٢ .

(٣) ب . قد لاموا .

وَمَا عَلَى ظَهْرِ غُرَا بِالْبَيْنِ تُطْوَى^(١) الرَّحْلَ
وَلَا إِذَا صَاحَ غُرَا بٌ فِي الدِّيَارِ ارْتَحَلُوا^(٢)
وَمَا غُرَابُ الْبَيْنِ إِلَّا^(٣) نَاقَةٌ أَوْ جَمَلٌ^(٤)

أَنشَدْنِيهَا عَبْدُ الْوَارِثِ عَنْ قَاسِمٍ عَنْ أَبِي خَيْثَمَةَ لِأَبِي الشَّيْصِ .

وَقَالَ الْعُلُوَّى عَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ :

وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى الْفِرَاقِ فَلَمْ أَجِدْ لِلْمَوْتِ لَوْ فَقِدَ الْفِرَاقُ سَبِيلَا
يَا سَاعَةَ الْبَيْنِ الطَّوِيلِ كَأَنَّمَا وَاصَلْتُ سَاعَاتِ الْقِيَامَةِ طُولَا

وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ الْفَقِيهَ :

لَعَمْرِي لَتَيْنِ شَطَّتْ بِعَثْمَةٍ دَارَهَا لَقَدْ كَدْتُ مِنْ قَبْلِ الْفِرَاقِ أَلِيحُ^(٥)
أَرْوَحُ بِهِمْ ثُمَّ أَغْدُو بِعِثْلِهِ وَيُحْسَبُ أَنَّ فِي الثِّيَابِ صَحِيحُ^(٦)

وَقَالَ حَبِيبٌ :

يَوْمَ الْفِرَاقِ لَقَدْ خُلِقْتَ طَوِيلَا لَمْ تُتَبَقِ لِي جَلَدَا وَلَا مَعْقُولَا
لَوْ جَاءَ^(٧) مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النُّفُوسِ دَلِيلَا

(١) ب : تطوى .

(٢) ب . احتملوا .

(٣) انظر الأبيات كلها في زهر الآداب ١٧٠/٢ الشعر والشعراء ٨٢١ ، والبيتين الثاني والخامس في التمثيل والمحاضرة ٢٦٩ ، والأول والثالث في السكائل ٣/٢ ، وفيه : ما فرق الألاف ... والبائس المسكين ما تطوى .

(٤) ب م : أنيح . ومعنى أليح : أهلك .

(٥) انظرهما في العقد الفريد ٢٦/٦ ، الإملأ ١٦٠/٢ .

(٦) ب : حار .

قَالُوا الرَّحِيلُ^(١) فَمَا شَكَّكَتُ بِأَنَّهَا نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا تُرِيدُ رَحِيلًا^(٢)
وهذا باب أكثر فيه أهل الظرف ، فرأيت اختصاره ، قال الحارث بن وعلة ،
وتنسب إلى العتابي كعثوم بن عمرو ، وهى أبيات كثيرة أولها :

ما غَنَاءَ الحِذَارِ والإشْفَاقِ وشَأْيِبِ دَمْعِكَ المَهْرَاقِ
غُرٌّ مَنْ ظَنَّ أَنَّ يَفُوتَ المَنَايَا وعُرَاهَا قَلَانِدُ الأَعْنَاقِ
وَيَدُ الحَادِثَاتِ رَهْنٌ بِعُرَا^(٣) تِ مِنْ العَيْشِ مُصَرَّاتِ^(٢) المَذَاقِ
كَمْ صَفِيَيْنِ مَتَمَّا باتفاقِ^(٤) ثُمَّ صَارَا مِنْ بَعْدِهِ لافْتِرَاقِ
قُلْتُ لِلْفَرْقَدَيْنِ وَاللَّيْلِ مُلْقٍ سُدَّ أَكْنَافِهِ عَلَى الآفَاقِ
ابْقِيَا مَا بَقِيَّتَا سَوْفَ يُرْمَى بَيْنَ شَخَصَيْكُمَا بِسَهْمِ الفِرَاقِ
هُوَ نِي ذَا عَلَيْكَ وَاقْنِي حَيَاءَ أَسْتِ تَبْقَيْنِ لِي وَلَسْتُ بِبَاقِ
أَيْنَا قَدَّمْتُ جِهَامُ المَنَايَا فَاللَّذِي أَخَّرْتُ سَرِيعُ اللِّحَاقِ
^(٥) لَا يَدُومُ البَقَاءُ لِلخَلْقِ كَ كَيْفَ دَوَامَ البَقَاءِ لِلخَلْقِ^(٥)
إِنْ قَضَى اللهُ أَنْ يَكُونَ تَلَاقٍ بَعْدَ مَا قَدْ تَرَيْنِ كَانَ التَّلَاقِ^(٦)

وقال آخر ، وهو نبطويه :

(١) ب : الفراق .

(٢) شرح الديوان ٢/٦٦ ، شاضرات الأدباء ٢/٢٨ .

(٣) مصرات : حامضات .

(٤) ب : بتلاق .

(٥) ساقط من ب .

(٦) انظر الأبيات في زهر الآداب ٣/٤١ ، والبيتين هوني وما بعده في معجم الشعراء ٣٥٢ .

شَيْتَانٍ لَوْ بَكَتِ الدُّمَاءُ عَلَيْهِمَا عَيْنَايَ حَتَّى تُؤْذِنَا بِذَهَابِ
لَمْ يَبْلُغَا الْمِغْسَارَ مِنْ حَقَّقِيهِمَا فَقَدْ الشَّبَابِ وَفُرْقَةُ الْأَجَابِ^(١)
وقال الغزالي :

وَإِنْ رَجَائِي فِي الْإِيَابِ إِلَيْكُمْ وَإِنْ أَنَا أَظْهَرْتُ الْعَزَاءَ قَصِيرُ
وَإِنْ كُنْتُ تَبْعَيْنِ الْوَدَاعِ فَبَالِغِي فَذُنُوكِ أَحْوَالُ أَرَى وَشُهُورُ
وقال آخر :

لَيْسَ الْفِرَاقُ وَإِنْ جَزَعْتَ بِضَائِرِ مَا لَمْ تُفَرِّقْ بَيْنَنَا الْأَخْلَاقُ
إِنْ لَمْ يَحُلْ حَدَثُ الْمَنِيَّةِ بَيْنَنَا فَسَنَلْتَقِي وَسَيُحَقِّقُ الْمِثَاقُ
وَالنَّهْرُ يَجْمَعُ بَيْنَ كُلِّ مُفَارِقٍ وَلِكُلِّ مُلْتَقَيْنِ مِنْهُ فِرَاقُ
وقال محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين :

مَدَّتْ إِلَى الْبَيْنِ أَطْرَافًا مُخَضَّبَةً لَمَّا تَوَلَّتْ وَذَاقَتْ حُرْقَةَ الْبَيْنِ
وَوَدَّعَتْنِي وَمَا هَمَّتْ وَلَا نَطَقَتْ وَإِنَّمَا وَدَّعَتْ وَحِيًا بِمَعِينِ
بَلَى لَقَدْ أَوْمَأَتْ نَحْوِي بِإِصْبَعِهَا إِمَاءَةً خَتَلَتْ^(٢) عَنْهَا الرِّقَبَيْنِ
وقال آخر :

أَتَذْكُرُ إِذْ تُودِّعُنَا سُلَيْمِي بِعُودِ بَشَامَةٍ سَقَى الْبَشَامُ^(٣)

(١) ورد البيتان في محاضرات الأدباء ١٤٧/٢ منسوبين إلى محمود الوراق ، ونسبهما صاحب المستطرف ١٩٨/١
٤٠/٢ إلى أبي العلاء محمد بن القاسم بن خلاد ، ووردا في النثيل والمحاضرة ٤٦٩ ، ووفيات الأعيان
٢٤٤/٦ غير منسوبين .

(٢) ب : خبلت ، وانظر الأبيات في المحاسن والمساوي ٧٩/٢ .

(٣) البيت لجرير ، ديوانه ١٢٠ وفيه وفي الأغاني ٦٥/٢ ، نهاية الأرب ٢٧٦/٤ ، أُنسى ، وفسح بشامة ،
وفي اللسان : أنذكر كما هنا .

(١) يريد: تشير إلينا بمسواكها مودعة^(١).

وقال أبو عوانة^(٢): كنت أجالس أبا العتاهية فأراد الخروج إلى مكة

فودعني وقال:

إِنْ نَعِشْ نَجْتَمِعُ وَإِلَّا فَمَا أَشْغَلَ مَنْ مَاتَ عَنْ جَمِيعِ الْأَنَامِ^(٣)

قالت أعرابية لابن لها، وقد ودعته وهو يريد سفراً: امض مصاحباً مكلوأ^(٤)،
لا أشتت الله بك عدوًّا، ولا أرى محبك فيك سوءاً.

ودع أعرابي رجلاً، فقال كَبَتَ اللَّهُ لَكَ كُلَّ عَدُوٍّ إِلَّا نَفْسَكَ، وجعل خير مملك ،
ما ولى أجلك .

بيت قديم:

وَكُلُّ مُصِيبَاتِ الزَّمَانِ وَجَدَتْهَا سِوَى فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ هَيْئَةَ الْخَطْبِ^(٥)

قال محمد بن عبد السلام الخُشَنِي:

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَلَمْ تَكُ فُرْقَةُ إِذَا كَانَ مِنْ بَعْدِ الْفِرَاقِ تَلَاقِ
كَأَنَّ لَمْ تُورَقِ بِالْمِرَاقِينَ مُقْلَتِي وَلَمْ تَعْرِ كَفُ الشَّوْقِ مَاءَ مَآقٍ^(٦)
وَلَمْ أَزِرِ الْأَعْرَابَ فِي خَبْتِ أَرْضِهِمْ^(٦) بِذَاتِ اللَّوَى مِنْ رَامَةٍ وَبُرَاقِ

(١) زيادة من ب .

(٢) في ١: أبو عربة ، والصحيح ما آتينا ، هو أبو عوانة الوضاح بن خالد البشكري من حفاظ الحديث
الثقات ، مات بالبصرة سنة ١٧٦ هـ ، تاريخ بغداد ١٣/٤٦٠ ، تهذيب التهذيب ١١/١١٦ .

(٣) لم يرد البيت في ديوان أبي العتاهية ، وقد نسب إلى زهير السائي في تاريخ بغداد ٢/٣٨٤ .

(٤) البيت لقيس بن خريح الأبي ، اظهره في الحاشية لأبي تمام ٢/٧٠ ، سير أعلام النبلاء ٣/٣٤٠ ولبه:
وكل ملقات .

(٥) ب: ولم كف بالشوق ، ا: ولم تركف ، وتعر معناها تمسح .

(٦) م: عقر خبتهم ، ب: أرض خبتهم ، والمحبت: المتسع القبيح من الأرض .

وَلَمْ أَصْطَبِحْ فِي الْيَدِ مِنْ قَهْوَةِ النَّوَى بِكَاسٍ سَقَانِيهَا الْفِرَاقُ دِهَاقٌ^(١)

وقال آخر :

خَلِيلِي إِلَّا تَبْكِيَا لِي أَسْتَعِينُ خَلِيلًا إِذَا أَفْنَيْتُ دَمْعِي بَكْيِي يَا
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ إِذَا كَانَ بَعْدَهُ تَلَاقٌ وَلَكِنْ لَا إِخَالُ تَلَاقِيَا^(٢)

قالوا : كم بين لوعة الفراق ، وفرح التلاق .^(٣)

(١) انظر الأبيات للخشى أيضا في جذوة المقتبس ٦٤ ، ونسبها في نفع الطيب ٢/٢٢١ إلى محمد بن عيسى ،
ورواية الشطرة الأخيرة فيها : وكأس سقاها في الأزاهر ساق .

(٢) البيتان في حماسة أبي تمام ١٢٢/٢ .

(٣) ساقط من ١ .

باب الزيارة والعبادة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من زار أخا له في الله ، أو عاده ، خاض الرحمة حتى يرجع وقال الله عز وجل له : طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلا » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أتاكم الزائر فأكرموه » وقال^(١) حاكيا عن الله عز وجل : « وجبت محبتي للمتزاورين في والمتحابين في » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأبي هريرة : « يا أبا هريرة ! زُرْ غِيَابًا تَزِدُّ حُبًّا » . أخذهُ الشاعر فقال :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلَى فَزُرْ مُتَوَاتِرًا وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَادَ حُبًّا فَزُرْ غِيَابًا^(٢)

أنشدني أبو عثمان سعيد بن سيد^(٣) ، لعبد الملك بن جهور الوزير :

وَفَدَّ قَالَ الرَّسُولُ وَكَانَ بَرًّا إِذَا زُرْتَ الْحَبِيبَ فَزُرْهُ غِيَابًا

وَأَقْلِلْ زَوْرَ مَنْ تَهْوَاهُ تَزِدُّ إِذَا مَازَرْتَهُ مِقَّةً وَحُبًّا

ولم يبن أبي طالب الكاتب^(٤) :

إِنِّي رَأَيْتُكَ لِي مُحِبًّا وَإِلَى حِينَ أَغِيبُ صَبًّا

فَهَجَرْتُ لَا لِمَلَالَةٍ حَدَّثْتُ وَلَا اسْتَحْدَثْتُ ذَنْبًا

إِلَّا لِقَوْلِ نَبِيِّنَا زُورُوا عَلَى الْأَيَّامِ غِيَابًا

وَلِقَوْلِهِ مَنْ زَارَ غِيَابًا^(م) مِنْكُمْ يَزِدُّهُ حُبًّا

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من أ ، وانظر البيت في معجم الأدباء ١٥/١٦ .

(٣) ب : سعد .

(٤) ساقط في ب .

قال خارجة بن زيد النحوى : دخلت على محمد بن سيرين بيته زائراً له ، فوجدته جالساً بالأرض ، فألقى إلى وسادة ، فقالت له : إني قد رضيت لنفسى ما رضيت لنفسك . فقال : إني لا^(١) أَرْضِي لك فى بيتي ما أَرْضَى به لنفسى ، واجلس حيث تؤمر ، فاعمل الرجل فى بيته شئ يكره أن تستقبله .

قال بشار :

لَا تَجْمَعَنَّ أَحَدًا عَلَيْكَ إِذَا
وَصَلَ الْخَلِيلَ إِذَا شُغِفْتَ بِهِ
وَاطَوْ الزِّيَارَةَ دُونَهُ غِبًّا
فَلَذَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُوَاصَلَةٍ
أَحْبَبْتَهُ وَهَوَيْتَهُ رَبًّا
لَيْسَتْ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبًا
لِيَكُنْ يَمْلِكُ^(٢) ثُمَّ تَدْجُو بِاسْمِهِ
فَيَقُولُ : هَا ، وَطَالَمَا لَبَّى^(٣)

وقال آخر :

عَلَيْكَ بِإِقْلَالِ الزِّيَارَةِ إِنَّهَا
فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّمِيْتَ يُسَامُ دَائِمًا
تَكُونُ إِذَا دَامَتْ إِلَى الْهَجْرِ مَسْلُكًا
وَيُسَالُ بِالْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَ^(١)

قال قيس بن سعد بن عبادة : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم زائراً ، فوقف بيا بنا .

(١) ساقط من ب .

(٢) ب : لكى يملك .

(٣) لم أعتز على هذه الأبيات فيما طبع من ديوانه ، ولا فى المختار من شعره للخالدين ، ورواية م لهذا البيت :

لا بل يملك عند رؤيته ويقول أف وطالما كبا

(٤) محاضرات الأدباء . ١/١٣١ ، التمثيل والمحاضرة ٤٦٣ ، غير منسوين ، ونسباً لناصر بن أحمد الجوى ، فى معجم الأدباء . ١٩/٢١١ . ولابن حموش القيسى المقرئ فى وفيات الأعيان ٤/٣٦٤ ..

قال ابن المعتز^(١) :

وَقَفَّةٌ فِي الطَّرِيقِ نِصْفُ الزِّيَارَةِ^(٢).

وقال آخر :

وَحَظُّكَ زَوْرَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ مُوَاقَفَةٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ
سَلَامًا خَالِيًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعُودُ بِهِ الصَّدِيقُ عَلَى الصَّدِيقِ^(٣)

كان يقال : امش ميلا ومعد عليا ، وامش ميلين وأصلح بين اثنين ، وامش ثلاثة أميال ، وزر في الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان فيمن قبلكم رجل يزور أخا له في الله بقرية أخرى ، فأرصد^(٤) الله على مدرجه^(٥) ملكا ، فلما انتهى إليه قال له : أين تريد ؟ قال : أريد قرية كذا . قال : وما حاجتك فيها ؟ قال : زيارة أخ لي في الله . قال : وهل غير ذلك ؟ قال : لا . قال : فهل عليك من نعمة تربيتها^(٦) ، أو يد تشكرها ؟ قال : لا ، إلا أنه أحبنى في الله فأحبيته فيه^(٧) . قال : فإنني رسول الله إليك ، يخبرك أنه يحبك كما أحبيت فيه . »

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فم أذن لي فيها فزوروها فإنها تذكركم الآخرة ، ولا تقولوا هُجْرًا » .

(١) ب : ابن المغيرة .

(٢) صدره * قف لنا في الطريق ان لم نترنا * ديوانه ١٠٢ ، النخيل والمحاضرة ١٠١ .

(٣) البيان والتبيين ٢/٢٤٠٢ ، عيون الأخبار ٣/٢٤ ، وفيه : وحظك لقيه ، محاضرات الأدباء ٢٠/١٥٠ .

(٤) ب : فأرسل .

(٥) المدرج : السلك والطريق .

(٦) ب : تربيتها .

(٧) ب ، م : إلا أنه أخى في الله أحبه فيه .

كان سفيان بن عيينة يقول : لا تعمل الأقدام في الزيارة إلا إلى أقدارها ،
وينشد :

فَضَحَ الزِّيَارَةَ حَيْثُ لَا يُزْرَى بِهَا كَرَّمُ الْمَزُورِ وَلَا مَيْعَابُ الزَّائِرِ^(١)
وقال العباس بن الأحنف :

يُقَرِّبُ الشَّوْقُ دَارًا وَهِيَ نَازِحَةٌ مَنْ عَالَجَ الشَّوْقَ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارَا
أُزُورُكُمْ لَا أَكْفَيْكُمْ بِحَقِّ وَتِكُمْ إِنَّ الْمُحِبَّ إِذَا لَمْ يُسْتَنْزَرْ زَارَا^(٢)

وقال الأحوص :

وَمَا كُنْتُ زَوَّارًا وَلَكِنَّ ذَا التَّوَى إِذَا لَمْ يُزَرَ لَا بُدَّ أَنْ سَيُزُورُ
أُزُورُ عَلَى أَنْ لَسْتُ أَفْقِدُكُمْ لَمَّا أَتَيْتُ عَدُوًّا بِالْبَيْنَانِ يُشِيرُ^(٣)

وقال آخر :

فَإِنِّي لَزَوَّارٌ لَمَنْ لَا يُزُورُنِي إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي وَدِّهِ بِمُرِيبٍ
وَمُسْتَقْرِبٌ دَارَ الْحَبِيبِ وَإِنْ نَأَتْ وَمَا دَارُ مَنْ أَبْخَضَتْهُ بِقَرِيبٍ^(٤)

وقال آخر :

رَأَيْتُ تَبَاعُدَ الْإِخْوَانِ قُرْبًا إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى الْوُدِّ الْقُلُوبُ
وَلَيْسَ يُوَاصِلُ الْإِلْمَامَ إِلَّا ضَائِنٌ فِي مَوَدَّتِهِ مُرِيبٌ^(٥)

(١) عيون الأخبار ٢٩/٣ ، محاضرات الأدباء ٢٧٧/١ .

(٢) ديوانه ١٢٥ ، مع اختلاف في ألفاظ الرواية . محاضرات الأدباء ٣٠٥/١ ، ١٥/٢ .

(٣) البيتان في الأغاني ١١٥/١٢ ، والأول في السكامل ٣٣٣/١ .

(٤) : إذا لم يكن لي في وجوه مرّيب ، والبيتان في محاضرات الأدباء ١٥/٢ . منسوب إلى ابن حجاج .

(٥) في طلبه يجود به مرّيب .

وقال إبراهيم بن العباس الصولي :

دَنْتُ بِأَنْاسٍ مِنْ تَنَاؤِ زِيَارَةٍ وَشَطَّ بَلِيلِي عَنْ دُنُوٍّ^(١) مَزَارُهَا
وَإِنَّ مَقِيمَاتٍ^(٢) بِنُقْطَعِ اللَّوَى لِأَقْرَبُ مِنْ لَيْلَى وَهَاتِيكَ دَارُهَا^(٣)

وأما قول قرم بن مالك :

عَلَامَ أَوَايِمِ الْبُخْلَاءِ فِيهَا فَأَقْعُدْ لَا أَزُورُ وَلَا أَزَارُ

قال بعضهم : إن معناه علام أستوحش من الناس ، وتناول من ذهب هذا المذهب في قول العرب: لولا الأوام هلك الأنام ، أى لولا أنس الناس بعضهم ببعض لهلكوا إذا غمهم الوحشة . وقال آخرون في قولهم : لولا الأوام هلك الأنام ، أى لولا أن بعض الناس إذا رأى صاحبه صنع خيراً تشبه به ، لهلك الناس ، ولبعض أهل العصر :

أَزُورُ خَلِيلِي مَا بَدَا لِي هَشُهُ وَقَابَلَنِي مِنْهُ الْبَشَاشَةُ وَالْبِشْرُ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَشٌ وَبَشٌ تَرَكْتُهُ وَلَوْ كَانَ فِي اللَّائِمَا الْوِلَايَةُ وَالْيُسْرُ
وَحَقُّ الَّذِي يَنْتَابُ دَارِي زَائِرًا طَعَامٌ وَبِرٌّ قَدْ تَقَدَّمَهُ بَشْرُ

(١) : عن تناء .

(٢) : وابن مقيماً حيث .

(٣) محاسرات الأدبا . ٣١/٦ ، وفيات الأعيان ٢٥/١ ، نهاية الأرب ٨٩/٢ ، النشيد والمخلص ٩١ ، رهر

الأدب ١٥٦/٤ وفيه : تناوب يقوم عن .

باب العيادة أيضاً^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عائدُ المريض في مخْرِفَةٍ^(٢) الجنة ، وقال عليه السلام : « عائدُ المريض يخوض الرحمة ، فإذا قعد عنده غمر قال مالك : أو نحو هذا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُسَدَّ إِذَا لَقِيَهِ ، وَيَعُودَهُ إِذَا مَرَضَ ، وَيُسَمِّتَهُ إِذَا عَطِسَ ، وَيُشَيِّعُ جَنَازَتَهُ إِذَا مَاتَ ، وَ لَطَعَامَهُ إِذَا دَعَاهُ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَفْضَلُ الْعِيَادَةِ أَخْفُهَا .

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة ، قال : حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن^(٣) — يعنى ابن أَرْطَاة — عن المنهال عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس « من دخل على مريض لم تحضر وفاته ، فقال : أسأل الله العظيم ، رَبَّ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ ، سبع مرات ، شُفِيَ .

قال الشاعر :

إِنْ كُنْتُ فِي تَرْكِ الْعِيَادَةِ تَارِكًا حَظِّي فَإِنِّي فِي الدُّعَاءِ لَجَاءُ
وَلَرُبَّمَا تَرَكَ الْعِيَادَةَ مُشْفِقًا وَأَتَى عَلَى غِلِّ الضَّمِيرِ الْحَاسِدُ

(١) ساقط في ب .

(٢) المخرفة : البدتان ، والسكة بين صفين من نخل يخترق المخترق من أيهما شاء .

(٣) ب : ابن .

(٤) البيتان في محاضرات الأدباء ١٥/٣ ، منسوبين إلى الخوارزمي ، ووردا من غير نسبة في عبون الأخبار

وقال آخر :

إِذَا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ وَتَذُنُّونَ فَنَاتِيَكُمْ فَتَعْتَدِرُكُمْ^(١)

وقال عبد الله بن مصعب الزيري :

مَالِي مَرِضْتُ فَلَمْ يَعُدَّنِي عَائِدٌ مِنْكُمْ وَيَمْرُضُ كَلْبُكُمْ فَأَعُودُكُمْ^(٢)
فَسُمِّيَ عَائِدُ الْكَلْبِ .

ولجعفر بن حذار الكاتب :

إِنَّ الْعِيَادَةَ يَوْمٌ بَيْنَ يَوْمَيْنِ^(٣) وَاقْعُدْ قَلِيلًا كَلْحَظِ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ
لَا تُبْرِمْ مَرِيضًا فِي عِيَادَتِهِ يَكْفِيكَ مِنْ ذَلِكَ تَسَالُ بِحَرْفَيْنِ^(٤)

وللشافعي الفقيه رضى الله عنه ، وقد اشتكى بمصر شكوى عاده فيها بمض
إخوانه ، فامسوا جبينه ، وقالوا له : أنت بخير ونحو هذا ، فقال :

أَقُولُ لِعَائِدِي وَشَجَّعُونِي وَغَرَّمُ فِتُورُ حَمِي^(٥) جَبِينِي
تَعَزَّوْا بِالتَّصَبُّرِ عَنْ أَخِيكُمْ فَضَجُّوا بِالْبُكَاءِ وَوَدَّعُونِي
فَلَمْ أَدَعْ الْأَيْنِ لِقَلِّ سَقَمِي وَلَكِنِّي ضَعُفْتُ عَنِ الْأَيْنِ

(١) البيت للمؤمل بن أميل ، انظر التمثيل والمحاضرة ٩٠ ، المستطرف ٢٢٦/١ ، ٣٣٢/٢ .

(٢) الكامل ٣٢٢/١ ، المستطرف ٣٣٢/٢ ، عيون الأخبار ٥٢/٣ .

(٣) ب : يوم بيومين ، وفي محاضرات الأدباء والمستطرف : حق العيادة يوم بعد يومين .

(٤) انظر المحاضرات ٢٠٩/١ ، والمستطرف ٣٣٢/٢ ، العقد الفريد ٥٠/٢ ، وقد ورد في البيت الأول :

عيادة المرء يوم بين يومين وجلسة لك مثل اللحظ بالعين

وفيه : مسائلة مكان عيادته في البيت الثاني .

(٥) الحمى بالكسر : السخونة والرق .

سَأَصْبِرُ لِلْحِمَامِ وَقَدْ أَتَانِي وَإِلَّا فَمَوْ آتٍ بَعْدَ حِينٍ
وإنْ أَسْلَمَ يَمُتْ قَبْلِي حَبِيبٌ وَمَوْتُ أَحِبَّتِي قَبْلِي يَسُونِي^(١)

قال المدائني : سقط عبد الله بن شبرمة القاضي عن دابته ، فوثقت^(٢) رجله ،
فدخل عليه يحيى بن نوفل^(٣) الشاعر حائداً له ومادحاً ، وكان جاره ، فأنشده :

أَقُولُ غَدَاةَ أَتَانَا الْخَبِيرُ وَدَسَّ أَحَادِيثَهُ هَيْئَةً^(٤)
لَكَ الْوَيْلُ مِنْ مُخْبِرٍ مَا تَقُولُ؟ أَيْنَ لِي وَعَدَّ عَنِ الْجُمُعَةِ^(٥)
فَقَالَ خَرَجْتُ وَقَاضَى الْقَضَا مَنَفَكَةُ رَجُلُهُ مُؤَلَّمَةٌ
فَقُلْتُ وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْبِلَادُ وَخِفْتُ الْمُجَلَّلَةَ الْمُعْظَمَةَ
فَغَزَوَانُ حُرٌّ وَأُمُّ الْوَلِيدِ إِنَّ اللَّهَ عَافَى^(٦) أَبَا شَبْرَمَةَ
جَزَاءً لِمَعْرُوفِهِ عِنْدَنَا وَمَا عَتَقُ عَبْدٌ لَهُ أَوْ أَمَةٌ^(٧)

قال : وفي المجلس جازاً ليحيى بن نوفل ، يعرف ما^(٨) في منزله ، فلما خرج تبعه ،
فقال له : يا أبا مَعْمَر^(٩) ! رَحِمَكَ اللَّهُ مَنْ غَزَوَانُ وَأُمُّ الْوَلِيدِ ؟ قال : سَيَّوْرَانُ فِي
الْبَيْتِ ، فَاسْتَرَعَلْنِي .

(١) الأبيات الثلاثة الأولى في معجم الأدباء ١٩٧/١ ، والرواية للبيت الأول فيه . أقول لصاحبي وسليان : الخ .

(٢) وثقت : انفكت ، أو أسابها وجع من غير كسر .

(٣) الحميري الباني ، كان شاعراً هجاء ، وكان مع ذلك ظريفاً ذا فكاهة ، انظر في ترجمته الشعر والشعراء

٧١٢ — ٧٢١ ، رغبة الأمل ١/١٣٢ ، ٤/١٨٣ ، ٥/١٤٦ .

(٤) الهينة : الصوت الخفى .

(٥) الجمجمة : السلام الذي لا يبين .

(٦) ب : عفا .

(٧) الأبيات في عيون الأخبار ٣/٨ ، الشعر والشعراء ٧١٩ .

(٨) ١ : من .

(٩) ب ، ا ، م يا أبا العمر ، وهو خطأ ، انظر مراجع ترجمته السابقة .

بَابُ الْحِجَابِ

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ شَيْئًا فَاحْتَجَبَ عَنْ حَاجَتِهِمْ ، احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَنْ حَاجَتِهِ ، وَخَلَّتْهُ وَفَاقَتْهُ » .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ رَفَعَ حَاجَةً ضَعِيفٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لَا يَسْتَطِيعُ رَفْعَهَا ، ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

حجب معاويةُ أبا الدرداء يومًا ، وحبسه عند بابه ، فقيل له : يا أبا الدرداء ! ويفعل هذا بك وأنت صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : من يأت أبواب السطان يُقِمُّ وَيَقْعُدُ .

قال عبدُ العزيز بن زُرَّارَةَ الكلابي :

دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ ^(١) بْنِ صَخْرٍ عَلَى حِينٍ يَنْتَسُ مِنْ الدَّخُولِ
وَمَانَلْتُ الدَّخُولَ عَلَيْهِ حَتَّى حَلَلْتُ مَحَلَّةَ الرَّجُلِ الذَّلِيلِ
وَأَغْضَيْتُ الْجَفُونَ عَلَى قَدَاها وَلَمْ أَنْظُرْ إِلَى قَالٍ وَقِيلِ
فَأَدْرَكْتُ الَّذِي أُمِلْتُ مِنْهُ بِمُكْنَتٍ وَالْخَطَأُ زَادُ الْعَجُولِ ^(٢)

حُجِبَ أَعْرَابِيٌّ عِنْدَ بَابِ سُلْطَانٍ فَقَالَ :

أُهِينَ لَهُمْ نَفْسِي لِأَكْرَمَها بِهِمْ وَلَنْ يُكْرِمَ النَّفْسَ الَّذِي لَا يُهَيِّئُهَا ^(٣)

(١) ب : ابن منصور .

(٢) الأبيات في عيون الأخبار ١/٨٣ ، التنبيه للبكري ٦١ ، وفيهما : ... بن حرب وذلك لماذ ، وى البيت الأخير رواية التنبيه : والخطاء مع العجول .

(٣) في هامش البيان علق الأستاذ السندوبى على البيت بأنه للحسن بن عبد الحميد ، وقد روى وهو يزاحم الناس على باب محمد بن سليمان العباسي ، فقيل له : مثلك يرضى بهذا ؟ فقال البيت . انظر البيان ٣/١١٨ . وانظره في العقد ١/٨٢ ، عيون الأخبار ١/٩١ .

حدثني أبو القاسم خلف بن قاسم رحمه الله ، قال : حدثنا أبو بكر محمد بن
مُعَبِّدُ اللَّهِ الصَّيْدَلَانِي ، قال : حدثنا علي بن سليمان الأخفش ، قال : أنشدني بعض
أصحابنا :

في كلِّ يومٍ لى رَبِّابِكَ وَقْفَةٌ أَطْوَى إِلَيْهَا سَائِرَ الْأَبْوَابِ
فَإِذَا جَلَسْتَ وَغَبْتُ عَنْكَ فَإِنَّهُ ذَنْبٌ عَقُوبَتُهُ عَلَى الْبَوَابِ^(١)

استأذن أبو سفيان على عثمان رضي الله عنه ، فأبطأ إذنه ، فقل حَجَبِكَ ،
أمير المؤمنين ؟ فقال : لا عدمت من قومي من إذا شاء - حَجَب .

قال معاوية لِحُضَيْنِ بْنِ الْمُنْدِرِ : يَا أَبَا سَاسَانَ ! كَأَنَّكَ لَا تَحْسِنُ^(٢) أَذْكَ ..
فَأَنْشَأَ يَقُول :

كلُّ خَفِيفِ الرَّأْيِ يَعْشَى مُشْمَرًا إِذَا فَتَحَ الْبَوَابُ بَابَكَ إِصْبَمًا
وَنَحْنُ الْجُلُوسُ الْمَاكُثُونَ رِزَانَةً وَحِلْمًا إِلَى أَنْ يَفْتَحَ الْبَابُ أَجْمَعًا^(٣)

قال زياد لحاجبه : يَا عَجَلَانَ ! إِنِّي وَلِيِّتِكَ مَا وَرَاءَ بَابِي ، وَعَزَّائِكَ عَنْ أَرْبَعَةٍ :
طارقٍ لَيْلٍ فَشْرَةٍ^(٤) مَا جَاءَ بِهِ ، وَخَبِيرٍ رَسُولٍ صَاحِبِ الشَّعْرِ فَإِنَّهُ إِنْ تَأَخَّرَ سَاعَةً
أَبْطَلَ عَمَلَ سَنَةٍ ، وَهَذَا الْمَنَادَى لِلصَّلَاةِ ، وَصَاحِبِ الطَّعَامِ فَإِنَّ الطَّعَامَ إِذَا أُعِيدَ عَلَيْهِ
التَّسْخِينُ فَسَدَ .

(١) البيتان في عيون الأخبار ٩١/١ ، المستطرف ١١٥/١ .

(٢) ساقط من أ .

(٣) البيان ٢١٧/٢ ، وفيه : وكل خفيف الساق يسمى ، الماكثون تفرأ . وانظر عيون الأخبار ٨٨/٣ ،
المستطرف ١٣/١ ، العقد ٧٩/١ ، وورد الشطر الأول فيه : رأيت أناساً يسرعون بهادراً .

(٤) ساقط من ب .

قال مروان لابنه عبد العزيز - حين ولّاه مصر - : يا بني امر حاجبك
بخبرك من حضر بابك كل يوم ، فتكون أنت تأذن وتحجب ، وآيس من دخل
عليك بالحديث فينبسط إليك ، ولا تعجل بالعقوبة إذا أشكل عليك الأمر ، فإنك
على العقوبة أقدر منك على ارتجاعها .

كان يقال : لا تقم على باب حتى تدعى إليه .

أقام رجل على باب كسرى سنة ، فلم يؤذن له ، فقال له الحاجب : اكتب كتاباً
وخففه أوصله لك . فقال : لا أزيد على أربعة أسطر ، فكتب في السطر الأول :
الأمْلُ والضرورة^(١) أقدماني عليك^(٢) ، وفي السطر الثاني : (ليس مع العدم صبر
على الطلب . وفي السطر الثالث^(٣) : الرجوع بلا فائدة شماتة الأعداء ، وفي السطر
الرابع : إما نعم مشمرة ، وإما لا مؤسفة . فوق كسرى تحت كل سطر بأربعة آلاف
درهم^(٤) ، فانصرف بستة عشر ألف درهم .

قال أشجع بن عمر السلمي^(٥) ، في باب محمد بن منصور بن زياد :

على باب ابن منصورِ علامات من البذلِ
جماعات وحسب الباء بفضلا كثرة الأهل^(٦)

(١) ب : القدرة .

(٢) ١ : على الملك .

(٣) ساقط من ب .

(٤) وقع تحت كل سطر ببدرة .

(٥) ب : السلمي .

(٦) عيون الأخبار ٩٠/١ ، السكامل ١٠١/١ وفيه : وحسب الباب نبلا ، محاضرات الأدباء ٢٥٦/١ .

وقال بشار بن برد :

يَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يُنْتَثِرُ الْحَبُّ (٢) وَتَغْشَى مَنَازِلُ الْكَرَمَاءِ (١)

وقال حبيب :

إِنَّ السَّمَاءَ تَرْجَى حِينَ تُحْتَجَبُ (٣)

وقال آخر :

يَزْدَحِمُ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ وَالْمَشْرَبُ (٤) الْعَذْبُ كَثِيرُ الزَّحَامِ (٥)

وقال عبيد الله بن عكراش :

وَإِنِّي لَأَرْثِي لِلْكَرِيمِ إِذَا غَدَا عَلَى طَمْعٍ عِنْدَ اللَّئِيمِ يُطَالِبُهُ
وَأَرْثِي لَهُ مِنْ وَقْفَةٍ عِنْدَ بَابِهِ كَمَرِّ تَيْتِي لِلطَّرْفِ وَالْعَلَجِ رَاكِبُهُ (٦)

كتب رجل إلى عبد الله بن طاهر :

إِذَا كَانَ الْجَوَادُ لَهُ حِجَابٌ فَمَا فَضَّلَ الْجَوَادِ عَلَى الْبَخِيلِ
فَأَجَابَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ (٧) :

إِذَا كَانَ الْجَوَادُ قَلِيلَ مَالٍ وَلَمْ يُعْذَرْ تَعَلَّلَ بِالْحِجَابِ (٨)

(١) المختار من شعر بشار ٩٣ ، البيان ١٨٢/١ ، ١٨٨ ، عيون الأخبار ٩١/١ ، ٢٦/٣ ، نهاية الأرب ٧٧/٣ .

(٢) صدره : ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا . انظر ديوانه ٤٢ .

(٣) ب : والمشرع وكذلك في عيون الأخبار ، وفي المحاضرات : والمنهل .

(٤) البيت لبشار ، المختار من شعره ٩٥ ، الكامل ١٠١/١ ، محاضرات الأدباء ١٤١/١ ، معجم الأدباء

٢٢٦/٦ ، عيون الأخبار ٩٠/١ .

(٥) البيان والتبيين ٢٠١/٣ ، عيون الأخبار ٨٩/١ ، والطرف : الجواد الكريم .

(٦) زيادة من ب .

(٧) البيت والذي سبقه في المحاسن والمساوىء ١٢٦/١ ، المستطرف ١١٣/١ ، عيون الأخبار ٨٩/١ .

محاضرات الأدباء ١٠٣/١ ، العقد الفريد ٨٦/١ ، وفيه : الكريم مكان الجواد ، في البيتين .

وقال البحترى :

أَتَيْتُكَ لِلتَّسْلِيمِ لَا أَنِّي امْرُؤٌ طَلَبْتُ يَأْتِيَانِيكَ أَسْبَابَ نَائِلِكَ
فَأَلْفَيْتَ بَوَّابًا يَبَايِكَ مُغْرَمًا بهدم الذى أوطأته من فضائلِكَ
وقد قيل قَدْ مَأْ حَاجِبُ الْمَرْءِ عَامِلٌ عَلَى عِرْضِهِ فَاحْذَرُ جُنَايَةَ حَامِلِكَ
وكن عالمًا أن لست من بعد راجعًا إليك ولو كان الهدى من رسائلِكَ^(١)

ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود إلى عمر بن عبد العزيز :

يَا عُمَرَ بْنَ مُعَمَّرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِنْ وَقُوفَ الْحَرِّ عِنْدَ الْأَبْوَابِ
يُدْفَعُ الْبَوَّابُ بَعْدَ الْبَوَّابِ يَعْدِلُ عِنْدَ الْحَرِّ قَلْعَ الْأَنْيَابِ^(٢)
قال بعض الأكاسرة لحاجبه : لا تمحج عنى أحداً إذا أخذت مجلسى ، فإن الوالى
لا يحجب إلا عن ثلاث : عى يكره أن يُطْلَعَ عليه ، أو بخل فيكره أن يدخل إليه
من يسأله ، أو ريبة .

وقد نظم هذا كله محمود الوراق فقال :

إِذَا اعْتَصَمَ الْوَالِىَ بِإِغْلَاقِ بَابِهِ وَرَدَّ ذَوِى الْحَاجَاتِ دُونَ حِجَابِهِ
ظَنَنْتُ بِهِ إِحْدَى ثَلَاثٍ وَرَبَّمَا نَزَعْتُ بَظْنَ وَاقِعٍ بِصَوَابِهِ
فَقُلْتُ بِهِ مَسْ^(٣) مِنْ الْعِىِّ قَاطِعٌ فِى إِذْنِهِ لِلنَّاسِ إِظْهَارُ مَا بِهِ
فَإِنْ لَمْ يَكُ عِىُّ اللِّسَانِ فَغَالِبٌ مِنَ الْبُخْلِ يَحْمِى^(٤) مَالَهُ عَنْ طَلَابِهِ

(١) لم أعثر عليها فى الديوان ، ووردت فى العقد ٨٧/١ بدون نسبة .

(٢) لسب البيتان فى المؤلف ١٦٩ إلى كثير بن كثير السهمى .

(٣) ١ : شىء .

(٤) ب : يحصى .

فإن لم يكن هذا ولاذا قَرِيْبَةً يُصِرُّ عَلَيْهَا عِنْدَ إِغْلَاقِ بَابِهِ^(١)
وله أيضاً :

لولا مُقَارَفَةُ الرِّيبِ مَا كُنْتَ يَمْنٌ يَحْتَجِبُ
أَوْ لَا فَعِيٌّ فِيكَ أَوْ مُخْلٌ عَلَى أَهْلِ الطَّلَبِ
فَاكْشِفْ لَنَا وَجْهَ الْعَتَا بِ وَلَا تُبَالِ مَنْ عَتَبَ

وقد جمع منصور الفقيه هذا المعنى في أقل نظم ، فقال :

وَطَوَّلُ الْحِجَابِ مُخْبِرٌ عَنْ عِيٍّ صَاحِبِهِ وَبُخْلِهِ
فَإِذَا الْفَتَى لَمْ يَسْتَبِنْ هَذَا تَبَيَّنَ ضَعْفُ عَقْلِهِ

وأرفع من^(٢) هذا قول زهير :

السُّتْرُ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَمَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرٍ^(٣)

قصد إبراهيم بن المهدي يحيى بن خالد فحجبه ، فكتب إليه إبراهيم :

إِنِّي أَتَيْتُكَ لِلسَّلَامِ وَلَمْ أَتُفْلَ إِلَيْكَ لِحَاجَةٍ رَجُلِي
فَحُجِبْتُ دُونَكَ مَرَّتَيْنِ وَقَدْ تَشْتَدُّ وَاحِدَةٌ عَلَى مِثْلِي

(١) عيون الأخبار ٨٤/١ ، المحاسن والمساوي ١٢٦/١ .

(٢) ب : ماني .

(٣) ١ : وما تلقى دون خبر من ستر ، وقد أثبتنا رواية ب لموافقتها لمختلف الروايات ، وانظره في ديوانه ٩٥ ، التمثيل والمحاضرة ٤٧ ، زهر الآداب ١٢٨/٣ ، نهاية الأرب ٥٩/٣ ، الأمل ٩١/١ .

وقال آخر :

سأتركُ باباً أنت تملكُ إذنه وإن كنتُ أعمى عن جميع المسالكِ
فلو كنتُ بوابَ الجنان تركتها وحوّلتُ رجلى مُسرّعاً نحو مالكِ^(١)

وقال محمود الوراق :

سأتركُ هذا البابِ مادام إذنه كعمدي به حتى يخفّ قليلاً
وما خابَ من لم يأتَه مُتعمداً ولا فازَ مَنْ قد نال منه وُصُولاً
وما جُعِلْتُ أرزاقنا بيد امرئ تحمى بابه من أن يُنال دُخُولاً^(٢)
إذا لم أجدَ يوماً إلى الإذنِ سُلماً وجدتُ إلى تركِ المجيءِ سَبِيلاً^(٣)

وقال آخر :

على أيّ بابٍ أطلبُ الإذنَ بعدما حُجِبتُ عن البابِ الذي أنا حاجِبُهُ^(٤)
وفي معنى هذا قول الفرزدق :

وكان يحيرُ الناسَ من سيفِ مالكٍ فأصبحَ يَبْغِي نَفْسَهُ من يُحِيرُهَا^(٥)

(١) المعاسن والمساوي ١٢٦/١ ، المستطرف ١٤/١ ، عيون الأخبار ٨٥/١ .

(٢) سافط من ب .

(٣) اضطرب في نسبة هذه الأبيات إلى صاحبها اضطراباً كبيراً ، فقد نسبها المرزباني في معجم الشعراء ٤٣١ أولاً إلى السديري أبي نُبَكة واسمه محمد بن هشام بن أبي خبيصة ، ثم نسبها مرة ثانية في ص ٤٤٨ إلى محمد بن أبي عمران ، وواقفه الراغب في المعاضرات ١٠٢/١ ، ونسبت في المستطرف ١١٤/١ ، إلى أبي تمام ولا توجد في ديوانه ، ونسبت في وفيات الأعيان ٢٧٦/٢ إلى أبي العميش عبد الله بن خالد ، وانظرها في العقد ٨٦/١ ، ٨٩ بدون نسبة .

(٤) البيت للثوث البامي عبد الملك بن عبد العزيز المعروف بتوبت انظر البيان ٤٠٠/٢ وانظره في معجم الأدباء ٢٥٨/٣ ، عيون الأخبار ٨٥/١ .

(٥) ديوانه ٧٣ ، البيان ٣٤٠/٢ .

وقال آخر :

ولست بمتَّخذٍ صَاحِبًا يقيمُ على بابِهِ حَاجِبًا
ويُلزِمُ إخوانَهُ حَقَّةً وليس يَرَى حَقِّهم وَاجِبًا^(١)

وقال أبو تمام :

هَشَّ إِذَا نَزَلَ الْوَفُودُ بِيَابِهِ سَهْلُ الْحِجَابِ مُهَذَّبُ الْخُدَّامِ
وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا أَخُو الْأَرْحَامِ^(٢)

وقال أبو العتاهية في عمرو بن مسعدة :

مَالِكَ قَدْ حُلِمْتَ عَنْ وَفَائِكَ^(٣) وَاس تَبَدَّلْتَ يَا عَمْرُو شِيْمَةً كَدِرَةً
^(٤)مَالِي فِي حَاجَةٍ إِلَيْكَ سِوَى تَسْهِيلُ إِذْنِي فَإِنَّهَا عَسِيرَةٌ
إِنِّي إِذَا الْبَابُ تَاهَ صَاحِبُهُ^(٥) لَمْ يَكُ عِنْدِي لَتْرَكَ نَظَرَةٍ
لَسْتُمْ تُرْجَوْنَ لِلْحِسَابِ وَلَا يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ مُنْفَطِرَةً
لَكِنْ لِدُنْيَا تَكُونُ بِهِجَّتُهَا^(٦) سَرِيعَةً الْإِنْقِضَاءِ مُنْشَمِرَةً
قَدْ كَانَ وَجْهِي لَدَيْكَ مَعْرِفَةً فَالْيَوْمَ أَضْحَى بَابًا^(٧) مِنَ النِّكَرَةِ^(٨)

(١) عيون الأخبار ٨٥/١ .

(٢) يروى البيت الأول : سهل الغناء إذا حلت ببابه طاق اليدين مؤدب الخدام ويروى : ذوو ، مكان أخو في البيت الثاني ، والبيتان ليسا لابن تمام بل وردا في حواشي فقط ، وقد نسبهما هوفسه لمحمد بن بشير الخارجي في الحماسة ٢٤٠/١ ، ٣٤١ ، ووردا مرتين في معجم الشعراء ص ٢٤٥ ، ٤١٢ ، ونسبا في الأولى لأبي البلاء عمير بن عامر مولى يزيد بن يزيد الشيباني ، وفي الثانية لمحمد بن بشير الخارجي ، وقد نسبها في البيان والتهيين ١/١٧٩ ، والمقد الفريد ٢/٣١٥ عيون الأخبار ٨٩/١ إلى ابن هرمة ، وانظرهما في : محاضرات الأدباء ٢/٢ الخامس والساوي ١/١٢٤ من غير نسبة .

(٣) رواية الديوان للكلمات التي عليها نفس الرقم بالترتيب : إخوانك ... حاجبه ... كالظل ... حرفا .

(٤) ساقط من ب .

(٥) الديوان ٣٢٦ .

كتب أبو مسهر إلى أبي جعفر محمد بن عبدكأن ، وكان قد حُجِبَ على يابه :
 إني أتيتك للسلام أَمْسِ فَلَمْ تَأْذَنْ عَلَيْكَ لِیَ الْأَسْتَارُ وَالْحُجُبُ
 وقد علمت بآني لَمْ أُرَدْ وَلَا والله مارد إلا الحديث والأدب^(١)
 فأجابه محمد بن عبدكأن :

لو كنت كافات بالحسنى لقلت كما قال ابن أوس في أشعاره أدب
 ليس الحجاب بمقص عنك لي أملاً إن السماء تُرجى حين تُحجب^(٢)
 وقال منصور الفقيه :

إن الحجاب عذاب وليس لي بالعذاب
 كلاً^(٣) فلا تعذّلوني على اتصال اجتنابي

وله أيضاً :

إذا كان لابد من حجة
 يخاطب من جاءه بالجميل
 ومن حاجب فاجملوه رفيقاً
 فيأتي صديقاً ويمضي صديقاً

(١) في المعتمد ١٨٠/١ ، للتسليم مكان السلام ، وفيه : ولا والله مارد إلا: الحديث والعلم والأدب .

(٢) ب : إذا .

بَابُ الْمَصَافَحَةِ وَتَقْبِيلِ الْيَدِ وَالْقَمِّ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَصَافَحُوا يَذْهَبُ الْغِلُّ ^(١) » .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ وَتَصَاخَا تَحَاتَّتْ
ذُنُوبُهُمَا كَمَا يَتَحَاتَّتْ ^(٢) الشَّجَرُ » .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا صافح رجلاً لم ينزع يده من يده حتى
يكون الرجل هو الذي ينزع يده من يده .

قال أبو مخلد : المصافحة تجلب المحبة .

كان يقال : تحية المؤمنين المصافحة والسلام .

قال الشاعر :

قَدْ يَمَكُثُ النَّاسُ دَهْرًا لَيْسَ يَذْنِبُهُمْ وَدُّ فَيَزِرْعُهُ التَّسْلِيمُ وَاللُّطْفُ
لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة ، وأرادوا النزول على حكم
سعد بن معاذ ، وكان قد تخلف بالمدينة لجرح أصابه بعث إليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فلما قدم عليه ، قال للأَنْصار : « قوموا إلى سيّدكم » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ
مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

ومذهب الحديثين أنه جائز للرجل أن يكرم القاصد إليه إذا كان كريم قوم ،
أو عالمهم ، أو من يستحق البرّ منهم بالقيام إليه أو يرضى بذلك منهم .

(١) الغل بالكسر : الحقد والضغن .

(٢) حته : فركه وقشره ، وتحات الشجر : سقط ورقه .

قال ابن المُسَيَّب البغدادي ، جار^(١) ابن الرومي :

أَقُومُ وَمَا بِي أَنْ أَقُومَ مَذَلَّةً عَلَى وَإِنِّي لِلْكَرَامِ مُذَلَّلٌ
عَلَى أَنَّهَا مِنِّي كَغَيْرِكَ هُجْنَةٌ وَلَكِنَّا يَنِينِي وَيَدِينُكَ تَجْمُلُ^(٢)

كان يقال : تقبيل^(٣) اليد إحدى السجديتين .

تناول أبو عبيدة بن الجراح يد عمر ليقبّلها ، فقبضها ، فتناول رجله ، فقال :
«ارضيت منك بترك فكيف بهذه ١١»

دخل عَقَّالُ بْنُ شَبَّةَ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَرَادَ أَنْ يُقَبِّلَ يَدَهُ فَقَبَضَهَا ،
وَقَالَ : مَه . فَإِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ هَذَا مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا هَلُوعٌ ، وَمِنَ الْعَجَمِ إِلَّا خَضُوعٌ .

قال الحسن : مُقْبَلَةٌ يَدِ الْإِمَامِ الْعَدَلِ طَاعَةٌ .

كان يقال : قُبْلَةُ الرَّجُلِ زَوْجَتُهُ الْقَمَمُ ، وَقُبْلَةُ الْوَالِدِ وَلَدُهُ الرَّأْسُ ، وَقُبْلَةُ الْأُمِّ^١
الْوَلَدُ الْخَدُّ ، وَقُبْلَةُ الْأَخْتِ الْأَخُ الْعُنُقُ .

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : قُبْلَةُ الْوَالِدِ عِبَادَةٌ ، وَقُبْلَةُ الْوَلَدِ رَحْمَةٌ ،
وَقُبْلَةُ الْمَرْأَةِ شَهْوَةٌ ، وَقُبْلَةُ الرَّجُلِ أَخَاهُ دِينٌ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العَيْنَانِ تَزْنِيَانِ ، وَزَنَاؤُهُمَا النَّظَرُ ، وَالْقَمَمُ

(١) ب قال ، ١ : خال .

(٢) محاضرات الأدباء ١٧/٢ ، ولم يلبسه ، وقد بحثت في ديوان ابن الرومي لاحتمال كونها له ، فلم أعثر
عليهما فيه وقد سبقا في ص ٤٤ .

(٣) ساقط في ب .

بزني ، وزناؤه القبل^(١) ، واليد تزني ، وزناؤها اللبس ، ويصدق ذلك كله الفرج أو يكذبه .

قال الهيثم بن عدي ، قال لي صالح بن حيّان : من أفقه الشعراء ؟ فقلت :
اختلف في ذلك . فقال : أفقه الشعراء وصّاح اليمن^(٢) ، حيث يقول :

إذا قلتُ هاتي ناوليني تبسّمتُ وقالت: معاذ الله من فعلٍ ماحرُمُ
فما نوّلتُ حتّى تضرّعتُ عندها وأعلمتها ما أرخصَ الله في اللّمَمِ^(٣)

(١) ١ : القول .

(٢) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال ، شاعر رقيق النزل ، قتله الوليد بن عبد الملك ، لئلا يفرّج زوجته أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، انظر الأغاني ٣٠/٦ — ٤٤ .

(٣) البيتان في محاضرات الأدباء ٢١٠/١ ، وفيات الأعيان ٦٦/٦ .

بابُ الرِّسُولِ

ذكر ابن الأنباري ، عن ثعلب ، عن ابن الأعرابي ، قال : الرِّسُولُ والرِّسِيلُ
والرِّسالة سواء .

وينشد هذا البيت على وجهين :

لقد كَذَبَ الواشُونَ ما بُحْتُ عندهم بسرٌّ ولا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولٍ^(١)
^(٢)ويروى برسيل^(٣) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أبردتكم^(٤) إلى بريداً ، أو بعثتم رسولا ،
فليكن حسن الوجه ، حسن الاسم ، وإذا سألتهم الحوائج فاسألوا حسان الوجوه » .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرجل الصالح يحى بالخبر الصالح ،
والرجل السوء يأتى بالخبر السوء » .

أنشد أبو حازم القاضي ببغداد :

وأنا عن النبي حديثاً ن^(٥) إليه كِلَاهِمَا يُسْنَدَانُ^(٦)
واحد في الحاجات يأمرنا أن نبتغي من ذوى الوجوه الحسان
مهم في القول حبه حسن الـ م وهذان فيك مجتَمعان
ومعاذ الإله أن يُلَفِّيا في لك كما جاء عنه^(٥) لا يصدّقان

(١) البيت لسكبر ديوانه ٩٤ ، الأمل ٦٣/٢ ، وفيهما : بليلى ... برسيل .

(٢) ساقط من ب .

(٣) ب : أمرتم .

(٤) ساقط من ب ، وف : كِلَاهِمَا عن النبي يسندان ولا يستقيم منها الوزن .

(٥) في أ : عدلا .

كان عبد الملك بن مروان إذا وَلَّى رجلاً البريدَ ، سأل عن صدقه وعفته وأمانته ، وقال : إن كذبه يشكك في صدقه ، وشره يحمله على كتمان الحق ، وعجلته تهجم به على ما يندمه ويؤثمه .

قالوا : الرسول قطعة من المرسل .

قال عمرو بن العاص : ثلاثة دالة على صاحبها : الرسول على المرسل ، والهدية على المهدى ، والكتاب على الكاتب .

لما قال عمر بن أبي ربيعة :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَّا فَإِنِّي ضَعْتُ ذَرْعًا بِهِجْرَهَا ^(١) وَالكِتَابِ
هِيَ مَكْنُونَةٌ تَحْيَرُ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ
أُبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَامَةِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ
ثُمَّ قَالُوا : تَجِبُهَا ؟ قُلْتُ : بَهْرًا عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالتَّرَابِ ^(٢)

قال له ابن أبي عتيق : والله لا كان المبلغ لهذا الشعر غيري . فارتحل من المدينة حتى أتى مكة ، فصادف الثريا في الطواف . فقالت له : يا ابن أبي عتيق ! ما جاء بك ، وليس هذا أوان الحج ؟ فقال : أبيات لعمر . فقالت : أنشدني . فأنشدها الأبيات حتى أتى على آخرها . فقالت : أدى الله أمانتك ، فقد أديت . قال : ف ضرب راحلته ورجع .

قال صالح بن عبد القدوس :

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا فَأَرْسِلْ حَكِيمًا وَلَا تُوصِهِ

(١) ب : مجبها -

(٢) ديوانه ٢٦ :

وإن بابُ أمرٍ عَلَيْكَ التَّوَى فشاوِرَ لِيَبَا ولا تَعْصِهِ^(١)
 سمع الخليلُ بنُ أحمدَ رجلاً يُنشد بيتَ صالح هذا :
 إذا كنتَ في حاجةٍ مُرْسِلاً فَأَرْسِلْ حَكِيماً ولا تُوصِهِ
 فقال : هو الدَّرَم .

[^(٢) وقال آخر :

وما أَرْسَلَ الأَنْوَامُ في حاجةٍ أَمْضَى ولا أَنْفَعُ مِنْ دِرْهِمٍ
 يَا تَيْكَ عَفْواً بِالَّذِي تَشْتَهِي نَعَمْ رَسُولُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ^(٣)
 ولبعض المتأخرين من أهل عصرنا :

إذا ما كنتَ مَتَّخِذاً رسولاً فلا تُرْسِلْ سِوَى حُرٍّ نَدِيلٍ
 فَإِنَّ النُّجُوحَ في الحاجاتِ يَأْتِي إِطَالِبُهَا عَلَى قَدْرِ الرَّسُولِ

وقال الراجز :

ما مُرْسَلٌ أَنْجَحُ فِيمَا نَعْلَمُ مِنْ طَبَقٍ يُهْدَى وَهَذَا الدَّرَمُ^(٤)

وقال منصور الفقيه :

أرسلتُ في حاجةٍ رسولاً يُكْنَى أَبَا دِرْهِمٍ فَتَمَّتْ
 ولو سِوَاهُ بَعَثْتُ فِيهَا لَمْ تَحْظَ نَفْسِي بِمَا تَمَّتْ

(١) انظرهما في الموشح للبرزبالي ١٦ ، وقد ورد البيت الأول في حاشية البحري ١٩٨ منسوباً إلى عبد الله بن

معاوية الجعفي .

(٢) يبدأ من هنا سقط كبير في نسخة ب .

(٣) محاضرات الأدباء ٢٤٠/١ . عيون الأخبار ١٢٣/٣ .

(٤) البيت في عيون الأخبار ١٢٣/٣ .

بَابُ الْهَدِيَّةِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الهدية رزقٌ من رزق الله ، فمن أهدى إليه شيءٌ فليقبله ولا يردّه ، وليكافئْ عليه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : تهادوا فإن الهدية تذهبُ السَّخِيمَةَ^(١) ، وتزيلُ وَحَرَ^(٢) الصدور ، ولا تحقرن جارة لجارتها ، ولو فرسين شاة^(٣) » ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، يقبل الهدية ، ويثيب عليها أفضل منها .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لو أهدى إليّ ذراع لقبلت ، ولو دُعيتُ لكرّاع لأجبت » .

قال رجل لأبي ذر : فلان يقرئك السلام . فقال : هدية حسنة ، وحمل خفيف .
وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه : نعم الشيء الهدية أمام الحاجة .

وقد حدثنا ابنُ صاعدٍ ، قال : حدثنا زياد بن يحيى أبو الخطاب ، حدثنا أبو عتاب الدَّلال ، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن ، حدثني الزُّهري ، عن عبد الله بن وهب بن زَمْعَةَ عن أم سامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « الهدية تذهبُ السَّخِيمَةَ » .
قيل : وما السَّخِيمَةُ ؟ قال : « الإحنة تكون في الصدور » .

وعن الهيثم بن عدي ، قال : كان يقال : ما ارتضى الغَضبان ، ولا استعطف السلطان ، ولا سَدَّبتِ الشَّعْفاء ، ولا دَفَعَتِ المغارم ، ولا تُوثِقُ المحذور ، ولا استعمل المهجور ، بتل الهدية والبر .

(١) السخيمة : الحقد والعداوة .

(٢) الوحَر : الحقد .

(٣) في الأصل : فرث وفرسن شاة : ظافها . النهاية ٢٩/٣ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أهديت إليه هدية فجلساؤه شركاؤه فيها » .

قال أبو إسحاق الصبّاني :

رويت في السنة المشهورة البركة أن الهدية في المجلس مشتركة^(١)
كان يزيد بن قيس الأرحبي ، واليّا لعلّى رضى الله عنه ، فأهدى إلى الحسن
والحسين رضى الله عنهما وترك ابن الحنفية ، فضرب على رحمة الله على جنب ابن
الحنفية ، وقال :

وما شرّ الثلاثة أمّ عمرو . بصاحبك الذي لم تصبِحينا^(٢)
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للقرا بات : « تزاوَرُوا ولا تجاوَرُوا ،
وتهاذُوا فإن الهدية تثبت المروعة ، وتستلّ السخيمة » .

أصبح عند عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه بالكوفة يوم نيروز هدايا كثيرة
وتحف ، فأنكر ذلك . فقالوا له : إنه يوم النيروز . قال : فينرّوا لنا إذا كل يوم .
قال أبو عمر : كان هذا منه رضى الله عنه — إن صحّ — قبل أن يدخل الكوفة ،
وأن يكون خليفة ، لأن المحفوظ عنه من رواية الثقات أنه كان لا يقبل هدية نيروز
ولا مهرجان ، وأنه كان يأخذ ما أهدى إليه عماله فيضعه في بيت المال — مال
المسلمين .

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٦٨ ، وقد نسبته الذهلبى فيها إلى صاحب بن عباد .

(٢) البيت لعمر بن كلثوم من معلقه المشهورة ، انظره في جهرة أشعار العرب ١٥٨ ، التمثيل والمحاضرة

٥٤ ، نهاية الأرب ٦٤/٣ .

قال يونسُ بن عبيد : أتيت ابن^(١) سيرين يوماً ، ومعى خبيص^(٢) ، فقلت :
قولوا له : يونس بالباب . فقال — وأنا أسمع — : قولوا له : قد نام . فقلت : إن معى
خبيصاً . قال : كما أنت حتى أخرج إليك .

قال الشاعر :

هَدَايَا النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ تَوَلَّدَتْ فِي قُلُوبِهِمُ الْوَصَالَا
وَزَرَعَتْ فِي الضَّمِيرِ هَوًى وَوَدًّا وَيَكْسُوهُمْ إِذَا حَضَرُوا جَمَالًا^(٣)

قال أبو عوَّانة : قلت للأعمش : يا أبا محمد ! إن عندي بطة سمينة ، أفنكون
عندي في الدار ؟ قال : وما تصنع بعنائي ؟ ! ابعث بها إلى الدار .

قال الشاعر :

إِنَّ الْهَدَايَا لَهَا حَظٌّ إِذَا وَرَدَتْ أَحْظَى مِنَ الْإِبْنِ^(٤) عِنْدَ الْوَالِدِ الْحَدِيبِ

وقال آخر :

مَا مِنْ صَدِيقٍ وَإِنْ أَبَدَى مَوَدَّتَهُ يَوْمًا بِأَنْجَحَ فِي الْحَاجَاتِ مِنْ طَبَقٍ
إِذَا تَلَّمَّ بِالْمُنْدِيلِ مُنْطَلِقًا لَمْ يَخْشَ صَوْلَةَ^(٥) بَوَابٍ وَلَا غَلَقٍ
لَا تَكْذِبَنَّ فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ خُلِقُوا لِرَغْبَةِ يُكْرَمُونَ النَّاسَ أَوْ فَرَقِ

(١) إلى هنا ينتهي النقص من نسخة ب .

(٢) نوع من الأطعمة يصنع من التمر والسن .

(٣) نسب البيتان لابن قم الزبيدي الحسين بن علي المتوفى سنة ٥٨١ هـ ، في معجم الأدباء ١٠/١٤٧ ، ودد

وردا في ديوان أبي العتاهية ٣٤٢ .

(٤) ب : الأمن .

(٥) ب : سطوة .

أَمَّا الْفَعَالُ فَعِنْدَ النَّجْمِ مَطْلَعُهُ وَالْقَوْلُ يُوجَدُ مَطْرُوحًا عَلَى الطَّرْقِ^(١)

وقال آخر :

أَهْدَى إِلَيْهِ حَبِيبُهُ أُتْرُجَّةً فَبَكَى وَأَشْفَقَ مِنْ عَيْافَةٍ زَاجِرٍ
خَوْفَ التَّبَدُّلِ وَالتَّلَوُّنِ إِنَّهَا لَوْ نَانَ بَاطِنُهَا خِلَافُ الظَّاهِرِ^(٢)

بعث أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع بنعل ، وكتب معها :

نَعْلٌ بَعَثْتُ بِهَا لَتَلْبَسَهَا تَمَشِي بِهَا قَدَمٌ إِلَى الْمَجْدِ
لَوْ كَانَ يَحْسُنُ أَنْ أُشْرَكَهَا خَدَى جَعَلْتُ شِرَاكَهَا خَدَى^(٣)

أهدى الطائي إلى الحسن بن وهب قلمًا ، وكتب إليه :

قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ أَكْرَمَكَ اللَّهُ بِشَيْءٍ فَكُنْ لَهُ ذَا قَبُولٍ
لَا تَقِسْهُ إِلَى نَدَى كَفِّكَ النِّعَمِ رِ وَلَا تَنِيلِكَ الْكَثِيرِ الْجَنِيلِ
وَاعْتَفِرْ قِلَّةَ الْهَدِيَّةِ مِنِّي إِنَّ جَهْدَ الْمُقِلِّ غَيْرُ قَلِيلٍ^(٤)

أو لم إسحاق بن إبراهيم الموصلی وليمة ، فأهدى إليه إخوانه هدايا ، وأهدى
إليه إبراهيم بن المهدي جراب ملح وجراب أشنان^(٥) مطيب ، وكتب إليه رقعة :

(١) الأبيات في محاضرات الأدباء ١٩٩/١ ، عيون الأخبار ١٢٣/٣ .

(٢) البيتان لكتلثوم بن عمرو العتاني ، انظر زهر الآداب ٨٧/٤ ، وفيه : أهدى له أحبابه ، وانظر العقد

الفريد ٣٠٢/٢ محاضرات الأدباء ٢٥٩/٢ .

(٣) البيتان في الديوان ٨٠ ، عيون الأخبار ٣٩/٣ ، البيان ١٢٢/٣ ، العقد الفريد ٢٨٣/٦ وشراك

النعل : سيوره التي يشدها .

(٤) لم أعثر على هذه الأبيات في الديوان ، وقد وردت منسوبة إليه أيضا في العقد الفريد ٢٨٥/٦ ،

عيون الأخبار ٣٩/٣ .

(٥) الأشنان بضم الهزة وكسرهما : نبات جلاء منق نفسل به الأيدي والأسنان .

فذلك أخوك عنده ، لولا أن البضاعة تقصر لجُزْتُ السَّابِقِينَ إلى برك ، وكبرهتُ
أن تطوى صحيفة البرِّ ولا حظَّ لي فيها ، فوجهتُ إليك بالمبتدأ به ليمنه وبركته ،
والمختوم به لطيبه ونظافته ، جرابٌ ملح وجرابُ أشنان ، هدية من يحتشم^(١) إلى
من لا يغتم ، وكتب أسفل الرقعة :

هَدَيْتِي تَقْصُرُ عَنْ هِمَّتِي وَهِمَّتِي تَعْلُو عَلَى مَالِي
وَحَالِصُ الْوُدِّ وَمَحْضُ الْهَوَى أَحْسَنُ مَا يُهْدِيهِ أَمْثَالِي^(٢)

بعث رجل إلى دعبل بأضحية ، فكتب إليه دعبل^(٣) :

بَعَثَ إِلَيْنَا بِأَضْحِيَّةٍ وَكُنْتَ حَرِيًّا بَأَن تَفْعَلَا
وَلَكِنَّا خَرَجَتْ غَنَّةٌ كَأَنَّكَ أَرْعَيْتَهَا حَرْمَلًا^(٤)
فَإِنْ قَبِلَ اللَّهُ قُرْبَانَهَا فَسُبْحَانَ رَبِّكَ مَا أَعْدَلَا

قال قتادة : يُعرف سَخَفُ الرجل في سَخَفِ هديته . قال ذلك في نعل
أهديت إليه .

ولى في هذا :

سَخَافَةُ الْمَرْءِ تُدْرَى فِي هَدِيَّتِهِ وَالنَّوْكَ وَاللُّؤْمُ فِيهَا^(٥) يَظْهَرَانِ مَعًا
إِنَّ الْإِثْمَ إِذَا أَهْدَى هَدِيَّتَهُ أَبْدَى نَدَائَتَهُ فِيهَا لِمَنْ سَمِعَا

(١) ب : من لا يحتشم .

(٢) ورد البيتان منسويين إلى محمد بن مهدي العكبري في معجم الشعراء ٤٣٠ ، وانظر هذه القصة مع اختلاف
في بعض ألفاظها في العقد الفريد ٢٨٤/٣ .

(٣) الأبيات له في عبون الأخبار ٤٣/٣ .

(٤) الحرمل : نبات مر صغير كالسمسم ، لانا كله إلا العزى .

(٥) زيادة من أ .

ونخلف الأحر :

سَقَى حُجَّاجَنَا نَوَّهَ الثَّرِيَّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ بُخْلِ وَمَطْلٍ ^(١)
 مُمْ ^(٢) جَمَعُوا النَّعَالَ وَأَحْرَزُوهَا . وَسَدُّوا دُونَهَا ^(٣) بَابًا بِقُفْلٍ
 إِذَا أَهْدَيْتُ فَاكِمَةً وَشَاةً وَعَشَرَ دَجَائِحٍ بَعَثُوا بِنَعْلٍ
 وَمِسْوَاكَيْنِ طُولُهُمَا ذِرَاعٌ وَعَشْرَتَيْنِ مِنْ رَدَىءِ الْمَقْلِ خَشَلٍ ^(٤)
 فَإِنْ أَهْدَيْتُ ذَاكَ لَتَحْمِلُونِي عَلَى نَعْلٍ فَدَقَّ اللَّهُ رِجْلِي
 أَنَا يَأْتِفُونَ ^(٥) لَهُمْ رِوَاءٌ تَغِيْمُ ^(٦) سَمَاوُكُمْ مِنْ غَيْرِ وَبَلٍ
 إِذَا انْتَسَبُوا فَرَعٌ مِنْ قَرِيشٍ وَلَكِنَّ الْفِعَالَ فَعَالٌ مُكْمَلٌ ^(٧)

وقال آخر في جاره أتى من الحج لم يهد إليه شيئاً :

عَبَّاسُ مَا وَجَّهَكَ بِالْهَشِّ وَلَا أَثْبَرْتُكَ مِنَ الْغَشِّ
 لَمْ تُهْدِلِي نَعْلًا وَلَا مُقَلَّةً كَأَنَّمَا جِئْتَ مِنَ الْحِشِّ ^(٨)

ولنصور الفقيه — يداعب صديقاً يكنى أبا نصر ، ويسى فتحة ، قدم من الحج —

شعر حسن النظم مليح المعنى ، رأيت إيرادَه لحسنه :

سَأَلْتُ الْحَجِيجَ وَقَدْ أَقْبَلُوا يَوْمُؤْنَ مِصْرَ مِنْ أَرْضِ الْحَرَمِ
 فَقُلْتُ لَهُمْ — بَعْدَ إِيْنَاسِهِمْ — : أَفْتَحُ بِمَكَّةَ . أَمْ قَدْ قَدِمَ ؟

(١) ١ : من مطل وبخل .

(٢) ب : تاتون .

(٣) المقل : ثمر شجر الدوم ، والخشل منه : رديته أو بابسه .

(٤) وردت الأبيات الأربعة الأولى في البيان ١١٢/٣ ، محاضرات الأدباء ١٦٣/١ ، وانظرها جميعاً .

في عبون الأخبار ٣٨/٣ ، الشعر والشعراء ٧٦٤ .

(٥) الحش : ثلثة الحاء : الخرج الذي يقضون حوائجهم فيه .

فقالوا : ترحّل من قبلنا
فقلت : بحرمة من زُرْتُم ؟
فأقبلتُ في صرخةٍ منهم
أعدُّ آلاؤه والجفونُ
فصادفني صالح عبده^(١)
وماذا دعاك إلى ما أرى
أبى^(٢) نصير البحر من جوده
فقال : ألم يأت من جمعة
وَأين القفاف الحسان القدود
وأين النعال وأين الفراء
وأين القديد قديد الأطباء
فقال : وحقك ما جاءنا
قدوم صديقك واستهده
إلى البيت يشهدك أخباره
فقلت : ألا ليت أخباره
عشر ليالٍ توات حرم
أحقًا تقولون ؟ قالوا : نعم
وقلبي مما به يضطرم
مسافيح بالدمع والدمع دم
فقال^(٣) فديتك لم تلتدّم ؟
فقلت : الحذار على ذى الكرم
إذا المزن ضانت بصوب الدّيم
فقلت : كذبت فأين الأدم ؟
وأقداح جيشان تلك السلم^(٤)
وأين البرود وأين البرم^(٥)
وأين الملوّز مثل النعم^(٦)
بشيء سوى نفسه فاغتنم
حديث الوفود وفود الأمم
عجائب عزيهم والعجم
وناقلها خلف قافٍ ولم

(١) ب : عنده .

(٢) ب : فقلت .

(٣) ساقط من ب

(٤) ب : وأقداح حسان تلك الشيم ، وأقداح جيشان أقداح منتظمة دقيقة تصنع في بلدة جيشان باليمن .

(٥) زيادة في م .

(٦) ب : الملوّن مثل النعم .

وخلّف بن خليفة الأقطع من بني قيس بن ثعلبة في جاره غاب ثم قدم، ولم يمهّد له، وكانت بينهما مصافاة :

أثانا أنخ من غيبة غاب أشهرًا وكنت إذا ما غاب أنشد الرّكبًا
 فجاء بمعروفٍ كثيرٍ قدمته كما دسّ راعي الشّوء في حِضْنِهِ الوطْبَا (١)
 فقلتُ له : هل جئتني بهديّة فقال : بنفسي . قات : آثر بها الكلْبَا
 هي النفسُ لا آسى عليها وإنّ نأت ولا أتمنى الدّهر يومًا لها قُربَا
 إذا هي أوفت من ثمانينَ قامةً فلا السّهلَ لقاءها إلّا له ولا الرّحْبَا (٢)

أهدى أبو أسامة الكاتب إلى بعض إخوانه في يوم نيروز وردة وسهما ودينارا ودرهما، وكتب إليه :

لازلت كالنورِدِ نضيرِ الميسمِ ونافذاً مثلَ نفوذِ الأسهمِ
 في عزّ دينارٍ ونجّحِ درّهمِ (٣)

أهدى أبو إسحاق بن هلال الصابي إلى عضد الدولة في يوم مهرجان اصطربا على قدر الدرهم محم الصنعة وكتب إليه :

أهدى إليك بنو الحاجاتِ واحتشدوا في مهرجَانٍ عظيمٍ أنتَ تعلّيه
 لكنّ عبدك إبراهيمَ حين رأى ثمّو قدرِكَ عن شيءٍ تُساميه

(١) و : الرطب ، وهو تصحيف ، والوطب : سقاء اللبن يصنع من جلد الجنح فا فوّه .

(٢) عيون الأخبار ٣/٣٦ ، معاضرات الأدباء ١/١٩٩ مع خلاف في ألفاظ الرواية .

(٣) معاضرات الأدباء ١/١٩٤ .

[^(١)لم يَرْضَ بِالْأَرْضِ يُهْدِيهَا إِلَيْكَ فَقَدْ أَهْدَى لَكَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى بِمَا فِيهِ^(٢)

وأهدى شمس المعالي إلى عضد الدولة سبعة أعلام ، وكتب إليه :

قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ سَبْعَةَ أَقْلَامٍ لَهَا فِي الْبَهَاءِ حَظٌّ عَظِيمٌ

مرهفاتِ كأنها ألسُنُ الْحَيَاتِ قَدْ جَازَ حَدَّهَا التَّقْوِيمُ

وتفاءلتُ أَنْ سَتَحْوِي الْأَقَالِي مَ بِهَا كُلُّ وَاحِدٍ إِقْلِيمٍ^(٣)

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : كانت الهدية فيما مضى هدية ، أما اليوم

فهى رشوة .

وقال كعب الأحبار : قرأت في ما أنزل الله على بعض أنبيائه : الهدية تفقأ

عين الحكيم .

وقال الشاعر :

إِذَا أَتَتْ الْهَدِيَّةُ بَابَ قَوْمٍ تَطَايَرَتْ الْأَمَانَةُ مِنْ كَوَاهِمَا

(١) من هنا يبدأ سقط من نسخة ب .

(٢) يروى : واختلفوا بدل واحتشدوا ، ومبليه بدل تمليه ، وعلو مكان سمو ، انظرها في : المستطرف ٦٨/٢ ، معجم الأدباء ٣٤/٢ ، زهر الآداب ٦٣/٢ .

(٣) الأبيات لشمس المعالي واسمه قابوس بن وشمكير ، انظر ترجمته والأبيات في معجم الأدباء ٢٢٥/١٦ .

بَابُ الْجَارِ

قالت عائشة : يا رسول الله ! إن لي جارين فإلى أيِّهما أُهْدِي؟ قال : « إلى أقربهما إليك باباً » .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمنُ جَارٌ حتَّى يأمنَ جَارُهُ وَائِقَهُ »
وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ما زالَ جبريلُ يُوْصِيْنِي بِالْجَارِ حتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ » .

كان داودُ عليه السلام يقول : اللهم إني أعوذ بك من جارٍ سوءٍ ، عينه ترعاني ، وقلبه لا ينساني .

مكتوب في التوراة : إنَّ أحسدَ النَّاسِ لعالمٍ وأنعماء عليه قرابته وجيرانه .

وقال عكرمة : أزهدُ النَّاسِ في عالمٍ جيرانه .

قال رجل لسعيد بن العاص : والله إني لأحبُّكَ . فقال له : ولم لا تحبُّني ولست بجارٍ لي ولا ابن عم .

كان يقال : الحسدُ في الجيران ، والمداوةُ في الأقارب .

روى يحيى بن زكريا بن يحيى الباجي ، قال : حدثني محمد بن الفضل المسكِّي ، قال : حدثني أبي عن إبراهيم عن عبد الله ، قال : مرَّ مالك بن أنسٍ بِقَيْنَةٍ تنفي شمرَ مسلم :

أنت أختي وأنتِ حُرْمَةٌ جَارِيَّ وَحَقِيقٌ عَلَى حِفْظِ الْجَوَارِ
 إِنَّ لِلجَّارِ إِنْ تَغِيبَ غَيْبًا حَافِظًا لِلْمَغِيبِ وَالْأَسْرَارِ
 مَا أَبَالَى أَكَانَ لِلْبَابِ سِتْرٌ مَسْبِلٌ أَمْ بَقِيَ بَنِيْرٌ مَسْتَارِ
 فقال مالك : علموا أهليكم هذا ونحوه .

وعن مالك ، أيضا ، قال مالك بن أنس ، قال أبو حازم : كان أهل الجاهلية
 أحسن جواراً منكم ، فإن قلتم : لا . فبيئنا وبينكم قولُ شاعرهم :

نارى ونارُ الجَّارِ واحدةٌ وإليه قَبْلِي تَنْزِلُ الْقِدْرُ
 ما ضُرَّ جَارًا لى أَجَاوِرُهُ أَلَّا يَكُونَ لِيَيْتِهِ سِتْرُ
 أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي بَرَزَتْ حَتَّى يُوَارِيَّ جَارَتِي الْخِذْرُ^(١)

قال أبو عمر : هذا الشاعرُ مسكين الدارمي^(٢) .

وقال آخر :

أَقُولُ لِلجَّارِ إِذْ أَتَانِي مَعَاتِبًا مُدَلًّا بِحَقٍّ أَوْ مُدَلًّا بِبَاطِلٍ
 إِذَا لَمْ يَصِلْ خَيْرِي وَأَنْتَ مُجَاوِرِي إِلَيْكَ فَمَا شَرُّي إِلَيْكَ بِوَاصِلٍ^(٣)

قال الأصمعي : ومن أحسن ما قيل في حسن الجوار :

جَاوَرْتُ شَيْبَانَ فَاحْلَوْلَى جِوَارُهُمْ إِنَّ الْكِرَامَ خِيَارُ النَّاسِ لِلجَّارِ

(١) الأبيات لمسكين الدارمي في معجم الأدباء ١١/١٣٢ ، محاضرات الأدباء ٢/١٠٢ ، الشعر والشعراء ٣٠٠ هـ ،
 لباب الآداب ٢٧٥ وفيها : ألا يكون لبابه .

(٢) يفهم من هذا أن مسكينا كان من شعراء الجاهلية ، ولكن الواقع أنه شاعر إسلامي توفي سنة ٨٩ هـ
 وله أخبار مع معاوية وكان مقربا إلى زياد بن أبيه ، انظر معجم الأدباء ٥/٢٠٤ ، الشعر والشعراء ٢١٥ .

(٣) العقد الفريد ٢/٣٦٥ من غير نسبة ، وفيه : لأن بدل إذا ، وبدل مكان مدلا .

من كلام عليّ رحمه الله : الجارُّ قبل الدار ، والرفيق قبل الطريق ، أخذهُ
الشاعر فقال :

يقولونُ قبلَ الدّارِ جارٌ مجاورٌ وقبلَ الطّريقِ النّهجُ أنسٌ رفيقٌ^(١)
وقال آخر :

اطلبْ لِنَفْسِكَ جيراناً تُجاورُهُم لا تَصْلُحُ الدّارُ حتّى يَصْلَحَ الجارُ
وقال آخر :

«يُلوَمونِي أنْ بعتُ بِالرُّخْصِ مَنزِلِي ولمْ يَعرِفُوا جَاراً هُناكَ يُنْخِصُ»^(٢)
«فَقُلْتُ لَهُمْ كَفُّوا الْمَلَامَ فَإِنَّهَا بِجيرانِها تَغْلُو الدِّيَارَ وَتَرُخِّصُ»^(٣)
قال الحسنُ البَصْرِيُّ رحمه الله : إلى جنبِ كلِّ مؤمن ، منافقٌ يؤذيه .

وقال بشارُ بنِ بِشْرِ الجاشعي :

وإني لعَفَّةٌ عن زيارةِ جَارَتِي وإني لَمَسْئُومَةٌ^(٤) لدى اغْتِيابِها
إذا غابَ عَنِّي بعلُها^(٥) لم أكن لها^(٥) زَوْوراً ولم تَأْنَسْ إلى كِلابِها
ولم أكن^(٦) طَلاباً أَحاديثَ سِرِّها ولا عالِماً^(٧) من أي جنسِ ثيابِها^(٨)

(١) فصل المقال ٣١١ ، محاضرات الأدباء ١/ ٢٣٠ .

(٢) ساقط من ب .

(٣) البيتان في فصل المقال ٣١٠ ، ٣١١ .

(٤) ١ : مسرور ، وهو تصحيف واضح .

(٥) ساقط من ب .

(٦) ب : أر .

(٧) ب : عاياً .

(٨) انظر الأبيات في عيون الأخبار ٣/ ١٨٣ مع اختلافه في بعض الألفاظ

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه: من حق الجار أن تبسط له معروفك وتكف عنه أذاك .

قال عليّ للعباس رضى الله عنهما : ما بقى من كرم أخلاقك ؟ قال : الإفضال على الإخوان ، وترك أذى الجيران .

كان يقال : ليس من حسن الجوار ترك^(١) الأذى ، ولكنه الصبر على^(٢) الأذى ..

قال منصور الفقيه يمدح بعض إخوانه من جيرانه :

يا سائلى عن حُسَيْنِ^(٣) وقد مضى أشكّالُهُ

أقل ما فى حُسَيْنِ^(٣) كفُّ الأذى واحتمالُهُ

قال الخطيئة^(٤) :

لَعَمْرُكَ ما المجاورُ فى كليبٍ بِمُقَصِّى فى الجوارِ ولا مُضَاعِ
مُمْ صَنَعُوا لَجَارِهِمْ وَلَيْسَتْ يَدُ الْخَرَقَاءِ مِثْلَ يَدِ الْعِنَاعِ
وَيَحْرُمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ وَيَأْكُلُ جَارُهُمْ أَنْفَ الْقَصَاعِ^(٥)

وقال الحسن بن عرفة :

ولم أرَ مثَلَ الْجَهْلِ يَدْعُو إِلَى الرَّذَى ولا مثَلَ جَارِ السُّوءِ يُكْرِهُ جَانِبَهُ

(١) ب : كف .

(٢) ب : احتمال .

(٣) ب : حسن .

(٤) ديوانه ٦٢ ، وقد ورد الشطر الأول فيه : وليس الجار جار بنى كليب ، وانظر الآيات فى الكامل ١٩/٢ .

(٥) قال فى الكامل : أنف انصاع : يريد الستائف الذى لم يؤكل قبل منه شيء ، يقال : رومسة أنف

إذا لم ترع ، وكأس أنف إذا لم يشرب منها شيء قبل .

وقال آخر :

لا يَأْمَنُ الْجَارُ شَرًّا فِي جِوَارِهِمْ وَلَا مُحَالَةً مِنْ شَتْمٍ وَأَلْقَابٍ^(١)

ومثل هذا قول الآخر :

أَجَلُ الْمَشِيرَةِ إِمَّا حَضَرْتُ وَلَا أَتَمَّلُ أَلْقَابَهَا^(٢)

وقال حاتم الطائي ، ويروى لغيره :

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ
إِذَا مَا عَمِلْتُ الزَّادَ فَاتَّخِذِي لَهُ أَكِيلًا فَإِنِّي لَسْتُ أَكِلُهُ وَخِذِي
بَعِيدًا قَصِيًّا أَوْ قَرِيبًا فَإِنِّي أَخَافُ مَذَمَّاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
وَكَيْفَ يُسَيِّغُ الْمَرْءُ زَادًا وَجَارَهُ خَفِيفُ الْمَعَى بَادِي الْفَخْصِاصَةِ وَالْجَهْدِ^(٣)

وقال غيره :

سُقِيًّا وَرَغِيًّا لِأَقْوَامٍ نَزَلَتْ بِهِمْ كَأَنَّ دَارَ اغْتِرَابِي عِنْدَهُمْ وَطَنِي
إِذَا تَأَمَّلْتُ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ خُلُقًا عَلِمْتُ أَنَّهُمْ مِنْ حِلْيَةِ الزَّمَنِ

وقال ابن جبناء :

إِذَا مَارِفَتِي لَمْ يَكُنْ خَلْفَ نَاقَتِي لَهُ مَرْكَبٌ فَضْلٌ فَلَا تَحْمَلْتُ رِجْلِي

(١) ورد البيت في الحماسة لأبي تمام ١٩٩/٢ منسوباً إلى حريث بن عتاب وفيها الشطر الأول : لا يرتجى الجار خيراً في بيوتهم .

(٢) ورد البيت في معجم الشعراء ٣٥٣ لسكناز بن صرم الحرسي ، وفيه الشطر الأول : ولكن أطاوع ساداتها .

(٣) يروى : صنعت مكان عملت ، ويروى الشطر الأول من البيت الثالث : أخطارها أو جار بيت فإني ، وقد وردت الأبيات ماعدا الأخير في ديوان حاتم ٩ ، ونسبت له في عيون الأخبار ٢٦٣/٣ ، وفي الحماسة لأبي تمام ٢٩٢/١ لم تنسب ، وعقب عليها التبريزي بأنها لحاتم يخاطب بها لمرأته ، ووردت منسوبة لنفيس بن عاصم المنقري في الأغاني ١٣/١٥٠ ، الكامل ١/٣٤٥ .

ولم يك من زادي له نصف مزودي فلا كنت ذازاد ولا كنت ذارحل
 شريكين فيما نحن فيه وقد أرى على له فضلاً بما نال من فضلي
 ويروى لحاتم الطائي .

تذاكر أهل البصرة من ذوى الآداب والأحساب فى أحسن ما قاله المولدون فى
 حسن الجوار من غير تعسف ولا تعجرف ، فأجمعوا على بيتى أبى الهندي^(١) وهما :
 نزلت على آل الملب شائياً غريباً عن الأوطان فى زمن تحل
 فما زال بى إكرامهم وافتقادهم وبرهم حتى حسبتهم أهلي^(٢)

(١) أبو الهندي ورد اسمه فى الأغاني ١٧٧/٢١ ، وفى فوات الوفيات ٢٤٠/٢ ، غالب بن عبد القدوس .
 ابن شيب بن ربهى الرياحى اليربوعى ، وسماه فى الكامل عبد المؤمن بن عبد القدوس ، انظر رغبة الأمل
 ١٦٢/٦ ، وهو شاعر مطبوع أقام عمره فى سجستان وخراسان ، فلم يشتهر ذكره لبعده عن بلاد العرب ، مات سنة
 ١٨٠ هـ تقريباً .

(٢) ورد البيتان فى البيان ٢٢٢/٢ ، صيون الأخبار ٢٦١/١ ، منسوبين إلى بكير بن الأخنس ، ووردا فى
 الأمالي ٤١/١ ، لباب الآداب ٣٦٦ ، وفيات الأعيان ٤٣٩/٤ ، الحماسة ١٣٥/١ ، ١٧٦ بغير نسبة ، ويروى :
 والطفانهم بدل برهم .

بابُ الضَّيْفِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليلةُ الضَّيْفِ حقٌّ واجبٌ » .
وفد أوضحنا في كتاب « التمهيد » معنى هذا الحديث وغيره في الضيافة، وذكرنا قول من أوجبها ومن ندب إليها ؛ ووجوه أقوالهم واعتلالهم والحمد لله وحده .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، وما زاد فهو صدقة ، ولا يحل أن يشوى غيره حتى يخرج » .

فيل للأوزاعي : رجل قدَّم إلى ضيفه السكامخ والزيتون ، وعنده اللحم والعسل والسمن ؟ فقال : هذا لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر .
قال أبو ذؤيب :

لا دَرَّ دَرِّيَ إِنْ أَطْعَمْتُ نَازِلَهُمْ خُبِزَ الشَّعِيرِ وَعِنْدِي الْبُرُّ مَكْنُوزُ^(١)
قال نافع : كان ابن عمر إذا نزل على قوم لا يأكل لهم شيئاً فوق ثلاث ، ويقول بعد الثلاث : أمسكوا عنا صدقتكم ، ويقول لي : أنفق من عندك .
ذكر أبو عبيدة أن معاوية قال يوماً لجلسائه : أي آيات العرب في الضيافة أحسن ؟ فاختلفوا وأكثروا ، فقال معاوية : قاتل الله أبا النجم حيث يقول :
لقد علمت عِرْسِي فَلَانَةَ أَنِّي طَوِيلٌ سَنًا نَارِي بِعِيدٍ مُخَوِّدَهَا

(١) نسب في البيان ١ / ٣٤ وفي ديوان المهذلين ١٥ / ٢ : المتخيل المهذل (مالك بن عويمر) وفيهما : قرف الحنئ بدلا من خبز الشعير ، وقرف الحنئ : سويق قشر الدوم .

إذا حلَّ ضيفي بالفلاة ولم أجد سوى منبتِ الأطنابِ شبَّ وقودُها^(١)
وقالوا : أحسن شيء في الضيافة قول مسكين الدارمي :

طعامي طعامُ الضيفِ والرحلُ رحلُهُ ولم يُلْهِني عنه غزالٌ مُقَنَّعٌ
أحدُّهُ إنَّ الحديثَ من القرى وتعلمُ نفسى أنه سوف يهْجَعُ^(٢)
^(٣) وقال العلوي صاحب الزنج :

يستأنسُ الضيفُ في آياتنا أبداً فليسَ يعلمُ خلقُ أيُّنا الضيفُ
ولخالد عَيْنَيْنِ ، وإنما قيل له خالد عَيْنَيْنِ^(٤) لأنه كان ينزل أرضاً بالبحرين : يقال
لها عَيْنَيْنِ :

أيُّها الموقدان شُبًّا سَنَاهَا إنَّ للضيفِ طَارِفي وتِلَادِي
وقال عوف بن الأحوص^(٥) .

ومستنجحٌ يَغْشَى الغدَاةَ ودُونَهُ من اللَّيْلِ بَاباً ظُلْمَةً وسُتُورُهَا
رفعتُ له ناري فلمَّا اهتدى لها زجرتُ كلابي أن يَهْرَ عَقُورُهَا
فلا تسأليني وأسألي عن خليقتي إذا رَدَّ عَافِي القَدْرِ من يَسْتَعِيرُهَا

(١) انظرها في الحماسة ٤٦٠ ، معجم الشعراء ٣٠٧ .

(٢) ورد البيتان في ديوان عمرو بن الورد ٢٢ ، والشرط الأول هناك : فراشي فراش الضيف والبيت
بيته ، وورد في الحماسة لأبي تمام ٣١٤/٢ ورد في نسبهما بين مسكين الدارمي ، وعتبة بن جبير ، والرواية
هناك لحائى لحاف الضيف والبيت بيته ٠٠ الخ ، وانظرهما في عيون الأخبار ١٩٣/٢ .

(٣) ساقط من أ .

(٤) انظر ترجمته والبيت التالي في الشعر والشعراء ٤٣٤ .

(٥) انظر ترجمته في معجم الشعراء ٢٧٥ وقد ورد اسم أبيه هناك الأحوم وهو خطأ ، انظر حماسة أبي
تمام ٣٠٩/٢ ، وانظر الأبيات كلها في المرجع الأول ، والبيتين الأولين في الثاني والرواية هناك : يعني المبيت مكان
يغشى الغداة ، وسجفا ظلمة بدل بابا ظلمة ، واهتدى بها بدل لها ، هذا وقد وردت الأبيات في الأغاني ٢٧٨/١٢
منسوبة إلى شبيب بن البرصاء .

تَرَى أَنْ قِدْرِي لَا تَزَالُ كَانَهَا لَدَى الْغَرِثِ الْمَقْرُورِ أَمْ يَزُورُهَا
وقال حسان بن ثابت :

يُنْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهْرُ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ^(١)
وقال أبو الطمحان القيني :

وَقَدْ عَرَفْتُ كَلَابُهُمْ ثِيَابِي كَأَنِّي مِنْهُمْ وَنَسِيتُ أَهْلِي^(٢)
وقال المرار الحلي^(٣) :

أَلْفَ النَّاسِ فَمَا يَهْجُمُهُمْ^(٤) مِنْ عَسِيفٍ^(٥) يَدْتَفِي الْخَيْرَ وَحُرَّ
وقال امرؤ القيس :

أَعْرِفُ الْحَقَّ وَلَا أَجْهَلُهُ وَكَلَابِي أَنَسُ غَيْرَ عَقْرِ^{مُورٍ}
مَا يُرَى كَلْبِي إِلَّا آيسًا إِنْ رَأَى خَابِطَ لَيْلٍ لَمْ يَهْرِ^(٦)

وقال حاتم الطائي :

إِذَا مَا بَخِيلُ النَّاسِ هَرَّتْ كِلَابُهُ وَشَقَّ عَلَى الضَّيْفِ الْغَرِيبِ عَقُورُهَا
فَإِنْ كَلَابِي قَدْ أَقَرَّتْ وَعُودَتْ قَلِيلٌ عَلَى مَنْ يَعْتَرِيهَا هَرِيرُهَا^(٧)

(١) ديوانه ٢٤٧ .

(٢) البيان والتبيين ٢/٢٢٤ .

(٣) زيادة من ب ، ولم أعثر له على ترجمة ، وقد جاء في سبط اللائ ٢٣١ أن المرارين من الشعراء سبعة ثم أورد أسماءهم ، ولم يرد فيهم هذا .

(٤) ب : هجيم ، م : بهيج ، والصواب ما أثبتناه .

(٥) العسيف : الأجير والعبد يستعان به .

(٦) ديوانه ٣٢ .

(٧) ديوانه ٢٧ ، وفيه : الصيف الضيف بدل الغريب ، وقد أهرت مكان أقرت ، ويعتري بدل يعتريها .

وقال أبو يعقوب الحريري :

أُصَاحِبُ ضَيْفِي قَبْلَ إِزَالِ رَحْلِهِ وَيُخَصِّبُ عِنْدِي وَالْمَحَلُّ جَدِيدٌ
وَمَا الْخَصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ^(١) الْقَرَى

وَلَكِنَّا وَجَّهَ الْكَرِيمُ خَصِيبُ^(٢)

وَالشَّمَاخُ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ^(٣) :

إِنَّكَ يَا ابْنَ جَعْفَرٍ خَيْرُ الْفَقَى وَخَيْرُهُمْ لِطَارِقٍ إِذَا أَتَى
وَرَبَّ نِضْوٍ طَرَقَ الْحَيَّ سُرَى صَادَفَ زَادًا وَحَدِيثًا مَا اشْتَهَى
إِنَّ الْحَدِيثَ جَانِبٌ مِنَ الْقَرَى^(٤)

وقال سهل الوراق :

وَضَيْفَكَ قَابِلُهُ بِبُرْكَ^(٥) وَلَيْكُنْ لَهُ مِنْكَ أَكْبَارُ الْحَدِيثِ وَعَوْنُهُ^(٥)
وقال آخر :

سَلَى الطَّارِقَ الْمُعْتَرِّ يَا أُمَّ مَالِكٍ إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ نَارِي وَتَجَزَّرِي
أَبْسُطُ وَجْهِي؟ إِنَّهُ أَوَّلُ الْقَرَى وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي^(٦)

(١) ب : يكثرُوا .

(٢) البيتان في البيان ٢٨/١ مجموعة المعاني ٢٨ ، المختار من شعر بشار ١٩٣ ، عيون الأخبار ٣/٢٣٩ .

(٣) أول من ولد بالمسلمين بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها ، عاش في البصرة والكوفة والشام ، وكان كرمًا
يسمى ببحر الجود ، توفي سنة ٨٠ هـ ، انظر الإصابة الترجمة ٤٥٨٢ ، فوات الوفيات ١/٢٠٩ (الأعلام ٤/٢٠٤) .

(٤) رواية البيان والتبيين ١/٢٦ : نعم الفقى . ونعم مأوى طارق ، وجار ضيف طرق . الخ ، وفي حساسة أبي
تمام ٢/٣٢٨ : ورب ضيف مكان نضو ، ورواية الشطرة الأخيرة فيها : ثم الاحاف بعد ذاك في الذرى . أى في
السكنف والجانب ، وانظر محاضرات الأدباء ١/٣١٢ .

(٥) ب : يبشرك ، م : عوانه .

(٦) يروى الشطر الأول : سلى الجائع الغرثان يا أم منذر ، و يروى : قدرى بدل نارى ، وأسفر مكان
أبسط ، والبيتان لمروءة بن الورد ، ديوانه ١٩ ، الحساسة ٢/٢٤٦ ، ونسبها في البيان والتبيين ١/٢٦ إلى حاتم الطائي .

تمثل بهذين البيتين عبد الله بن جعفر بن أبي طالب في جوابه معاوية .

أما قول الشاعر :

بئسَ عَمْرُ اللهِ قَوْمًا طَرِقُوا فَقَرَّوْا أَضْيَافَهُمْ لَحْمًا وَحَرٍ
فإنه أراد لحمًا دبت عليه الوَحَرَةُ ، وهي دُويبةٌ كالعظاية خضراء إذا اجتمعت
تلتصق بالأرض : الجمع : وَحَرٌ ، ومنه قيل وَحَرُ الصدر ، كما قيل للحقد ضَبٌّ ، ذهبوا
به إلى لزوقه بالصَّدر التزاق الوَحَرَةُ بالأرض ، يقال : لحم وَحِرٍ ، إذا دبَّت عليه
الوَحَرَةُ . وابن فَيْرٍ إذا وقعت فيه الفأرة .

وقال رجل من بني قَقْعَسَ ، وهو الخارث بن بَرِيد ، يمتدح نفسه بخدمة الضيف :

لَعَمْرُ أَيْبِكَ الْخَيْرُ إِنِّي لَخَادِمٌ لَضَيْفٍ وَإِنِّي إِن رَكِبْتُ لِفَارَسٍ^(١)
وقال الْمُقَفَّعُ الْكِنْدِيُّ^(٢) :

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا شَيْمَةٌ لِي غَيْرَهَا تُشَبِّهُ الْعَبْدَا^(٣)

وما امتدح به ذم بضده ، قال الشاعر :

تَرَاهُمْ خَشْيَةَ الْأَضْيَافِ خُرُسًا يُصَلُّونَ الصَّلَاةَ بِلَا أَذَانٍ^(٤)

(١) ورد البيت في حاشية أبي تمام ٢٩٦/١ منسوباً إلى المهذلول بن كعب الغنبري ، وكان قد تزوج امرأة من بني بهدلة فرأته يوماً يطحن للأضياف فضربت صدرها وقالت : أهذا زوجي ، وقال في الهامش : قال المبرد لأنها لأعرابي سعادى ، وأول الأبيات التي منها هذا :

تقول وصكت نحرها بيدها أَيْبَى هذا بالرحى المتفاحس

(٢) محمد بن ظفر بن عمير ، أو محمد بن عمير بن أبي بشر الكندي ، شاعر من حضرموت ، اشتهر في العصر الأموي ، وكان متعباً طول حياته ، وزعموا أنه كان جديلاً فكانت تصيبه العين ولهذا تقنع ، وشعره عذب رصين ، توفي حوالي سنة ٥٧٠ هـ ، انظر في ترجمته الشعر والشعراء ٢٨٤ ، الوافي بالوفيات ١٧٩/٣ (الأعلام ٢١١/٧) .

(٣) يروى ثلويها مكان نازلاً ، وانظر البيت فيما سبق ، وفي عيون الأخبار ٢٦٦/١ ، حاشية أبي تمام ٢٤/٢

الأمالي ٢٨١/١ .

(٤) المقند الفريدي ١٨٨/٦ بدون اسبة .

وقال تَمَادُ عَجْرَد :

وجدتُ أبا الصَّلْتِ ذَا خِبْرَةٍ بِمَا يُصْلِحُ الْمَعْدَةَ الْفَاسِدَةَ
تَخَوَّفُ تَحْمَةَ أَضْيَافِهِ فَعَلَّمَهُمْ أَكْلَةَ وَاحِدَةٍ^(١)
وفال تَمَرُ بْنُ الْأَهْتَمِ التَّمِيمِيُّ الْمِنْقَرِيُّ مِنْ أَشْرَافِهِمْ ، وَكَانَ شَاعِرًا مَحْسَنًا ،
يَقَالُ : كَانَ شَعْرُهُ حُلًّا مَنَشَّرَةً ، وَلَهُ صَبْغَةٌ^(٢) :

ذَرِنِي فَإِنَّ الشَّيْخَ يَا أُمَ مَالِكٍ إِصْلَاحَ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ
ذَرِنِي وَحَظِّي فِي هَوَايَ فَإِنِّي عَلَى الْحَسَبِ الْعَالِي الرِّفِيعِ شَفِيقُ
وَمُسْتَنْبَحٍ^(٣) بَعْدَ الْهَدُوءِ أَجَبْتُهُ وَقَدْ حَانَ مِنْ سَارِي الشِّتَاءِ طُرُوقُ
فَقُلْتُ لَهُ : أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْجَبًا فَمَذَا مَمِيذَتُ صَالِحٍ وَصَدِيقُ
أَضَفْتُ وَلَمْ أَفْحِشْ عَلَيْهِ ، وَلَمْ أَقْلُ : — لِأَحْرِمَهُ — إِنَّ الْفَنَاءَ^(٤) يَضِيقُ
لَعَمْرُكَ مَا ضَاقتْ بِلَادُ بَاهِلِيهَا وَلَكِنْ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ^(٥)
وقال آخر :

وَطَرِيدٍ لَيْلٍ سَاقَهُ سَغَبٌ وَهَنَا إِلَى وَقَادِهِ بَرْدٌ

(١) يروى : حرب ، وحبيش أبو الصلت ، انظر البيان والتبيين ٢/٢٧٣ ، الشعر والشعراء ٧٧٥ ، العلاء المريد ١٨٨/٦ .

(٢) انظر ترجمته في الإصابة بالترجمة ٥٧٧٢ ، الشعر والشعراء ٢٤٠ .

(٣) ب : ومستفتح .

(٤) ب : إن الفنى .

(٥) انظر عيون الأخبار ١/٣٤٢ ، البيان ١/٢٧ معجم الشعراء ٢١٢ ، وانظر الأولين في الشعر والشعراء ٦١٦ ، وفيه : يا أم هانئ بدل مالك ، وانظر الأول والخامس في محاضرات الأدباء ١/٢٧٤ ، ٣١٠ والأخير في المستطرف ١/٤٠ وقد سبق في جملة أبيات منسوبة لبشار بن برد .

أَوْسَعْتُ جُهْدَ بِشَاشَةٍ رَقَرَى وَعَلَى الْكَرِيمِ لَضِيفِهِ الْجُهْدُ
ثُمَّ اغْتَدَى وَرْدَاؤُهُ نَعَمْ أَمْسَدَيْتَهَا وَرِدَائِي الْحَمْدُ

وقال القاسم بن أمية بن أبي الصلت :

قَوْمٌ إِذَا نَزَلَ الْغَرِيبُ بِأَرْضِهِمْ رَدُّوهُ رَبَّ صَوَاهِلِ وَقِيَانٍ^(١)

(١) نسب البيت في لباب الآداب ٣٦٦ إلى كعب بن جعيل ، وانظره في الشعر والشعراء ٢٥٧ ، عيون الأخبار ١٥٢/١ ، المستطرف ٢٧٣/١ بدون نسبة .

بابُ المعروف

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ » .

قال أبو جَرِيٍّ الهَجِيمِيُّ ^(١) : يا رسولَ الله أوْصِنِي . فقال : « لَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنْ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَأْتِيَهُ ، وَلَوْ أَنْ تُقْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقَى ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهَكَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ » .

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا ، هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ » .

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « إِذَا طَلَبْتُمُ الْمَعْرُوفَ فَاطْلُبُوهُ عِنْدَ حَسَنِ الْوُجُوهِ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ؟ » قالوا : بلى ، يا رسولَ الله . قال : « الْمَعْرُوفُ وَالتَّعَانُّ لِلضَّعِيفِ » .

قال عيسى عليه السلام : استكثروا من شيء لا تمسه النار . قالوا : وما هو يا روح الله ؟ قال : المعروف .

قال عبد الله بن عباس : ما رأيت رجلاً أوليته معروفًا إلا أضاع ما بيني وبينه ، ^(٢) ولا رأيت رجلاً فرط إليه مني شيء إلا أظلم ما بيني وبينه .

قال زيد بن علي بن حسين : ما شيء أفضل من المعروف ولا ثوابه . ولا شيء

(١) ١ : اللخمي ، وما أثبتناه هو الصحيح فهو أبو جري جابر بن سليم الهجيمي من بني أنمار بن الهجيم ، روى

عن النبي صلى الله عليه وسلم ، انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ٥٤/١٢ .

(٢) ساقط من ١ .

من رَغِبَ فيه يَقْدِرُ عليه ، ولا كُلَّ من قدر عليه يؤذن له فيه ، فإذا اجتمعت الرغبة والقدرة والإذن ، تمت السعادة للطالب والمطلوب منه .

قال ابن عباس : المعروف أئمن زرع ، وأفضل كنز^(١) ، ولا يتم إلا بثلاث خصال : بتعجيله ، وتصغيره ، وستره . فإذا عَجِّلَ فقد هَنَى ، وإذا صَغُرَ فقد عَظُمَ ، وإذا سُتِرَ فقد تَمَّ .

قال زهير :

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرُهُ^(٢) وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّيْءَ يُشْتَمُ^(٣)

وقال آخر :

إِنَّ ابْتِدَاءَ الْعَرَفِ مَجْدٌ بَاسِقٌ وَالْمَجْدُ كُلُّ الْمَجْدِ فِي اسْتِثْمَامِهِ
إِنَّ الْهَلَالَ يَرُوقُ أَبْصَارَ الْوَرَى حُسْنًا وَلَيْسَ كَحُسْنِهِ لِتِمَامِهِ^(٤)

أنشد الزبير بن بكار :

أَبْلُ مَنْ شِئَتْ ثَقْلُهُ عَنْ قَلِيلٍ لِفِعْلِهِ
ضَاعَ مَعْرُوفٌ وَاضِحٌ مُرْفٍ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ^(٥)

قال القاسم بن معن ، قال رجل لعون بن عبد الله بن عتبة : ما السخاء ؟ قال :
التأني للمعروف . قال : فما البخل ؟ قال : الاستقضاء على الملهوف .

(١) : أئمن وزرع ، و أكبر كنز .

(٢) ب : يقيه ، وهما بمعنى ، وما أثبتناه هو الرواية المشهورة .

(٣) شرح الديوان ٣٠ .

(٤) البيتان لأبي تمام انظر شرح ديوانه للتبريزي ٢٦٧/٢ .

(٥) البيتان لأبي المتاهية ديوانه ١١٧ ، فصل المقال ٣١٠ .

قال ابن عباس : لا يُزَهَّدُكَ في المروف كُفْرٌ من كُفْر ، فإنه يشرك عليه من لم يصنعه .

كان يقال : في كل شيء سرفٌ إلا في المروف .

قال حبيب :

وَإِذَا امْرُؤٌ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ^(١)

كان يقال : لا يُزَهَّدُكَ في المروف دمامةٌ من يسديه إليك ، ولا ينبو بصرك عنه ، فإن حاجتك في شكره ووفائه لا منظره ، وإن لم يكن أهله فكن أنت أهله .

قال الشاعر :

وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ ، أَمَّا مَذَاقُهُ فَحَلُولُهُ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُهُ^(٢)

تمثل رجل عند عبد الله بن جعفر بقول الشاعر :

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ
فَإِذَا أَصَبْتَ صَنِيعَةً فَاعْمِدْ بِهَا لِلَّهِ أَوْ لِذَوِي الْقَرَابَةِ أَوْ دَعِ^(٣)

فقال عبد الله بن جعفر : هذان البيتان يبيخان الناس ، لا . ولكن أمطر المروف إمطاراً ، فإن أصاب الكرام كانوا له أهلاً ، وإن أصاب اللثام كنت له أهلاً .

(١) ديوانه ٢٤٠ ، محاسرات الأدباء ٢٧٢/١ ، نهاية الأرب ٩١/٣ ، التمثيل والمحاضرة ٩٥ .

(٢) محاسرات الأدباء ٤١/١ غير منسوب ، ونسبه في معجم الأدباء ٣٠٦/١٨ ، إلى أبي العيلاء ، ونسب في البيان والبيان ٢٢٩/٢ ، إلى مالك بن حمار الشمعي الفزاري ، وفي حاشية أبي تمام ٣٥/٢ إلى رجل من بني فزارة .

(٣) البيتان للهديل الأشجعي (هديل بن عبد الله بن سالم) انظر معجم الشعراء ٤٨٢ .

كان يقال : من أسلف المعروف كان ربحه الحمد .

قال عمرو بن العاص : في كل شيء سرفٌ إلا في ابتناء المكّارم أو اصطناع معروف ، أو إظهار مروءة .

وكان يقال : كما يُتَوَخَّى للوديعة أهل الأمانة والثقة ، كذلك ينبغي أن يُتَوَخَّى بالمعروف أهل الوفاء والشكر .

كان يقال : إعطاء الفاجر يقوّيه على فجوره ، ومسألة اللّيم إهانة للعرض ، وتعليم الجاهل زيادة في الجهل ، والصّنيعة عند الكفّور إضاعة النعمة ، فإذا همست بشيء من هذا ، فارتدّ الموضع قبل الإقدام على الفعل .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي ذِي حَسَبٍ أَوْ دِينٍ ، كَمَا أَنَّ الرِّيَاضَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي نَجِيبٍ » .

مكتوب في التوراة : افعل إلى امرئ سوء خيراً يَجْزِكَ شَرّاً .
كان يقال : صاحب المعروف لا يقع ، فإذا وقع أصاب متكثراً .

ال شاعر :

وَدُونَ النَّدَى فِي كُلِّ قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ لَهَا مَنَجِدٌ^(١) حَزَنٌ وَمُنْجِدٌ سَهْلٌ
يَوْدُ الْفَتَى فِي كُلِّ نَيْلٍ يُنِيلُهُ^(٢) إِذَا مَا انْقَضَى لَوْ أَنَّ نَائِلَهُ جَزَلٌ^(٣)

كان الحجاج بن يوسف يقول : خير المعروف ما أنعشت به الكرام .

(١) ب : مصد .

(٢) ب : يناله .

(٣) البيتان لأبي يعقوب الحرّمي ، انظر البيان ٢/٣٩٣ ، التثيل والمحاضرة ٨٤ ، زهر الآداب ٢/٤٢٢ معم الأدباء ١٦/٣٦٤ ، نهاية الأرب ٣/٨٤ ، الشعر والشعراء ٨٣٣ .

كان يقال : من لم يُرَبِّ معروفه فكأنه لم يصطنعه .

وكان يقال : أحي معروفك بإماتته .

كتب أرسطوطاليس إلى الإسكندر : املك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالحببة منها ، وطلبك ذلك منها بالإحسان أديم بقاء لإحسانك منه باعتسافك^(١) ، واعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطها إلى القلوب بالمعروف ، واعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول ، قدرت على أن تفعل ؛ فاجهد ألا تقول تسلم من أن تفعل .

كان يقال : اتق أن يُسدَّ غنك طريق المعروف بالكفر أو بالمن ، فإن المن يفسد الصنيعة والكفر يحوها ، والشكر يجلب النعمة^(٢) .

قال الشاعر :

أُفْسَدَتِ بِالْمَنِّ^(٣) مَا أُوْلِيَتْ مِنْ حَسَنِ لَيْسَ الْكَرِيمُ بِمَا أُسْدَى بِمَنَانٍ^(٤)

وقال الحسن بن هانئ :

فَامْضِ لَا تَتَنَّ عَلَى يَدَا مَنَّكَ الْمَعْرُوفَ مِنْ كَدَرِهِ^(٥)

قال معاوية ليزيد : يا بني ! اتخذ المعروف منالا عند ذوى الأحساب تستمل به مودتهم ، وتعظم في أعينهم ، وتكف به عاديهم ، وإياك والمنع ، فإنه ضد المعروف .
كان يقال : حصاد من يزرع المعروف في الدنيا ، اغتباط في الآخرة .

(١) : باعقافك .

(٢) ب : والكفر يسلب النعمة .

(٣) سائط من ب .

(٤) عيون الأخبار ١/ ١٧٧ ، مخاضرات الأدباء ، ١/ ٢٩٠ .

(٥) ديوانه ٢٥ ، الكامل ، ١/ ٢٤٣ .

ذم أعرابي رجلاً ، فقال : كان سمين المال ، مهزول المعروف .
قال الزهيري : من زرع معروفاً حصده خيراً ، ومن زرع شراً حصده ندامة .
قال الشاعر :

مَنْ يَزْرَعُ الْخَيْرَ يَحْصُدْ مَا يُسَرُّ بِهِ وَزَارِعُ الشَّرِّ مَنَكُوسٌ عَلَى الرَّاسِ
وقال الراجز :

مَنْ يَزْرَعُ الْخَيْرَ يَحْصُدْ حَصَادَهُ مَوْفَرًا يَوْمًا إِذَا مَا أَرَادَهُ
قال بشر بن أبي خازم :

وَأَيْدِي النَّدَى فِي الصَّالِحِينَ فَضُولٌ^(١)

وقال الخطيئة :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدُمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ^(٢)

وقال عبد الله بن المبارك رضي الله عنه :

يَدُ الْمَعْرُوفِ غَنَمٌ حَيْثُ كَانَتْ تَحْمَلُهَا شَكُورٌ أَوْ كَفُورٌ
فَفِي شُكْرِ الشُّكُورِ لَهَا جَزَائُهَا وَعِنْدَ اللَّهِ مَا كَفَرَ الْكَفُورُ

قال الأعمى . سمعت أعرابياً يقول : أسرع الذنوب عفوبة كفر المعروف .
ولابن دريد وقيل إنه أنشدها :

(١) عجز بيت ، وصدره : يكن لك في قومي يد يشكرونها . الديوان ١٠٧ ، وليس في كاتبة اللام
على في نهاية الصاد إلا أن الرواية هناك : فروض مكان فضول .
(٢) ديوانه ٥٤

وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مُعَارَةٌ فَمَا اسْتَطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفٍهَا فَتَزَوَّدْ
فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي بِأَيِّ بَلَدَةٍ تَمُوتُ وَلَا مَا يُحْدِثُ اللَّهُ فِي غَدٍ^(١)

قال بزرجمهر : خير أيام المرء ما أغاث فيه المضطر ، واحتسب فيه الأجر ،
وارتمن فيه الشكر ، واسترق فيه الحر .

جمع كسرى مَرَاذِبَتَهُ وعيون أصحابه ، فقال لهم : على أى شيء أنتم أشد ندامة ؟
قالوا : على وضع المعروف في غير أهله ، وطلب الشكر ممن لا يشكره .

قال الشاعر :

وَزَهَّدَنِي فِي كُلِّ خَيْرٍ مَنَعْتُهُ إِلَى النَّاسِ مَا جَرَّبْتُ مِنْ قِلَّةِ الشُّكْرِ^(٢)

وقال آخر :

النَّاسُ مِنْ شَاكِرٍ لِلْعُرْفِ مُحْتَمِلٍ وَمِنْ كَفُورٍ لِمَا أَوْلَيْتَهُ زَمِيرٍ^(٣)
فَابْسُطْ يَدَ الْجُودِ تَحْمِلْ بَعْضَ نَائِلِيهَا وَإِنَّمَا النَّاسُ وَالْمَعْرُوفُ كَالْغُرَرِ

وقال آخر :

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يُبْلِقِ الَّذِي لَا قِيَّ مُجِيرُ أُمَّ طَامِرٍ^(٤)

قال المهلب : عجبت لمن يشتري الممالك بماله ، ولا يشتري الأحرار بمعروفه .

وقال : ليس للأحرار ثمن إلا الإكرام ، فأكرم حرًا تملكه .

(١) البيتان من غير نسبة في عيون الأخبار ١/١٨١ ، العقد الفريد ٣/٤٦٩ .

(٢) البيت في عيون الأخبار ٣/١٦٢ ، الأمالي ٥/١٢٣ ، العقد الفريد ١/١٩٩ .

(٣) الرمر : قليل المروءة والوفاء .

(٤) محاضرات الأدباء ١/٢٨٣ ، المستطرف ١/٢٤٩ ، مجموعة المعاني ٥٧ ، وأم عامر ، كنية الضبع .

قال المتنبي :

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّيْمَ تَمَرَّدَا^(١)

قال عبد مناف : دواء من لم يصلحه الإكرام الهوان .

قال الشاعر :

مَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ الْجَمِيعُ لِيَفِي عُقُوبَتِهِ صَلَاحُهُ

وقال محمود الوراق :

فَكَّرْتُ فِي الْمَالِ وَفِي جَمِيعِهِ فَكَانَ مَا يَبْقَى هُوَ الْفَانِي
وَكَانَ مَا أَنْفَقْتُ فِي أَوْجِهِ أَوْ بِرٍّ بِمَعْرُوفٍ وَإِحْسَانٍ
هُوَ الَّذِي يَبْقَى وَأُجْزَى بِهِ يَوْمَ يُجَازَى كُلُّ إِنْسَانٍ
وَمِنْ فَسَادِ الْعُرْفِ إِحْصَاؤُهُ وَذِكْرُهُ فِي كُلِّ إِبَّانٍ
فَلتُشْرُ إِذَا أُولِيْتَ عُرْفًا وَإِنْ أُولِيْتَهُ فَاسْتُرَ بِنِسْيَانٍ

بابُ الشُّكْرِ^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أُوْلَى مَعْرُوفًا فَلَمْ يَحْدُ إِلَّا الشُّنَا
فقد شكره ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أُهْدِيَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ ، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ : جزاك الله
خيراً فقد أبلغ في الثناء » .

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها تنشد لليهودي :
ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يَجُزُّ بِكَ ضَعْفُهُ يَوْمًا فَتُدْرِكُهُ الْعَوَاقِبُ قَدْ نَمَّا
يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا قَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى
فقال : « قاتله الله ! ما أحسن ما قال ! ، من لم يجد إلا الدناء والثناء فقد كافأ » .
وفي رواية أخرى لهذا الخبر عن عائشة أنها قالت : قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « أنشدني شعر ابن النربض اليهودي^(٢) حيث قال : إن الكريم
فأنشدته :

إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا أَرَادَ وَصَالَنَا لَمْ يُبْلِغْ حَبْلِي وَاهِيَا رَثَّ الْقَوَى

(١) يبدأ من هنا سقط قدره ورقة من نسخة ب .
(٢) سبذكر المصنف بعد إيراد الآيات أن اسمه الفريش لا ابن الفريش كما ورد في الحديث ، والواقع أن
الاختلاف - في اسم هذا اليهودي الشاعر - ، واشتهر أن اسمه السمويل بن الفريش بن عادياء هكذا ورد في
سبط اللاوي ٥٩٥ ، والهيريزي ٥٥/١ ، وطبقات الشعراء ٢٣٥ ، ومن مترجميه من يسميه السمويل بن عادياء ،
وهو في الخبر ٣٤٩ : السمويل بن حبا بن عادياء النسابي ، وكما اختلف في اسمه اختلف في وجوده أصلاً ، انظر
تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد ٢١٩/٣ ، ولعل هذا هو الدبب في اضطراب نسبة هذه الآيات إليه أو لغيره
غيره ، وانظرها مع النص الذي ساقه المصنف في الأظني ١١٧/٣ ، ١١٨ ، حماسة البحرى ٣٩٨ ، والأولى فصل
المقال ١٧٤ ، والثاني منها في عيون الأخبار ١٦٢/٣ .

أَرْعَى أَمَانَتَهُ وَأَحْفَظُ غَيْبَهُ جَهْدِي قِيَا تِي بَعْدَ ذَلِكَ مَا أَتَى
أَجْزِيهِ أَوْ أَثْنَى عَلَيْهِ فَإِنَّ مِنْ أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى

وهذا الشعر لا يصح فيه إلا ما روى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة :
أنه للغريض اليهودي ، وهو الغريض بن السموءل بن عادياء اليهودي ، من ولد
الكاهن هرون بن عامر بن ساعر ؛ وأما أهل الأخبار ، فاختلفوا في قائله ، فقيل :
هو لورقة بن نوفل ، وقيل : هو لزهير بن جناب الكلابي ، وقيل : لعامر بن المجنون^(١)
وقيل : ليزيد بن عمرو بن نفيل ، ومنهم من قال : إنه ليزيد بن عمرو أو ورقة بن
نوفل البيتان الأولان ، والصحيح فيها وفي الآيات غيرها أنهما للغريض اليهودي ،
والله أعلم .

قل ابن أبي الدنيا : أنشدني الحسين بن عبد الرحمن :

لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ فَوْقَ الشُّكْرِ مَنَزِلَةً أَعْلَى مِنَ الشُّكْرِ عِنْدَ اللَّهِ فِي الثَّمَنِ
إِذَا مَنَحْتُكَهَا مِنِّي مُهْنَةً شُكْرًا عَلَى صُنْعِ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ^(٢)

وقال آخر في يحيى بن خالد البرمكي :

طَلَبْتُ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فِيمَا فَعَلْتَ بِي فَقَصَّرْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّي أَشَاكِرُ
لَقَدْ كُنْتَ تَعْطِينِي الْجَزِيلَ بَدِيعَةً وَأَنْتَ لِمَا اسْتَكْثَرْتَ مِنْ ذَاكَ حَاقِرُ

(١) كذا بالأصول ولعل محته : مجنون بن عامر .

(٢) البيتان في معجم الأدياء ٨٧/١٠ ، وقد نسباه إلى الحسين بن علي المغربي ، وورد الشعر
الأول فيه : إِذَا مَنَحْتُكَهَا مِنِّي مُهْنَةً شُكْرًا . وسبب ونهاية الأرب ٢٤٩/٢ إلى ابن عينة الملهي ، ورد فيه
البيت الثاني :

أعطيتها لك من قى مهذبة حذوا على مثل ما أوليت من حسن

فَأَرْجِعْ مَقْنُوطًا وَتَرْجِعْ بَأْتِي لَهَا أَوَّلُ فِي الْمَكْرُمَاتِ وَآخِرُ^(١)
وَمَا أَنشده الرياشي :

شُكْرِي لِفِعْلِكَ فَانْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ تَعْرِفْ بِفَضْلِكَ مَا عِنْدِي مِنَ الشُّكْرِ
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم أنها من عند الله
إلا كتب الله له شكرها ، وما علم الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر له إن يستغفر ،
وإن الرجل ليلبس الثوب فيحمد الله فما يبلغ ركبتة حتى يُغفر له » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل » .
وقال : « أشكرُ الناس لله عز وجل أشكرهم لعباده ، ومن لم يشكر القليل لم
يشكر الكثير » .

وفي التفسير : « اَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا »^(٢) ، قالوا : الطاعات كلها شكر ،
وأفضل الشكر الحمد .

وفي قوله في نوح عليه السلام : « إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا »^(٣) ، وقالوا : كان
لا يقوم ولا يقعد ، ولا يلبس ثوبًا ، ولا يأكل ولا يشرب إلا حمد الله ، فأثني
عليه الله بذلك .

مكتوب في التوراة : اشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكرك ، فإنه
لا زوال للنعم إذا شكرت ، ولا مقام لها إذا كُفرت ، والشكر زيادة في النعم ،
وأمان من الغير .

(١) نسب البيت الأول إلى طريق بن إسماعيل الثقفي ، ونسب الثاني إلى أبي يعقوب الحريري في عيون الأخبار
١٦٠/٣ . ونسبت كلها إلى طريق في نهاية الأرب ٢/٢٤٩ ، البيان ٢/٤٠٣ .

(٢) سورة سبأ آية ١٣ .

(٣) سورة الإسراء آية ٣ .

قال أبو نخيلة :

شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ الثَّقَى وَمَا كُذِّبَ مِنْ أَوْلِيَّتِهِ نِعْمَةٌ يَقْضَى
وَأُخِيَّتَ مِنْ ذِكْرِي وَمَا كُنْتُ خَامِلًا وَلَكِنْ بَعْضُ الذِّكْرِ أَنْبَاءُ مِنْ بَعْضٍ^(١)

قال حذيفة بن اليمان : مَا عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَزْدَادَ حَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عِظَمًا .

قال عروة بن الزبير : مَنْ لَمْ يَعْرِفْ سُوءَ مَا يُبْلَى لَمْ يَعْرِفْ خَيْرَ مَا يُؤَلَى .

قال جعفر بن محمد : مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا بِقَلْبِهِ وَشَكَرَهَا بِلِسَانِهِ
فَمَا يَبْرَحُ حَتَّى يَزْدَادَ .

^(٢) قال ابن عباس : لو قال لى فرعون خيراً لرددتُ عليه مثله^(٢)

قيل لسعيد بن جبير : المجوسى يولبنى خيراً أفأشكره ؟ قال : نعم .

قال أوس بن حجر ، وقيل : إنه لأبى يعقوب الخريمى :

سَأَجْزِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي رَبَّنَا وَحَسْبُكَ مِنِّي أَنْ أَوَدَّ وَأَحْمَدَا^(٣)

ولأبى المعافى^(٤) ^(٥) يعقوب بن^(٥) إسماعيل بن رافع ، مولى مزينة فى بكار بن

عبد الله الزيرى :

إِنِّى أَنِّى بِمَا أَوْلَيْتَنِى لَمْ يُضِغْ حُسْنُ بَلَاءٍ مِنْ شَكَرٍ
إِنِّى وَاللَّهِ لَا أَكْفُرُكُمْ أَبَدًا مَا صَاحَ دِيكَ فِي السَّحَرِ

(١) انظر البيهقي فى عيون الأخبار ١/١٦٥ ، معجم الشعراء ١٩٣ ، وأبو نخيلة هو حزن بن زائدة بن ثعلبة السعدي ، انظر معجم الشعراء بالرقم السابق ، زهر الآداب ٤/٦٧ ، الأمل ١/٣٠ .

(٢) ساقط من ب .

(٣) ورد البيت فى الأغاني ١٠/٧ ، وعيون الأخبار ٣/١٦٥ هكذا :

سَأَجْزِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي مَثُوبٌ وَنَصْدُكَ أَنْ يَثْنَى عَلَيْكَ وَنَعْمْدُ

(٤) ورد الاسم فى الأصل : أبو المعافى ، والتصحيح من معجم الشعراء - ٥٠٤ .

(٥) ساقط من ب .

وقال آخر :

فَلَوْ كَانَ يَسْتَغْنِي عَنِ الشُّكْرِ مَا جِدُّ لِعِزَّةٍ مُلْكٍ أَوْ مُعْلُوٍّ مَكَانِهِ
لَمَّا نَدَبَ اللَّهُ الْعِبَادَ لِشُكْرِهِ فَقَالَ : اشْكُرُونِي أَيُّهَا الشَّقَلَانِ (١)

وقال آخر :

سَأَشْكُرُ عَمْرًا مَا تَرَأَخْتُ مِنْبِتِي أَيَادِي لَمْ تُعْمَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ
فَتَى غَيْرُ مُحْجُوبٍ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مُظْهِرُ الشُّكْرِ إِذَا النَّمْلُ زَلَّتْ (٢)

وقال آخر :

رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يُخْفَى مَكَانُهَا فَكَأَنْتَ قَدْ ذَيَّعْتَنِي حَتَّى تَجَلَّتْ (٣)

وقال آخر :

لَنْ طِبْتَ نَفْسًا عَنْ ثَنَائِي فَإِنِّي لِأَطِيبُ نَفْسًا مِنْ نَدَاكَ عَلَى عُسْرِي
فَلَسْتُ إِلَى جَدِّوَاكَ أَعْظَمَ حَاجَةً عَلَى شِدَّةِ الْإِعْسَارِ مِنْكَ إِلَى شُكْرِي (٤)

قال عمر بن عبد العزيز : ذكر النعمة شكر .

(١) البيتان لـكثوم بن عمرو النخعي كان في رهر الآداب ٣٣/٢ ، وانظرهما في المقصد الفريد ١٣٧/٢ ، معجم الأدباء ٢٩/١٧ ، محاضرات الأدباء ١٨٣/١ .

(٢) البيتان في أمالي القالي ٤٠/١ ، عيون الأخبار ١٦١/٣ من غير نسبة ، وقد نسب في معجم الشعراء ٤١٢ إلى محمد بن سعد الكاتب التميمي ، وفي سبط اللائي ١٦٦ نسب إلى أبي الأسود ، وكان عند عمرو بن سعيد بن العاص ، وبينما هو يحدّثه إذ ظهر كم قبعه من تحت جبهته وبه خرق ، فلما انصرف بعث إليه بمسفرة آلاف درهم ومائة نوب ، وفي الحماسة ٢٥٣/٢ ورد البيتان بلا نسبة وعقب التبريزي عليهما بأنهما لعمرو بن كيل ، وقد نظر إليه عمرو بن ذكوان وعليه جبة بلا قبع . جعل يسمى له ويتشفع حتى ولي البصرة .

(٣) أورد المصنف هذا البيت مسرداً ، وهو تابع للبيتين قبله ، انظر المراجع السابقة ، وبالإضافة إلى ما سبق فيها فقد ورد البيتان في معجم الأدباء ١١٢/١٣ مسبوغاً إلى إبراهيم بن العباس الصولي ، ووردت الأبيات الثلاثة لإبراهيم أيضاً في نبات الأعيان ١٤٧/٣ .

(٤) عيون الأخبار ١٦٦/٣ .

قال جعفر بن محمد : من لم يشك الجفوة لم يشكر النعمة .

قال الشاعر :

إِذَا أَنَا لَمْ أَعْرِفْ^(١) لَدَى الْفَضْلِ فَضْلَهُ وَلَمْ أَلْمِ الْخَبَّ اللَّثِيمَ الْمَذْمَا
فَقِيمَ عَرَفْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِاسْمِهِ وَشَقَّ لِي اللَّهُ الْمَسَامِعَ وَالْفَمَا^(٢)

وقال آخر :

وَالْكَفْرُ مَحَبَّةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعِمِ^(٣)

وقال آخر :

وَمَا تَخْفَى الصَّنِيعَةُ حَيْثُ كَانَتْ وَلَا الشُّكْرُ الصَّحِيحُ مِنْ السَّقِيمِ

وقال العتابي :

فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يُرَى إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّـاطِرُ
لَمَثَلْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ فَتَعْلَمَ أَنِّي امْرُؤٌ شَاكِرٌ^(٤)

وقال آخر :

وَإِنَّكَ إِنْ ذَوَّقْتَنِي ثَمَرَ الْغِنَى حَدَّثْتُكَ الَّذِي تَجْنِيهِ^(٥) مِنْ ثَمَرِ الشُّكْرِ

(١) ب : تعرف .

(٢) أنسب البيتان في الأمل ١٥٩/٢ إلى أبي العالية الرياحي ، وورد البيت الأول منه : إذا أنا لم أشكر على الخير أهله ... ولم أذم الجبس ... الخ ، وورد في معجم الشعراء ٤٩٧ منسوبين إلى أبي عمران الضريير ، وفي محاضرات الأدباء ١/١٨٤ نسبا إلى أبي العناء ، وورد فيها الشطر الأول : إذا أنا بالمعروف لم أئن صادقا ، واطرهما في زهر الآداب ١/٨٦ ، معجم الأدباء ١٨/٢٨٨ .

(٣) صدره : * نبئت عمراً غير شاكر سمعتي * وهو لعنرة العيسى ، ديوانه ٢٨ .

(٤) عيون الأخبار ١٦١/٣

(٥) ب : أجنيك .

وَإِنْ يَفْنِ مَا أَعْطَيْتَنِي الْيَوْمَ أَوْ غَدًا فَإِنَّ الَّذِي أُعْطَيْتَ يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ
وقال آخر :

لَأَشْكُرَنَّكَ مَعْرُوفًا هَمَمْتَ بِهِ إِنَّ اهْتِمَامَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفٌ
وَلَا أَلُومُكَ إِنْ لَمْ يُنْمِضْهُ قَدَرٌ فَالرِّزْقُ بِالْقَدَرِ الْمُحْتُومِ مَصْرُوفٌ^(١)

قال سليمان التيمي : إن الله عز وجل أنعم على عباده بقدر طاقته ، وكلفهم من
الشكر بقدر طاقتهم .

قالوا : كلَّ شكو وإن قلَّ ، ثمن لكل نوال وإن جل .

كانت هند بنت المهلب تقول : إذا رأيت النعمة مستبصرة فبادروها بالشكر
قبل حلول الزوال .

وقال أبو نواس :

أَنْتَ امْرُؤٌ أَوْلَيْتَنِي نِعْمًا أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفًا
لَا تُخْدِنَنَّ إِلَيَّ عَارِفَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفًا^(٢)

وقال البحتري :

مَنْ لَا يَقُومُ بِشُكْرِ نِعْمَةٍ حَبَّ^(٣) فَمَتَى يَقُومُ بِشُكْرِ نِعْمَةِ رَبِّهِ^(٤)

(١) عيون الأخبار ١٦٥/٣ ، نهاية الأرب ٢/٢٤٥ ، وانظر جذوة المقتبس ١٢٩ ، وقد نسبهما . فيه
لابن عائشة .

(٢) ديوانه ٧٠ ، زهر الآداب / ٩٣ ، محاضرات الأدباء ١/١٧٨ ، معجم الأدباء ١٧ / ١٧٤ ، الشعر
والشعراء ٨٠ .

(٣) ١ : خله .

(٤) ديوانه ٦٧/٦ .

أنشد المبرد لمحمود الوراق :

إِذَا كَانَ سُكْرِي نِعْمَةً اللَّهِ نِعْمَةً عَلَىٰ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
فَكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمُرُ
إِذَا سَرَّ بِالسَّرَّاءِ عَمَّ سُرُورُهَا وَإِنْ مَسَّ بِالضَّرَّاءِ أَعْقَبَهَا الْأَجْرُ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ تَضِيقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالْبَرْ وَالْبَحْرُ^(١)

قال أبو العباس المبرد : هذا معنى لطيف ، يقول : إن الله عز وجل لا يحمد إلا بتوفيقه ، فيجب أن يحمد على التوفيق ، ثم يجب في الحمد الثاني ما يجب في الحمد الأول أبدأ إلى حيث لا نهاية ، ولقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزِدْ عَلَىٰ كُلِّ نِعْمَةٍ قَدْ آتَاكَهَا شُكْرًا فَلَسْتَ بِشَاكِرٍ^(٢)
ومن أبيات ليزيد بن محمد المهلب في هذا المعنى :

فَكَيْفَ بِشُكْرِ ذِي نِعَمٍ إِذَا مَا شَكَرْتُ لَهُ فَشُكْرِي مِنْهُ نِعْمَةٌ
قال رجل من قريش لأشعب الطمع : يا أشعب ! أحسنتُ إليك فلم تشكر !
فقال : إن معروفك خرج من غير محتسب إلى غير شاكر .

قالوا : لا تثق بشكر من تعطيه حتى تمنعه .

قال الشاعر :

إِذَا الشَّافِعُ اسْتَقْصَىٰ لَكَ الْجُهْدَ كُلَّهُ وَإِنْ لَمْ تَنْلُ نُبْحًا فَقَدْ وَجَبَ الشُّكْرُ^(٣)

(١) المستطرف ١/ ٢٧٨ ، زهر الآداب ١/ ٨٩ .

(٢) ديوانه ٣٤ .

(٣) معاصرات الأدباء ١/ ٢٧٣ ، عيون الأخبار ١/ ١٣٥ .

وقال آخر :

وَالْحَدُّ شَهْدٌ^(١) لَا يُرَى مُشْتَارُهُ يَجْنِيهِ إِلَّا مِنْ نَقِيعِ الْحَنْظَلِ^(٢)

وقال آخر :

دَنَوْتَ لِلْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا جَهْدَ النُّفُوسِ وَشَدُّوا دُونَهُ الْأُزُرَا
وَسَاوَرُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ وَفَى وَمَنْ صَبَرَا
لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمَرًا أَنْتَ آكِلُهُ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْمَعَ الصَّبْرَا^(٣)

قال جعفر بن محمد : ما من شيء أسرُّ إلى من يداً تُبِعُهَا أُخْرَى ، لأنَّ مع الأواخر
يُقَطَّعُ لِسَانُ شُكْرِ الْأَوَائِلِ .

(١) ساقط من ب .

(٢) البيت لأبي تمام ، انظر شرح دبوابة ٤١/٢ ، زهر الآداب ١١٣/٤ .

(٣) الأبيات والأولى ١١٣/١ ، وفيه : دبيت بدل دنوت ، وألفوا بدل شدوا ، وكابدوا بدل ساوروا ، وانظر البيتين الأولين في فصل المقال ٢٠٧ ، الحساسة لأبي تمام ٢١٥/٢ ، ٢١٦ ، وقد نسبهما هناك إلى رجل من بني أسد ولم يسميه .

بَابُ فِي طَلَبِ الْحَاجَاتِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اسْتَفْعُوا تُوجَرُوا ، وَيَقْضَى اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ بِالْكِتْمَانِ ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ ، هُمْ الْآمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اَطْلُبُوا الْخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوهِ »

قال الشاعر :

أَنْتَ وَصَفُ النَّبِيِّ إِذْ قَالَ يَوْمًا اَطْلُبُوا الْخَيْرَ مِنْ حِسَانِ الْوُجُوهِ
وقال محمد بن واسع لقتيبة بن مسلم : اِنِّي أَتَيْتُكَ فِي حَاجَةٍ رَفَعْتُهَا إِلَى اللَّهِ قَبْلَكَ ،
فَإِنْ أَدْنَى اللَّهُ فِيهَا قَضِيَّتَهَا وَحَمْدُكَ ، وَإِنْ لَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ فِيهَا لَمْ تَقْضِهَا وَعَذْرُكَ .

قال يونس رحمه الله :

أَنْزَلْتُ بِالْحُرِّ إِبْرَاهِيمَ مَسْأَلَةً أَنْزَلْتُهَا قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ بِاللَّهِ
فَإِنْ قَضَى حَاجَتِي قَالَهُ يَسِّرْهَا هُوَ الْمُقَدِّرُهَا وَالْأَمْرُ النَّاهِي
إِذَا أَبَى اللَّهُ شَيْئًا ضَاقَ مَذْهَبُهُ عَلَى الْكَبِيرِ^(١) الْعَرِضِ الْقَدْرِ وَالْجَاهِ

(١) ب : عن الكبير .

وقال أبو العتاهية :

خَيْرُ الْمَذَاهِبِ فِي الْحَاجَاتِ أَنْجَحُهَا وَأَضْيَقُ الْأَمْرِ أَذْنَاهُ إِلَى الْفَرَجِ^(١)

كتب سوار بن عبد الله بن سوار القاضي إلى محمد بن عبد الله بن طاهر :

لَنَا حَاجَةٌ وَالْعُذْرُ فِيهَا مُقَدَّمٌ خَفِيفٌ مُعْنَاهَا مُضَاعَفَةٌ الْأَجْرُ

فَإِنْ تَقْضِيهَا فَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبَّنَا وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَبِئْسَ الْعُذْرُ

عَلَى أَنَّ الرَّحْمَنَ مُعْطٍ وَمَانِعٌ وَلِلرَّزْقِ أَسْبَابٌ إِلَى قَدَرٍ تَجْرِي

فأجابه محمد بن عبد الله بن طاهر :

فَسَلِّهَا تَجِدُنِي مُوجِبًا لِقَضَائِهَا سَرِيعًا إِلَيْهَا لَا يُخَالِطُنِي فِكْرُ

شُكْرٍ بِإِفْضَالِي عَلَيْكَ عِثْلِيَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَيَا حَوَاتُهُ يَدِي شُكْرُ

فَهَذَا قَلِيلٌ لِلَّذِي قَدْ رَأَيْتُهُ لِحَقِّكَ لَا مَنْ لَدَيَّ^(٢) وَلَا فَخْرُ

قال معاوية يوماً لعمر بن العاص : لي إليك حاجة . قال : ولي إليك حاجة

يا أمير المؤمنين . قال : تهب لي الوهط^(٣) . قال : هولاك يا أمير المؤمنين . قال

معاوية : اذكر حاجتك . قال : ترده علي .

قال جعفر بن محمد : حاجة الرجل إلى أخيه فتنة لهما ، إن أعطاه شكر من لم يعطه ،

وإن منعه ذم من لم يمنعه .

قال خالد بن صفوان : لا تطلبوا الحوائج عند غير أهلها ، ولا تطلبوها في غير

حينها ، ولا تطلبوا مالا تستحقون منها ، فإن من طلب مالا يستحق استوجب الحرمان .

(١) الديوان ٦١ .

(٢) ١ : على .

(٣) قرية بالطائف ، زرعها عمرو كروماً ، وكانت له قيمة جلييلة ، انظر معجم ياقوت ١١١/٥ .

كان يقال : اذا طلب طافل الى كريم حاجة اتقضت ، لأن العاقل لا يطلب إلا ما يمكن ، والكريم إذا سئل ما يمكن لم يمنع .

كان يقال : إذا أحببت أن تطاع ، فلا تسئل^(١) ما لا يستطيع .

قال طاهر بن خالد بن جعفر ليزيد بن الصبيح :

إِنَّكَ إِنْ كَلَّفْتَنِي مَا لَمْ أُطِيقْ سَاءَكَ مَا سَرَّكَ مِنِّي مِنْ خُلُقٍ^(٢)

قال رجل الأحنف : أتيتك في حاجة لا ترزؤك ولا تنكؤك . قال : إذا لا تقضى ، أمثلي يؤتى فيما لا يرزأ ولا ينكأ .

قال رجل للعباس بن محمد ، أو لعبد الله بن عباس : أتيتك في حاجة صغيرة ، قال : فاطاب لها رجلا صغيراً .

قيل لآخر : أتيتك في حاجة . قال : اذكرها ، فإن الحرّ يقوم بصغير الحاجات ولبيرها .

كان يقال : لا تستمع على حاجة بمن هي طعمته ، ولا تستمع بكذاب ، فإنه يقرب البعيد ويباعد القريب ، ولا تستمع على رجل بمن له إليه حاجة .

قال ابن المقفع : الحاجة يعترى صاحبها الخليفة من مكانين : الاستقبال بها قبل وقتها ، والثاني حتى تفوت ، وأنشد :

وَقَدْ يَفُوتُ أَنْاسًا بَعْضُ مَا طَلَبُوا عِنْدَ التَّائِي فَكَانَ الْحَزْمُ لَوْ عَجَلُوا^(٣)

(١) ب : يحمل .

(٢) محاضرات الأدباء ٢٦١/١ ، معجم الأدباء ١٨٧/٢ ، العقد الفريد ٢١٢/٣ .

(٣) البيت للعطامي ، ديوانه ١٣٦٤ ، العقد الفريد ٧٥١/١ ، نهاية الأرب ٣٩٠/٣ ، المستطرف ٣٩/١ .

قال أبو فزارة الغاضريّ : أصل العبادة ألا تسأل سوى الله حاجة ، فكل أحد في الله عوض من كل أحد ، وليس لأحد من الله عوض بأحد .

سأل رجل مطرف بن عبد الله بن الشخير حاجة ، فقال : من كانت له إلى حاجة فليكتبها في رقعة ، فإني أرغب بوجوهكم عن مكروه السؤال .

كان يقال : لا تصرف حوائجك إلى من معيشته في رعوس المكاييل والموازين .

قال العرزمي^(١) ، وروى لأبي الأسود الدؤلي :

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمُ
وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى لَيْمٍ حَاجَةً فَالِحٌ فِي رِفْقٍ وَأَنْتَ مُدِيمٌ^(٢)
وقال آخر :

لَا تَطْلُبَنَّ إِلَى لَيْمٍ حَاجَةً . وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ قَائِمًا كَالْقَاعِدِ
يَا خَادِعَ الْبُخْلَاءِ عَنْ أَمْوَالِهِمْ هَيْهَاتَ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ^(٣)
وقال أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان :

أَطْلُبُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنَّ شِيَمَتَكَ الْحَيَاءُ
كَرِيمٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنْ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
إِذَا أَتَيْتَ عَلَيْكَ الْمَرْءَ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشَّنَاءُ^(٤)

(١) ب : العرجي .

(٢) البيتان في ديوان أبي الأسود ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، محاضرات الأدباء ١/٢٦٣ من غير نسبة .

(٣) عيون الأخبار ٢/١٣٥ .

(٤) ديوانه ٦ ، وفيه أذكر ، وخبيل مكان كريم ، وانظر الأبيات في جملة أبي تمام ٢/٣٤٦ ، لباب الآداب ٢٨٥ ، نهاية الأرب ٥/٣٨ .

وقال جرير يخاطب عمر بن عبد العزيز :

أَذْكُرُ الضَّرَّ وَالْبُلُوَى الَّتِي نَزَلَتْ أَمْ أَكْتَفِي بِالَّذِي بَلَغْتَ مِنْ خَيْرِ^(١)

وقال آخر :

كَفَّاكَ مُذْكَرًا وَجْهِي بِأَمْرِي وَحَسْبِي أَنْ أُرَاكَ وَأَنْ تَرَانِي^(٢)

وقال آخر :

أَرْوَحُ بِتَسْلِيمٍ عَلَيْكَ وَأَغْتَدِي وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مِنِّي تَقَاضِيَا

كَفَى بِطِلَابِ التَّمْرِ مَا لَا يَنَالُهُ عَنَاءٌ وَبِالْيَأْسِ الْمُصْرَحِ نَاهِيَا^(٣)

وقال آخر :

تَغَلَّ لِحَاجَتِي وَاشْدُدْ قَوَاهَا فَقَدْ أَمَسْتُ بِمَنْزِلَةِ الضَّيَّاعِ

إِذَا أَرْضَعْتُهَا بِلَبَانٍ أُخْرَى أَضَرَّتْهَا مُشَارَكَةُ الرُّضَّاعِ^(٤)

وقال آخر :

وَلَا تَسْتَمِينَنَّ فِي حَاجَةٍ بَعْنُ يَبْتَغِي حَاجَةً مِثْلَهَا

فَيَنْسَى الَّذِي كُنْتَ كَلَفْتَهُ وَيَبْدَأُ بِحَاجَتِهِ قَبْلَهَا

وقال آخر :

وَأِذَا يُصِيبُكَ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ حَدِّثْ حَدَاكَ إِلَى أَخِيكَ الْأَوْثَقِ^(٥)

(١) ديوانه ٩٦ ، وفيه : الجهد بدل الضر ، وانظره في المحاسن والمساوي ١٩٤/١ ، عيون الأخبار ١٥٠/٣ ، المستطرف ١٢٨/١ .

(٢) عيون الأخبار ١٤٩/٣ ، المقدم الفريد ٢٩٠/١ وفيه : كفالك مخبرا وجهي بشأني ... وحسبك .

(٣) انظر البيهقي في عيون الأخبار ١٥٠/٣ ، المقدم الفريد ٢٩٠/١ .

(٤) البيتان لطريح بن إسماعيل النقي كما في أمالي الغالي ٧١/٢ ، وانظرهما في المستطرف ١٣٨/١ .

(٥) ساقط من ب ، وهو لقطامي ، ديوانه ٧٢ وانظره في عيون الأخبار ٢/٣ ، معجم الأدباء ٦٢/٢ .

وقال أبو العتاهية :

اقض الحوائجَ مَا اسْتَطَعْتَ تَ وَكُنْ لَهُمَّ أَخِيكَ فَارْجُ
فَلَنَحْنُ نَزِيرُ أَيَّامِ الْفَتَى يَوْمَ قَضَى فِيهِ الْحَوَائِجُ^(١)

وقال الحارثي :

وَمَا رَوْضَةٌ عُلْوِيَّةٌ أَسَدِيَّةٌ^(٢) مُمْنَمَةٌ زَهْرَاءُ ذَاتُ ثَرَى جَعْدِ
سَقَاهَا النَّدى فِي غَفْلَةِ الدَّهْرِ نَوَّهًا فَنَوَّارُهَا يَهْتَزُّ كَالْكُوكَبِ السَّعْدِ
بِأَحْسَنَ مِنْ حُرٍّ تَضَمَّنَ حَاجَةً لِحُرٍّ فَأَوْفَى بِالنَّجَاحِ وَبِالرُّفْدِ^(٣)

قال عمر بن أبي ربيعة :

إِنَّ لِي حَاجَةً إِلَيْكَ فَقَالَتْ بَيْنَ أَذُنِي وَعَاتِقِي مَا تَرِيدُ^(٤)
كان يقال : من بكر يوم السبت في حاجة ، كان حقاً على الله قضاؤها .

قال بشار بن برد :

بَكْرًا صَاحِبِي قَبْلَ السَّحُورِ إِنَّ مُجْلَّ^(٥) النَّجَاحِ فِي التَّبْكِيرِ

قالوا : من صبر على حاجة ظفر بها ، ومن أدهن قرع الباب يوشك أن يفتح له .

(١) ديوان أبي العتاهية ٦٢ ، و ١٥١ في وفات الأعيان ٣٠٥/٢ إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الحراعي .

(٢) ب : أردية دلوية .

(٣) نسبت الأبيات في العقد الفريد ٤١٩/٥ إلى ابن أبي الحارثي ، وفيه البيت الثاني :
سَقَاهَا النَّدى فِي عَقَبِ جَنَحٍ مِنَ الدَّجَى فَنَوَّارُهَا يَهْتَزُّ كَالْكُوكَبِ السَّعْدِ
وفيه أيضاً : مع الوعد مكان بالرُّفْدِ .

(٤) ديوانه ٥٢ .

(٥) م : جد ، ولا يوجد البيت فيها طبع عن ديوانه .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

اصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الْإِذْلَاجِ فِي السَّفَرِ فِي الرِّوَاكِ إِلَى الْحَاجَاتِ وَالْبُكَرِ
لَا تَضْجَرَنَّ وَلَا يُعْجِزْكَ مَطْلَبُهَا فَالْخُجْجُ يَتَلَفُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالْقَصْرِ
إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْأَيَّامِ تَجْرِبَةً لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةً الْأَثَرِ
وَقُلَّ مَنْ جَدَّ فِي شَيْءٍ يُطَالِبُهُ ^(١) وَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفَرِ ^(٢)

وقال محمد بن بشير :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتُقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَجَا
لَا تَيَأْسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةُ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجًا
أَخْلَقَ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْضِيَ بِحَاجَتِهِ وَمُدَّ مِنَ الْقَرَعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا ^(٣)

سأل عبد الرحمن بن حسان بن ثابت رجلاً حاجة فلم يقضها له ، وسألها غيره
فقضاها إليه ، فكتب هذه الأبيات :

ذُئِمْتَ وَلَمْ تُحْمَدْ وَأَذْرَكْتُ حَاجَتِي تَوَلَّى سِوَاكُمْ أَجْرَهَا وَاصْطِنَاعَهَا
أَبَى لَكَ كَسْبَ الْحَمْدِ رَأْيٌ مُقَصِّرٌ وَنَفْسٌ أَضَاقَ اللَّهُ فِي الْخَيْرِ بِأَعْمَا
إِذَا هِيَ حَشَتْهُ عَلَى الْخَيْرِ مَرَّةً عَصَاهَا وَإِنْ هَمَّتْ بِسُوءٍ أَطَاعَهَا ^(٤)

(١) ب: يماوله .

(٢) انظر الثالث والرابع في عيون الأخبار ١٢٠/٣ ، المستطرف ٦٩/٢ .

(٣) نسبت الأبيات لمحمد بن يسير الرياشي في البيان ٤٠٠/٢ ، الشعر والشعراء ٨٥٥ ، ونسبت في المستطرف
٧٨/٢ إلى محمد بن بشير الخارجي وكذلك في حاسة أبي تمام ٢٨/٢ ، ٢٩ ، ووردت في عيون الأخبار ١٢٠/٣ ،
العقد الفريد ٨١/١ من غير نسبة .

(٤) وردت الأبيات منسوبة إلى عبد الرحمن كما هنا في عيون الأخبار ١٧٢/٣ ، الأمل ٢٢٢/٢ ، ووردت
منسوبة لابنه سعيد في البيان ١٨٤/٣ ، زهر الآداب ٩٩/٤ ، محاضرات الأدباء ٢٨٦/١ .

الإلحاح لا يصلح ولا يحمل إلا على الله عز وجل . قال مؤرق المعلى : سألت
 وبي حاجة عشرين سنة ، فما انقضت لى ولا يثست منها .

قال أبو العتاهية :

فِي النَّاسِ مَنْ تَسْهَلُ الْمَطَالِبُ أَحَدُ يَانَا عَلَيْهِ وَرُبَّمَا صَعِبَتْ
 مَا كُلُّ ذِي حَاجَةٍ بِمُذْرِكِهَا كَمْ مِنْ يَدٍ لَا تَنَالُ مَا طَلَبَتْ
 مَنْ لَمْ يَسْعَهُ الْكَفَافُ مُعْتَدِلًا ضَاقَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا بِمَا رَحِبَتْ^(١)

وقال القطامي :

قَدْ يُذْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ^(٢)

كان بنو يربوع يوصون أولادهم ، فيقولون : استعينوا على الناس في حوائجكم
 بالثقل فذلك أنجح لكم .

قال أبو نواس :

وَلَنْ يُذْرِكَ الْحَاجَاتِ مَنْ حَيْثُ يَنْبَغِي مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْمُسْبِحُونَ عَلَى رِجْلِ^(٣)

وقال أشجع السامي :

لَيْسَ لِلْحَاجَاتِ إِلَّا مَنْ لَهُ وَجْهٌ وَقَاحٌ

(١) الديوان ٣٨ .

(٢) ديوانه ١٣٥ ، شرح الحماسة للبريزي ٣٢٨/١ ، عيون الأخبار ١٣١/٣ ، المستطرف ٣٩/١ ، ٧٣/٢ .

الشعر والشعراء ٧٠٤ .

(٣) لم أعر عليه في ديوانه ، وقد نسب إليه أيضا في عيون الأخبار ١٣٠/٣ ورواية الشعر الأول : وما
 طالب الحاجات ممن يرومها ، ونسب في حماسة البحتري ١٨٧ إلى أبي عطاء السندي . والرواية فيه : من حيث تبتغي .

وَابْتِكَارٌ وَدَوَامٌ وَغَدُوٌّ وَرَوَاحٌ
 إِنَّ تَكُنْ أَبْطَأَتِ الْحَا جَةً عَنِّي وَالسَّرَاحُ
 فَعَلَى الْجُهِدِ فِيهَا وَعَلَى اللَّهِ النَّجَاحُ^(١)

^(٢) وقال آخر :

هَيْبَةُ الْإِخْوَانِ قَاطِعَةٌ لِأَخِي الْحَاجَاتِ عَنْ طَلْبِهِ
 فَإِذَا مَا هَيْبَتَ ذَا أَمَلٍ مَاتَ مَا أَمَلْتُ مِنْ سَبَبِهِ^(٣)

وقال آخر :

طَلَبُ الْحَوَائِجِ كُلِّهَا تَغْرِيرٌ لَا تَرْضَ مَعْجَزَةٌ وَأَنْتَ قَدِيرٌ^(٤)
 وقال دعبيل بن علي الخزاعي :

جِئْتُكَ مُسْتَشْفِعًا بِلَا سَبَبٍ إِلَيْكَ إِلَّا بِجُرْمَةِ الْأَدَبِ
 فَافْضِ ذِمَامِي فَإِنِّي رَجُلٌ غَيْرُ مُلِحٍّ عَلَيْكَ فِي الطَّلَبِ^(٥)

وقال آخر :

مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلَى الصَّدِيقِ لِقَاؤُهُ وَأَخُو الْحَوَائِجِ وَجْهُهُ مَمْلُولٌ^(٥)

(١) الشعر والشعراء ٨٥٨ ، المستطرف ٢/٢٧٢ .

(٢) يروى مقطعة مكان قاطعة ، وانظرهما في عيون الأخبار ٣/١٢٠ ، محاضرات الأدباء ١/٢٦٢ .

(٣) ساقط من ١ ، وهذا البيت ملفق من بيتين مع اختلاف في بعض الألفاظ وهما :

لا ترض منزلة الدليل ولا تقم في دار معجزة وأنت خير

ولإذا هممت فأمن همك إنما طلب الحوائج كله تغرير

انظر عيون الأخبار ٣/١٢٢ وسوت يرد البيت الأخير فيما يلي .

(٤) العقد الفريد ١/٢٨٠ ، عيون الأخبار ٣/١٣٣ .

(٥) المستطرف ٢/٦٦ .

وقال آخر :

وَإِذَا هَمَمْتَ فَأَمْضِ هَمَّكَ إِنَّمَا طَلَبُ الْحَوَائِجِ كُلِّهَا تَغْرِيرٌ^(١)
 اختلف أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع في حاجة زماناً فلم يقضها له ،
 فكتب إليه :

أَكَلْتُ طُولَ الزَّمَانِ أَنْتَ إِذَا مَا جِئْتُ فِي حَاجَةٍ تَقُولُ غَدَا
 لَا جَمَلَ لِلَّهِ لِي إِلَيْكَ وَلَا عِنْدَكَ مَا عِشْتُ حَاجَةً أَبَدًا^(٢)

وقال آخر وأظنه محمود الوراق :

وَذِي ثِقَةٍ تَبَدَّلَ حِينَ أُمِرَى وَمَا شِيعِي مُوَافَقَةُ الثَّقَاتِ^(٣)
 قُلْتُ لَهُ عَتَبْتُ^(٤) عَلَى ظُلْمًا فِرَارًا مِنْ مَوُونَاتِ الْعِدَاتِ
 فَسَدَ لِمَوَدَّتِي وَهَلَى نَذْرُ سُؤَالِكَ حَاجَةً حَتَّى^(٥) الْعَمَاتِ

كتب أبو العتاهية إلى أحمد بن يوسف :

لَيْنٌ عُدْتُ بَعْدَ الْيَوْمِ إِنِّي لَظَالِمٌ سَأَصْرِفُ نَفْسِي حِينَ تُبْغَى الْمَكَارِمُ
 مَتَى يَنْجَحُ الْعَادِي إِلَيْكَ لِحَاجَةٍ وَنِصْفُكَ مَحْجُوبٌ وَنِصْفُكَ نَائِمٌ^(٦)

وقال الصلتان العبدى :

نَرْوُحُ وَنَعْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقُضِي

(١) انظر التعليق رقم ٣ في الصفحة السابقة .

(٢) الديوان ٣٣٣ . (٣) في عيون الأخبار : ومن شيعي مراقبة الثقات .

(٤) ب : عبت .

(٥) وردت الأبيات في عيون الأخبار ١٤٨/٣ غير منسوبة لقائل .

(٦) الديوان ٢٣٣ .

تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ^(١)
وقال أبو العتاهية :

مَتَى تَنْقُضِي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ وَاصِلًا إِلَى حَاجَةٍ حَتَّى تَكُونَ لَهُ أُخْرَى^(٢)
وقال آخر :

إِنَّمَا تَنْجَحُ الْمَقَالَةُ فِي الْمَرْءِ إِذَا صَادَقَتْ هَوَى فِي الْفَوَادِ^(٣)
سئل بعض الحكماء حاجة فامتنع ، فعوتب في ذلك ، فقال : لأن يحمر وجهي
مرة خير من أن يصفر وجهي مرارا .
قال منصور الفقيه :

مَنْ قَالَ لَا فِي حَاجَةٍ مَطْلُوبَةٍ فَمَا ظَلَمَ
وَإِنَّمَا الظَّالِمُ مَنْ يَقُولُ لَا بَعْدَ نَعَمْ^(٤)
وقال آخر :

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ فَاتِمَّةٌ فَإِنْ نَعَمْ دَيْنٌ عَلَى الْحُرِّ وَاجِبٌ
وَالْإِفْقُلُ لَا . تَسْتَرِخْ وَتُرِخْ بِهَا لِيَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبٌ^(٥)
وقال أبو العتاهية :

لَا يَزَالُ الْمَرْءُ مَا عَاشَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ تَعْتَلِجُ

(١) البيتان في نهاية الأرب ١٩١/٨ ، عيون الأخبار ١٣٢/٣ ، معجم الشعراء ٢٣٠ .
(٢) زيادة في ب ، والبيت في ديوانه ٥٢ ، العقد الفريد ١٣٨/٣ ، وفيه : من ليس صابرا ... على .
(٣) البيت لأبي فراس الحمداني ، انظر القيمة ١٧٤/٩ .
(٤) التمثيل والمحاضرة ١٠٦ .
(٥) انظر البيتين في حماسة البحتري ٢٢٠ ، لهرم بن غنم السلولي ، والرواية هناك : واسترخ وأرح بها
بها لكيلا ، وانظرهما في المستطرف : ٢٣٤/١ .

رُبَّ أَمْرٍ قَدْ تَضَايَقَتْ بِهِ مُنَّمْ يَا تِي اللَّهُ مِنْهُ بِالْفَرَجِ^(١)

وقال آخر :

لَنْ أَخْطَأْتُ فِي مَمْدُحِي لَكَ مَا أَخْطَأْتُ فِي مَنِي
لَقَدْ أَحْلَمْتُ آمَالِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ^(٢)

وقال آخر :

قَدْ تُخْرِجُ الْحَاجَاتُ يَا أُمَّ مَا لَكَ كَرَائِمٍ مِنْ رَبِّ بَيْنَ ضَنِينٍ^(٣)

وقال أشجع السامي :

قَدْ خَرَجْتُ حَاجَاتُ أَهْلِ الْحِجَا وَلَيْسَ فِيهِمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ
بُنَجِحَهَا وَامْتَنَعَ الْمَنْهَجُ مِنِّي إِلَى حَاجَتِهِ أَحْوَجُ
يُرِيئَنِي أَنِّي أَرَى حَاجَتِي تَدْخُلُ فِي الْحَاجِ وَلَا تَخْرُجُ
أَقُولُ إِذَا أَفْلَقَنِي عَاذِلٌ بِكُلِّ مَا أَكْرَهُهُ مُلْهِجُ
قَدْ يُدْرِكُ الْأَمْرُ أَنَاةَ الْفَتَى وَيَسْبِقُ فِي الْحَاجَةِ مَنْ يُدْلِجُ^(٤)

(١) ديوانه ٦٢ .

(٢) البيتان لإسماعيل الفراطيسي في الفضل بن الربيع ، انظر محاضرات الأدباء ٢٨٦/١ ، عيون الأخبار ١٤٣/١ ، الأغاني ٨٨/٢٠ .

(٣) محاضرات الأدباء ٢٢٥/١ ، ٢٨٤/٢ ، معجم الأدباء ٢٢٩/١٢ ، العقد اللريد ٤٦٩/٣ وفيه : يا أم عامر .

(٤) ب : ويسبق الحاجات الخ .

باب السلطان والسياسة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ عَلَيْهِمْ وَمَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى مَالِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُ » .

وقال عليه السلام : « الْإِمَامُ الْعَدْلُ لَا تَكَادُ تُرَدُّ دَعْوَتُهُ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْمُتَقَسِّطُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ — وَكِلَانَا يَدَيْهِ يَمِينٌ — لَا يَفْزَعُونَ إِذَا فَزِعَ النَّاسُ » .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ أُمِيرٍ لَمْ يُحِطْ رَعِيَّتُهُ بِالنَّصِيحَةِ لَمْ يَرْمُحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ » .

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لَا يُصْلِحُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا شِدَّةٌ فِي غَيْرِ مُعْنَفٍ ، وَلِينٌ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لَنْ يَقِيمَ^(١) أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا أَمْرٌ وَحَصِيفُ الْعَقْدَةِ ، بَعِيدُ الْغُورِ ، لَا يَطْلَعُ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى غُورِهِ ، وَلَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَأَمٌ .

وعن عمر رضي الله عنه ، قال أيضاً : لَا يَقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ فِي النَّاسِ إِلَّا رَجُلٌ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِهِ كُلَّهُ ، يَخَافُ اللَّهَ فِي النَّاسِ ، وَلَا يَخَافُ النَّاسَ فِي اللَّهِ .

لعلي بن أبي طالب في أول كتاب كتبه : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا الْحَقَّ حَتَّى اشْتَرَوْا ، وَبَسَطُوا الْجُورَ حَتَّى اقْتَدَى^(٢) .

(١) ب : لم يقيم .

(٢) ١ : ابتدئ .

قال مجاعة بن مرارة الحنفي لأبي بكر الصديق رضى الله عنهما : إذا كان الرأى عند من لا يُقبل منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لا ينفقه ، ضاعت الأمور .

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : المُلْك والدين أخوان ، لا غنى بأحدهما عن الآخر ، فالدين أس^(١) ، والمُلْك حارس ، فما لم يكن له أس فهو دُوم ، وما لم يكن لله حارس فضاءع .

قال عبد الله بن المبارك :

إِنَّ الْجَمَاعَةَ حَبْلُ اللَّهِ فَأَعْتَصِمُوا مِنْهُ بِعُرْوَتِهِ الْوُثْقَى لِمَنْ دَانَا
كَمْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِالْسلْطَانِ مُعْضِلَةً فِي دِينِنَا رَحْمَةً مِنْهُ وَدُنْيَانَا
لَوْلَا الْخِلَافَةُ لَمْ تَأْمَنْ لَنَا سُبُلٌ وَكَانَ أضعفنا نهبًا لأقوانا^(٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمَّ أحد على سلطانه ، ولا يجلس على تكربة إلا بإذنه » .

كان يقال : شرّ الأمراء أبعدهم من العلماء ، وشر العلماء أقربهم من الأمراء .

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : من الملوك من إذا ملك زهده الله فيما في يديه ، ورغبه فيما في يد غيره ، وأشرب قلبه الإشفاق على ما عنده ، فهو يحسد على القليل ، ويتسخط على الكثير .

(١) ب : رأس .

(٢) ب : نحبنا لأقوانا .

وتى على بن أبى طالب عم المختار بن أبى عبيد عسكراً^(١)، وقال له بين يدي أهلها : استوف منهم خراجهم ، ولا تجدن عندك ضعيفاً ولا رخصة . ثم قال له : رح إلى . قال : فرحتُ إليه ، فقال لى : قد قلتُ لك بين أيديهم ما قلت ، وهم قومٌ خُدَعٌ ، وأنا الآن آمرُك بما إن قبلتهُ وإلا أخذك الله به دونى ، وإن بلغنى خلافُ ما أمرتُك به عزلتُك ، لا تتبعنَّ لهم رزقاً يأكلونه ، ولا كسوة شتاء ولا صيف ، ولا تضربن رجلاً منهم سوطاً فى طلب درهم ، ولا تُقمه^(٢) فى السجن فى طلب درهم ، فإننا لم نؤمر بذلك ، ولا تستعزَّ لهم دابة^(٣) يعملون عليها ، فإننا أمرنا أن نأخذ منهم العفو .

قال عمرو بن العاص لابنه : يا بنى !! احفظ عني ما أوصيك به ، إمام عدل خير من مطر وبل ، وأسدُّ خطوم خير من إمام ظلوم ، وإمام ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم .

رسالة أردشير بن بابك الى الملوك بعده

من أردشير ملك الملوك ، الى الملوك الكائنين بعده : الخراج عمود المملكة بكنته تعيش الرعية ، وتحفظُ الأطراف والبيضة ، فاختاروا للعمل عليه أولى الطينة الحرة ، من ذوى العقل والحنكة ، وكفَّوهم بسنى^(٤) الأرزاق يحسموا أنفسهم عن الارتفاق ، فما استغزُر بمثل العدل ، ولا استنزُر بمثل الجور .

(١) بليدة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ . معجم البلدان ٤ / ١٤٢ .

(٢) ب : ولا تريد .

(٣) ب : ولا تتبعن لهم حاة ... الخ .

(٤) ١ : يسير .

ومن كلام الفرس في هذا الباب : لا مُلْكَ إِلَّا بِرِجَالٍ ، ولا رِجَالٌ إِلَّا بِمَالٍ ،
ولا مالٌ إِلَّا بِعِمَارَةٍ ، ولا عِمَارَةٌ إِلَّا بِعَدَلٍ .

ومن قولهم أيضاً : مَثَلُ الْمَلِكِ الَّذِي يَأْخُذُ أَمْوَالَ رَعِيَّتِهِ وَيُخَفِّفُ بِهِمْ ،
مَثَلُ مَنْ يَأْخُذُ الطَّيْنَ مِنْ أَصُولِ حَيْطَانِهِ ، فَيَطِيئُ بِهِ سَطْوَحَهُ فَيُوشِكُ أَنْ تَقَعَ
عَلَيْهِ الْبُيُوتُ .

ومن كلامهم أيضاً ، وينسب إلى أرسطاطاليس : الْعَالَمُ بَسْتَانٌ سِيَاجُهُ الدَّوْلَةُ ،
الدَّوْلَةُ سُلْطَانٌ تَحِيَا بِهِ السُّنَّةُ ، السُّنَّةُ ^(١) سِيَاسَةٌ يَسُوسُهَا الْمَلِكُ ، الْمَلِكُ رَاعٍ
يَعْضُدُهُ الْجَيْشُ ، الْجَيْشُ أَعْوَانٌ يَكْنُفُهُمُ الْمَالُ ، الْمَالُ رِزْقٌ تَجْمَعُهُ الرِّعْيَةُ ، الرِّعْيَةُ
عَبِيدٌ يَتَعَبَّدُهُمُ الْعَدَلُ ، الْعَدَلُ مَأْلُوفٌ وَهُوَ صِلَاحُ الْعَالَمِ .

قال عبد الملك بن مُعَمَّرٍ : كَانَ مَكْتُوبًا فِي مَجْلِسِ زِيَادِ الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ لِلنَّاسِ
بِالْكُوفَةِ ، فِي أَرْبَعِ زَوَايَا بَقَامِ جَلِيلٍ : الْوَالِي شَدِيدٌ فِي غَيْرِ عُنْفٍ ، كَاتِبٌ فِي غَيْرِ
ضَعْفٍ ، الْعَطِيَّةُ لِأَرْبَابِهَا ^(٢) وَالْأَرْزَاقُ لِأَوْقَاتِهَا ، الْبُعُوثُ لَا تُجَمَّرُ ^(٣) ، الْمَحْسَنُ
يَجَازِي بِإِحْسَانِهِ ، وَالْمُسِيءُ يُوْخِذُ عَلَى يَدَيْهِ . فَكَانَ كُلَّمَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَرَأَهُ .

قال قَتِيبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ : مَلَاكُ الْأَمْرِ فِي السُّلْطَانِ : الشَّدَّةُ عَلَى الْمَذْنِبِ ، وَاللَّيْنُ
لِلْمَحْسَنِ ، وَصَدَقَ الْقَوْلُ .

قال أشجع بن عمرو السامي :

لَا يُصْلِحُ السُّلْطَانُ إِلَّا شِدَّةً تَغْشَى الْبَرِيءَ بِفَضْلِ ذَنْبِ الْمُجْرِمِ ^(٤)

(١) ساقط من أ .

(٢) أ : لأحيائها .

(٣) ب : البعوث لا يحمى ، تحريف ، ونجيب البعث : حبسه في أرض العدو .

(٤) البيت في الأماي ١/١٢ ، زهر الآداب ١٤٢/٤ ، وفيه نغصى مكان تغشى .

قال الوليد بن عبد الملك لأبيه عبد الملك : يا أمير المؤمنين ! ما السياسة ؟ فقال : هيبة الخاصة^(١) مع شدة عفتها^(٢) ، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف^(٣) منها .

قال مسامة بن عبد الملك : ما حدثتُ نفسي على ظفر ابتدأته بعجز ، ولا ذممتها على مكروه ابتدأته بحزم .

قال معاوية لابنه يزيد : أعطِ من أتاك صادقاً بما تكره ، كما تعطى من أتاك بما تحب ، واعلم أنه إذا أعطى الأمير على الهوى لا على النفي فسد ملكه .

قيل لأنوشروان : إنك اصطنعت فلاناً ولا نسب له . فقال : اصطناعنا له نسبة .

قال أبو جعفر المنصور : الذى على للرعية أن أحفظ سُبُلَهُمْ ، فينصرفون آمنين فى سبيلهم ، ولا يُصَدِّدُونَ عن حجهم ، وقضاء نسكهم ، وأن أضبط ثغورهم ، وأحسنها من عدوهم ، وأن أختار قضائهم ، وأعزهم بالحق^(٤) كيلا يصل ظلم بعضهم الى بعض ، وأن أرفع أقدار فقهاءهم وعلمائهم ، وأكف جباههم عن حكمائهم . كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج : صف لى الفتنة حتى كأني أراها رأى العين . فكتب اليه : لو كنت شاعراً لوصفتها لك^(٥) فى شعري ، ولكنى أصفها لك بمبلغ^(٦) رأيي وعلمي ، الفتنة تلقحُ بالنجوى ، وتنتج^(٦) بالشكوى ، فلما

(١) ب : الرعية .

(٢) ب : مجبتها .

(٣) ب : بالانصراف .

(٤) ساقط من أ .

(٥) ١٢٥ : يبلغ .

(٦) ب : وتنتج .

قرأ كتابه ، قال : إن ذلك لكما وصفت ، نخذ من قبلك بالجماعة ، وأعطيهم عطايا الفرقة ، واستمعن عليهم بالفاقة ، فإنها نعم العون على الطاعة ، فأخبر بذلك أبو جعفر المنصور فلم يزل عليه حتى مضى لسبيله .

قال بعض الحكماء من ملوك الفرس ، لحكيم من حكماء مملكته : أى الملوك أحزم ؟ قال : من غلب جذؤه هزله ، وقهر لبه هواه ، وأعرب عن ضميره فعله ، ولم يختدعه رضاه عن خطئه ، ولا غضبه عن كيده .

لما أراد عمرو بن العاص المسير الى مصر ، قال له معاوية^(١) : إني أريد أن أوصيك . قال : أجل . فأوص . قال : انظر فاقة الأحرار فاعمل في سدها ، وطغيان السفلة فاعمل في قمعها ، واستوحش من الكريم الجائع ، واللثيم الشبعان ، فإنما يصول الكريم إذا جاع ، واللثيم إذا شبع .

قال بعض الحكماء : الرعية للملك كالروح للجسد ، فإذا ذهب الروح فنى الجسد . وروى الهيثم بن عدي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال عمر بن الخطاب : دلوني عن رجل أستعمله ، فقد أعياني أمر المسلمين . قالوا له : عبدالرحمن بن عوف ، قال لهم : ضعيف . قالوا له : فلان . قال : لا حاجة لى به . قالوا : فمن تريد ؟ قال : رجل إذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم ، وإذا لم يكن أميرهم كان كأنه أميرهم . قالوا : ما نعلمه إلا الربيع بن زياد الحارثي . قال : صدقتم .

قال أبو عمر : والربيع بن زياد هذا ، كان فاضلا جليلا في قومه ، ولأه معاوية خراسان ، فاستكتب الحسن بن أبي الحسن فكان كاتبه ، فلما بلغه قتل معاوية

(١) ب : قال لمعاوية يا أمير المؤمنين .

حُجْر بن عدي^(١) ، قال : اللهم إن كان لاربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجل ،
فزعموا أنه لم يبرح من مجلسه حتى مات .

كتب بعض ملوك العجم إلى ملك آخر منهم : قلوب الرعية خزان ملوكها ،
فاودعوها فليعلموا أنه فيها .

قال الإسكندر لأرسطاطاليس : أوصني . قال : فانظر من كان له عبيد فأحسن
مياستهم فوآه الجند ، ومن كانت له ضيعة فأحسن تديرها فوآه الخراج .

وقال بعض الحكماء : لا تصغر أمر من جاء يحاربك ، فإنك إن ظفرت
لم تُحمد ، وإن عجزت لم تُعذر .

قيل لكسرى ذي الأكتاف^(٢) ، وكان ضابطاً لمملكته : بَمَ ضَبَطَ
مَلِكْ ؟ قال : بثمان خصال : لم أهزل في أمر ولا نهى ، ولم أخلف وعداً ولا وعيداً ،
ووليت للغنى لا للهوى ، وعاقبت للأدب لا للغضب ، وأوطأت قلوب الرعية الهيبة
من غير ضغينة ، وملاؤها محبة من غير جرأة ، وأعطيتها القوت ، ومنعتها الفضول .

قال عبد الملك بن عمير : سمعت زياداً وهو يخطب ، فقال بعد حمد الله والثناء
عليه : إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذي ملكنا ،
ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا ، فلنا عليكم الطاعة فيما أحسننا^(٣) ، ولكم العدل
فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا بطاعتكم ، ونحض وُدنا بمناصحتكم ، ومهما قصرت فيه

(١) انظر خبر حجر وأصحابه في تاريخ : الطبري ١٤١/٦ ، الكامل لابن الأثير ١٨٧/٣ ، سير أعلام
النبلاء ٣٠٥/٣ .

(٢) ساقط من أ .

(٣) ب . أحيينا .

من أداء حقكم فلن أقصر في ثلاث : لست محتجياً عن ذى حاجة ولو أتاني طارقاً
ليليل ، ولا مُجَمِّراً لكم جيشاً^(١) ، ولا حابساً عنكم عطاء ولا رزقاً لإبائهم ، فادعوا
الله لأعنتكم بالصلاح ، فإنهم ساستكم المذبذبون^(٢) ، وكهفكم الذى إليه تأوون ،
فإن تصلحوا يصلحوا ، ولا تشعروا قلوبكم بنقضهم فيشتد غيظكم ، ويطول
حزنكم ، ولا تدركوا حاجتكم ، فإنه لو استجيب لكم فيهم كان شراً لكم ،
نسأل الله أن يعين كلاً على كل .

كان يقال : ينبغي للملك أن يعمل بثلاث خصال : تأخير العقوبة عند الغضب ،
وتعجيل مكافأة المحسن بإحسانه ، والعمل بالأناة فيما يحدث له ، فإن له في تأخير
العقوبة إمكان العفو ، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان : المسارعة إلى الطاعة ، وفي
الأناة : انفساح الرأي وإيضاح الصواب .

كان يقال : من سعى بدليل في التدبير لم يقعد به إلا سابق قضاء لا يملك .
ذكر المبرد ، قال : كان بعض عقلاء ملوك الفرس إذا شاور من قدرتهم
لمشورته فقصروا في الرأي . دعا الذين قد وكلهم في أرزاقهم فعاقبهم ، فيقولون :
يخطئ أهل مشورتك فتعاقبنا نحن . فيقول : نعم . إنهم لم يخطئوا إلا بتعلق قلوبهم
بأرزاقهم ، فإذا اهتموا لحاجاتهم أخطأوا .

قال بعض الحكماء لبعض الملوك : أوصيك بأربع خصال ترضى بهن ربك ،
وتصلح معهن رعيتك : لا يفرئك ارتقاء السهل^(٣) إذا كان المنحدر وعراً ، ولا تعدن

(١) تجهيز الجيش : حبه في أرض العدو .

(٢) ب : الؤدبون .

(٣) ب : السير .

وعداً ليس في يديك وفاؤه ، واعلم أن الأمور بفتات^(١) فبادر ، واعلم أن الأعمال جزاء ، فاتق العذاب .

قال زياد : كمال الرأي شدة في غير إفراط ، ولين في غير إهمال .
ضرب مصعب بن الزبير وجه الأسقف بالقضيب ، فقال : إني أجد في الإنجيل : لا ينبغي للإمام أن يكون سفيهاً ومنه يلتبس الحلم ، ولا ينبغي له أن يكون جائراً ومن عنده يلتبس العدل .

سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام ، أن يعرفهم الزمان الذي يرضى فيه الله عن الناس ، فقال : إذا استعمل منهم الهين البر الخير^(٢) .

وفي خبر آخر : علامة رضا الله عن عباده أن يستعمل عليهم خيارهم ، وأن ينزل الغيث في أوانه ، وعلامة سخطه عليهم أن يولي عليهم شرارهم ، وينزل عليهم الغيث في غير أوانه .

قال معاوية لابن الكواء^(٣) : صف لي الزمان ، فقال : أنت الزمان إن تصلح يصلح ، وإن تفسد يفسد .

خير من هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ : الْأَمْرَاءُ وَالْعُلَمَاءُ » .

قال الأحنف بن قيس : كل ملك غلور ، وكل دابة شرود ، وكل امرأة خثون !

(١) ب : فتات .

(٢) ب : الان الحى .

(٣) ب : ابن الكر ، والصحيح ما ذكرناه ، فهو عبد الله بن عمرو (ابن الكواء) البشكري ، كان من النساين العلماء بالأخبار والآثار ، خرج على عبد الحكيم ، ثم كان من رؤس المولوح الشراة الذين حاربهم المهلب . اظهر تهذيب التهذيب ٧٢/٤ ، شذور الذهب ٩٧/٦ .

قال الأدهور السلمي : يا معشر بني سليم ! أنذركم السلطان فإنه أصبح صعباً حنوطاً^(١) ينضب كما ينضب الصبي ، ويفترس كما يفترس الأسد .

قال عبد الملك بن مروان : لقد كنت أمشي في الزرع فأتني الجندب أن أقتله ، وإن الحجاج اليوم ليكتب إليّ بقتل فيثام^(٢) من الناس فما أحفل بذلك .

قال بعض الولاة لأعرابي : قل الحق وإلا أوجعتك ضرباً^(٣) . فقال : وأنت فاعمل به ، فما توعّدك الله به أشدّ مما توعّدني به .

قيل لملك زال عنه ملكه : لم زال عنك ملكك ؟ قال : لمداغتي عمل اليوم إلى غد .

قال ابن شبرمة : من أكل من حلوائهم انحطّ في أهوائهم .
قال كسرى لوزيره : إياك أن تدخل على كثير فأملك ، فتثقل على حوائجك ، ولا تطل الغيبة عنى فأنساك .

قال بعض الحكماء : من زال عن أبصار الملوك زال عن قلوبهم .
قال ابن المعتز : أشقى الناس بالسلطان صاحبه ، كما أن أقرب الأشياء إلى النار أسرعها احتراقاً .

قال الشاعر :

إِنَّ الْمُلُوكَ بِلَايَ حَيْثُمَا حَلُّوا فَلَا يَكُنْ لَكَ فِي أَفْنَائِهِمْ ظِلٌّ

(١) الحنوط : المبال إلى الشر .

(٢) فيثام : قيام ، وهو تعريف ، وفيثام كسكتاب : الجماعة من الناس .

(٣) ساقط من أ .

وَمَا تَرِيدُ بِقَوْمٍ إِنْ هُمْ سَخِطُوا جَارُوا عَلَيْكَ وَإِنْ أَرْضَيْتَهُمْ مَثَلُوا
وَإِنْ مَدَحْتَهُمْ ظَنُّوكَ تَخَذَعَهُمْ وَاسْتَقَمَلُوكَ كَمَا يُسْتَقَمَلُ الْكَلُّ
فاستنن بالله عن أبوابهم أبداً إِنَّ الْوُقُوفَ عَلَى أَبْوَابِهِمْ ذُلٌّ^(١)

قالوا : السلطان كالنار ، من تباعد منها لم ينل من دفتها^(٢) شيئاً ، ومن تقرب منها أحرقتة .

ذكر أعرابي الملوك فقال : الملك أقرب ما تكون إليه أخوف ما تكون منه
شاهده يظهر حبك ، وغائبه يبتنى غيرك .

قال المأمون : لو كنت مع العامة لم أصحب السلطان .

قال أبو قرْدُودَةَ :

إِنِّي نَهَيْتُ ابْنَ عَمَّارٍ وَقُلْتُ لَهُ : لَا تَأْمَنْنِ الْأَحْمَرَ الْعَيْنِينَ وَالشَّعْرَةَ
إِنَّ الْمُلُوكَ مَتَى تَنْزِلُ إِسَاحَتِهِمْ يَطْرُقُ بِشَوْبِكَ مِنْ نِيرَانِهِمْ شَرَرَةٌ^(٣)

وقال آخر :

إِذَا صَحِكَ الْأَمِيرُ إِلَيْكَ فَأَعْلَمْ بَأَنَّ صَمِيرَهُ لَكَ مُسْتَقِيمٌ
وَلَا تَحْفَلِ بِبُضْحِكَ مِنْ كَفَى^(٤) فَكُلُّ النَّاسِ ضِحْكُهُمْ سَقِيمٌ

(١) انظر الأبيات في العقد الفريد ٣/٢٠٠ ، محاضرات الأدباء ١/٩٢ .

(٢) ب : حرها .

(٣) كان ابن عمار الطائي خطيب مذحج كلها ، يبلغ النعمان حسن حديثه خمله على منادته ، وكان النعمان شديد العريضة قتالا للدماء ، فنهاه أبو قردودة الطائي عن منادته ، فلم يستمع إليه ، فلما قتل رثاه ، انظر الديان ١/٢٨٢ ، ٣٤٩ ، وانظر محاضرات الأدباء ١/٩٢ .

(٤) الكفى : النظير والمثيل .

قال العباس بن محمد المنصور : يا أمير المؤمنين ! إنما هو سيفك ودرعك ،
فادرّع بدرعك من شركك ، واحصد بسيفك من كفرك .

قالوا : لا تنتر بالأمير إذا غشك الوزير .

(١) ومنهم من قال : لا تثق بالأمير إذا خانك الوزير (١) .

جاس معاوية يأخذ البيعة على الناس بالبراءة من عليّ . فقال رجل : يا أمير
المؤمنين ! إنا نطيع أحياءكم ، ولا نبرأ من موتاكم . فالتفت معاوية إلى المغيرة بن
شعبة ، فقال : رجل فاستوص به خيراً .

كان يقال : إذا نزلت من الوالى بمنزلة الثقة فاعزل عنه كلام الخذا والملقى ،
ولا تكثرن له الدعاء فى كل كلمة ، فإن ذلك يشبه الوحشة ، وعظمه ووقره
فى الناس .

قال الشعبي : أخطأت عند عبد الملك بن مروان فى أربع : حدثنى بحديث يوماً
فقلت : أعده عليّ فقال : أما علمت أن أمير المؤمنين لا يُستعاد . وقلت له حين
أذن لى عليه : أنا الشعبي . فقال : ما أدخلناك حتى عرفناك . وكنيت عنده رجلاً ،
فقال : أما علمت أنه لا يكفى أحد عند أمير المؤمنين . وحدثنى بحديث فسألت أنه أن
يكتبه (٢) . فقال : إنا نُكْتَبُ ولا نُكْتَبُ (٣) .

وهذا الخبر عندي غير صحيح ، لان المحفوظ عن الشعبي أنه قال : ما استعدت
حديثاً قط . ولا تشبه سائر الحكاية أخلاق الشعبي .

(١) ساقط من أ .

(٢) ب : يكتبه .

(٣) ب : لا نكتب .

قال الشعبي : قال لى عبد الملك : جنبني ثلاثاً وأورد على ما شئت : لا تطرنى فى وجهي ، فأنا أعلم بنفسى ، وإياك أن تغتاب عندي أحداً ، واحذر أن أجِدَ عليك كذبة فلا أسكن إلى قولك أبداً . وهذا مأخوذ من قول العباس لابنه عبد الله رضى الله عنهما . قال عبد الله بن عباس ، قال لى أبى : إني أرى أمير المؤمنين — يعنى عمر بن الخطاب — يدنيك دون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فاحفظ عني ثلاثاً : لا يجدنّ عليك كذباً ، ولا تغتابن عنده مسلماً ، ولا تفشين له سرّاً . فقيل له : يا ابن عباس^(١) كل واحدة خير من ألف ، فقال : كل واحدة خير من عشرة آلاف .

قال عمر بن الخطاب أهنئ إذ ولاء الحمى^(٢) : يا هنى اضم جناحك ، واتق دعوة المظلوم .

قال الفرزدق :

قُلْ لِنَصْرِ وَالْمَرْءِ فِي دَوْلَةِ السُّدِّ طَانِ أَعْمَى مَا دَامَ يُدْعَى أَمِيرًا
فَإِذَا زَالَتِ الْوِلَايَةُ عَنْهُ وَاسْتَوَى بِالرِّجَالِ كَانَ بَصِيرًا^(٣)

قال المهلب لابنه : يا بنى : اخفض جناحك واشتد^(٤) فى سلطانك ، فإن الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن .

(١) ب : يا عباس .

(٢) هنى : مولى كان لعمر رضى الله عنه ولاء حمى النقيع التى حماها عمر لإبل الصدق وخيل الجهاد

انظر تهذيب التهذيب ١١/٧٣ ، وانظر معجم البلدان قسم ٢/٣٠٨ .

(٣) ديوانه ٩٢ ، نهاية الأرب ٣/٧٢ وفيها : قل لنضر ، التمثيل والمحاضرة ٧٠ ، .

(٤) ب : واشدد .

كان يقال : ثلاثة من عازم رجعت عزته ذلاً ، السلطانُ والوالدُ والعالمُ .
 كان يقال : أربعة تشتد معاشرتهم : المتواني ، والفرس الجوح ، والسلطان
 الشديد المملكة ، والعالم .

بصق عبد الملك يوماً فقصر بُصاقه ، فوقع فوق البساط ، فقام رجل من
 المجلس يمسحه بثوبه . فقال عبد الملك : أربعة لا يُستحيا من خدمتهم : السلطان ،
 والوالد ، والضيف ، والدابة . وأمر للرجل بصلة .

كتب إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عامل له : إن مدينتنا قد احتاجت
 إلى مرمة . فكتب إليه عمر : حصّن مدينتك بالعدل ، ونقّ طريقها من الظلم .
 قال معاوية بن أبي سفيان : من وليناه من أمورنا شيئاً فليجعل الرفق بين
 الأمانة والعدل^(١) .

قال محمد بن كعب القُرظي : قال لى عمر بن عبد العزيز : صف لى العدل
 يا ابن كعب . قلت : بمنج بمنج ، سألت عن أمر عظيم . كن لصغير الناس أباً ،
 ولكبيرهم ابناً ، وللمثل منهم أخاً ، وللنساء كذلك ، وعاقب الناس بقدر ذنوبهم
 على قدر احتمالهم ، ولا تضربن لفضبك سوطاً واحداً فتكون من العادين .

كان يقال : ليس شيء أحسن عند الله من حلم إمام ورأفته .
 قال زياد لابنه عبيد الله : يا بني ! إذا دخلت على أمير المؤمنين فادع له ،
 واصفح صفحاً جميلاً ، ولا تُرين متهاكاً عليه ، ولا منقبضاً عنه .

قال مالك : قيل لأبي الدرداء : يَرُدُّكَ معاوية ، وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال اللهم غُفْرًا . من يأت أبواب السلطان يقيم ويقعد .
قال معاوية : لا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي .

قال معاوية يوماً ، وقد ذكر من كان قبله : أما أبو بكر فهرب عن الدنيا ، وهربت عنه . وأما عمر فأقبلت إليه وهرب منها ، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصابته منه^(١) ، وأما أنا فقد داستني الدنيا ودستها .

قال أبو عمر رضى الله عنه : سكنت عن عليّ ، وأنا أقول : وأما عليّ فأصابته الدنيا منه ولم يصب منها .

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : إني لأستعمل الرجل ، وأدع خيراً منه ، وذلك أنى أستعمله لأن يكون أنقص عيباً وأوسع رأياً ، وأشد جراً ، وأصبر على الجوع والعطش . وقد روى هذا مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

كان يقال : يوم من أيام إمام عادل أفضل من مطر أربعين صباحاً أحوج ما تكون الأرض إليه .

قال المهلب : خير الولاية من كان في رعيته كأبه غائب عنها ، وهو شاهد فيها ، وكان المحسن في أيامه آمناً والمسيء خائفاً .

وقال بعض الحكماء : الناس يحبّون سلطانهم على الدّين ، والتواضع ولين الجانب ،
وينقادون لشدة الطّيش .

قال أبو العتاهية :

رَضِيتُ بِبَعْضِ الذُّلِّ خَوْفَ جَمِيعِهِ وَلَيْسَ لِمِثْلِي بِالْمُلُوكِ يَدَانِ
وَكُنْتُ أَمْرًا أَخْشَى الْعِتَابَ وَأَتَّقِي مَغَبَّةَ مَا تَجْنِي يَدِي وَلِسَانِي
وَلَوْ أَنَّ نِيَّ عَانَدْتُ^(١) صَاحِبَ قُدْرَةٍ لَمَرَّضْتُ نَفْسِي صَوْلَةَ الْحَدَثَانِ
فَهَلْ مِنْ شَفِيعٍ مِنْكَ يَقْبَلُ تَوْبَتِي فَإِنِّي أَمْرٌ أَوْفَى بِكُلِّ ضَمَانٍ^(٢)

وقال الحسن بن سهل :

فَرِضْتُ عَلَى زَكَاةٍ مَا مَلَكَتْ يَدِي وَزَكَاةُ جَاهِي أَنْ أُعِينَ^(٣) وَأَشْفَعَا
فَإِذَا مَلَكَتْ فَجُدْ وَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَاجْهَدْ بِجَهْدِكَ^(٤) كُلَّهُ أَنْ تَنْفَعَا^(٥)

وقال آخر :

لَيْسَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَوَانٍ تَهَيَّأَ صَنَائِعُ الْإِحْسَانِ
فَإِذَا أُمَكَّنْتَ فَبَادِرْ إِلَيْهَا حَذَرًا مِنْ تَعَذُّرِ الْإِمْكَانِ^(٦)

(١) ا ، م : ولو قد كنت ، ب : ولو أني عاينت ، والمثبت من الديوان .

(٢) ديوانه ٣٢٤ .

(٣) ا : أعيش .

(٤) ب : بجهدك .

(٥) البيتان في محاضرات الأدباء ٢٧٢/١ .

(٦) المستطرف ٦٢/٢ ، التمثيل والمحاضرة ٤٣٢ ، وفيها : وهلة ، بدل : ساعة ، المحاسن والنسوى ١/١٩٥ .

كان زياد إذا أُتِيَ بصاحب زلة ، أخر عقوبته أياماً يسأل عن قضيته مخافة
الزيادة في العقوبة .

صعد عبد الملك المنبر ، فقال في خطبته : يا معشر رعيتنا ! سألتمونا سيرة أبي بكر
وعمر ، ولم تسيروا فينا ولا في أنفسكم سيرة رعية ^(١) أبي بكر وعمر ، ولكن
نسأل الله أن يعين كلاً على كل .

تعرض رجل للحسن بن سهل ، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا الذي أحسنت إلى عام
كذا ، فقال الحسن : مرحباً بمن توسل إلينا بنا .

وهذا عندي مأخوذ من قول معاوية : أحب الناس إلى ، من له عندي يد ، ثم
أحبهم إلى بعده من لي عنده يد .

قال الشعبي : دخلت يوماً على ابن هُبيرة وبين يديه رجل يريد قتله . فقلت : أصلح
الله الأمير ، أنت على فعل ما لم تفعل أقدر منك على ما فعلت ، ولأن تندم على العفو خير
من أن تندم على العقوبة . قال : صدقت يا شعبي . وأمر بالرجل إلى السجن .

قال المأمون : تَحْتَمِلُ الملوك لأصحابهم كل شيء إلا ثلاث خصال : القدح في الملك ،
وإفشاء الأسرار ، والتعرض للحرم .

روى ابن دريد ، عن ابن أخي الأصمعي ، عن عمه ، عن أبي ^(٢) عمرو بن العلاء ،
أنه دخل على سليمان بن علي ، فسأله عن شيء فصرفه عنه ^(٣) ، فغضب سليمان بن علي
فخرج أبو عمرو وهو يقول :

(١) الكلمة ساقطة من أ .

(٢) ساقطة من ب .

(٣) أ : فصرفه فضده .

أُنْفَتُ مِنَ الْعَارِ عِنْدَ الْمُلُوكِ وَإِنْ أَكْرَمُونِي وَإِنْ قَرَّبُوا
إِذَا مَا صَدَقْتَهُمْ خِفْتَهُمْ وَيَرْضُونَ مِنِّي بَأَنْ يُكْذِبُوا^(١)

قيل للعتابي : لم لا تخدم الأمير^(٢) ؟ أو لا تكتب للأمير^(٢) ؟ فقال : لأنني رأيت
يعطى رجلا ألف مثقال بلا خصلة ، ويرى آخر من أعلى السور على الرأس بلا ذنب ،
فلا أدرى أى الرجلين أكون عنده ، مع أن الذى أعطى فى ذلك ، أكثر من الذى
أخذ — يريد مهجته — وركوب الغرر^(٣) فيها معه ، والعتابي هو القائل :

تَلُومُ عَلَى تَرْكِ الْغِنَى بِاهِلِيَّةٍ زَوَى الدَّهْرُ عَنْهَا كُلَّ طَرَفٍ وَتَالِدِ
رَأَتْ حَوْلَهَا النِّسْوَانُ يَرُفْنَ فِي الْكُسَى مُقَلَّدَةً أَجْيَادُهَا بِالْقَلَائِدِ
يَسْرُكُ أَنِّي نَلْتُ مَا نَالَ جَعْفَرُ مِنْ الْمُلْكِ أَوْ مَا نَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدِ
وَأَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَغْصَنِي مُغْصَهُمَا^(٤) بِالْمَرْهَفَاتِ الْبَوَارِدِ
ذَرِينِي تَجَشَّنِي مَيْتَتِي مُطْمَئِنَّةٌ وَلَمْ أَتَجَشَّمْ هَوَلَ تِلْكَ الْمَوَارِدِ
وَإِنَّ كَرِيمَاتِ الْمَعَالِي مَشُوبَةٌ بِمُسْتَوْدَعَاتٍ فِي مِطُونِ الْأَسَاوِدِ^(٥)
وقال الغزالي :

وَإِنْ أُعْطِيتَ سُلْطَانًا فَحَازِرُ صَوْلَةِ الزَّمَنِ

(١) انظر البيهقي والنقصة في وفيات الأعيان ١٢٨/٣ .

(٢) ب : الأمين .

(٣) ب : العذر .

(٤) ب : أعصه مغصما .

(٥) روى : لوى الدهر ، مكان : زوى ، وفى العقد : أعصني معصهما ، ورواية الشطر الثاني لايت الثالث فيه : (وما نال يحيى فى الحياة ابن خالد) ، وفى التمثيل والمخاضرة يروى شطر البيت الأخير : (فإن عظمت الأمور مشوبة) ، وانظر : محاضرات الأدباء ٩٢/١ ، ١٦٣ ، نهاية الأرب ٨٣/٣ ، العقد الفريد ٢٠٨/٣ ، التمثيل والمخاضرة ٨٣ ، رهر الآداب ٣٩/٣ .

أَخُو السُّلْطَانِ مَوْصُوفٌ بِحَسَنِ الرَّأْيِ وَالْفِطَنِ
 فَسَاعَةَ مَا يُزَاوِلُهُ ^(١) رَمَاهُ النَّاسُ بِاللَّعَنِ
 وَيُصْبِحُ رَأْيُهُ الْمَحْمُودُ ^(٢) مَنُوبًا إِلَى الْأَفْنِ
 وَتَبْصَرُ فِي مَطِيئَتِهِ سُقُوطَ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ
 وَتَسْتَرْخِي مَفَاصِلُهُ وَتَكْسِي كِسْوَةَ الْحَزَنِ
 كَانَ بِشَاشَةِ السُّلْطَانِ نَحِينَ تَزُولُ لَمْ تَبْكَنِ

وقال إدریس بن مُتیم الإشبیلی

قَالُوا تَقَرَّبْ مِنَ السُّلْطَانِ قُلْتُ لَهُمْ : مُعِينُنِي اللَّهُ مِنْ قُرْبِ السَّلَاطِينِ
 إِنْ قُلْتُ دُنْيَا فَلَا دُنْيَا لُمُتَّحَنٍ أَوْ قُلْتُ دِينَ فَلَا دِينَ لِمَفْتُونٍ
 قيل لأعرابي : من أنعم الناس عيشاً ؟ قال : من لم يعرف السلطان ، ولم يعرفه
 السلطان ، وكان في كفاف وغنى .

وأما أهل الآخرة فطريقتهم الإعراض عنهم ، وترك معاشرتهم .

قال إسحق بن إبراهيم الموصلي : حدثونا أن الحسن البصري نظر إلى قوم صحبوا
 السلطان واتسعت دنياهم ، فقال : ما تنظرون إليهم ، فوالله لئن كانوا من أهل الجنة
 لقد عجل لهم قليل من كثير ^(٣) ذخركم ^(٤) ، ولئن كانوا من أهل النار لقد أعطوا قليلاً
 من كثير صرف عنهم فأتاهم ، فارحموا ولا تنبطوا ^(٥) .

(١) : ما يرى وله .

(٢) : المحسود .

(٣) : ساقط من ب .

(٤) : ب : ولا تنبطوا .

أنشدني عبد الله بن محمد بن يوسف لنفسه :

مَا يَشْتَهِي قُرْبَ السَّلَاطِينِ غَيْرُ ضَعِيفِ الْعَقْلِ مَحْنُونِ
لَا تَكْذِبَنَّ عَنْهُمْ فَمَا صَحْبُهُمْ مِنْهُمْ عَلَى دُنْيَا وَلَا دِينِ
دُنْيَاهُمْ بِالْخَزْيِ مَوْصُولَةٌ وَلَا تَسَلْ عَنْ دِينِ مَفْتُونِ
خَيْرُهُمْ فَاعْلَمُهُ لَا يُرْتَجَى وَشَرُّهُمْ لَيْسَ بِعَامُونَ
لَا رَأَى لِي فِي نَيْلِ دُنْيَاهُمْ حَسْبِي بَأْنُ يَسْلَمَ لِي دِينِي

شكت الرعية بعض العمال ، فارتضى العامل بسهل بن عاصم ، فسأله الأمير ، فقال :
ما في عاملك ما يُشكى إلا أن الله أمر بأمرين ، امثل فينا أحدهما ^(١) وترك الآخر ،
قال الله عز وجل ^(٢) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ ^(٣) ، فعدل فينا ولم يحسن
إلينا ، وفي العدل بغير إحسان عطف ^(٢) الرعية ، فقال له الأمير : صدقت ، قد
وليتك مكانه .

ومن كلام ابن المعتز في هذا الباب : لا يدرك الغنى بالسلطان إلا نفس خاشعة ،
وجسم متعب ، ودين منثلم .

من شارك السلطان في عز الدنيا ، شركه في ذل الآخرة .

فساد الرعية بلا ملك ، كفساد الجسم بلا روح .

إذا زادك الملكُ إيناساً فزده إجلالاً .

(١) ساقط من ب .

(٢) سورة النحل آية ٩٠ .

(٣) ١ : غضب .

لا تلبس بالسلطان في وقت التباس الأمور عليه واضطرابها ، فإن البحر لا يكاد
يسلم راكبه في حال سكونه ، فكيف عند اختلاف رياحه واضطراب أمواجه .

ريح السلطان على قوم سموم ، وعلى قوم نسيم .

الملكُ حقُّ الملك ، من نشر أنواع الفضل ، وبسط أنواع العدل ، وجانب
المطامع الرديئة ، والمطامع الدنيئة .

قال مُطَرِّف : لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ، ولكن انظر إلى سرعة ظمهم ،
وسوء منقلبهم .

سئل رجل من بني أمية عاقل ، فقيل له : أخبرنا عن أول شيء ، كان بدء زوال
ملككم ، فقال : سألت فاسم ، وإذا سمعت فافهم . تشاغلنا عن تفقد ما كان تفقده
يلزمنا ، ووثقنا بوزراء آثروا مرافقهم على منافعها ، وأبرموا^(١) أمورا أسروها^(٢)
عنا ، فظلمت رعيتنا ، ففسدت نياتهم لنا ، وجذب معاشنا نفلت بيوت أموالنا ، وقل
جندنا فزالت هيبتنا^(٣) ، واستدعاهم أعداؤنا فظاهروهم^(٤) علينا ، وكان أكره الأسباب
في ذلك استتار الأخبار عنا .

أنشدني أبو القاسم محمد بن نصير^(٥) الكاتب لنفسه :

إِذَا مَا اللَّهُ شَاءَ صَلَّاحَ قَوْمٍ أَتَّاحَ لَهُمْ أَكْبَرَ مُصْلِحِينَ

(١) ب : وأرموا .

(٢) أ : أبرموا .

(٣) ب : فزادت هيبتهم

(٤) فظاهروهم .

(٥) ب : بصير .

« ذَوِي رَأْيٍ وَمَعْرِفَةٍ وَفَهْمٍ
 فَلَمْ يَسْتَأْذِنُوا بِكَثِيرٍ جَمْعٍ
 وَيَسَّرَهُمْ لِفِعْلِ الْخَيْرِ فِيمَا
 (٢) وَإِنْ يَشَأْ إِلَهُ فَسَادَ قَوْمٍ
 ذَوِي كِبَرٍ وَجَهْلَةٍ وَجُبْنٍ
 فَظَلُّوا يَشْرَهُونَ وَيَجْمَعُونَ
 وَجَارُوا حَيْثُمَا أَمَرُوا بِعَدْلِ
 وَإِعْدَادٍ لِمَا قَدْ يَحْذَرُونَ (١)
 وَكَانُوا لِلْمَصَالِحِ مُؤَثِّرِينَ
 إِلَيْهِمْ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ
 أُتِيَاحَ لَهُمْ أَكْبَارَ مُعْتَدِينَ (٢)
 وَإِهْمَالٍ لِمَا يَتَوَقَّعُونَ
 وَلَيْسُوا فِي الْعَوَاقِبِ يَفْكَرُونَ
 كَانَ قَدْ قِيلَ كُونُوا جَائِرِينَ

وقال الأفوه الأودي :

لَا يَصْلُحُ الْقَوْمُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ
 إِذَا تَوَلَّى سَرَاةَ الْقَوْمِ أَمْرَهُمْ
 تَلَقَى الْأُمُورَ بِأَهْلِ الرَّأْيِ قَدْ صَلَحَتْ
 وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُمَّعَ لَهُمْ سَادُوا
 نَمَّا عَلَى ذَاكَ أَمْرُ الْقَوْمِ وَازْدَادُوا
 وَإِنْ تَوَلَّى (٣) فَبِالْأَشْرَارِ تَنْقَادُ (٤)

(٥) وقال محمد بن نصر :

لَا تَحْقِرَنَّ امْرَأًا إِنْ كَانَ ذَا ضِمَّةٍ
 فَرَبَّ قَوْمٍ حَقَرْنَا هُمْ فَلَمْ نَزِهِمْ
 فَكَمْ وَضِيعٌ مِنَ الْأَقْوَامِ قَدْ رَأَسَا
 أَهْلًا لَخْدِمَتِنَا صَارُوا لَنَا رُؤَسَا (٥)

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط أيضاً من ب .

(٣) ١ : بدلت .

(٤) نهاية الأرب ٦٢/٣ ، التمثيل والمحاصرة ٥١ ، مجموعة المعاني ١٦ ، العقد العريض ١٠/١ .

(٥) ساقط من ب .

من الأمثال في السلطان وصُحْبته

إذا رغب الملكُ عن العدل رغبَت الرعية عن الطاعة .

لا صلاحَ للخاصة مع فساد العامة ، ولا نظام للدهماء مع دولة الفوغاء .

الحكم^(١) ميزانُ الله في الأرض .

كلُّ الناس أحقُّاء بالسجود لله عزَّ وجلَّ ، وأحقُّهم بالسجود لله والتواضع له

من رفعه الله عن السجود لأحد من خلقه^(٢) .

كفارةُ عملِ السلطان الإحسانُ إلى الإخوان .

لا رَحِمَ بين الملوك وبين أحد .

للملوكِ بدَوَات^(٣) .

الملك عقيم .

الملكُ يَبْقَى على الكُفْرِ ، ولا يَبْقَى على الظلم .

مُسْكِرُ السلطان أشدُّ من سكر الشراب^(٤) .

السلطانُ كالنار : إن باعدتها بطل نفعها ، وإن قاربتها عظم ضررها .

جَاوِزٌ ملكاً أو بحراً .

صاحبُ السلطان كراكب الأسد ، يهابُهُ الناس وهو لمركبه أهيب .

(١) ب : الحلم .

(٢) وردت هذه العبارة مضطربة جداً ب .

(٣) البدوات : الآراء التي تسنح بغاة ، ويقال : فلان ذو بدوات وأبو البدوات إذا كانت تظهر له آراء

فيختار أحزمها .

(٤) أ : الشباب .

أَجْزَأُ النَّاسِ عَلَى الْأَسَدِ أَكْثَرُهُمْ لَهُ رُؤْيَا .
السُّلْطَانُ كَالسُّوقِ مَا نَفَقَ فِيهَا جُلِبَ إِلَيْهَا .
إِنْ كَانَ الْبَحْرُ كَثِيرًا ^(١) الْمَاءُ فَإِنَّهُ بَعِيدُ الْمَهْوَى .
السُّلْطَانُ إِذَا قَالَ لِعَمَالِهِ : هَاتُوا ، فَقَدْ قَالَ : خَذُوا .
النَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ .
عَفْوُ الْمُلُوكِ أَبْقَى لِلْمُلُوكِ .
مَنْ خَدَمَ السُّلْطَانَ خَدَمَهُ الْإِخْوَانُ .
ثَلَاثَةٌ لَا أَمَانَ لَهُمْ : السُّلْطَانُ وَالْبَحْرُ وَالْمِزْمَانُ .
مَنْ تَحَسَّنَى مِرْقَةَ السُّلْطَانِ أَحْرَقَتْ شِفْتَاهُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ .
مِثْلُ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ كَقَوْمِ رَقُوا جِبِلًّا ثُمَّ وَقَعُوا مِنْهُ ، فَكَانَ أْبَعْدُهُمْ فِي الْمَرْتَقَى
أَقْرَبَهُمْ مِنَ التَّلَفِ .

(١) باب الكتاب والكتابة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » (٢)

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويقبض المال ، ويكثر التجار ، ويظهر القلم » (٣) . يعني الكتابة .

قال الحسن البصري : لقد أتى علينا زمان وإنما يقال : تاجر بنى فلان وكاتب بنى فلان ، ما يكون في الحي إلا التاجر الواحد والكاتب الواحد ، قال الحسن : لقد كان الرجل يأتي الحي العظيم فلا يجد به كاتباً .

وفي الحديث المرفوع : « فُشُو القلم ، وفشو التجار من أشراط الساعة » (٤) .
يعني بقوله فشو القلم : ظهور الكتابة وكثرة الكتاب .

(١) يبدأ من هنا سقط قدره ورقنان من النسخة ب .

(٢) روى هذا الحديث الشيخان وأسحاب السنن ، ونصه عند البخاري ومسلم : « لنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا أو هكذا . » يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين . انظر فتح الباري ٢٨/٥ ، ٢٩ . صحيح مسلم ١٦١/٢ قال ابن حجر : وقد قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمناسبة رؤية هلال رمضان ، ورأى جمهور المحدثين على أن المراد بالأمة الأمة العربية ، والمراد من الأمية أمية القراءة والكتابة ، وقد قيل للعرب أميون لأن الكتابة كانت فيهم قليلة ، قال تعالى : « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم » ، ولا يرد على ذلك أنه كان فيهم من يكتب ويحسب لأن الكتابة كانت فيهم نادرة آنذاك ، والمراد بالحساب هنا حساب النجوم وتسييرها ولم يكونوا يعرفون من ذلك أيضاً إلا البشير ، لذلك علق الرسول حكم الصيام على رؤية هلال رمضان لرفع الحرج عنهم في معاناة حساب حركة النجوم والكواكب . انظر فتح الباري ٢٨/٥ ، ٢٩ .

(٣) انظر تعليقنا السابق على هذين الحديثين له ص ١٣٢ .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أتربوا الكتب وسجوها^(١) من أسفلها فإنه أنجح للحاجة » .

وفي خبر آخر عنه عليه السلام : « إذا كتب أحدكم في حاجة فليترب كتابه ، فالبركة في التراب^(٢) » .

وروى عن بعض أهل التفسير في قول الله عز وجل حاكيا عن يوسف عليه السلام : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾^(٣) . قال : كاتب حاسب .

كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم : أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعلى ، وعثمان ، وحنظلة الأسدي ، ومعاوية ، وعبد الله بن الأرقم ، وكان كاتبه المواظب له في الرسائل والأجوبة زيد بن ثابت ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتعلم السريانية ليجيب عنه من كتب إليه بها ، فتعلمها في ثمانية عشر يوما .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكتابه عبيد الله بن أبي رافع : إذا كتبت فآلن دواتك ، وأطل من قلمك ، وفرج بين السطور ، وقارب بين الحروف .

(١) سجوها أي أغلقوها .

(٢) لم أعثر على هذا الحديث والذي سببه بنصها ، وقد أخرج ابن ماجة في كتاب الأدب من سننه بسنده عن أبي الزبير ما لفظه : « تربوا صحفكم فإنه أنجح لها ، لأن التراب مبارك » ، وفي سنده أبو أحمد الدمشقي وروايته منكورة ، فالحديث ضعيف كما أنكره الإمام أحمد والإمام يحيى بن معين ، انظر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للاستغاوى صفحة ٤٣ .

(٣) سورة يوسف آية ٥٥ .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله : إذا كتبتم فارقوا الأقلام ،
وأقلوا الكلام واقتصروا على المعاني ، وقاربوا بين الحروف ، تكتفوا
من القراطيس بالقليل .

كانت العرب تسمى كل صانع قيناً إلا الكتاب .
قالوا : القلم أحد اللسانين .

قالوا : الخطّ الحسن يزيد الحق وضوحاً .

قال المأمون : الخطّ لسان اليد ، وهو أفضل أجزاء اليد .

قال بعض الملوك : للكتاب الناصح ثلاث خصال : رفع الحجاب عنه ، وإتمام
الوشاة عليه ، ودفع غائلة العدو عنه .

قال ابن القريّة : خط القلم يُقرأ بكل مكان ، وفي كل زمان ، ويترجم بكل لسان ،
ولفظ الإنسان لا يجاوز الآذان .

قال أبو ساسان حَضِينُ بْنُ الْمُنْذِرِ : ما رأيت باريّاً لا يقيم الخط إلا رأيته
لا يقيم الشعر .

قيل لنصر بن سيار^(١) : فلان لا يخطّ . قال : تلك الزّمانة الخفية .

قال بعض البلغاء : صورة الخط في الإبصار سواد ، وفي الأبصار بياض ، وهذا
عندي مأخوذ من قول ابن المعتز : القلم يخدم الإرادة ، ولا يعمل الاستزادة ، على أرض
بياضها مظلم ، وسوادها مضىء .

أمر أبو جعفر المنصور بسجن طائفة من الكتاب غضب^(١) عليهم ، فكتب إليه بعضهم من طريق السجن :

أَطَالَ اللَّهُ عُمَرَكَ فِي صَلَاحٍ وَعِزٍّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
بِعَفْوِكَ نَسْتَجِيرُ فَإِنْ تُجِرْنَا فَإِنَّكَ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ
وَنَحْنُ الْكَاتِبُونَ وَقَدْ أَسَأْنَا فَهَبْنَا لِلْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ^(٢)

وذكر هذا الخبر الحارث^(٣) بن أبي أسامة في كتابه المعروف بكتاب الخلفاء ، في أخبار^(٤) المنصور : أن أحزاباً من الكتاب ترددوا في ديوان داره ، فأمر بإحضارهم وتقديم من تأديبهم ، فقال واحد منهم ، وهو يضرب : أطال الله عمرك ، وذكر الآيات الثلاثة ، فغفا عنهم وأمر بتخليتهم .

قال ابن القاسم : سئل مالك عن النصراني أُمَيْسُكْتَب ؟ قال : لا أرى ذلك ، وذلك أن الكاتب يستشار ، فيستشار هذا في أمور المسلمين^(٥) ! ، ما يعجبنى أن يستكتب .

قال بعض الحكماء لبنيه : يا بني تزينوا^(٥) بزى الكتاب ، فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السوق .

(١) في الأصول : عتب .

(٢) انظر الآيات والنص في الوزراء والكتاب ١٣٦ ، وانظر المستطرف ١/ ٢٢٩ .

(٣) ساقط من الأصول ، وقد أكلناه من كتاب « الوزراء والكتاب » للجهشياري ص ١٣٦ .

(٤) إلى هنا ينتهي السقط الذي بدأ بأول الكتاب والكتابة ، وهو الساقط من نسخة ب .

(٥) ١ : تزينوا .

قدم كتاب أبي عبيدة على عمر بن الخطاب ، وعنده أبو موسى ، فقال له :
يا أبا موسى ! ادع كاتبك حتى يقرأ كتاب أبي عبيدة بالفتح . فقال : إنه لا يدخل
المسجد . قال : ولم ، أجنب هو ؟ قال : لا . ولكن نصراني ، فصاح عليه صيحة
واتهره ، وقال : عزمت عليك إلا عزلته ، ثم قال : لا تقربوهم بعد أن أبعدهم الله ،
ولا تكرموهم بعد أن أهانهم الله ، ولا تشاوروهم بعد أن جهلهم الله ، قال أبو موسى :
فمزله وطردته .

قال أبو عمر رحمه الله : كيف يؤتمن على سر أو يوثق به في أمر ، من دفع القرآن
وكذب النبي عليه السلام .

استأذن على المأمون بعض شيوخ الفقهاء ، فأذن له^(١) ، فلما دخل^(٢) عليه
رأى بين يديه رجلاً يهودياً كاتباً ، كانت له عنده منزلة وقربه لقيامه بما يصرفه
فيه ويتولاه من خدمته ، فلما رآه الفقيه قال — وقد كان المأمون أوماً إليه
بالجلوس — : أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إنشاد بيت حضر قبل أن أجلس ،
قال : نعم . فأنشده :

إِنَّ الَّذِي شُرِّفَتْ مِنْ أَجْلِهِ يَزْعُمُ هَذَا أَنَّهُ كَاذِبٌ^(٣)

وأشار إلى اليهودي ، فحجل المأمون ووجم ، ثم أمر حاجبه بإخراج
اليهودي مسحوباً على وجهه ، وأنفذ عهداً باطراحه وإبعاده ، وألا يستعان
بأحد من أهل الزمة في شيء من أعماله .

(١) : لهم ... دخلوا ... رأوا .

(٢) المسطرف ١١٢/١ .

[^(١)] اسم الكتاب بالفارسية ديوان ، أى شياطين ، لحذفهم بالأمور
ولطفهم ، فسمى الديوان باسمهم .

قال الزبير بن أبى بكر : كتب إلى المغيرة بن محمد يستبطنى كتي ، فكتبت

إليه :

مَا غَيَّرَ النَّأْيُ وَدًّا كُنْتَ تَعَهَّدُهُ وَلَا تَبَدَّلْتُ بَعْدَ الذِّكْرِ نِسْيَانًا
وَلَا حَمَدْتُ إِخَاءَ مِنْ أَخِي ثِقَةً إِلَّا جَعَلْتُكَ فَوْقَ الْحَمْدِ عُتْوَانًا

(١) يبدأ من هنا سقط كبير من نسخة ١ .

بَابُ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ

قال الله عز وجل : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ (١) .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ (٢)

وفي صحف إبراهيم عليه السلام : اتق دعوة المظلوم ، فإنى لا أردّها ، ولو كانت من كافر ، أقول : وعزّتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من ظلم مسلماً أو ضرّاً أو عزّاً أو ناكراً » (٣) .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « ما تُبَالَى حَسَنْتَ جوراً أو دخلت فيه ، وفتحت عدلاً ، أو خرجت منه » . وقد روى هذا من كلام على رضى الله عنه ، فאלله أعلم .

لمرة بن تحكان فى الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي (٤) :

أَحَارٍ تَبَيَّنَ فِي الْأُمُورِ فَاتِنُهُ إِذَا الْأَمِيرُ عَدَا فِي الْحُكْمِ أَوْ فَسَدَا
فَإِنَّكَ مَحْلُولٌ عَلَيْكَ وَظَاعِنٌ فَمَا تُصِيبُهُ الْيَوْمَ تُذْرِكُ بِهِ غَدَا

(١) سورة طه ، آية ١١١ .

(٢) سورة الفرقان ، آية ١٩ .

(٣) عزه : غلبه و المخاطبة ، وناكره : تجاهله أو عاداه .
(٤) مرة بن محكان الربيعي السعدي ، سيد بني ربيع ، كان شاعراً مقلداً مجيداً ، ترجمته و الشعر والشعراء ٦٦٧ معجم الشعراء ٣٨٣ ، أما الحارث فهو وال من التابعين ، ولى البصرة سنة واحدة أيام ابن الزبير ، وسمى بالقباع وهو الواسع الرأس القصير القاع لسله مكياً لا بهذه الصفة وإلزامه الناس باستعماله ، ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٤٤/٢ ، الأعلام ١٥٨/٢ .

وقال آخر :

نَخَافُ عَلَى حَاكِمٍ عَادِلٍ ونرجو ، فَكَيْفَ لِمَنْ يَظْلِمُ
إِذَا جَارَحَكُمْ أَمْرِيءٌ مُلْحِدٍ عَلَى مُسْلِمٍ هَلَكَ الْمُسْلِمُ

الظلم في وضع كلام العرب : وضع الشيء في غير موضعه ، وأخذ المرء ما ليس له ، ومن ذلك قولهم : من أشبه أباه فما ظلم ، أى ما وضع الشبه في غير موضعه .

فكل مسمى ظالم ، تقول العرب للمسيء المفرط في الإساءة : هذا أظلم من حية ، وأظلم من ذئب ، قال عمرو بن بحر : لأن الحية لا تتخذ لنفسها بيتاً ، وهى تقصد كل بيت يصلح لها من بيوت الخشاش والهوام فيهرب أهلها عنه ، ويخلون لها خوفاً منها .

قال مضر بن لقيط الفقعسى :

إِذَا قُلْتُ مَاتَ الدَّاءُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ أَتَى حَاطِبٌ مِنْهُمْ لآخر يَقْبِسُ
لِعَمْرُكَ لَوْ أَنِّي أَخَاصِمُ حَيَّةً إِلَى فَقْعَسٍ مَا أَنْصَفْتَنِي فَقْعَسُ
فَمَا لَكُمْ طُلُسًا إِلَى كَأَنَّكُمْ ذُنَابُ الْغَضَا وَالذَّئِبُ بِاللَّيْلِ أَطْلَسُ^(١)

ويقولون أيضاً : هو أظلم من ذئب ، وأظلم من ورل^(٢) ، كما يقولون : أظلم

(١) الأبيات في محاضرات الأدباء ١٧٤/١ ، البيان والتبيين ١٨٣/٢ ، الحيوان ٧١/٥ ، والبيان الثانى والثالث في حساسة البهترى ٣٨٠ ، منسويين إلى عامر بن لقيط الفقعسى ، وذئب الغضا : أخبت الذئب ، والأطلس : الذئب وهو بالليل شديد الضراوة .

(٢) دابة كالب ، أو العظيم من أشكال الوزغ ، طويل الذنب صغير الرأس .

من حية ، وذلك أن الورل يقوى عَلَى الحَيَات كُلِّهَا ، وَيَأْكُلُهَا أَكْلًا ذَرِيْعًا ، وَكُلُّ شِدَّةٍ يَلْقَاهَا ذُو جُحْرٍ مِنَ الْحِيَةِ تَلْقَى مِثْلَ ذَلِكَ مِنَ الْوَرْلِ ، وَالْوَرْلُ أَلْطَفُ بَدَنًا مِنَ الضَّبِّ ، وَلَكِنَّهُ أَشَدُّ مِنَ الضَّبِّ وَأَجُودُ سَلَاحًا ، وَلَهُ شَحْمَةٌ ، وَالْأَعْرَابُ يَسْتَطِيبُونَ لَحْمَ ذَنْبِهِ ، وَالْوَرْلُ دَابَّةٌ خَفِيفَةُ الرَّأْسِ وَالْحَرَكَاتِ ذَاهِبًا وَجَائِيًا ، وَبَيْنَنَا وَشِمَالًا ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بَعْدَ الْعِظَاءِ أَكْثَرَ تَلَفَاتًا مِنْهُ ، وَبُرَاشِنُ ^(١) الْوَرْلِ أَقْوَى مِنْ بُرَاشِنِ الضَّبِّ ، حَكَى ذَلِكَ كُلَّهُ عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ ^(٢) .

قال : ومن أمثال العرب : من استرعى الذئب ظلم ، وأنشد لبعض بني جعفر ابن كلاب يضرب المثل بجور الحية والذئب :

كَأَنَّنِي حِينَ أَحْبَبُو جَعْفَرًا مِدْحِي أَسْقِيَهُمْ طَرَقَ ^(٣) مَاءٍ غَيْرَ مَشْرُوبٍ
وَلَوْ أُخَاصِمُ أَفْعَى نَابُهَا لَشَقَّ ^(٤) أَوْ الْأَسَاوِدَ مِنْ صُمِّ الْأَهَاضِيبِ ^(٥)
لَكُنْتُمْ مَعَهَا إِبْنَا وَكَانَ لَهَا نَابٌ بِأَسْفَلِ سَاقٍ أَوْ بِعُرْقُوبٍ
وَلَوْ أُخَاصِمُ ذِئبًا فِي أَكِلَتِهِ لَجَاءَنِي كُلُّهُمْ يَسْتَعِي مَعَ الذَّيْبِ ^(٦)

قال بعض الحكماء : أعجل الأور عقوبة وأسرعها لصاحبها : سرعة ظلم من لا ناصر له إلا الله ، ومجاورة النعم بالتقصير ، واستطالة الغنى على الفقير .

روى عن مجاهد أنه قال : المعلم إذا لم يعدل بين الصبيان كتب من الظلمة ^(٧) .

(١) البراشن : الذى يعد نظره ويحمده .

(٢) انظر الحيوان ٤/٣١٠ .

(٣) الطرق : الماء الذى خوضته الإبل وبولت فيه .

(٤) ناب لثى : رطب من امتلائه بالسم .

(٥) الأساود : جمع أسود وهى الحية العظيمة ، صم الأهاضيب : الجبال الصلبة .

(٦) وردت الآيات فى البيان والتبيين ٣/٢٨٥ ، الحيوان ٤/٣١٦ ، منسوبة لحرير بن نسيبة العدوى الفزارى .

(٧) إلى هنا ينتهى النقص من النسخة .

إنما شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية حرب الفجار ، وظهرت العرب على الفرس يوم ذي قار ، فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا فيها مظلومين .

فأما حرب الفجار فكانت بين بني عامر بن صعصعة وبين قريش ، وذلك أن بني عامر بن صعصعة طالبوا أهل الحرم من قريش ^(١) وكنانة ، بجريرة البراء بن قيس في قتله عروة الرجال ، وكان البراء خليعاً فاتكاً ، فأقامهم إلى حربهم ، فلزمهم ^(٢) ذنب غيرهم ظالمين لهم ، فذلك شهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم دافعوا عن أنفسهم وديارهم وأموالهم ، ونصروا النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك نصرت العرب على فارس يوم ذي قار برسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي : كانت وقعة ذي قار قبل وقعة بدر بأشهر ، والنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فلما بلغه ذلك ، قال : « هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم » .

قال هشام : حدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، قال : ذكرت وقعة ذي قار عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ذَلِكَ أَوَّلُ يَوْمٍ انْتَصَفَتْ فِيهِ الْعَرَبُ مِنَ الْعَجَمِ » .

خرج الأضبط بن قريع السعدي من بني سعد ، فجاور ناساً ، فلما رأى مذهبهم وظلمهم لم يحمدهم ، ورجع إلى قومه ، وقال : بكل واد بني سعد . فأرسلها .

(١) ساقط من ب .

(٢) ١ : فلزمهم .

وقال الأشعرُ الرِّقْبَانُ الأَسَدِي^(١) في قصيدة له :

وَأَنْتَ مَلِيحٌ كُلِّعْمِ الْحَوَارِ فَلَا أَنْتَ حُلُوٌّ وَلَا أَنْتَ مُرٌّ
وَحَسْبُكَ فِي النَّاسِ أَنْ يَعْلَمُوا بِأَنَّكَ فِيهِمْ غَنِيٌّ مُضِرٌّ

ومن أمثالهم : من لم يكن ذنباً أكلته الذئاب ، وكان الشعبي إذا تمثال بذلك يقول .
ومن ذا الذي يرضى أن تأكله الذئاب .

ولعبيد بن أيوب^(٢) وكان قد تاب فُظِّلِمَ ، فهم بمراجعة الضلال ، فقال :
" ظلمت الناس فاعترفوا بظلمي فتبتُ فأزعموا أن يظلموني^(٣)
فلست بصابرٍ إلا قليلاً فان لم يرعَوْوا راجعت ديني
قال زهير :

... ومن لا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمَ^(٤)

أخذه ابن دُرَيْدٍ فقال :

من ظلم النَّاسَ تَحَامَوْا ظُلْمَهُ وَعَزَّ عَنْهُ جَانِبَاهُ وَاحْتَمَى

(١) اسمه عمرو بن حارثة بن ناشب ، وسمى الرقبان لأنه ورث مالا عن رقبة (كلالة) لا عن آبائه ، انظر القاموس مادة رقب ، وقد وردت له ترجمة قصيرة في المؤلف ٤٧ ، ومعجم الشعراء ٢١٠ ، وورد البيت الأول فقط ضمن أبيات فيهما رواية مختلفة ، فرواية المؤلف للشطرة الأولى : مسيخ مليح كلعم الحوار ، ورواية معجم الشعراء : وأنت مليح كلعم الحوار ، وورد البيت الثاني في معجم الشعراء ٢٢١ ضمن الأبيات نفسها منسوبا إلى عمرو بن ثعلبة الشيباني ، وانظرهما في محاضرات الأدباء ١٥١/٩ ، والأول في عيون الأخبار ٣/٣٦٩ .
والمسيخ من اللحم : الذي لا دسم فيه . والمليخ الذي لا طعم له .

(٢) العنبري : من شعراء العصر الأموي ، وكان لصاً حاذقاً أهدر السلطان دمه ، انظر الشعر والشعراء ٣٠٥ ، سمط اللآلئ ٣٨٤ (الأعلام ٤/٣٤٠) .

(٣) ساقط من ب .

(٤) جزء بيت ، تـ كـ لـ تـ : ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه . يهدم . . . انظر شرح ديوانه ٣٠ .

وقال المتنبي :

وَالظُّلْمُ مِنْ شَيْمِ الثُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لَا يَظْلِمُ^(١)
وله أيضاً :

وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا وَبِالنَّاسِ رَوَى رُحْمَهُ غَيْرَ رَاحِمٍ^(٢)
وهذه الأخلاق أخلاق الفساق ، ومن لم يتأدب بأدب القرآن ، ولا استن بسن
الإسلام في الأخذ بالعفو والصفح والرحمة والرأفة ، وأين قول المتنبي من قول
محمود الوراق :

إِنِّي وَهَبْتُ لِظَالِمِي ظُلْمِي وَغَفَرْتُ ذَاكَ لَهُ عَلَى عِلْمِي
وَرَأَيْتُهُ أَسْدَى إِلَيَّ يَدًا فَأَبَانَ مِنْهُ بِجَهْلِهِ حِلْمِي
رَجَعْتُ إِسَاءَتُهُ عَلَى لَهُ حُسْنًا فَعَادَ مُضَاعَفَ الْجُرْمِ
وَعَدَوْتُ ذَا أَجْرٍ وَتَحَمُّدَةٍ وَكَأَنَّمَا الْإِحْسَانُ كَانَ لَهُ
مَا زَالَ يَظْلِمُنِي وَأَرْحَمُهُ حَتَّى بَكَيتُ لَهُ مِنْ الظُّلْمِ^(٣)

وله أيضاً :

اصْبِرْ عَلَى الظُّلْمِ وَلَا تَتَنَصَّرْ فَالظُّلْمُ مَرْدُودٌ عَلَى الظَّالِمِ

(١) ديوانه ٤٩٠ .

(٢) ديوانه ٣١٨ .

(٣) يروى : لما أبان بجهله ، ورجعت إساءته عليه وإحاسى فساد ، ويروى العم مكان الجرم ، والظلم مكان الإثم ، ويروى : حتى رثيت مكان بكيت ، انظر الأبيات في السكامل ١/ ٢٣٤ ، القصد الفريد ٢/ ٢٨٥ .

وَكُلٌّ إِلَى اللَّهِ ظُلُومًا فَمَا رَبِّي عَنْ الظَّالِمِ بِالنَّائِمِ^(١)

وقال آخر:

نَامَتْ مُجْفُونُكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمْ^(٢)

وقال آخر:

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللَّهِ فَوْقَهَا وَلَا ظَالِمٍ إِلَّا سَيِّئِلِي بِظَالِمِ^(٣)

وقال آخر:

فَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ ظَلَمْنَا وَلَكِنَّا أَهْلُ التَّقَاضِيَا^(٤)

وقال آخر:

تَأَنَّ وَلَا تَعْجَلْ وَكُنْ مُتَرَفِّقًا وَكُنْ رَاحِمًا بِالنَّاسِ ثَبَلَى بِرَاحِمِ

كان يقال: إذا دعيتك الضرورة إلى ظلم من هو دُونك فاذكر قدرة الله تعالى على عقوبتك، فأنت قص الناس عقلا من ظلم من هو دونه.

قال الشاعر:

وَنَسْتَعِدِي الْأَمِيرَ إِذَا ظَلَمْنَا فَمَنْ يُعِدِّي إِذَا ظَلَمَ الْأَمِيرُ

إِذَا كَانَ الْأَمِيرُ عَلَيْكَ خَصِمًا فَلَا تُكْثِرْ فَقَدْ غَابَ الْأَمِيرُ^(٥)

(١) مجموعة المعاني ٧٥ .

(٢) مجموعة المعاني ٧٥ .

(٣) التمثيل والمحاضرة ٤٥٣ .

(٤) البيت للشبندر الحارثي، انظر المؤلف والمختلف ١٤٠، حماسة أبي تمام ١١/١، عيون الأخبار ١/٧٧ .

(٥) عيون الأخبار ١/٧٨، وقد ورد فيها البيتان متفرقين وليس كما هنا .

وقال آخر:

وَالْخَصْمُ لَا يُرْتَجَى النَّجَاحُ لَهُ يَوْمًا إِذَا كَانَ خَصْمُهُ الْقَاضِي^(١)

وقال آخر:

مَنْ يَكُنِ الْقَاضِي أَبَاهُ فَلْيَبْتَ فِي رَاحَةٍ مِنْ خَصْمِهِ لَا يَلْتَفِتْ

قال كعب لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما : ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء ، فقال عمر : إلا من حاسب نفسه ، قال كعب : والذي نفسى بيده إنها كذلك إلا من حاسب نفسه ما بينهما حرف . يعنى فى التوراة .

خرج عمر بن عبد العزيز يوماً ، فقال : ما شاء الله ! كان الوليد بن عتبة بالشام ، والحجاج بالعراق ، وقرّة بن شريك بمصر ، وعثمان بن حيان بالحجاز ، ومحمد بن يوسف باليمن ، امتلأت الأرض ظلماً وجوراً .

ولعون بن عبّيد الله بن عتبة بن مسعود :

وَأَوَّلُ مَا تَفَارَقَ غَيْرَ شَكٍّ تَفَارِقُ مَا يَقُولُ الْمَارِقُونَ

وقالوا : مُؤْمِنٌ دَمُهُ حَلَالٌ وَقَدْ حَرُمَتْ دِمَاءُ الْمُؤْمِنِينَ

وقالوا : مُؤْمِنٌ مِنْ أَهْلِ جَوْرِ وَلَيْسَ الْمُؤْمِنُونَ بِجَارِيْنَا^(٢)

وقال أبو العتاهية :

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ لَوْثٌ وَمَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظُّلْمُ

(١) محاضرات الأدباء ٩٨/١ ، التمثيل والمحاضرة ١٩٣ ، عيون الأخبار ٧٨/١ .

(٢) انظر الآيات فى البيان والتبيين ٣١٥/١ .

إِلَى دِيَّانٍ يَوْمَ الدِّينِ نَمُضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
سَتَعَلَّمُ فِي الْحِسَابِ إِذَا التَّقَيْنَا غَدًا عِنْدَ الْإِلَهِ مِنَ الْمَلُومِ^(١)

وكتب بها مع يحيى بن خالد بن برمك .

قال الشاعر :

إِذَا جَارَ الْأَمِيرُ وَكَاتَبَاهُ وَقَاضَى الْأَرْضَ دَاهَنَ فِي الْقَضَاءِ
^(٢)فَوَيْلٌ لِّمَنْ وَيْلٌ لِّمَنْ وَيْلٌ لِّمَنْ لِقَاضَى الْأَرْضِ مِنْ قَاضِي السَّمَاءِ^(٣)

(١) ديوانه ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٢) يبدأ من هنا سقط كبير من النسخة ب .

(٣) المستطرف ١/ ١١٩ .

بَابُ الْعَفْوِ وَالتَّجَاوُزِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمَ ، إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَاءَ » .

وقال عليه السلام : « مَا نَزَعَتِ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ » .

وقال : « ارْحَمُوا تُرْحَمُوا ، وَاعْفُوا يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ » .

وعنه صلى الله عليه وسلم قال : « ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ » .

وفي الأثر المرفوع أنه : « يُنَادِي الْمُنَادِي فِي بَعْضِ مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ : لَيَقُمْ مَنْ لَّهُ عِنْدَ اللَّهِ مَا يُحْمَدُ لَهُ ، فَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ عَفَا » .

وفي الحديث أيضاً : « إِنْ اللَّهُ عَفُوٌّ غَفُورٌ يُحِبُّ الْعَفْوَ عَنْ عِبَادِهِ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَقْبِلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ زَلَّاتِهِمْ » .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أفضّل العفو عند القدرة ، وأفضل القصد عند الجدة .

قال سعيد بن المسيب : لأن يخطيء الإمام في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة .

قال جعفر بن محمد : لأن أندم على العفو خير من أن أندم على العقوبة .

طلب عبدُ الملك بنُ مروان رجلاً فأعجزه ثم ظفر به ، فقال رجاء بن حيوة :
يا أمير المؤمنين ! قد صنع الله ما أحببت من ظفرك به ، فاصنع ما أحبَّ الله من
عفوك عنه .

قال رجل للمصور حين ظفر بأهل الشام ، وقد أجلبوا عليه وخالفوه مع عبد الله
ابن علي : الانتقام عدلٌ ، والتجاوزُ فضلٌ ، ونحن نعيذُ أمير المؤمنين بالله أن يرضى
لنفسه بأوكس النصيبين ، ولا يبلغ أرفع الدرجتين .

كان يقال : أولى الناس بالعفو أقدرُهم على العقوبة ، وأتقصُ الناس عقلاً من
ظلم من هو دونه .

قال المهلب بن أبي صفرة : خيرُ مناقب الملوكِ العفوُ .

قال المأمونُ : وددتُ أن أهل الجرائم عرفوا رأيي في العفو ، فسَلِمَت لي
صدورهم .

قال معاويةُ رحمه الله : ما وجدتُ شيئاً أَلَدُّ عندي من غيظٍ أتجرعه ، ولم يعرف
قيمة الأبهة^(١) من لم يجرعه الحلم غصص الغيظ .

اعتذر رجل إلى الهادي فقال : يا أمير المؤمنين ! إقرارى بما ذكرت يوجب
عليَّ ذنباً لم أجنه ، وردّي عليك لا أقدم عليه لما فيه من التكذيب لك ،
ولكني أقول :

(١) ١ : الأبهة ، وفي ب : الأبهة .

فَإِنْ كُنْتَ تَرْجُو فِي الْعُقُوبَةِ رَاحَةً فَلَا تَزْهَدَنَّ عِنْدَ الْمَعَاذَةِ فِي الْأَجْرِ^(١)
فَعَفَا عَنْهُ .

قال منصورُ الفقيه :

وقال نَبِيُّنَا فِيمَا رَوَاهُ عَنْ الرَّحْمَنِ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ
مُحَالٌّ أَنْ يَنْتَالَ الْعَفْوُ مِنْ لَا يَمُنُّ بِهِ عَلَى أَهْلِ الذُّنُوبِ^(٢)

وقال آخر :

فَهَبْنِي مُسِيئًا كَالَّذِي قُلْتُ ظَالِمًا فَعَفُوًّا جَمِيلٌ كَيْ يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ
فَإِنْ لَمْ أَكُنْ لِلْعَفْوِ أَهْلًا لِسُوءِ مَا أَتَيْتُ بِهِ جَهْلًا فَأَنْتَ لَهُ أَهْلٌ^(٣)
سُئِلَ ثَعْلَبٌ عَنْ مَعْنَى : فَهَبْنِي مُسِيئًا . قَالَ : مَعْنَاهُ اعْدِدْنِي مُسِيئًا .

قال محمد بن علي بن حسين : من كظم غيظًا يقدر على إمضائه حشا الله قلبه لإيماؤه
وروى هذا مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

ومما ينسب إلى عمرو بن العاص :

وَبَعْضُ انْتِقَامِ الْمَرْءِ يُزِرِّي بِعَقْلِهِ وَإِنْ لَمْ يَقَعِ إِلَّا بِأَهْلِ الْجَرَائِمِ
وَذَكَرُ ذُنُوبِ الْوَعْدِ تَرْفَعُ ذِكْرُهُ فَدَعَهُ صَرِيحَ النَّوْمِ تَحْتَ الْقَوَادِمِ

(١) البيت في الوزراء والكتاب للجيشياري ١٦٩ ، والقصد ١٩ / ١ ، المستطرف ١ / ٢٢٣ .

(٢) المستطرف ١ / ٢١٧ .

(٣) البيتان للصولي ، انظر معجم الأدباء ١ / ١٨٦ ، ووردا في القصد ٢ / ١٤٣ غير نسبة .

وفي معنى هذا البيت الأخير ، تول ذى الرمة :

قيل لى : قد هَجَاكَ مَوْتِي زِيَادٍ فَأَجِبْهُ ، فَقُلْتُ : لَيْسَ بِكَفَوِي^(١)
لستُ أَهْجُوهُ إِنَّهُ خَامِلٌ الذِّكْرُ رَ لَعَلَّ الْخَسِيسَ يَمْلُو بِهِجْوِي
هو كَالْكَلْبِ يَنْبَحُ اللَّيْثَ رُعْبًا فَذَرُوهُ يَهْرَ بَعْدِي^(٢) وَيَعْوِي
هو من سَطَوْتِي وَبَأْسِ هِجَايَ فِي أَمَانٍ مَا بَيْنَ حِلْمِي وَعَفْوِي^(٣)
كتب علي بن الجهم إلى الحسن بن وهب :

إِنْ تَعَفُّ عَنْ عَبْدِكَ الْأَمِيِّ فِي فَضْلِكَ مَاؤِي لِلصَّفْحِ وَالْمِنَّ
أَتَيْتُ مَا أَسْتَحِقُّ مِنْ خَطَايَا فَجَدُّ بِمَا تَسْتَحِقُّ مِنْ حَسَنٍ^(٤)

فجاوبه الحسن بن وهب بأبيات منها :

أَعُوذُ بِالْوُدِّ الَّذِي بَيْنَنَا أَنْ يَفْسَدَ الْأَوَّلُ بِالْآخِرِ

وله أيضاً :

أَقْلَنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَقْبِكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى^(٥)

وقال آخر :

أَلَا إِنَّ خَيْرَ الْعَفْوِ عَفْوُ مُعَجَّلٍ وَشَرُّ^(٦) الْعِقَابِ مَا يُجَازُ بِهِ الْقَدَرُ^(٧)

(١) إلى ما ينهى السقط من نسخة ب .

(٢) ب : بعد .

(٣) لم أعثر على الأبيات في ديوانه .

(٤) إغتاب الكتاب ١٦٤ ، عيون الأخبار ٩٩/٣ .

(٥) البيت في عيون الأخبار ١٠١/١ ، ونسبه في فتح الطيب ١٢٦/٢ إلى الحاجب أبي جعفر المصطفى .

(٦) ب : وخير .

(٧) ١ : ما يجاز به القدر ، وفي عيون الأخبار ١٠١/١ : ما يجاز به .

وقال أعرابي :

يَا رَبِّ قَدْ حَلَفَ الْأَقْوَامُ وَاجْتَهَدُوا أَيْمَانَهُمْ أَنَّنِي مِنْ سَاكِنِي النَّارِ
أَيَحْلِفُونَ عَلَى عَمِيَاءٍ وَيَحْمُومُ^(١) جَهْلًا بِعَفْوِ عَظِيمِ الْعَفْوِ غَفَّارِ^(٢)

وقال آخر :

يَا رَبِّ عَفْوِكَ عَنْ ذِي تَوْبَةٍ وَجَلِ كَأَنَّهُ مِنْ حِذَارِ النَّارِ مَجْنُونِ
قَدْ كَانَ قَدَّمَ أَعْمَالًا مُقَارِبَةً^(٣) أَيَّامَ لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ وَلَا دِينُ^(٤)

(١) ب : ويأهم .

(٢) البيتان في البيان ٣٧٩/٣ بدون نسبة .

(٣) ١ : مقارفة .

(٤) البيتان لعبيد بن أيوب النخعي ، انظر البيان والتبيين ٣٧٩/٣ .

باب الغضب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لبس الشديد بالصرعة ^(١) ، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » .

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ! دلّني على عمل إذا عملته دخلت الجنة ، وأقلل لعلّي أحفظه . قال : « لا تغضب » .

وروى عنه عليه السلام ، أنه قال : « إذا غضبت قائمًا فاقم ، وإذا غضبت قاعدًا فقم ، أو قال : فاضطجع » .

أوحى الله إلى موسى : اذكرني عند غضبك ، أذكرك عند غضبي ، فلا أحمقك فيمن أحمق ، وإذا ظلمت فارض بنصري لك ، فإنها خير من نصرتك لنفسك ^(٢) .
قال عيسى عليه السلام : يبعدك من غضب الله ألا تغضب .

أشد تغلب :

مَتَى تَرِدِ الشِّفَاءَ بِكُلِّ غَيْظٍ تَكُنْ مِمَّا يَغِيظُكَ فِي أَزْدِيَادٍ ^(٣)
قال سليمان بن داود عليهما السلام : أعطينا ما أعطى الناس وما لم يعطوا ، وعلمنا ما علم الناس وما لم يعلموا ، فلم نر شيئًا أفضل من العدل في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر ، وخشية الله في السر والعلانية .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إنما يعرف الحلم ساعة الغضب .

(١) الصرعة : من يصرع الناس ولا يصرعونه .

(٢) ١ : وإذا طلبت فارض بنصري لك ، فإنه خير من نصرتك لنفسك .

(٣) محاضرات الأدباء ١ / ١١٠ .

وعنه أيضاً : عدوُّ العقلِ الغضب .

كان يقال : أول الغضب جنون ، وآخره ندم ، ولا يقوم عزٌّ^(١) الغضب
بذلِّ الاعتذار .

وروى : كل العطب في الغضب^(٢) .

قيل للشعبي : لأي شيء يكون السريع الغضب سريعَ الفيئة ، ويكون بطيء
الغضب بطيءَ الفيئة ؟ قال : لأن الغضب كالنار ، فأسرعها وقوداً وأسرعها خموداً .
وهذا الخبر أصح عن عبد الله بن حسن ، حكاية عن كسرى ، ذكره ابن عائشة
القرشي التيمي^(٣) عنه . قال : قيل لعبد الله بن حسن : ما بال الرجل الحديد أسرع
رجعةً من البطيء ؟ فقال : سئل كسرى عن ذلك ، فقال : مثلهما مثل النار في الخطب ،
أسرعها وقوداً وأسرعها خموداً .

أراد المنصورُ خراب المدينة لإطباق أهلها على حربته مع محمد بن عبد الله بن
حسن ، فقال له جعفر بن محمد : يا أمير المؤمنين إن سليمان أُعطي فشكر ، وإن
أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف قَدَّرَ فقَرَّ ، وقد جعلك الله من قبيل^(٤) الذين يعفون
ويصفحون ، فطفي غضبه وسكت .

شهد سَوَّارُ القاضي مجلس أبي جعفر المنصور يوماً فرآه قد غضب على أهل
البصرة ، فقال له : يا أمير المؤمنين لا تغضب لله بما^(٥) يُغضب الله .

(١) ساقط من ب .

(٢) ب ، ا : وربما كان العطب في الغضب .

(٣) ب : التيمي .

(٤) ب : ايل .

(٥) ب : بما .

العرب تَدَح بترك الغضب .

كان يقال : من أغضبتَه ^(١) أنكرته .

قال الشاعر :

لَمْ أَقْضِ مِنْ صُحْبَةِ زَيْدٍ أَرْبَى فَتَى إِذَا نَهَنَتْهُ لَمْ يَغْضَبِ
أَبْيَضُ بِسَامٍ وَإِنْ لَمْ يَعْجَبِ وَلَا يَضِنُّ ^(٢) بِالْمَتَاعِ الْمُحْتَبِ
مَوْكَلُ النَّفْسِ بِحِفْظِ الْعُيُبِ أَقْصَى رَفِيقِهِ لَهُ كَالْأَقْرَبِ ^(٣)

قال عبد الله بن قيس الرقيات :

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا
وَأَنَّهُمْ سَادَةُ الْمُلُوكِ وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ ^(٤)
قالوا : إذا غضب الرجل فليستلق ، وإذا أعيا فليرفع رجله .

(١) : أبغضته .

(٢) ب : ولا يظن .

(٣) نهاية الأرب ٢٣/٣ وانظر عيون الأخبار ٢٣/٣ .

(٤) ديوانه ١٤ .

باب الرجاء والخوف

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه يعودوه ، فقال : كيف تبهلك ؟ قال : أجدنى أرجو وأتخاف ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسى بيده ، ما اجتمعتا فى قلب رجلٍ إلّا أعطاه الله خير^(١) ما يرجو منه ، وآمنه من شر ما يخاف .

قال أبو الدرداء : من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل .

قال مطرف بن عبد الله الشَّخِير : لو وُزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا .

قال لقمان لابنه : يا بنى ! ارج الله رجاء لا تأمن فيه مكره ، وخف الله مخافة لا تأيسن فيها من رحمته ، فقال : كيف أستطيع ذلك ، وإنيما لى قلب ؟ فقال : يا بنى ! إن المؤمن كذى^(٢) قلبين ، قلب يخاف به ، وقلب يرجو به .

قال على بن أبى طالب : خذوا عنى هذه الكلمات ، فلو رَحَلْتُمْ فيها العِطْيَ حتى أنضيتموها لم تبلغوها : لا يرجو عبد إلّا ربّه ، ولا يخاف إلّا ذنبه . وذكر كلاماً قد ذكرته بتمامه فى كتاب « بيان العلم وفضله » .

كان يقال : من خاف الله ورجاه ، آمنه خوفه ، ولم يحرمه رجاءه .

وقف محمد بن سليمان على قبر أبيه ، فقال : اللهم إني أمسيت أخافك عليه وأرجوك له ، فحقق رجائى ، وآمن خوفى عليه .

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من ب .

قال مسلم بن يسار ^(١) : ما أدري فيم ^(٢) خوف امرئ ورجاؤه إذا لم يمنعه من ركوب شهوة إن عرضت له ، أو لم يصبراه على مصيبة إن نزلت به .

كتب بعض العلماء إلى بعض إخوانه : أما بعد ، فإنه من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء .

للحسن بن هاني ^(٣) وتنسب للشافعي رضي الله عنهما ، والله أعلم :

خَفِ اللَّهَ وَارْجُوهُ إِكْلَ عَظِيمَةٍ وَلَا تُطِيعِ النَّفْسَ الْجُوجَ فَتَنْدَمَا
وَكُنْ بَيْنَ هَاتَيْنِ مِنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَا وَأَبْشِرْ بِعَفْوِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا ^(٤)

وفيها :

فَلَمَّا دَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي جَعَلْتُ الرَّءْ

وَلَهُ :

قَدْ كُنْتُ خَفْتُكَ ثُمَّ آمَنِي مِنْ أَنْ أَدَّ

وقال العنابي :

رَحَلَ الرَّجَاءُ إِلَيْكَ مُرْتَقِيًا حُشِدَتْ

(١) ساقط من ب .

(٢) ب : ما .

(٣) ب : سهل ، أ : وهب .

(٤) الأبيات في معجم الأدباء ٢٠٣/١٧ منسوبة إلى الشافعي رضي الله عنه .

(٥) ديوانه ١٠٩ ، عيون الأخبار ٧٠/١ وذكر أنها لأبي نواس في السه

رَدَّتْ إِلَيْكَ نَدَامَتِي أَمَلِي وَثَنَّا إِلَيْكَ عِثَانَهُ شُكْرِي
وَجَعَلْتُ عَثْبَكَ عَثْبَ مَوْعِظَةٍ وَرَجَاءَ عَفْوِكَ مُنْتَهَى عُذْرِي

وقال أعرابي ، وقد أدخله البعيث في شعره :

وإني لأرجو الله حتى كأنما أرى بحميلي^(١) الظن ما الله صانع^(٢)

وقال منصور الفقيه :

قَطَعْتُ رَجَائِي مِنْ بَنِي آدَمِ طَرًّا فَأَصْبَحْتُ مِنْ رِقِّ الرَّجَاءِ لَهُمْ حُرًّا
وَعَدَلْتُ يَأْسِي بَيْنَهُمْ فَأَجَلَّهُمْ - إِذَا ذُكِرُوا - قَدْرًا كَأَذْنَاهُمْ قَدْرًا
عَنِّي لَهُمْ بِاللَّهِ لَا مُتَطَاوِلًا عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا قَائِلًا مُجَرًّا
وَكَيْفَ يَعْيبُ النَّاسَ بِالْمَنْعِ مُؤْمِنٌ يَرَى النِّفْعَ مِنْ يَمْنِكَ النِّفْعَ وَالضَّرًّا
عَلَيْهِ اتِّكَالِي فِي الشَّدَائِدِ كُلِّهَا وَحَسْبِي بِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ لِي ذُخْرًا

أنشدني عبد الله بن محمد بن يوسف رحمه الله لنفسه :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفٌ
يَخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَغِبْ عَنْكَ غَيْبُهَا وَيَرْجُوكَ فِيهَا فَهُوَ رَاجٍ وَخَائِفٌ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْجُو سِوَاكَ وَيَتَّقِي وَمَالَكَ مِنْ فَضْلِ الْقَضَاءِ مُخَالِفٌ
فِي أَسِيدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّحَافُ

(١) ب : الجليل .

(٢) العقد الفرید ٢/ ١٨٠ ، عيون الأخبار ١/ ٣٦ ، التمثيل والمحاضرة ٩ ، وقد نسب البيت في السكامل

٢٣١/١ إلى محمد بن أبي وهيب ، ونسب في زهر الادب ٣/ ٢٥٤ محمد بن أبي حازم الباهلي .

وكن مؤنس في ظلمة القبر عندما
يصد ذوو ودى ويحفو المؤلف
لن ضاق عني عفوك الواسع الذي
أرجى لإسرافي فإني لتالف^(١)

وقال أبو العتاهية :

إذا ما اتقى الله امرؤ لآن جانبته^(٢) وقارب بالإحسان من لا يقارب
يقول الفتي أرجو وأرجو وما له نروع^(٣) عن الذنب الذي هو رأكبة
ألا ليس يرجو الله من لا يخافه وليس يخاف الله من لا يراقبه
من الناس من لا يبصر الدهر جهله ويرداد فيه الضعف حتى يعاتبه
كفي بصروف الدهر علماً وحكمة لمن لم يخنه علمه وتجاربه
ومن لم يثق بالله لم يصف عبثه ومن ضاق عنه الحق ضاقت مذهبته^(٤)

كان أبو سعيد السيرافي كثيراً ما ينشد في مجلسه :

اسكن إلى سكن تسر به ذهب الزمان وأنت منفرد
ترجو غداً وغد كحاملة في الحى لا يدرون ما تله^(٥)

قرأت على سعيد بن نصر، أن^(٦) قاسم بن أصبغ حدثهم^(٦)، قال حدثنا عبد الله
ابن زواح المدائني، قال يزيد بن هرون، قال : حدثنا أبو موسى التيمي، قال :

(١) الأبيات في نفع الطب ١١٢/٣ .

(٢) ١ : قلب .

(٣) ١ : نروع . (٤) ديوانه ١٠ .

(٥) البستان لبشار بن برد ، انظر المختار من شعره ٩٢ ، ٩٣ .

(٦) ساقط من ب .

توفيت النّوّار امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه أهل البصرة ، وخرج فيها الحسن ، فقال للفرزدق : ما أعددت لهذا اليوم يا أبا فراس ؟ قال : شهادة ألا إله الله منذ ثمانين سنة ، فلما دُفنت قام الفرزدق على قبرها فقال :

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ - إِنْ لَمْ يُعَافِنِي - أَشَدَّ مِنْ الْقَبْرِ التَّهَابَا وَأَضْيَقَا
إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ عَنِيفٌ وَسَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا
لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى إِلَى النَّارِ مَنُغْلُولَ الْقِلَادَةِ أَزْرَقَا^(١)
^(٢) قال : فبكى وأبكى .

(١) الأبيات في الديوان ٥٧٨ ، الكامل ٧١/١ ، ورواية الديوان : دارم مكان آدم ، ومشود الخنافة بدلا من منغول القلادة . وفي الكامل : إذا قادني مكان إذا جاءني ، وموقفا مكانه أزرقا .
(٢) ساقط من ب .

بابُ العافيةِ والبلاءِ

قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « سَلُوا اللهَ العافيةَ والمُعافاةَ في الدُّنْيَا والآخرةَ ، فإنه لم يَوْتَ عبدٌ بعدَ اليقينِ باللهِ بأفضلَ من المُعافاةِ ^(١) » .

قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُصِيبْ منه » .

قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « أَشَدُّ النَّاسِ بلاءً النَّبِيُّونَ ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ » . والأحاديثُ عنه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في هذا البابِ كثيرةٌ جداً .

قال عيسى عليه السلام : إنما الناسُ مبتلى ومُعافى ، فإذا رأيتُم أهلَ البلاءِ فارحموهم ، وسَلُوا اللهَ العافيةَ .

قال علي بن الحسين : ما صاحبُ البلاءِ الذي قد طَالَ به أحقُّ بالدعاءِ من المُعافَى الذي لا ^(٢) يَأْمَنُ الْبَلَاءَ .

قال مُطَرِّفُ بْنُ الشَّخِيرِ : لَأَنْ أُعَافَى فَأُشْكِرَ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُبْتَلَى فَأُصْبِرَ ، قال مُطَرِّفٌ : ونظرت في النعمة التي لا يشوبها كدر فإذا هي العافية .

قال سليمانُ التَّمِيمِيُّ : إن المؤمنَ لِيَبْتَلَى وَيُعَافَى ، فيكونُ بلاؤهَ كُفْرَةً واستِغْتَاباً ، وإن الكافرَ لِيَبْتَلَى وَيُعَافَى فيكونُ مثلَ بَعِيرٍ عَقْلٌ ، لا يَدْرِي فيمِ عَقْلٌ ولا لم أُرسل .

(١) ١ : البقين .

(٢) ٢ : ما قط من ب .

قال منصور الفقيه :

رَأَيْتُ الْبَلَاءَ كَقَطْرِ السَّمَاءِ وَمَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ نَامِيهِ^(١)
فَلَا نَسْأَلَنَّ : إِذَا مَا سَأَلَتْ إِبْطَكَ شَيْئًا سِوَى الْعَافِيَةِ
وَلَهُ أَيْضًا :

حَفِظَ الْفَقِي لِسَانَهُ حَبَّةً فِي الْعَافِيَةِ
وَاقِيَةً مِنَ الْبَلَاءِ إِنْ كَانَ مِنْهُ وَاقِيَةً
قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي : الْعَافِيَةُ الْمَلِكُ الْخَفِيُّ .

^(٢) كَانَ يُقَالُ : لَا خَيْرَ فِي بَدَنٍ لَا يَنْكَأُ ، وَلَا فِي مَالٍ لَا يَرْزَأُ^(٣) .
كَانَ يُقَالُ : مَنْ عَمِلَ بِالْعَافِيَةِ فِيمَنْ هُوَ دُونَهُ رَزَقَهَا مِنْهُ هُوَ فَوْقَهُ .
قَالَ الشَّاعِرُ :

بَلَاءٌ لَيْسَ يُشَبِّهُهُ بَلَاءٌ عِدَاوَةٌ غَيْرِ ذِي حَسَبٍ وَدِينٍ
مُيَبِّحُكَ مِنْهُ عِرْضًا لَمْ يَصْنَعْهُ وَيَرْتَعُ مِنْكَ فِي عِرْضٍ مَصُونٍ^(٤)
وَقَالَ آخَرُ ، وَهُوَ أَبُو رَاسِبٍ :

فَلَوْ أَنِّي بُبْلِيتُ بِهَاشِمِيٍّ خُوُولَتُهُ بَنُو عَجْدٍ الْمَدَانِ
صَبَرْتُ عَلَى عِدَاوَتِهِ وَلَكِنْ تَعَالَوْا فَانْظُرُوا بَعْنِ ابْتِلَانِي^(٥)

(١) : هامة .

(٢) زيادة من ب .

(٣) البيتان لعلى بن الجهم ، انظر محاضرات الأدباء ١/١٢٢ ، ١٨٦ ، وفيات الأعيان ٣/٤١ ، العقد الفريد ١/٢٥٠ ، ٢/٣٣٩ .

(٤) نسب البيتان في المستطرف ١/٢٥٠ إلى زياد بن عبد الله ، ونسباني الكامل ٢/٦١ إلى دعبل بن علي الخزاعي .

قال بشار بن برد :

إِنِّي وَإِنْ كَانَ جَمْعُ الْمَالِ يَعْجِبُنِي فَلَيْسَ يَعْدِلُ عِنْدِي صِحَّةُ الْجَسَدِ
فِي الْمَالِ زَيْنٌ وَفِي الْأَوْلَادِ مَكْرُمَةٌ وَالشُّقْمُ يُنْسِيكَ ذِكْرَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ^(١)

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « البلاء مُوَكََّلٌ بِالْقَوْلِ » .

أخذه الشاعر فقال :

إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكََّلٌ بِالْمُنْطِقِ^(٢)

وقال آخر :

فَإِذَا رَأَيْتَ أَخَا الْبَلِيَّةِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْبَلَاءِ النَّازِلِ

قال إبراهيم النخعي : كانوا يكرهون أن يسألوا الله العافية بحضرة المبتلى .

(١) لم أعر عليهما فيما طبع من ديوانه .

(٢) صدره : احفظ لسانك أن تقول فتبتلى ، وهو لصالح بن عبد القدوس كما في حاشية البحري ١٦٨ ،
واعلمه في المستطرف ١/ ١٠٢ ، معجم الأدباء ١٣/ ١٢٥ من غير نسبة .

بابُ المرضِ والطبِّ

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم : « أَنْزَلَ الدَّاءَ الَّذِي أَنْزَلَ الْأَدْوَاءَ » .

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم : « مِنْ خَيْرِ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ » .

وقال عليه السلام : « إِنْ كَانَ دَوَاءٌ يَبْلُغُ الدَّاءَ فَالْحِجَامَةُ تَبْلُغُهُ » .

قال محمد بن سيرين : كننا بساباط المدائن ، فرأى رجل ، فقيل لى : هذا حَجَمٌ^(١)

كسرى ، فدعوته ، فقلت له : أنت حجمت كسرى ؟ قال : نعم . قلت : وكم حجمته ؟

قال : واحدة . قلت : ولم اقتصر على واحدة ؟ قال : كان يقول : آخذ من الدواء

أدناه ، فإن كان نافعا أخذت من نفعه ، وإن كان ضارا لم أكن استكثر

من ضرره .

روى النَّزَّالُ بْنُ سَبْرَةَ^(٢) ، عن عليٍّ ، أنه قال : من ابتدأ غداؤه بالملح أذهب الله

عنه كل دائه ، ومن أكل إحدى وعشرين زبينة كل يوم لم ير في جوفه شيئا يكرهه ،

واللحم ينبت اللحم ، والثريد طعام العرب ، ولحم البقر داء ، ولبنها دواء ، وسمها

شفاء ، والشحم يخرج مثله من الداء . قال النزال : أظنه يريد شحم البقر . قال عليٌّ

رضي الله عنه : وما استشفى بأفضل من السمن ، والسمك يذيب البدن ، أو قال :

الجسد ، ولم تستشف النفساء بشيء أفضل من الرطب ، والسواك وقراءة القرآن

يذهبان البلغم ، ومن أراد البقاء — ولا بقاء — فليباكر الغداء ، وليخفف الرِّدَاءَ ،

(١) ب : يهجم .

(٢) ب : شهرة ، تحريف .

وليقُلَّ غُشَيَّانُ النَّسَاءِ . قيل له : يا أمير المؤمنين ! وما خفة الرِّداء ؟ قال : خفة الدِّينِ .
قال سُريح : امش بدائك ما حملك .

قال حَسَّانُ بْنُ خُرَيْمٍ بنِ الْأَغَرِ : دَعِ الدَّوَاءَ مَا احْتَمَلَ جِسْمُكَ الدَّاءَ .
سئل الحارثُ بنُ كَلْدَةَ طيِّبُ الْعَرَبِ : ما الدَّوَاءُ الَّذِي لَا دَاءَ فِيهِ ؟ قال : هو
أَلَّا يَدْخُلَ بَطْنُكَ طَعَامَ وَفِيهِ طَعَامُ .

قال غيره : هو أَنْ يَقْدَّمَ الطَّعَامُ إِلَيْكَ وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ ، وَيَرْفَعُ عَنْكَ وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ .
قالوا : ثَلَاثَةٌ تَقْتُلُ : الْحَمَامُ عَلَى السَّكِظَةِ ، وَالْجَمَاعُ عَلَى الْبِطْنَةِ ، وَالْإِكْثَارُ مَنْ
أَكَلَ الْقَدِيدَ الْيَابِسَ .

كانوا يقولون : لو أُمَاتَ الْعَلِيلَ الدَّاءُ أَعَاشَهُ ^(١) الدَّاءُ

قال الرِّبِّيعُ بْنُ خَيْثَمٍ : ذَكَرْتُ عَادًا وَثَمُو
ذَلِكَ كَثِيرًا ، كَانَتْ فِيهِمُ الْأَدْوَاءُ ، وَكَانَتْ
وَلَا الْمُدَاوَى .

وقيل له في علته : أَلَا نَدْعُو لَكَ طَبِيبًا ؟ فَمَا
مَا قَالَ لَكَ ؟ فَقَالَ : إِنِّي فَعَالٌ لِمَا أُرِيدُ .

وهذا نحو قول أبي الدرداء ، وقد قيل له
أمرضني . وقد أوردنا عن العلماء في هذا الم
« التمهيد » والحمد لله .

ولأبي العتاهية ، ويروى لغيره :

إِنَّ الطَّيِّبَ بِطَبِّهِ وَدَوَائِهِ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَ مَكْرُوهِ أَثَى
مَا لِلطَّيِّبِ يَمُوتُ بِالذَّاءِ الَّذِي قَدْ كَانَ يَبْرئُ مِثْلَهُ فِيمَا مَضَى ^(١)

كان سفيان بن عيينة ، يستحسن قول عدى بن زيد ، حيث يقول :

أَيْنَ أَهْلُ الدِّيَارِ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ثُمَّ عَادَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَتَمَوَّدُ
بَيْنَنَا هُمْ عَلَى الْأَسْرِ وَالْأَذَى مَا طِ أَفْضَتْ إِلَى التُّرَابِ الْجُلُودُ
ثُمَّ لَمْ يَنْقُضِ الْحَدِيثُ وَلَكِنْ بَعْدَ ذَا الْوَعْدِ كُلُّهُ وَالْوَعِيدُ
وَالْأَطِبَاءُ كُلُّهُمْ لِحَقِّ قَوْمٍ ضَلَّ ^(٢) عَنْهُمْ سَعْوُطُهُمْ وَاللَّدُودُ
وَصَحِيحُ أَضْحَى يَعُودُ مَرِيضًا وَهُوَ أَذْنَى لِلْمَوْتِ مِمَّنْ يَعُودُ ^(٣)
أَخَذَهُ عَلَى بْنِ الْجَهْمِ ، فَقَالَ :

كَمْ مِنْ عَمَلٍ قَدْ تَخَطَّاهُ الرَّدَى فَتَجَا وَمَاتَ طَيِّبُهُ وَالْعُودُ ^(٤)
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

نَعَى لَكَ ظِلَّ الشَّبَابِ الْمَشِيبُ وَنَادَتْكَ بِاسْمِ سَيِّوَاكَ الْخُطُوبُ

(١) ديوانه ١٠ ، ويروى البيتان أيضاً لبشار ، انظر المختار من شعره ٢٣١ وفيه : دفاع مقدور مكان مكروه .

(٢) ب. ظل .

(٣) الأبيات في : العقد الفريد ١٨٨/٣ دا الرابع ، وفيه : ثم عاد من بعدها ، والحدود مكان الجلود ،

وانظر معجم الشعراء ٢٥٠ .

(٤) التمثيل والمحاضرة ١٨٢ من غير نسبة .

وَقَبْلَكَ دَاوَى الْمَرِيضَ الطَّيِّبُ فَعَاشَ الْمَرِيضَ وَمَاتَ الطَّيِّبُ
يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ يَتُوبُ فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ^(١)

وقال منصور الفقيه :

كَذَبْتُ إِنْ أَنَا مَمَيَّةٌ مَتُ مَحْسِنًا أَوْ مُصِيبًا
مَنْ لَا يُعَاشِرُ إِلَّا مُنْجِمًا أَوْ طَيِّبًا

وقال آخر ، وهو يزيد بن خذاق العبدي^(٢) :

هَلْ لِلْفَتَى مِنْ بِنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ وَاقٍ أَمْ هَلْ لَهُ مِنْ حِمَامِ الْمَوْتِ مِنْ رَاقٍ
هَوْنٌ عَلَيْكَ وَلَا تُؤَلِّمُ بِإِشْفَاقٍ فَإِنَّمَا مَا نُنَا لِلْوَارِثِ الْبَاقِ

وقال ابن الطَّائِرِيَّة^(٣) :

وَكُنْتُ كَذِي دَاوَى تَبَغَّى لِدَائِهِ طَيِّبًا فَلَمَّا لَمْ يَجِدْهُ تَطَبَّيَا

وقال محمود الوراق :

قَدْ قُلْتُ لَمَّا قَالَ لِي قَائِلٌ^(٤) قَدْ صَارَ مُقْرَاطٌ إِلَى رَمْسِهِ
فَإِنْ مَا دَوَّنَ مِنْ كُتُبِهِ وَجَمْعُهُ الْأَخْجَارُ مَعَ جَسِّهِ^(٥)

(١) لم أعثر على هذه الأبيات في ديوانه المطبوع ، وقد نسبت إلى أبي حفص الشطرنجي في الأغاني ٧٢/١٩ ، ووردت في عيون الأخبار ٣٢٧/٢ ، العقد الفريد ١٨٠/٣ .

(٢) انظر ترجمته والبيتين في الشعر والشعراء ٢٤٦ ، وانظرهما في العقد الفريد ٢٤٤/٣ .

(٣) هو يزيد بن سلمة بن سمرة ، شاعر مطبوع من شعراء بني أمية ، نسبتته إلى أمه من بني « طر » من عنز بن وائل ، تفل سنة ١٢٦ هـ . ترجمته في وفيات الأعيان ٢٩٩/٢ وسمط اللآلي ١٠٣ ، وانظر البيت في الشعر والشعراء ٢٦٣ ، معجم الشعراء ٢٨٦ ، وفيات الأعيان ٤١٢/٥ .

(٤) ب : قد قلت للقائل الذي قال لي .

(٥) ب : من جسسه .

لَمْ يُغْنِهِ إِذَا حُمِّ مِقْدَارُهُ وَلَمْ يُسَاوِ الْعُشْرَ مِنْ فَلْسِهِ
هَيْهَاتَ لَا يَدْفَعُ عَنْ غَيْرِهِ مَنْ كَانَ لَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ

وقال منصور الفقيه :

يَا سَيِّدَا بَاتَتْ الْقُلُوبُ — لِأَنَّ بَاتَ كَمَا لَا يُحِبُّ — مُخْتَرَقَةٌ
إِنَّ ذَوِي الطَّبِّ — لَا أَقُولُ بَعْدَ لَا يَعْلَمُ رَبِّي خِلَافَهُ — فَسَقَةٌ
فَلَا تُشَاوِرُهُمْ فَلَيْسَ لَهُمْ عَلَى شَحِيحِ بَدِينِهِ شَفَقَةٌ
وَأَتْلُ مِنَ الْوَحْيِ مَا اسْتَطَعْتُ وَلَوْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَرَقَةٌ
فَمَا يُدَاوِي الْعَلِيلُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ بِثُلِّ الْقُرْآنِ وَالصَّدَقَةِ

جاء في الخبر : « من كان به مرض قديم فليأخذ درهماً حلالاً ، فليشتر به
عسلًا ، ثم ليشربه بماء السماء ، فإنه يبرأ بإذن الله » .

قال منصور الفقيه يخاطب بعض إخوانه :

يَا ذَا الَّذِي أَنْزَلَنِي ^(١) مَنَزَلِي عَلَيَّ بِمَا أَنْزَلَهُ مَنَزِلَهُ
إِنْ كُنْتَ فِي الصُّحَّةِ ذَا رَغْبَةٍ فَاعْتَصِ مِنَ الْمَجْزَرَةِ الْمُبْقَلَةِ
وَأَسْتَعْمِلِ الْمَاشِ ^(٢) وَأَشْبَاهَهُ وَبَعْدَ الْمِيلِ عَنِ الْمَكْحَلَةِ
فَإِنَّمَا الْجَاهِلُ كُلُّ امْرِئٍ يَأْكُلُ فِي الصُّحَّةِ مَا عَنْ لَهْ

(١) ١ : أ كبرلي ، ب : ألزني .

(٢) الماش : حب ناعم للمحوم والمزكوم ، ملين .

قال أبو عمر رضى الله عنه : دخلت على الشيخ أبي الوليد بن عباد ،
عائداً له من بطن كان يشكوه قد اشتد عليه ، فوجدته قد أخذ شيئاً^(١) من
حسو^(٢) ، فقلت له : يا سيدى ما لصاحب البطن والحسو ؟ فقال : شىء
تاقت نفسى إليه ، وسئمت أكل الجامد واليابس ، فانصرفت من عنده ،
ثم كتبت إليه :

يَا سَلِيلَ الْكَرَامِ مِنْ آلِ لَخْمٍ	وَأَخَا الرَّأْيِ وَالذَّهَاءِ وَالْوَفَاءِ
إِنَّ لِي مِنْ سِقَامِ جِسْمِكَ سُقْمًا	ثَابِتًا فِي الْفُؤَادِ وَالْأَحْشَاءِ
وَبَقْلِي مِمَّا بِجِسْمِكَ ضِعْفٌ	لِلَّذِي تَشْتَكِي مِنَ الْأَذْوَاءِ
وَبُودِي لَوْ كُنْتُ عَنْكَ فِدَاءً	بَدَلًا عِنْدَ هَجْمَةِ الضَّرَاءِ
فَاقْبَلِ النَّصِيحَ سَيِّدِي وَاسْمَعْ الْقَوْلَ	لَ فَإِنِّي أَخْكِي عَنِ الْحُكْمَاءِ
لَا يُدَاوِي الْإِسْهَالَ بِالْإِحْتِسَاءِ ^(٢)	لَا وَلَا بِالْأَمْرَاقِ وَالْبَاقِلَاءِ
إِنَّمَا الطَّبُّ طَرْدُكَ الضُّدَّ بِالضُّدِّ	وَدَفْعُ الْأَهْوَاءِ بِالْإِحْتِمَاءِ
حَسْمُ ذَا الدَّاءِ مَا كَانَ قُوْتًا	يَأْلَفُ الطَّبْعُ فِي قَوَامِ الْغِذَاءِ
وَعَلَيْكَ الدُّعَاءُ فَاللَّهُ يَشْفِي	لَيْسَ شَافٍ سِوَاهُ مِنْ كُلِّ دَاءٍ
نَعَمْ عَوْنُ الْعَلِيلِ تَوْبَةُ صِدْقٍ	وَكَذَا الْبِرُّ جَالِبٌ لِلشِّفَاءِ
وَسَلَامٌ عَلَيْكَ مِنِّي دَائِبًا	مَا جَرَى الدَّمْعُ قَاطِعًا لِلشَّجَاءِ

(١) : ساقط من ب.

(٢) : بالحسو لالا .

ولمنصور الفقيه أيضا :

يَا شَرِيفًا طَيِّبًا^(١) أَمَّا لِي عَنْهُ النَّصِيحَ بِذَعَةٍ
 لَوْ مَطَلَتِ النَّفْسَ بِالْفَرُو^(٢) جَ بَعْدَ الْيَوْمِ مُجْمَعَةٍ
 لَمْ تَمُتْ هَمًّا وَلَمْ تَذُ^(٣) مِمَّ بِكَ الْحُمَى بِسُرْعَةٍ
 فَاحْتَرِسْ بَعْدُ فَحَسْبُ الْا^(٤) مَرَّةً أَنْ يُخْدَعَ خِدْعَةً

(١) ب : يا شريفا طيب. شريفا : يا شريف طيب.

(٢) ب : بالفروح .

(٣) ١ : تلزمك .

بابُ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ

قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ^(١) . وقيل في تأويل أولى الأمر قولان : أحدهما ، أمراء السرايا كان يرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآخر العلماء .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا طاعة إلا في معروف ، ومن أمر بمعصية فلا طاعة له » .

قال عبد الله بن مسعود في قول الله عز وجل : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ ^(٢) : أن يطاع فلا يُعصى ، ويُشكر فلا يُكفر ، ويذكر فلا يُنسى .

وقال قتادة ، مثل ذلك ، وزاد عليها ^(٣) : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ^(٤) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عز وجل : يا ابن آدم ! ما أنصفتني أتَحَبَّبَ إليك بالنِّعم ، وتَبَفَّضَ إليَّ بالمعاصي ، خيري إليك نازل ، وشركك إليَّ صاعد ، كم ^(٥) من ملك كريم يصعد إليَّ منك بعمل قبيح » .

(١) سورة النساء آية ٥٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٠٢ .

(٣) ١ : ونسختها :

(٤) سورة التغابن ١٦ .

(٥) ساقط من ب .

قال الهلالي : من لم يصلح على أدب الله لم يصلح على اختياره لنفسه ، ومن تعزز بمعصية الله ، أذاقه الله ذلاً بحق .

قال علي بن عبد الله بن عباس : من لم يجد نقص الجمل في عقله ، وذل المعصية في قلبه ، ولم يستتب موضع الخل من لسانه عند كلال حده ، فليس ممن يرغب عن ذنبه ، ولا ينزع عن حال معجزة ، ولا يكثر لفضل ما بين حجة وشبهة .

قال جعفر بن محمد : من نقله الله عز وجل من ذل المعاصي إلى عز الطاعة أغناه بلا مال ، وآنسه بلا أنيس ، وأعزه بلا عشيرة .

أخذه محمود الوراق ، فقال :

هَآكَ (١) الدَّلِيلَ لِمَن أَرَا دَ غِنَى يَدُومُ بَغِيرِ مَالٍ
وَأَرَادَ عِزًّا لَمْ تُوَطَّ ذُهُ الْعِشَائِرِ بِالْقِتَالِ
وَمَهَابَةً مِّنْ غَيْرِ سُدَّ طَانٍ وَجَاهًا فِي الرِّجَالِ
فَلْيَعْتَصِمْ بِدُخُولِهِ فِي عِزِّ طَاعَةِ ذِي الْجَلَالِ
وُخُرُوجِهِ مِنْ ذِلَّةِ الْ مَاصِي لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ

قال الحسن : لا يترك توطيهم رقاب المسلمين ، وإن هملجت (٢) بهم خيولهم ورفرت (٣) بهم ركابهم ، إن ذل المعصية في قلوبهم ، أبي الله إلا أن يذل من عصاه .

(١) ١ : فأن ، م : ها أأ .

(٢) هملجت : ذك واقادت .

(٣) ١ : دفرت .

كان يقال : من أحببك نهاك ، ومن أبغضك أغراك .

قال العتيبي : خطب يزيد بن الوليد فأوجز ، وقال : أيها الناس ! الأمر أمر الله ، والطاعة طاعة الله ، فأطيعوني بطاعته ما أطعت الله ، يغفر الله لي ولكم .

قالت هند : الطاعة مقرونة بالمحبة ، فالطبيع محبوب ، وإن نأت داره ، وقلّت آثاره ، والمعصية مقرونة بالبغضة ، فالعاصي ممقوت ، وإن مسّتك رحمته ، ونالك معروفه .

كتب ابن السّمّاك إلى أخ له : أفضل العبادة الإمساك عن المعصية ، والوقوف عند الشبهة ، وأقبح الرغبة أن تطلب الدنيا بعمل الآخرة ، وقاله سفيان بن عيينة . ذكر إبليس عند أبي حاتم ، فقال : وما إبليس ! فوالله لقد عصى فما ضرّ ، وأطيع فما نفع .

قال محمود الوراق ، وتنسب إلى الشافعي :

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تَظْهَرُ حُبَّهُ هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لِأَطَاعَتِهِ إِنْ الْمُحِبِّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْتَغِيكَ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ وَأَنْتَ لِشُكْرِ ذَاكَ مُضِيعُ^(١)

وقال إسحاق الموصلي :

الْمُلْكُ وَالْعِزُّ وَالْمُرُوءَةُ وَالْفِطْرَةُ^(٢) وَالنَّهْلُ وَالْيَسَارُ مَعَا

(١) التمثيل والمحاضرة ١٢ ، الكامل ٢٣٤/١ ، العقد الفريد ٢١٥/٣ ، وتنسب أيضاً لذي الرمة ، زيادات الديوان ٦٧٠ .
(٢) ساطعة من ب .

مَجْتَمَعَاتٌ فِي طَاعَةِ الْعَبْدِ ^(١) لِأَنَّ
وَاللَّوْمُ وَالذُّكُّ وَالضَّرَاعَةُ وَالْأُذُنُ
إِذَا الْعَبْدُ أَعْمَلَ الْوَرَعَ

وَقَالَ أَبُو الْمَتَاهِيَةِ :

أَرَاكَ أَمْرًا تَرْجُو مِنْ اللَّهِ عَفْوَهُ
لِحَقِّي مَتَى تَعَصِي وَيَعْفُو ^(٢) إِلَى مَتَى
وَأَنْتَ عَلَى مَا لَا يُحِبُّ مُقِيمٌ
تُبَارِكُ رَبِّي إِنَّهُ لَرَحِيمٌ ^(٣)

وَلَهُ أَيْضًا :

أَطِيعِ اللَّهَ بِجَهْدِكَ
أَعْطِ مَوْلَاكَ كَمَا تَطُ
صَادِقًا أَوْ بَعْضَ جَهْدِكَ
لُبُّ مِنْ طَاعَةِ عَبْدِكَ ^(٤)

(١) انظر البيهقي الأولين في المختار من شعر بشار ٢١٩ من غير نسبة .

(٢) ا : و تهنو .

(٣) ديوانه ٢٤٢ .

(٤) ديوانه ٨٦ .

بَابُ الْقِيَّةِ وَالنَّمِيمَةِ

قال الله عز وجل : ﴿ وَبَلَّغْ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ ^(١) ، قال مجاهد : هو الطعان
الآكل لحوم الناس .

قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ ^(٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل
الإيمان قلبه ، لا تفتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عورات المسلمين
يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه وهو في بيته » .

قال عمر بن الخطاب : من أدى الأمانة ، وكف عن أعراض المسلمين ،
فهو الرجل .

وقع بين سعد وخاله كلام ، فذهب رجل يقع في خالد عند سعد ، فقال سعد :
مه ، إن ما بيننا لم يبلغ ديننا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قلت في أخيك ما فيه مما يكره
فقد اغتبتته ، وإن قلت فيه ما ليس فيه فذلك البهتان » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كف عن أعراض المسلمين لسانه
أقاله الله يوم القيامة عثرته » .

(١) سورة الممتزة آية ١ .

(٢) سورة المجرات آية ١٢

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شراركم أيها الناس : المشاءون بالغيمة ،
المفروقون بين الأحبة ، الباغون لأهل البر العثرات » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا غيبة فيهم : الفاسق المعان بفسقه ،
وشارب الخمر ، والسُّلطان الجائر » .

قال رجل لابن سيرين : إني وقعت فيك ، فاجعلني في حلّ ، قال : لا أحب أن
أحل لك ما حرم الله عليك .

قال رجل للحسن البصري : إني اغتبت فلاناً وإني أريد أن أستحله ، فقال :
لم يكفك أن اغتبه حتى تريد أن تبتهه .

قال ابن عباد الصاحب :

احْذَرِ الْغَيْبَةَ فَهِيَ الْفِسْقُ لَا رُخْصَةَ فِيهِ

إِنَّمَا الْمُغْتَابُ كَالْأَكْلِ مِنْ لَحْمِ أَخِيهِ^(١)

قال حذيفة : كفارة من اغتبه أن تستغفر له .

قال عبد الله بن المبارك لسفيان بن عيينة : التوبة من الغيبة أن تستغفر

لمن اغتبه ، قال سفيان : بل تستغفره مما قلت فيه : قال ابن المبارك : لا تؤذيه
مرتين .

قال عدى بن حاتم : الغيبة مرعى اللثام .

قال أبو العتاهية : الصائم في عبادة ما لم يغتب .

قال ابن مُحَيْرِيز : ما مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ تُجَدَّهَ مِنَ الرَّجُلِ - وَإِنْ أَعْجَبَكَ -
من النِّفْيَةِ .

قال أبو حاتم : أَرْبَحُ التَّجَارَةِ ذَكَرُ اللَّهِ ، وَأَخْسَرُ التَّجَارَةِ ذَكَرُ النَّاسِ .

قال الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ : ذَكَرُ النَّاسِ دَاءٌ ، وَذَكَرُ اللَّهِ شِفَاءٌ .

سمع قَتِيبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ رَجُلًا يَفْتَابُ آخَرَ ، فَقَالَ : لَقَدْ مَضَنْتَ مَضْنَةً طَالَمَا
لَفِظَهَا الْكَرَامُ .

سمع أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا يَقَعُ فِي النَّاسِ ، فَقَالَ : قَدْ اسْتَدَلَلْتُ عَلَى عَيُوبِكَ بِكَثْرَةٍ
ذَكَرَكَ لِعَيُوبِ النَّاسِ ، لِأَنَّ الطَّالِبَ لَهَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا .
قال الشاعر :

وَيَأْخُذُ عَيْبَ النَّاسِ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ مُرَادٌ لَعَمْرِي مَا أَرَادَ قَرِيبٌ^(١)
وقال آخر :

وَأَجْرًا مِنْ رَأَيْتَ بَظْهَرِ غَيْبٍ عَلَى عَيْبِ الرُّجَالِ أَخُو الْعِيُوبِ^(٢)
وقال آخر :

فَكُلَّ عِيَابٍ لَهُ مَنَظَرٌ مُشْتَمِلٌ الثُّوبَ عَلَى عَيْبٍ^(٣)

(١) البيت للمستورد الغارجي كما في الكامل ٢٦٧/٢ ، وانظره في التمثيل والمحاورة ٤٥٦ ، زهر الآداب

٦٠/٣ .

(٢) معجم الأدياء ٢٧/١١ . والكامل ١٥١/٢ ، البيان والتبيين ٧٥/١ .

(٣) التمثيل والمحاورة ٨٥ ، وفيها : رب عياب .. ، البيان والتبيين ٧٥/١ .

كان يقال : ظلم منك لأخيك أن تقول أسوأ ما تعلم فيه .

قال أبو عاصم النبيل : لا يذكر الناس بما يكرهون إلا سفلة لا دين له .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارعَوْن^(١) » عن ذكر الفاسق بما فيه يعرفه الناس .

قال الحجاج بن الفُرافِصَة^(٢) : قلت لمجاهد : الرجل يكون وقاعاً في الناس ، فأقع فيه ، أله غيبة ؟ قال : لا . قلت : من ذا الذي تحرّم غيبته ؟ قال : رجلٌ خفيفُ الظّهر من دماء المُسلمين ، خيمص^(٣) البطن من أموالهم ، أخرسُ اللسان عن أعراضهم ، فهذا حرامُ الميبة ، ومن كان سوى ذلك فلا حرمة له ، ولا غيبة فيه .

قال رجل لمعرو بن عُبيد : إني لأرحمك مما يقول الناسُ فيك . قال : فما تسميني أقول فيهم ؟ قال : ما سمعتك تقول إلا خيراً . قال : إياهم فارحم .

قال عُتْبة بن أبي سفيان لابنه^(٤) عمرو : يا بُنَيَّ ! نزه نفسك عن الخنا ، كما تنزه لسانك عن البذاء ، فإن المستمع شريك القائل .

وهذا عندي مأخوذ من قول كعب بن زهير :

إن كنت لا ترهبُ عن ذمّي لما : تعرف من صفحي عن الجاهل .

(١) : أترغبون .

(٢) : يوسف ، وهو تحريف .

(٣) ب : خفيف .

(٤) ب : لأبيه .

فَاخْشَ سُكُوتِي إِذْ أَنَا مُنْصِتٌ فِيكَ يَسْمُوعُ خَنَا الْقَائِلِ
 فَالَسَّامِعُ الذَّمَّ شَرِيكَ لَهُ وَمُطْعِمُ الْمَأْكُولِ كَالْأَكْلِ
 مَقَالَةُ الشُّوْءِ إِلَى أَهْلِهَا أَنْتَرَعُ مِنْ مُنْجِدٍ سَائِلِ
 وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
 فَلَا تَهْجُ إِنِّ كُنْتُ ذَا رِيْبَةٍ حَرْبَ أَخِي التَّجْرِبَةِ الْعَاقِلِ
 فَإِنَّ ذَا الْعَقْلِ إِذَا هِجَّتْهُ هِجَّتَ بِهِ ذَا حَبْلِ حَابِلِ
 يَبْصُرُ فِي عَاجِلِ شِدَاتِهِ عَلَيْكَ نَغِبُ الضَّرَرِ الْآجِلِ^(١)

ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

فَلَوْ شِئْتُ أَدْلَى^(٢) فَيْكَمَا غَيْرُ وَاحِدٍ عَلَانِيَةً أَوْ قَالَ عِنْدِي فِي السَّرِّ
 فَإِنَّ أَنَا لَمْ أَمُرْ وَلَمْ أَنَّهُ عَائِبًا ضَحِكْتُ لَهُ حَتَّى يَلْبِغَ وَيَسْتَشْرِى^(٣)

ومن هذا أيضاً قول محمود الوراق :

تَحَرَّ مِنْ الطَّرْقِ أَوْ سَاطِعًا وَعَدَّ عَنِ الْجَانِبِ^(٤) الْمُشْتَبَهَ
 وَسَمِعَكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ الْقَبِيْ سِجْ كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِ^(٥) بِهِ
 فَإِنَّكَ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْقَبِيْ سِجْ شَرِيكَ لِقَائِلِهِ^(٦) فَا نَقَبَهُ

(١) ديوانه ١٢٤ ، المقدم ٢/٤٤٤ .

(٢) ب : أذنى .

(٣) البيتان مع أبيات أخرى في عيون الأخبار ١/٢٧٢ ، البيان ١/١٦٨ .

(٤) ب : الموضع .

(٥) ١ : القول .

(٦) ليست هذه الأبيات في معجم الأدباء ١٠/١٦٣ إلى الحسين بن محمد النواحي المعري المتولى - سنة ٤٠٠ هـ .

قالت الحكماء : حسبك من شرِّ سماعه .

قال الله عز وجل : ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَالُونَ لِّلشُّعْثِ ﴾ ^(١) .

قال عبد الله بن عباس رضى الله عنه ، قال لى أبى : إني أرى أمير المؤمنين - يعني عمر - يُدْنِيكَ وَيَقْرُبُكَ ، فاحفظ عني ثلاثاً : إياك أن يجرب عليك كذبة ، وإياك أن تُفشي له سراً ، وإياك أن تغتابَ عنده أحداً ، ثم قال : يا عبد الله ! ثلاثاً وأى ثلاث . فقال له رجل : يا ابن عباس ! كلُّ واحدةٍ خير من ألف . فقال : بل كلُّ واحدةٍ خير من عشرة آلاف .

قال عبد الصمد بن المعتز :

قَدْ هَجَرْنَا مَجْلِسَ الْغِيَةِ هِجْرَانِ الثَّقَالِ ^(٢)
 أَلْفَتُهُ عَصْبَةُ نَوْ كَى لِقِيلٍ وَلِقَالِ
 رَبِّ مَنْ يَشْجِيهِ ذَكَرَى ^(٣) وَهُوَ لَا يَجْرِي بِبَالِي
 قَلْبُهُ مَلَأَتْ مِنْ خَوْ فِي وَقَلْبِي مِنْهُ خَالِ ^(٤)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فلا يرفع إلينا عورة مسلم » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة قتات ^(٥) » .

(١) سورة المائدة : ٤٢ .

(٢) ب : الثقال .

(٣) ب : أرى .

(٤) محاضرات الأدباء ١/ ١٢٣ ، ١٨٨ .

(٥) القتات : النمام أو الذى يسمع حديث الناس من حيث لا يعلمون .

وقال عليه السلام : « إياك ومهلك الثلاثة » قيل : وما مُهلك الثلاثة ؟ قال :
« رجل سعى بأخيه المسلم فقتله ، فأهلك نفسه وأخاه وسلطانَه » .

وقالوا : قبول السَّعاية شرٌّ من السَّعاية ، لأن السَّعاية دَلالة والقبول إجازة .
قال يحيى بن أبي كثير : يُفسد النَّعام والكذابُ في ساعة ما لا يفسد السَّاجر
في سنة^(١) .

قال سابق :

إِذَا الْوَاشِي بَغَى يَوْمًا صَدِيقًا فَلَا تَدَعِ الصَّدِيقَ لِقَوْلِ وَاشٍ^(٢)
وقول سابق هذا — والله أعلم — أخذه من قول معاذ بن جبل في قوله : إذا
كان لك أخ في الله فلا تماره ، ولا تسمع فيه من أحد ، فربما قال لك ما ليس فيه فخال
بينك وبينه .

تنقّص ابن عامر بن عبد الله بن الزبير على بن أبي طالب ، فقال له أبوه : مهلا
يا بني لا تنقّصه ، فإن بني مروان شتموه ستين سنة ، فلم يزد الله بذلك إلا رفعة ،
وإن الدين لم يبن شيئا فهدمته الدنيا ، وإن الدنيا لم تبن شيئا إلا عادت على
ما بنت فهدمته .

كان يقال : المعرض بالناس اتقى صاحبه ، ولم يتق ربه .

قال الفرزدق :

تَصَرَّم عَنِّي وَدَّ بَكْرٍ بِنِ وَائِلٍ وَمَا خِلْتُ عَنِّي وَدَّهْمُ يَتَصَرَّمُ

(١) ب : يوم .

(٢) عيون الأخبار ٢/٢٠ ، العقد الفريد ٢/٢٣٣ .

قوارصُ تأتيَنِي وَتَحْتَقِرُونَهَا وَقَدْ يَمْلَأُ الْقَطْرُ الْإِنَاءَ قَيْقُمٌ^(١)

وقال يزيد بن الحكم الثقفي :

تُكَاشِرُ^(٢) مَنْ لَافَيْتَ لِي ذَا عَدَاوَةٍ وَأَنْتَ صَدِيقِي لَيْسَ ذَاكَ بِمُسْتَوِيٍّ
بَدَأَ مِنْكَ غِشٌّ طَالَمَا قَدْ كَثُمَتُهُ كَمَا كَثُمْتَ دَاءَ ابْنِهَا أَمْ مُدْوِيٍّ
جَمَعْتَ وَفُحْشًا غِييَّةً وَنَمِيَّةً ثَلَاثَ خِلَالٍ لَسْتُ عَنْهَا بِمُرْعَوِيٍّ^(٣)

وقال زياد الأعجم :

إِذَا لَقَيْتُكَ تُبْدِي لِي مَكَاشِرَةً وَإِنْ أَعِيبُ فَأَنْتَ الْهَامِزُ اللَّمَزَةُ
مَا كُنْتُ أَخْشَى وَإِنْ طَالَ^(٤) الزَّمَانُ بِهِ حَيْفٌ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَغْتَابَنِي مُعْزَمَةٌ

وقال منصور الفقيه :

هَبْنِي تَحَرَّزْتُ مِمَّنْ يَنْمُ بِالْكِتْمَانِ
فَكَيْفَ لِي بِاخْتِرَاسٍ مِنْ قَاتِلِ الْبَهْتَانِ

وقال أيضاً :

لِي حِيلَةٌ فِيمَنْ يَنْمُ وَلَيْسَ فِي السَّكَذَّابِ حِيلَةٌ
مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقُولُ لُحَيْلَتِي فِيهِ قَلِيلُهُ^(٥)

(١) ديوانه ٧٥٦ ، وفيه : وما خلت باقى ودما يتصرم ، وفيه أيضاً : فتحتقرونها ، والقطر الآتي بدل الإناء ، وانظر حساسة البهري ٢٠٧ ، وفيه : وما كاد غنى ودحم .

(٢) كاشره : ضحك لآليه وباسطه .

(٣) محاسرات الأدباء ٦١/١ ، عيون الأخبار ١٢/٢ ، وانظر الأغاني ٢٩٦/١٢ ، حساسة البهري ٢٨١ ، وفيها : نصاب مكان تكاشر وستأتى الآيات مع زيادة فيما يلي س ٤١٠ .

(٤) ب : يطل .

(٥) نسب البيتان في المستطرف ١٠/٢ إلى محمود بن أبي الجنوب ، وهى للفقيه كما ذكر حسا ، وفى معجم

الأدباء ١٩٠/١٩ .

قال موسى عليه السلام : يا ربّ إن الناس يقولون فيّ ما لبس فيّ ،
 (١) فاجعلهم يا ربّ يقولون فيما فيّ (١) . فأوحى الله تعالى إليه : يا موسى لم أجعل
 ذلك لنفسى ، فكيف أجعله لك .

قال المسيح عليه السلام : لا يُخزِيكَ قولُ الناس فيك ، فإن كان كاذباً
 كانت حسنة لم تعملها ، وإن كان صادقاً كانت سيئة (٢) مجلت عقوبتها .

(١) - اقط من ب .

(٢) ب : سيئاً .

بَابُ الْبَغْيِ وَالْحَسَدِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من ذنبٍ هو أجدَرُ أن يعجِّلَ اللهُ لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة ، من البغْيِ وقطيعة الرحم . »

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا حسدتم فلا تبغُوا ، وإذا ظننتم فلا تتحققوا ، وإذا تطيرتم فامضوا ، وعلى الله فتوكلوا » .

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاثةٌ لا يكاد يسلمُ منهم أحدٌ : الطَّيْرَةُ^(١) والحَسَدُ والظَّنُّ » . قيل : فما المخرجُ منهم يا رسولَ الله ؟ قال : « إذا تطيرتَ فلا ترجع ، وإذا حسدتَ فلا تبغ ، وإذا ظننتَ فلا تحقق » .

روى عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه قال : لو بنى جبلٌ على جبلٍ ، لُدَّ الباغِيُ منهما .

أخذه الشاعر فقال :

وَلَوْ بَنَى جَبَلٌ يَوْمًا عَلَى جَبَلٍ لَدُكَّ مِنْهُ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ

وقال آخر :

ذَرِ الْبَغْيَ إِنَّ الْبَغْيَ مُوبِقٌ أَهْلِهِ وَلَمْ يَمِدْمِ الْبَاغِيُ مِنَ النَّاسِ مَصْرَعًا

قال ممر بن الخطَّاب : ما كانت على أحدٍ نعمةٌ إلَّا كان لها حاسدٌ ، ولو كان الرجلُ أقومَ من القدحِ لو جد له غامزًا .

(١) هي ما ينشام به من القال الرديء .

قال ابن مسعود : لا تعادوا نعم الله عز وجل . قيل : ومن يُعادي نعم الله ؟
قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .

قال الحسن البصري : ليس أحد من خلق الله إلا وقد جعل معه الحسد ، ومن لم يجاوز ذلك إلى البغى والظلم لم يتبعه منه شيء .

وعن أنس بن مالك أنه مرّ على ديار خربة خاوية ، قال : هذه أهلكها وأهلك
أهلها البغى والحسد ، إن الحسد ليطن نور الحسنات ، والبغى يصدّق ذلك أو
يكذّبه ، فإذا حسدتُم فلا تبغوا .

قيل للحسن : يا أبا سعيد ! أيحسد المؤمن ؟ قال : لا أم لك ! أنسيت
إخوة يوسف .

قال بعض الحكماء : البغى من فروع الحسد ، وأقدم الناس على البغى من جهل
المعرفة بسرعة نصر الله لمن بغى عليه .

وقالوا : ثلاثة حادثة على فاعلها : البغى والمكر والنكث^(١) .

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾^(٢) ، وقال : ﴿ وَلَا يَحِيقُ
الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾^(٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى
نَفْسِهِ ﴾^(٤) .

(١) النكث بالكسر : نقض العهد .

(٢) سورة يونس آية : ٢٣ .

(٣) سورة فاطر آية : ٤٣ .

(٤) سورة الفتح آية : ١٠ .

وقال يزيد بن الحَكَم :

إِنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَهْجُ بِهِ ^(١) الْعَظِيمُ
وَالْبَغْيُ يَصْرَعُ أَهْلَهُ وَالظُّلْمُ مَرَاتِمُهُ وَخِيمُ ^(٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حسدَ إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحسد يأكل الحسنات ، كما تأكل النار الحطب » . وقد ذكرنا كثيرا من الآثار المرفوعة وغيرها في الحسد عند قوله عليه السلام : « لا تحاسدوا » في كتاب « التمهيد » ، بما فيه كفاية والحمد لله .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى المؤمنين أفضل ؟ قال : « المؤمن النقي ^(٣) القلب ، ليس فيه غل ولا حسد ^(٤) » .

كان يقال : أقبح الأشياء بالسلطان اللجاج ، وبالحكام الضجر ، وبالفقهاء سخافة الدين ، وبالعلماء إفراط الحرص ، وبالمقاتلة الجبن ^(٥) ، وبالأغنياء البخل ، وبالفقراء الكبر ، وبالشباب الكسل ، وبالشيوخ المزاح ، وبجماعة الناس التباغض والحسد .

(١) ا : يهاج له .

(٢) البيتان في حسنة أبي تمام ٤٢/٢ ، حسنة البغوى ٢٠٨ ، حضرات الأدباء ٧٦/٢ .

(٣) ب : المحموم .

(٤) ب : لأحد .

(٥) ب : الخفي .

كان يقال : كادت الفاقة تكون كفرًا ، وكاد الحسد يغلب القدر ، والمهم نصف الهرم ، والفقر الموت الأكبر .

قال علي بن أبي طالب في خطبة خطبها على المنبر بالكوفة : مالنا ولقريش ؟ بلى . لنا ولهم ، إن الله فضلنا فأدخلهم في فضلنا .

قال علي بن أبي طالب ، قال إبليس لجنوده : ألقوا بين الناس التحاسد والبنى ، فإنهما يعدلان الشرك .

كان يقال : أول ما عُصِيَ الله به في السماء والأرض^(١) الحسد والحرص . ذهبوا إلى أن إبليس حسد آدم فلم يسجد له ، وحرص آدم على الخلود فأكل من الشجرة ، وحسد ابن آدم أخاه حين تُقْبَلُ منه قربانه فقتله

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « احذروا ثلاثًا : الحرص فإنه أخرج آدم من الجنة ، والكبر فإنه حطَّ إبليس عن مرتبته ، والحسد فإنه دعا ابن آدم إلى قتل أخيه » .

قال عمر بن أبي ربيعة :

وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ^(٢)

قال سابق :

جَنَى الضَّغَائِنَ آبَاءَ لَنَا سَدَفُوا فَلَئِنْ تَبَيَّدَ وَلَلْآبَاءُ أَبْنَاءُ^(٣)

(١) ساقطة من ب .

(٢) ديوانه ١١٦/١ . وصدر البيت :

حسد حلته من أجلها

(٣) المستطرف ٢٥٠/١ ، وفيه سنن بدل جنى ، وفي مجموعة المعاني ٦٥ : أحياء ، وقد تردد في نسبتها

هناك بين قيس بن عاصم ، وسابق البربري ، واسب في حاسة البحري ١٨ لطريف بن ديسق التميمي .

قال أبو الدرداء : مكتوب في التوراة : إن أحسد الناس لعالم وأبغاهم عليه
قرايته وجيرانه.

كان يقال : الحسد في الجيران ، والعداوة في الأقارب .

قال ثُمَامَةُ بْنُ الْأَشْرَسِ (١) في أحمد بن خالد :

أَفَكْرُ مَا ذَنَّبِي لَدَيْكَ فَلَا أَرَى عَلَى سَبِيلَا غَيْرَ أَنَّكَ حَاسِدٌ
وَلَنَا لَمَوْسُومَانِ كُلُّ بَسِيمَةٍ أَقْرَ مُقَرَّرٍ أَوْ أَبِي ذَاكَ جَاهِدُ

قال بكر بن عبد الله المزني : حَظُّكَ مِنَ الْبَاغِي حَسَنُ الْمَكَاشِرَةِ ، وَذَنْبُكَ إِلَى
الْحَاسِدِ دَوَامُ النِّعْمَةِ .

قال الحُسَيْنُ الْخَلِيعُ :

مَا لِلْحَسُودِ وَأَشْيَاعِهِ وَمَنْ كَذَبَ الْحَقُّ إِلَّا الْحَجَرُ

قال عبد الله بن المقفع : إن الحسد خُلُقٌ دَنِيءٌ ، وَمِنْ دَنَاءَتِهِ أَنَّهُ مُوَكَّلٌ
بِالْأَدْنَى فَالْأَدْنَى .

قال يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ الثَّقَفِيُّ :

تَكَاشَرْنِي كُرْهًا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ قَلْبَكَ لِي دَوِي (٢)
بَدَا مِنْكَ عَيْبٌ طَالَمَا قَدْ كَتَمْتَهُ كَمَا كَتَمْتَ دَاءَ ابْنِهَا أُمُّ مَدَوِي (٣)

(١) ساقطة من ب .

(٢) كاشره : ضاحكه وباسطه ، ودوى كفرح : مرض ، ويقال : إنه لداء الصدر لحسب .

(٣) ادوى : أكل الدواية ، وهي جلدة رقيقة تملأ اللبن والمرق ، وأم مدوى خاطبة من الأعراب خطبت
على ابنها جارية ، فجاءت أمها إلى أم الغلام لتنظر إليه ، فدخل الغلام فقال : أأدوى يا أمي ؟ فقالت : اللجام معلق
بعمود البيت . أرادت بذلك كتمان زلة الابن وسوء عاداته ، وأرتها أنه يقصد إلى السهر في الدو وهي الفلاة
الواسعة

لِسَانُكَ مَاذِي^(١) وَقَلْبُكَ عَظِيمٌ
تَمَلَّاتُ مِنْ غَيْظٍ عَلَيَّ فَلَمْ يَزَلْ
وَمَا بَرَحْتَ نَفْسُ حَسُودٍ حُشِيَّتَهَا
وَقَالَ النَّطَاسِيُّونَ إِنَّكَ مُشْعَرٌ
أَرَاكَ إِذَا لَمْ أَهْوِ أَمْرًا هَوِيَّتُهُ
وَكَمْ مَوْطِنٍ لَوْلَايَ طِخْتُ كَمَا هَوَى
عَدُوُّكَ يَخْشَى صَوْلَتِي إِنْ لَقِيْتُهُ

وَشَرُّكَ مَبْسُوطٌ وَخَيْرُكَ مُنْطَوِي
بِكَ الْغَيْظُ حَتَّى كَدْتَ بِالْغَيْظِ نَشْتَوِي
تَذِيْبُكَ حَتَّى قِيلَ : هَلْ أَنْتَ مَكْتَوِي
سَلَالًا . أَلَا بَلْ أَنْتَ مِنْ حَسَدٍ جَوِي^(٢)
وَلَسْتَ لَمَّا أَهْوَى مِنْ الْأَمْرِ بِالْهَوَى
بِأَجْرَامِهِ مِنْ قُلَّةِ النَّيْقِ مُنْهَوِي^(٣)
وَأَنْتَ عَدُوِّي لَيْسَ ذَلِكَ بِمُسْتَوِي^(٤)

وفي رواية أخرى :

تَصَافَحُ مِنَ الْفَيْتِ لِي ذَا عَدَاوَةٍ
وَأَنْتَ صَدِيقِي لَيْسَ ذَلِكَ بِمُسْتَوِي

قال ابن المعتز :

مَا عَابَنِي إِلَّا الْحَسُودُ
وَالْخَيْرُ وَالْحَسَادُ مَّةٌ
وَإِذَا مَلَكَتُ الْمَجْدَ لَمْ
دُ وَتَلَكَ مِنْ خَيْرِ الْمَعَايِبِ
رُونَانٍ إِنْ ذَهَبُوا فَذَاهِبِ
أَمْلِكُ مَذَمَّاتِ الْأَقَارِبِ

(١) الماذي : غسل الجهل .

(٢) جوى : مريض بصدوره .

(٣) طخت : طاح يططح ويطوح : هلك . هوى وانهى : سقط . الأجرام : جمع جرم وهو الجسم .
القلة : أعلى الجبل . النيق : أرفع موضع في الجبل .

(٤) انظر الآيات مع اختلاف في روايتها في الأغاني ٢٩٦/١٢ . وانظر بعضها في معاضرات الأدباء ٦١/١ ،
عيون الأخبار ١٢/٢ ، حسانة البحري ٢٢٨ ، ورواية البيت الأخير فيها :
تود عدوى ثم تزعم أنني صديقك ليس الفعل منك بمستوى

وَإِذَا فَقَدْتُ الْحَاسِدِ نَفَقَدْتُ فِي الدُّنْيَا الْمَطَايِبَ^(١)

وَأَنشُدُ ابْنَ عَائِشَةَ :

خَلِيلِي إِنِّي لِلثَّرِيَا لِحَاسِدُ وَإِنِّي عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ لَوَاجِدُ
أَجْمَعُ مِنْهَا شَمْلَهَا وَهِيَ سَبْعَةٌ^(٢) وَأَفْقِدُ مِنْ أَحْبَبَّتِهِ وَهُوَ وَاحِدٌ^(٣)

وَقَالَ سُؤَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ :

كَيْفَ تَرْجُونَ سَقُوطِي بَعْدَمَا عَمَّمَ الرَّأْسَ بَيَاضٌ وَصَلَعَ
بَنَسَ مَا ظَنُّوا وَقَدْ عَرَفْتُهُمْ عِنْدَ غَايَاتِ الْمَدَى كَيْفَ أَقَعَ
رَبِّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيْظًا صَدْرَهُ قَدْ تَعَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَ
وَيَرَانِي كَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ عَسِرًا تَخْرَجُهُ مَا يُنْتَزَعُ
مُزِيدًا يَخْطُرُ مَا لَمْ يَرِنِي إِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِي انْفَقَعَ
لَمْ يَضُرَّنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِي فَهُوَ يَزُقُّو مِثْلَ مَا يَزُقُّو الضُّوعُ
وَيُحْيِيَنِي إِذَا لَأَقَيْتُهُ وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعَ
قَدْ كَفَانِي اللَّهُ مَا فِي نَفْسِهِ وَإِذَا مَا يَكْفِي شَيْثًا لَمْ يُضَعْ^(٤)

(١) يروى : المُنَاقِبُ بدل المَطَايِبَ ، وَالْهَجْدُ بدل الْحَيْرِ ، وَمَوَدَاتُ بدل مَذَمَاتُ ، وَالْأَطَايِبُ بدل الْمَطَايِبِ .
وَاطْلُقِ الْآيَاتِ فِي دِيْوَانِهِ ٢٥٦ ، الْمُخْتَارُ مِنْ شُعْرِ بَشَارٍ ٦٩ ٦ محاضرات الأدباء ١٢٠/١ ، ٢١٤ .

(٢) ١ : أَيْبَى جَمِيعًا شَمْلَهَا وَهِيَ سَبْعَةٌ .

(٣) هِيَ لِلْمُهَلَّبِيِّ الْوَزِيرِ ، اظْهَرَ التَّنْثِيلَ وَالْمَحَاضِرَةَ ٢٣٤ .

(٤) يروى : سَقَطَى ، وَجَلَّ بدل عَمَّ وَقَلْبُهُ مَكَانَ صَدْرِهِ ، وَانْقَمَعَ مَكَانَ انْفَقَعَ .

الْمَزِيدُ الَّذِي مَلَأَ فِيهِ الزُّبْدُ مِنَ الْحَدِيثِ الْعَالِي ، يَخْطُرُ : يَتَبَخَّرُ . يَزُقُّو : يَصِيغُ ، الضُّوعُ : ذِكْرُ الْيَوْمِ .
وَاطْلُقِ الْآيَاتِ مَا عَدَا الثَّانِي فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ ١٠/٢ ، الشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ ٣٨٨ .

وقال أبو الأسود الدؤلي ، ويقال إنها للعرزمي :

تَلَقَى اللَّيْبَ مُحْسَدًا لَمْ يَجْتَرِمِ شَتَمَ الرِّجَالِ وَعِرْضُهُ مَشْتُومٌ
حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعِيَهُ فَالنَّاسُ أَغْدَالُ لَهُ وَخُصُومٌ^(١)
وقال المرارُ الفقعسي :

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ قَدْ يَفْتَرُ الْمَرْءُ يَوْمًا وَهُوَ مُحَمَّدٌ
أَمْضَى عَلَى سُنَّةٍ مِنْ وَالِدٍ سَلَفَتْ فِي أُرُومَتِهِ مَا يَنْبَغُ الْعُودُ
مُطَالَبٌ بِتَرَاتٍ غَيْرِ مُدْرَكَةٍ عَمْسَدٌ وَالْفَتَى ذُو اللَّبِّ مُحْسُودٌ
وقال أبو الطيب :

أَعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحَبَّ لِلْفَتَى وَأَهْدَأُ وَالْأَفْكَارُ فِي تَجَوُّلِ
سَيَوَى وَجَعَ الْحَسَادِ دَاوٍ فَإِنَّهُ إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ يَزُولُ
وَلَا تَطْمَعُنْ مِنْ حَاسِنٍ فِي مَوَدَةٍ وَإِنْ كُنْتَ تُبْدِيهَا لَهُ وَتُنِيلُ^(٢)
وقال لبيدُ بن عَطَّارٍ بن حَاجِبِ التَّمِيمِي :

إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بَمَا يَجِدُ
أَنَا الَّذِي يَجِدُونِي فِي حُلُوقِهِمْ لَا أَرْتَقِي صُعْدًا فِيهَا وَلَا أَرِدُ^(٣)

(١) ديوان أبي الأسود ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، وانظر محاضرات الأدباء ١/١٢٤ ، وفيات الأعيان ٢/٤٥٥ ، عيون الأخبار ١/٢٩٩ .

(٢) ديوانه ٢٩٩ .

(٣) الأبيات في شرح حساسة أبي تمام ١/٣٨١ ، وقد نسبت في معجم الشعراء مرة إلى السكيت بن معروف الأسدي ص ٣٤٧ ، ومرة إلى أبي بكر العرزمي ص ٤١٧ . وانظرها في السكامل ٢/٩٨ : عيون الأخبار ١٠/٢ بدون نسبة .

وقال عِمَارَةُ بْنُ عَقِيلٍ بْنِ بَلَّالِ بْنِ جَرِيرٍ :

مَا ضَرَّنِي حَسَدُ اللَّثَامِ وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذَوُو النُّقْصَانِ

وقال مروان بن أبي حفصة :

مَا ضَرَّهُ^(١) حَسَدُ اللَّثَامِ وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذَوُو التَّقْصِيرِ^(٢)

قال معاوية بن أبي سفيان : كل الناس أَرْضِيته إِلَّا حاسد نعمة ، فإنه لا يرضيه

إِلَّا زَوَالَهَا

أَخَذَهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ :

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى^(٣) إِمَاتَتُهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ^(٤)

قال معاوية بن أبي سفيان : ليس في خلال الشر أشر من الحسد ، لأنه قد يقتل

الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود .

كَانَ يُقَالُ : الْحَاسِدُ إِذَا رَأَى نِعْمَةً بُهَتَ ، وَإِذَا رَأَى عَثْرَةً شِمَتَ .

قال الخليل بن أحمد : لَا شَيْءَ أَشْبَهَ بِالْمَظْلُومِ مِنَ الْحَاسِدِ .

قال محمود الوراق :

أَعْطَيْتُ كُلَّ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي الرِّضَا^(٥) إِلَّا الْحُسُودَ فَإِنَّهُ أَعْيَانِي

(١) ب : ما ضرني .

(٢) محاضرات الأدباء ١٢٤/١ .

(٣) ب : ترجو .

(٤) عيون الأخبار ١٠/٢ .

(٥) أ : الدنا .

لَا أَنْ لِي ذَنْبًا لَدَيْهِ عَلِمْتُهُ إِلَّا تَظَاهَرَ نِعْمَةُ الرَّحْمَنِ
يَطْوِي عَلَى خَنْقِ حَشَاهُ لِأَنْ رَأَى عِنْدِي كَمَالَ غِنَى وَفَضْلَ بَيَانِ
مَا إِنْ أَرَى يُرْضِيهِ إِلَّا ذِلَّتِي وَذَهَابُ أَمْوَالِي وَقَطْعُ لِسَانِي

وقال آخر :

إِنْ (١) يُكْثِرُ اللَّهُ حُسَادًا لَهُمْ فَعَلَى مَقْدَارِ مَا كَثُرَتْ فِيهِمْ مِنَ النَّسَمِ

وقال محمد بن زياد الحارثي :

إِذَا مَا سَحَلَتِ الشُّكْرَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ يَحِقُّ عَلَيْكَ شُكْرُهَا وَاخْتِمَالُهَا
فَدَفْعَ لِحُسُودٍ بَعْدَ ذَلِكَ خُطَّةٍ يَكُونُ عَلَيْهِ هُمًّا وَوَبَالُهَا
لَكَ الْأَجْرُ وَالْمَهْنَى وَلِلْحَاسِدِ الَّذِي يَكِيدُكَ فِيهَا جُرْمُهَا وَنِكَالُهَا

وقال آخر :

تَعَنَّى لِي الْمَوْتُ الْمُعْجَلُ خَالِدٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ حَاسِدُهُ (٢)

وقال نصر بن أحمد :

كَأَنَّمَا الدَّهْرُ قَدْ أَغْرَى بِنَا حُسَدًا وَنِعْمَةُ اللَّهِ مَقْرُونٌ بِهَا الْحَسَدُ

وقال آخر :

إِنَّ الْعَرَانِينَ تَلْقَاهَا مُحْسَدَةٌ وَلَنْ تَرَى لِلنَّاسِ حُسَادًا (٣)

(١) : ١ : ثن .

(٢) البيت لأبي بن حماد العبسي ، انظر المؤلف والمختلف ٩١ ، حجاسة أبي تمام ١٦٩/١ .

(٣) البيت للغيرة بن حبناء شاعر آل المهلب ، انظر معجم الشعراء ٣٦٩ ، محاضرات الأدباء ١٢٤/١ .

وقال آخر :

مُحْسَدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَعْمٍ لَا يَنْزِعُ اللَّهُ عَنْهُمْ مَالَهُ حُسِدُوا^(١)

وقال آخر :

إِنِّي نَشَأْتُ وَحُسَادِي ذَوُو عَدَدٍ يَأْذُ الْمَعَارِجَ لَا تُنْقِصُ لَهُمْ عَدَدًا^(٢)

وقال بشار العقيلي :

قَالَهُ أَسْأَلُهُ إِذْوَامَ دَائِهِمْ وَأَنْ يُدِيمَ لَنَا مَا يُوجِبُ الْحَسَدَا^(٣)

وقال أيضا :

قَدْ أَذْهَبَ الدَّاءُ حُسَادِي بِكَثَرَتِهِمْ
لَا عِشْتُ خِلْوًا مِنَ الْحُسَادِ لَهُمْ
أَبَقَى لِي اللَّهُ حُسَادِي وَنَعْمُهُمْ
وَلَوْ فُتُّوا عَزَّ دَائِي مِنْ يُدَاوِينِي
أَعَزُّ فَقْدًا مِنَ اللَّائِي أَحَبُّونِي
حَتَّى يَمُوتُوا بِدَاءٍ غَيْرِ مَكُونٍ^(٤)

وقال محمود الوراق :

لَا تَحْسُدَنَّ أَخَاكَ وَارْ عَ لَهُ عَلَى الْآيَامِ عَهْدَهُ
حَسَدُ الصَّدِيقِ صَدِيقُهُ وَأَخَاهُ مِنْ سَقَمِ الْمَوَدَّةِ

وقال حبيب :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أُنَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى ، ديوانه ١٨٢ ، جمهرة أشعار العرب ٢٥ ، العقد الفريد ١/٢٣٧ .

(٢) البيت لنصر بن سيار ، انظر المستطرف ١/٢٥١ .

(٣) المختار من شعر بشار ٦٦ .

(٤) المختار من شعر بشار ١١٢ .

(١) لَوْ لَا اشْتَعَالَ النَّارُ فِي مَا جَاوَرَتْهُ مَا كَانَ يُعْرِفُ فَضْلُ عَرَفِ الْعُودِ (١)

وقال أبو القاسم الداعية: أدنى الأعراض عرض لا يرتع فيه ذم.
ولأحد بنى الطيفان (٢):

وَمَوَّلَى كَمَوَّلَى الزُّبْرَقَانِ دُمِلَتْهُ
كَمَا دُمِلَتْ سَاقُ يَهَاضٍ بِهَا كَسُرُ
تَرَاهُ كَمَا أَنَّ اللَّهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ
وَعَيْنِيهِ إِنَّ مَوْلَاهُ ثَابَ لَهُ وَفَرُّ

وقال ابن أبي طاهر (٣):

يَا حَاسِدًا فَضْلَ امْرِئٍ سَيِّدٍ أَصْبَحَ قَدْ أَحْسَنَ فِي فِعْلِهِ
لَا زِلْتَ إِلَّا بَاغِيًا حَاسِدًا لِكُلِّ ذِي نُبُلٍ عَلَى نُبُلِهِ
وَزَادَ مِنْ تَحْسُدِهِ نِعْمَةٌ دَائِمَةٌ تَبْقَى عَلَى مِثْلِهِ
وَلَمْ يَزَلْ ذُو النِّقْصِ مِنْ نَقْصِهِ يَحْسُدُ ذَا الْفَضْلِ عَلَى فَضْلِهِ

وقال أبو فراس الحمداني، وهو الحارث بن سميد بن حمدان:

لِمَنْ (٤) جَاهَدَ الْحُسَّادَ أَجْرُ الْمَجَاهِدِ وَأَعْجَزُ مَا حَاوَلْتَ إِرْضَاءَ حَاسِدِ
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْيَوْمِ أَكْثَرَ حَاسِدًا كَمَا أَنَّ قُلُوبَ النَّاسِ فِي قَلْبِ وَاحِدِ (٥)

(١) ساقط من ١، وهما في ديوانه ٤٣.

(٢) ١: أحمد بن الضيفان، تحريف، فالبيتان لمحمد بن عاتمة بن الطيفان، انظر المؤلفات والمختلَف ١٤٩.

(٣) هو أحمد بن طيفور (أبي طاهر) المراساني، أحد الكتّاب البلقاء، والمؤلفين المستكثرين، والمؤرخين الرواة، وله شعر قليل. ترجمته في تاريخ بغداد ٢١١/٤، مجمع الأدباء ٨٧/٣.

(٤) ب: لئن.

(٥) ديوانه ٨١.

بَابُ السَّبَابِ وَالْمُشَاتَمَةِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ
الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ ^(١) » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْمَتَسَابِّانِ مَا قَالَا ، فَعَلَى الْبَادِي مَا لَمْ
يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ » .

قال بعض الحكماء : مَا اسْتَبَّ رَجُلَانِ إِلَّا غَلَبَ الْأَمَهُمَا ^(٢) .

قال الزُّبَيْرِيُّ بْنُ بَدْرٍ : خُصِمَتَانِ كَبِيرَتَانِ فِي أَمْرِ الشُّؤْمِ : شِدَّةُ السَّبِّ ،
وَكثْرَةُ الْأَطَامِ ^(٣) .

كان يقال : الْغَالِبُ فِي الشَّرِّ مَغْلُوبٌ .

شتم رجلٌ أبا ذر ، فقال له : يَا هَذَا ^(٤) ؟ لَا تُفْرِقَنَّ فِي شَتْمِنَا وَدَعْ لِلصَّالِحِ مَوْضِعًا ،
فإِنَّا لَا نَكْفِيهِ مِنْ عَصَى اللَّهِ فِينَا ، بَأَكْثَرِ مَنْ أَنْ نَطِيعَ اللَّهَ فِيهِ .

قال أبو مسلم صاحب الدعوة ، عُصْبَةُ الْأَشْرَافِ تَظْهَرُ بِأَفْعَالِهَا ، وَعَصْبَةُ الْأَدْنِيَاءِ
تَظْهَرُ بِالسُّنْتِهَا .

(١) ساقطة من أ .

(٢) أ ، السُّنْبَا .

(٣) ب الظلام ، ولم أعثر على معنى لها ، والاطام : ضرب صفعة الوجه ، ويحتمل أن تكون الاضام بالضاد :

وهو الضرب والإلحاق .

(٤) ب : مَا هَذَا .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إن الله جعل الحق على لسان
عمر وقلبه » .

كان يقال : ظنُّ الحكيم كهانة . ويروى هذا للمعاوية رضى الله عنه .
سُئل بعضُ العرب عن العقل ، فقال : الإصابةُ بالظنُّون ، ومعرفةُ ما لم يكن
بما كان .

قال علي بن أبي طالب : لله درّ ابن عباس ! إنه لينظر إلى ^(١) الغيب من
ستر رقيق .

قال بلعاء بن قيس :
وأبني صوابَ الظنِّ أعلمُ أنه إذا طاشَ ظنُّ المرء طاشتَ مَقادِرُهُ ^(٢)
وقال أوس بن حجر :

الألمى الذى يظنُّ بك الظنَّ ^(٣) كَأنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا ^(٤)
كان يقال : صحة الظن أول اليقين ، أخذه سعيد بن حميد فقال :
أها بك أن أدلّ عليك ظنّا لأنّ الظن مفتاحُ اليقين ^(٥)
وقال آخر :

يَظُنُّ فَلَا يَعْدُو الضِّمِيرَ كَأَنَّمَا لَهُ فِي الْأُمُورِ النَّائِبَاتِ رَقِيبُ

(١) ساقطة من ١ .

(٢) نسب البيت في حماسة البحتري ٤٠٣ إلى عفرس بن نجبة الكلابي ، وانظره في مجموعة المما ٢١٠

المؤلف ١٠٦ ، فصل المقال ١٣٨ ، البيان ٣١٨/٢ ، عيون الأخبار ٣٥/٢ .

(٣) ديوانه ٨ ، البيان ٣٨١/١ ، معجم الأدباء ١٨٢/٦ ، ١٤٢/١٠٠ نوادر الغال ٢٤ ، حماسة البحتري ٤٠٣ .

(٤) عيون الأخبار ٣٥/١ . بدون نسبة ، وفيها : أصوله أن الظن .

وقال كثير بن عبد الملك :

رَأَيْتُ أَبَا الْوَلِيدِ غَدَاةَ جَمِيعٍ بِهِ شَيْبٌ وَمَا فَقَدَ الشُّبَابُ
ولكن تحت ذاك الشَّيْبِ عَزَمٌ إِذَا مَا ظَنَّ أَمْرَضَ أَوْ أَصَابَا^(١)

وقال آخر :

وإِنِّي لِطَرْفِ الْمَيْنِ بِالْمَيْنِ زَاجِرٌ فَقَدْ كَدْتُ لَا يَخْفَى عَلَى ضَمِيرٍ^(٢)
وقال عبد الله بن محمد الأشُّبُونِي^(٣) :

ذِكِّي يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ بَظَنَّهُ كَانَ لَهُ غَيْبًا عَلَى غَامِضِ السَّرِّ
وقال آخر :

أَحْسِنِ الظَّنَّ بِمَنْ قَدْ عَوَّدَكَ حَسَنًا أَمْسُ وَسَوْى أَوْدَكَ
إِنَّ رَبًّا كَانَ يَكْفِيكَ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ سَيَكْفِيكَ غَدَكَ^(٤)

سمع أعرابي رجلا يقول : إن الله تعالى يتولى محاسبة عباده بنفسه . فقال الأعرابي : إن الكريم إذا تولى^(٥) شيئا أحسن فيه .

قال ابن عباس رضي الله عنه : الجبن والبخل والحرص غرائز سوء يجمعها كلها سوء الظن بالله عز وجل .

(١) لسب البيتان في الأمل ٩٤/٢ إلى مسعود بن بشر المازني ، وانظر البيان ٣/٣٨١ ، والرواية هناك : وقد فقد الشباب ، وإذا ما ظن أعرض ، وأمرض معناها : فارب الصواب ، ومنه : إنه ليرض في القول إذا لم يصرح .

(٢) البيت لأبي نواس ، ديوانه ٩٩ .

(٣) ١ : الأسنوني ، وهو تحريف ، والصحيح أنه منسوب إلى الأصبونة ، وهي مدينة غربيه بجهة على ساحل البحر ، انظر صفة جزيرة الأندلس من الروض المطار ١٢ .

(٤) محاضرات الأدباء ١/٢٤٩ .

(٥) ب : ولي .

قيل لبعض العلماء : من أسوأ الناس حالا ؟ قال : من اتسعت معرفته ، وضاعت
مقدرته ، وبعدت همته ، وأسوأ منه حالا : من لم يثق بأحد لسوء ظنه ، ولم يثق به
أحد لسوء فعله .

قال غيره من الحكماء : حسب البعيد المهمة أن تكون غايته الجنة .

قال أبو العتاهية :

الظَّنُّ يُخْطِئُ تَارَةً وَيُصِيبُ^(١)

وقال آخر :

وَإِنِّي بِهَا فِي كُلِّ حَالٍ لَوَائِقُ وَلَكِنَّ سُوءَ الظَّنِّ مِنْ شِدَّةِ الْحُبِّ

قال المتنبي :

إِذَا سَاءَ فَعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَتَّذَّرُهُ مِنْ تَوَهُّمٍ^(٢)

قال ابن هرمة :

وَحَسْبُكَ تَهْمَةٌ لِنَصِيحٍ^(٣) قَوْمٍ يَمُدُّ عَلَى أَخِي بَعْدَ جَنَاحَا

قال أبو حازم : العقلُ التجارب ، والحزمُ سوء الظن .

قال الحسن البصري : لو كان الرجل يصيب ولا يخطئ ، ويحمد في كل ما يأتي

لَدَاخِلُهُ^(٤) المعجب :

(١) عجز بيت صدره : وجميع ما هو كائن فريب . ديوانه ٢٠ .

(٢) ديوانه ٢٩١ ، محاضرات الأدباء ١٤١/١٠٢٤ ، وقد لب في البيتة ٧٧/١ للأنبي فراس الحمداني .

(٣) ب : في نصيح ، والبيت في الحاسة لأبي تمام ٢٢٤/٢ والرواية فيها :

وحسبك تهمة يرى قوم يضم على أخي سقم جناحا

(٤) ب : تداخله .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : أفرسُ الناسِ كلَّهم — فيما علمتُ —
ثلاثة : العزيزُ في قوله لامرأته حين تفرَّسَ في يوسف : ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ
يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾^(١) ، وصاحبةُ موسى حين قالت : ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ
خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾^(٢) . وأبو بكر حين تفرَّسَ في صهر رضى الله
عنهما فاستخلفه .

نظر إياسُ بنُ معاوية يوماً ، وهو بواسط ، في الرحبة إلى آجرة ، فقال : تحت
هذه الآجرة حية ، فزعوا الآجرة فإذا تحتها حيةٌ منطوية ، فسئل عن ذلك ،
فقال : إننى رأيت ما بين الآجرتين ندياً من بين تلك الرحبة ، فعلمت أن تحتها
شبيكاً يتنفس .

قال عمرو بن بحر : إذا نظر الأعرابي إلى موضعٍ متنفخ^(٣) في أرضٍ مستوية ،
فإذا رآه يتصدع في تهيل ، وكان تفتحه مستويًا علم أنها كماء ، وإن خلط في
التصدع والحركة علم أنها دابة ، فاتق مكانها .

نظر إياسُ بن معاوية يوماً إلى صدع في الأرض ، فقال : في هذا الصدع دابة .
فنظروا فإذا فيه دابة ، فقال : إن الأرض لا تنصدع إلا عن دابة أو نبات .

قال معن بن زائدة : ما رأيت قفا رجل قط إلا عرفت عقله ، فقال له الفضل بن
شهاب : فإن رأيت وجهه ؟ قال : فذلك^(٤) حينئذ في كتاب أقرأه .

(١) سورة يوسف ٢١ .

(٢) سورة القصص ٢٦ .

(٣) ب : متنفخ .

(٤) ساقطة من أ .

ومر إياس بن معاوية ذات يوم بماء ، فقال : أسمع صوت كلب غريب ، قيل له : كيف عرفت ذلك ؟ قال ، بخضوع صوته وشدة نباح غيره من الكلاب . قالوا : فإذا كلب^(١) غريب مربوط ، والكلاب تنبحه . وأما قول العماني^(٢) :

وَيَفْهَمُ قَوْلَ الْحُكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تُسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفْتَهُ سَوَادُهَا
فَالْحُكْلُ : كل من لم يكن له صوت تستبان مخرجه ، أو كلام يفهم من الجواب كله . وأما قوله : تُسَاوِدُ فَعِنَاهُ تُسَارَّ ، وَالسَّوَادُ : السَّرَار ، ومنه قول ابنة الخُسَّ :^(٣)
حملني على هذا قرب الوساد ، وطول السواد .

وفي حديث ابن مسعود : تعالى أساودك ، أي أسارك . قال وهب بن منبّه : خصلتان إذا كاتتا في الغلام رجيت نجابته ؛ الرّهبة والحياء .

قال غيره : إذا استثقل^(٤) الصبي الأدب ، وضج من الحصر إلا أنه إذا حفظ وعي ، وإذا فهم أذى ، كان ذلك ممن يرجى .

قال غيره : إذا كان الغلام حازماً^(٥) في الخلاء ، فظيع اللسان في الملاء ، يبدنض التعليم ، ويوارب المعلم ، ويقدم أباه على أمه ، ويؤخر خاله على عمه ، وكنيته أحب إليه من اسمه ، فإنه يرجى خيره ويُنْتَظَرُ عزّه .

(١) ساقط من ١ .

(٢) العماني : محمد بن ذؤيب العماني البصري ، كان شاعراً راجزاً ، وكان لطيفاً ذاهية مقبولا لدى العظماء أوصله عبد الملك بن صالح إلى الرشيد ، فأفاد منه مالا جزيلا . انظر ترجمته والبيت في البيان ٥٦/١ .

(٣) اسمها هند وهي امرأة من لباد ورد عنها كثير من الأمثال ، وكانت معروفة بالفصاحة . وقد قيل إنها اتصلت بعبد لها ، فلما سئلت عما حملها على ذلك أجابت بذلك القول .

(٤) ب : استثقل .

(٥) ب : حازبا .

وقال ابن الزيات : إذا رأيت الصبي يُحِبُّ^(١) عاجل المكروه من غير أن يعرف عاجل المنفعة^(٢) فهو مضعوف . قاله إذ رأى ابنه^(٣) عمر يحب الكتاب فاغتم له ، فسئل عن ذلك ، فقال ما ذكرنا ، قال أبو عمر رضى الله عنه : قوله عندي هذا ليس بشيء .

وقال غيره : يُستدل على نجابة الصبي بشيئين : الحياء ، وحب الكرامة ، أما الحياء فهو خير كله ، وأما حب الكرامة فيدعو إلى اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل .

قال عمرو بن العاص : أنا للبديهة ، ومعاوية للأناة ، والمغيرة للمعضلات ، وزياد للصغار الأمور وكبارها .

أراد يوسف بن عمر بن هبيرة أن يوتى بكر بن عبد الله المزني القضاء ، فاستعفاه ، فأبى أن يعفيه ، فقال : أصلح الله الأمير ، ما أحسن القضاء ، فإن كنت كاذباً فلا يحل لك أن توتى الكاذبين ، وإن كنت صادقاً ، فلا يحل أن توتى من لا يحسن .

قال رجل من الأعراب ضرير النظر^(٤) لا بته ، وهي تقوده في البرعى : يا بنية انظري كيف ترين السماء ؟ قالت : كأنها قرون المغزى . قال : ارعنى . فرعت ساعة ، فقال : انظري كيف ترين السماء ؟ قالت : كأنها خيل دم تجرّ جلالها^(٥) . قال :

(١) ب : يحب .

(٢) ب : المعرفة .

(٣) ب : أباه .

(٤) ب : البصر .

(٥) الجلال : ما تلبسه الدابة لتعان به .

ارعى . فرعت ساعة ، ثم قال : انظري كيف ترين السماء ؟ قالت : كأن الرباب نعام
تعلق بالأرجاء^(١) من السماء ، قال : ارعى . ثم قال : انظري كيف ترين السماء ؟
قالت . ابيضت واسودت ودنت^(٢) فكأنها عينُ نفسٍ تطرف^(٣) . قال : أنجى
ولا أراك ناجية .

قال الشاعر :

أَكَلْتُ وَمِيزَ بَارِقَةً كَذُوبُ أَمَا فِي الدَّهْرِ شَيْءٌ لَا يُرِيبُ^(٤)
أشار ضيف لقوم إلى بنت لهم لتقبله^(٥) ، فقالت والله إني إذا لطويل العنق .
فسمعها الشيخ ، فقال : أشار والله إليها لتقبله^(٦) .

للبيد أو للبعيث :

لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الطَّوَارِقُ بِالْحَصَى وَلَا زَاغَرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ^(٧)

(١) الزباب : السحاب الأبيض ، واحده زبابة ، وفي ب : تعليق بأرجله .

(٢) ساقط من ب .

(٣) البيت لأبي الفرج البغهاء ، انظر التمثيل والمحاضرة ١١٧ ، نهاية الأوب ٣/١٠٦ .

(٤) ب : بقية .

(٥) يروى : الضواريب بالحصى ، وهو للبيد ، ديوانه ٥٨ ، ولد نسب لطرفة في جبهة أشعار العرب .